المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الدعوة وأصول الدين

الجمعية العلمية السعودية

لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

مَجلّة

الدِّرَاسَاتِ العَقَدِيَّة

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

العدد ١٢ – السَّنة السادسة – محرم ١٤٣٥هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة

لمجلة الدراسات العقدية

ردمك × ٥١٦-١٦٥٨

رقم الإيداع ١٤٣٠/٧٦١٧

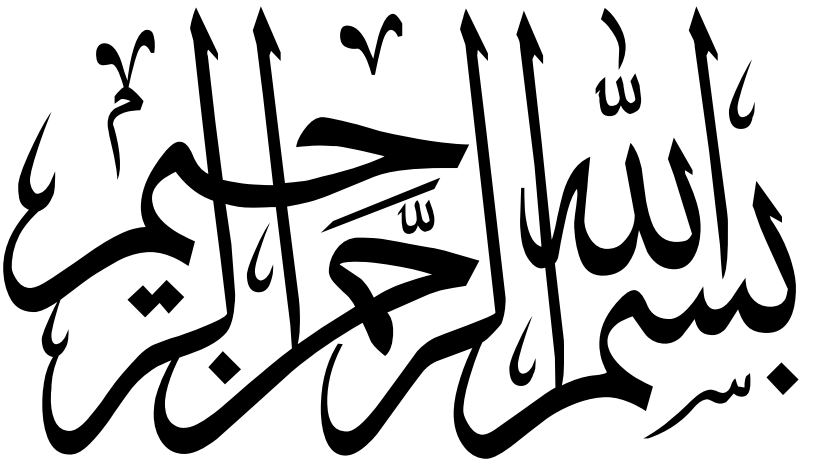
بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

(ص.ب ١٠٠٤٠) المدينة المنورة.

جوال ٠٥٥٨٣٠٣٨٤٠

هاتف ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الالكتروني

aqeedaamm@gmail.com

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ ـ أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ ـ أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ـ أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ ـ أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ ـ أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ـ أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ ـ أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ ـ أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ ـ أن تصدّر بنبذة مختصرة ـ لا تزيد عن نصف صفحة ـ للتعريف بها.

١٠ـ أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ـ أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج الوورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: Lotus Linotype

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم× ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤.٧٥ أسفل ٤.٥ أيسر وأيمن)

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥مستلة منه.

مجلّة الدّرَاسَاتِ العَقَدِيّة

هَيئة التَّحْرير

رئيس التحرير: أ.د. محمود بن عبد الرحمن قدح.

مدير التحرير: أ.د. سليمان بن سالم السحيمي.

الأعضاء:

أ.د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أ.د. سامي بن علي القليطي

د. محمد با كريم محمد با عبد الله

د. منصور بن عبد العزيز الحجيلي

سكرتير التحرير:

أبصار الإسلام بن وقار الإسلام

المواد المنشورة

في المجلة

تعبر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة

۞ **الدلائل القرآنية على توحيد الربوبية**

د. أحمد بن عبد الله الغنيمان..... ١١ – ١٠٨

۞ **أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم**

د. أحمد سردار محمد مهر الدين شيخ ١٠٩-٢١١

۞ **المحبة بين العبودية والفطرية**

د. علي حسين يحيى موسى ٢١٣-٢٥٩

۞ **السؤال بوجه الله تعالى «صوره وأحكامه – دراسة عقدية»**

د. إبراهيم بن عبدالله الحماد ٢٦١-٣١٨

۞ **السلفية حقيقتها وصلتها بالدولة السعودية**

د. خالد بن ناصر بن ربيعان العتيبي..... ٣١٩-٤٢٩

۞ **مفهوم البدعة وأثره في اختلاف الفتوى**

د. طارق بن سعيد القحطاني..... ٤٣١-٥١٠

۞ **رسالة في الفرق للشيخ موفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم الطرابلسي ت ٨٨٤ هـ.** دراسة وتحقيق:

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري ٥١١-٦١٠

الدلائل القرآنية على توحيد الربوبية

د. أحمد بن عبد الله الفنيمان

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فهذا ملخص للبحث المعنون بـ«الدلائل القرآنية على توحيد الربوبية».

يهدف البحث إلى ذكر أهمية معرفة دلائل الربوبية والتي فطر الله العباد على الإقرار بها ، وقد ذكر الله جل جلاله أنواعا من هذه الدلائل مختلفة وبأساليب متنوعة تجعل المؤمن يزداد إيمانا والجاحد يرجع إلى فطرته ويقر بوجوده بل وبوجوب عبادته .

وقد قسم الباحث البحث إلى مقدمة ذكر فيها أهمية الموضوع وخطته وأتبعه بتمهيد تحدث فيه عن معنى الدلائل وتعريفاتها وكذا تعريفات أهل العلم لتوحيد الربوبية ثم دراسة بين فيها أهمية دلائل توحيد الربوبية .

ثم شرع الباحث بذكر الدلائل الواردة في كتاب الله جل وعلا والتي تتلخص في خمسة أدلة هي :

الأول: دليل الفطرة وفيه بيان أن العباد أقروا بربهم جل وعلا بما جبلوا عليه من معرفة بفطرتهم السالمة من الموانع ، فكان ذلك دليلا على وجوده ووجوب عبادته .

أما الدليل الثاني: فتحدث فيه الباحث عن دليل الخلق وهو معرفة العباد لربهم بالاستدلال بالمخلوق على الخالق مما لا يدع مجالا للشك في وجوده ومن ثم وجوب عبادته ، ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور: ٣٦].

أما الدليل الثالث فهو دليل العناية ويقصد به الإتقان والإحكام لهذه المخلوقات الذي بهر العقول وجذب النفوس الملحدة إلى التسليم بوجوده وتفرده بالربوبية والألوهية ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

والدليل الرابع: فهو دليل الضرورة الملحة التي يجدها كل إنسان من انجذاب الروح إلى التعلق به واللجوء إليه وخصوصا وقت الاضطرار ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ .

والدليل الخامس: دليل معرفة الله بالله ويقصد به الاستدلال بأفعال الله وصفاته عليه وعلى وجوده ووجوب عبادته وهو دليل الخواص كما سماهم بعضهم .

والدليل السادس: إجماع الأمم الذي شهد به القاصي والداني وأجمع عليه من في الأرض إلا من شذ .

أما السابع: فهو دليل عقلي يقصد منه الإقرار بوحدانية الله في ألوهيته وربوبيته وهذا الدليل مبني على أنه يمتنع شرعاً وعقلاً وجود فاعلين تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد هما عليه تاما القدرة والإرادة المبحث السابع.

وختم الباحث بحثه بأهم النتائج التي توصل إليها في البحث .

Abstract

of the treatise entitled

Quranic Arguments for Unifying the Lordship

Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah, and after:

The research aims to mention the importance of knowing the Arguments of the Lordship, which, God created mankind to recognize. Allah, Almighty, has mentioned different types of these Arguments, and in different ways, that make a believer increasing in his belief. The disbeliever returns to his nature and acknowledges His existence and even the necessity of His worship.

The researcher has divided the treatise into a preface in which he mentioned the importance of the subject and its plan, following it with a foreword, in which talked about the meaning of the Arguments, and their definitions, as well as definitions of the scholars to Tawheed al Ruboobiyah (unifying the lordship), then the study, in which, he mentioned the importance of Arguments of unifying the lordship, then started in mentioning the Arguments came in the Book of Allah, the exalted, which sums up in five kinds, that are:

Argument of Nature; and the statement that mankind admitted to their Lord Almighty, by the knowledge of their natures they were created upon, which were safe of inhibitions, so that was an evidence to His existence and the necessity of His worship.

The second argument: the researcher spoke of the evidence of creation. That mankind aknowledges to their Lord inferring on the Creator from His creature. That leaves no way for doubt in his existence and then in necessity of His worship

The third argument: evidence of design and care, which means the perfection and precision for these creatures that dazzle the minds and attract the souls of atheists to admit to His existence and singularity in Lordship and Worship.

The fourth argument: evidence of natural pressing necessity, that every human finds an attraction of soul to

adhare Him and seek shelter in Him, specially at the time of an emergency.

The fifth argument: evidence of knowing God by Himself. That means to infer from the actions of God and His attributes on Him, and on His existence and necessity of His worship. It is an evidence for special people as some of them named it.

The sixth argument: evidence of Nations' Consensus, which all people witnessed to, and the entire inhabitants on the earth agreed with, except who deviated from it.

The seventh argument: retional evidence, which means recognition of oneness of Allah in His Lordship and Worship. This evidence is based on the statement that its very unlikely, religiously and rationally, for an object to be existed by two sufficient reasons.

The researcher concluded the research with main results, he reached.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه دراسة موجزة لدلائل توحيد الربوبية، اقتصرت فيها على ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من بيان تفرده بالربوبية معرضا عن غيره من الأدلة التي استعملها المتكلمون وغيرهم، لما في كتاب الله من الغنية في ذلك والحجة البالغة على وجوب توحيده وصرف العبودية له وحده.

خطة البحث

قسم الباحث البحث إلى مقدمة ذكر فيها أهمية الموضوع وخطته وتمهيد وسبعة مباحث:

المقدمة: وتشمل على الخطة وأهمية البحث والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في تعريف الدلائل لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: أهمية دلائل توحيد الربوبية.

المباحث: وتتضمن دراسة كل دليل من أدلة الربوبية وبيانه كالتالي:

المبحث الأول: دليل الفطرة.

المبحث الثاني: دليل الخلق.

المبحث الثالث: دليل العناية.

المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار.

المبحث الخامس: دليل معرفة الله بالله.

المبحث السادس: دليل إجماع الأمم.

المبحث السابع: دليل التمانع.

أهمية البحث:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلائل الربوبية فيها الظاهر البين لكل أحد كالحوادث المشهودة؛ مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر وغير ذلك، وفيها ما يختص به من عرفه؛ مثل دقائق التشريح ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فإن الله يجود به على عباده جودا عاما ميسرا، فلما كانت حاجتهم إلى النفس أكثر من حاجتهم إلى الماء وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل كان سبحانه قد جاء بالهواء جودا عاما في كل مكان وزمان لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر، لأن الحاجة إليه أشد، فكذلك دلائل الربوبية حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات ثم دلائل النبوة، فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة؛ مثل تماثل الأجسام واختلافها وبقاء الأعراض أو فنائها وثبوت

الجوهر الفرد أو انتفاؤه، ومثل مسائل المستحاضة وفوات الحج وفساده ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء»[١].

ويمكن أن نلخص أهمية البحث في النقاط التالية:

۞ أنّ موضوع هذا البحث من أهم مباحث توحيد الربوبية.

۞ أنّ فيه إثباتا لتوحيد العبادة ولزومه على كل من أقر به.

۞ أنّ في دراسة هذه الدلائل ربطا للعبد بربه جل وعلا ودعوة للتفكر في آلائه ونعمه وعظمة مخلوقاته الدالة على عظمته جل شأنه.

۞ أنّ دراسة هذه الدلائل اتباع لمنهج القرآن الكريم الذي كثيرا ما يذكر تعالى دلائل ربوبيته الدالة على وجوب عبادته. وسيأتي مزيد بيان في المطلب الثالث.

منهج البحث:

۞ سلك الباحث منهجا في كتابة هذا البحث يتلخص في النقاط التالية:

۞ جمع المادة العلمية وتنزيلها على كل مبحث.

۞ العناية بالمصطلحات وتعريفها لغة واصطلاحاً.

۞ حاول الباحث حصر الدلائل الدالة على ربوبية الله جل وعلا ووجوب عبادته حسب ورودها في القرآن وعرضها عرضاً علمياً.

۞ التزم الباحث الاقتصار على المهم في هذا الباب وذكر ما يبين المقصود وفق الدلائل الشرعية الواردة في كتاب الله جل وعلا، والاكتفاء بالكليات منها معرضاً عن الطرق الكلامية التي سلكها المتكلمون في إثبات وجود الله جل وعلا استغناء بما في كتاب الله عن آراء الخلق.

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٥- ٤٣٦.

۞ عندما يعرض الدليل بأكثر من صيغة أو يكون متقارباً فإن الباحث يكتفي ببعضها ويعرض عن البعض الآخر.

۞ حرص الباحث على نقل أقوال أهل العلم فيما ذكره من مسائل بالقدر الذي يخدم البحث.

۞ توثيق النقول من مصادرها الأصلية.

۞ قام الباحث بعزو الآيات وتخريج الأحاديث من مظانها، وحرص على ذكر درجة الحديث من خلال نقل أقوال أهل العلم فيه إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.

۞ ترجم الباحث لغير المشهورين عند المتخصصين من طلبة العلم.

۞ تذييل البحث بخاتمة تشتمل على أهم النتائج، وفهارس للمصادر والمراجع وأخرى للموضوعات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري والتتبع لم يجد الباحث من خص هذا الموضوع بدراسة مستقلة مستفيضة.

التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في تعريف الدلائل لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله.

المطلب الأول: في تعريف الدلائل في اللغة والشرع

أولا: معنى الدليل في اللغة:

قال ابن فارس: «الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء»(١).

وقال الجوهري: «الدليل ما يستدل به، والدليل: الدال. وقد دلّه على الطريق، يدلّه، دَلالة، ودِلالة، ودُلولة، والفتح أعلى»(٢).

وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن الدليل في اللغة هو: إبانة الشيء بأمارته الدالة عليه وما يستدل ويسترشد به.

ثانياً: معنى الدليل في الشرع:

ورد لفظ الدليل وورد الفعل منه في مواضع من كتاب الله جل شأنه منها:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ [سبأ: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[الأعراف: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الفرقان].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم دللناكم أيها الناس، بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلق من خلق ربكم، يوجده إذا شاء، ويفنيه إذا أراد»(٣).

---

(١) معجم مقايس اللغة ٢/ ٢٥٩. مادة دلل.

(٢) الصحاح ٤/ ١٦٩٨ وانظر: لسان العرب ١١/ ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ١٩.

وقال القرطبي: «فالشمس دليل، أي حجة وبرهان، وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه»(١).

وقال سبحانه: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ [القصص: ١٢]، وقال أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف]، وقال أيضاً: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [سبأ].

وقد ورد الفعل منه في السنة كثيراً، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»(٢).

فتبين بهذا أن معنى الدليل في الشرع باق على معناه في اللغة فهو المرشد والموصل إلى المطلوب.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدليل هو المرشد إلى المطلوب؛ وهو الموصل إلى المقصود... وهو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم، أو إلى اعتقاد راجح»(٣).

ومن أهل الكلام من لا يسمي بالدليل إلا ما أوصل إلى العلم بوجود المدلول، أما ما يوصل النظر فيه إلى الاعتقاد الراجح فخصه بعضهم باسم الأمارة، والصحيح أن لا فرق، والنزاع نزاع اصطلاحي كما قرر ذلك

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٣٧.

(٢) رواه مسلم (ح ٥٤).

(٣) الرد على المنطقيين (١ / ١٦٥) وانظر: الجواب الصحيح - (٦ / ٥٠٣).

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.[١]

«والضابط في الدليل أن يكون مستلزماً للمدلول، فكل ما كان مستلزما لغيره أمكن أن يستدل به عليه إن كان التلازم من الطرفين أمكن أن يستدل بكل منهما على الآخر، فيستدل المستدل مما علمه منهما على الآخر الذي لم يعلمه.ثم إن كان اللزوم قطعيا كان الدليل قطعيا، وإن كان ظاهراً ـ وقد يتخلف ـ كان الدليل ظنيا»[٢].

(١) الرد على المنطقيين (١ / ١٦٥).

(٢) المصدر نفسه.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح

أولا: تعريف التوحيد في اللغة

التوحيد في اللغة مأخوذ من الْوَحْدَةِ. والانفراد[١] «الواو والحاء والدال: أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد. من ذلك: الوحدة، وهو واحدُ قبيلته: إذا لم يكن فيهم مثله. قال الشاعر:

يـا واحـدَ العُـرْبِ الـذي مـا في الأنـام لـه نظـير

وَلَقِيتُ الْقَوْمَ مَوْحَدَ مَوْحَدَ. وَلَقِيتُهُ وَحْدَهُ.»[٢].

«وحَّدَه وأَحَّدَه كَمَا يُقَالُ ثَنَّاه وثَلَّثه. ورجل وحد ووحد، أي منفرد. وتوحد برأيه، تفرد به»[٣]. «وفلان واحد دهره، أي لا نظير له»[٤]

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد مصدر من وحَّد يُوَحِّد توحيداً، إذا أفرده و جعله واحداً»[٥]

وبناء على هذا فالتوحيد مأخوذ من الْوَحْدَةِ. والانفراد.

ثانيا: تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح:

تعدّدت ألفاظ أهل العلم في تعريفهم لتوحيد الربوبية، وبالنظر إلى تلك

---

(١) انظر: كتاب العين مادة وحده ٣/ ٢٨١ والصحاح مادة (وحده) واللسان مادة وحده ٣/ ٤٤٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦/ ٩٠-٩١.

(٣) انظر: اللسان مادة وحده ٣/ ٤٤٦.

(٤) الصحاح مادة وحد ٥٤٧ـ٥٤٨.

(٥) لسان العرب مادة (وحد) ٣ / ٤٤٨.

التعريفات نجد أنها تدور حول إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله، إلا أن البعض يتوسع في ضرب الأمثلة، وبعضهم يكتفي ببعضها، والبعض الآخر يكتفي بذكر مثال واحد فقط كما صنع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غير موضع من مؤلفاته، حيث عرّفه بقوله: «هو إفراد الله بالخلق» وكذا تلميذه ابن القيم رحمهما الله.

ومن هنا كان أجمع وأشمل تعريف لتوحيد الربوبية هو: إفراد الله بأفعاله، ويدخل في هذا جميع صفات الربوبية من الخلق والملك والتدبير والتصرف في جميع مخلوقاته، كما يدخل في هذا التعريف الإيمان بأقدار الله وقضائه.

المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله:

تمهيد

معرفة الله سبحانه نوعان: عامة وهي معرفة إقرار بوجوده وربوبيته، وخاصة وهي معرفة شهود آلائه ونعمه وكمال محبته وإجلاله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معرفة الله نوعان:

الأول: معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي.

والثاني: معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه، وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية على ألسن القوم وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم. وكلٌ أشار إلى هذه المعرفة بحسب مقامه وما كشف له منها، وقد قال أعرف الخلق به: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[(١)] وأخبر أنه سبحانه يفتح عليه يوم القيامة من محامده بما لا يحسنه الآن[(٢)]، ولهذه المعرفة بابان واسعان:

باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله.

والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه. وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها وتفرده بذلك وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيها في

---

(١) رواه مسلم (ح٤٨٦) والترمذي (٣٤٩٣) وغيرهما.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (ح ٣٧١).

أوامره ونواهيه فقيها في قضائه وقدره فقيها في أسمائه وصفاته، فقيها في الحكم الديني الشرعي، والحكم الكوني القدري وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[1].

ونخلص مما تقدم أن دلائل معرفة الله تكمن في أمرين:

أحدهما: معرفة إقرار بوجوده وكمال ربوبيته وتمام هذه بالتفكر في آلائه وآثار ربوبيته.وهذه المعرفة يشترك فيها البر والفاجر إلا أن الخلق يتفاوتون فيها تفاوتا بينا.

والثاني: معرفة تورث كمال عبوديته والخضوع والتذلل له، وتمامها بمعرفة وحيه ودينه والتبصر به.

ومن هذين القسمين تندرج دلائل عديدة لكن لا تخرج عن هذين الأمرين، إلا أن أغلب المشتغلين بالبحث عن دلائل الربوبية يدور بحثهم حول الأول، وهو الإقرار بوجوده وبعض صفات ربوبيته.

وفي هذه الوريقات سيكون محور الكلام حول هذين الأمرين مع ذكر بعض الأمثلة على هذين القسمين.

اعتراض وجوابه:

قد يقول قائل: إن معرفة الله سبحانه وتعالى لا تحتاج إلى النظر والاستدلال، بل إنها حاصلة عند الأمم جميعهم، وهذا مما يبين أنه لا حاجة في سرد الأدلة على وجود الله، فالصغير والكبير، والجن والأنس، بل وجميع المخلوقات قد عرفت ربها، فما من شيء إلا وهو يسبح بحمد ربه، وما من شيء

(١) الفوائد ١/ ١٧٠.

إلا وقد انقاد لربه وأذعن. فلماذا تُعقد مثل هذه المباحث ويُشغل الناس بها؟.

فالجواب أن نقول:

نعم معرفة ربنا جل وعلا لا تحتاج لشحذ الأدلة الدالة على وجوده، فالله جل ذكره هو دليل على وجوده، وليس في الرسل من قال أول ما دعا إليه قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه، فلم يكلفوا أولا بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ الأمم جميعاً قد أقرت به واعترفت بربوبيته، وقد قالت رسل الله لأقوامهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم: ١٠] فنفت أن يكون في الله شك، وهو استفهام تقريري يتضمن تقرير الأمم على ما هم مقرين به من أنه ليس في الله شك فهذا استفهام تقرير، ومما يؤكد هذا أن القرآن لم يتوسع في ذلك، ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور؛ منها:

١. اتفاق الأمم على الإيمان به والإقرار بمضمونه.

٢. أنه أمر مسلّم، ولذا فإن نجد أن الله إن تكلم عن ربوبية ساقه على سبيل المسلمات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

إلا أنه يمكن القول بأن أسباب دراسة دلائل الربوبية إنما جاءت مستنبطة من القرآن الكريم حيث سيق الكلام فيه لأغراض منها:

١) تقرير عجز المعبودات من دون الله، عن شيء من خصائص الربوبية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٞ ٧٤﴾ [الحج].

٢) الاحتجاج به على المشركين بوجوب الإيمان به وتوحيده في العبادة ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

٣) ذكره لصفات الربوبية، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة] ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الزمر: ٦٢]﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام].

٤) الاستهزاء بالمشركين الذين عبدوا معه غيره ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف] ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل].

٥) للفت التأمل والتذكر والتفكر في مخلوقات الله. ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران] .

٦) العبرة والعظة من فعل الله بالأمم السابقة ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1] [الحج].

٧) أنها سبب لزيادة الإيمان، فالدليل المحسوس أقوى في التأثير من غيره، قال الله تعالى على لسان الخليل عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[البقرة: ٢٦٠]

(١) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في تقرير عقيدة التوحيد ٢٧٦ وما بعدها.

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾[الأعراف: ١٤٣].

٨) حاجة الناس في هذا الزمن لمعرفة هذا، لاسيما وأن موجة الإلحاد ما زالت موجودة.

٩) أن كثيراً من المسلمين لا يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية، لاسيما الصوفية الذين بالغوا في إثبات توحيد الربوبية.

١٠) أن مجرد معرفة الله لا تستلزم كمال العلم به وبصفاته وأحكامه؛ بل قد يعرفه من لا يؤمن به بخلاف من علم به، فلا بد أن يكون شاكراً ذاكراً منيباً مخبتاً لربه جلّ جلاله.

المبحث الأول: دليل الفطرة

المبحث الثاني: دليل الخلق

المبحث الثالث: دليل العناية

المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار

المبحث الخامس: دليل معرفة الله بالله

المبحث السادس: دليل إجماع الأمم

المبحث السابع: دليل التمانع

تمهيد

مما هو معلوم بالضرورة أن وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته معلومة لكل عاقل سليم؛ بل إن إدراك ذلك قد جبل عليه كل الخلق إلا من شذ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحدانية الربوبية معلومة بالشريعة النبوية والفطرة الخلقية والضرورة العقلية، والقواطع النقلية واتفاق الأمم وغير ذلك من الدلائل».(١)

وقال: «كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وتمثّل بقول الشاعر:

ولـيس يصـحّ في الأذهـان شيء إذا احتـاج النهـار إلى دليـل

وكان ﷺ يرتجز بقول عامر بن الأكوع:

والله لـولا الله مـا اهتـدينا ولا صـمنا ولا صـلينا..»(٢)

فدلّ هذا على أن الله يُعرف بالله، ثم هناك أدلة تؤكد هذه المعرفة وتزيدها والتي من أهمها:

١- الفطرة. ٢- الضرورة. ٣-العناية.

٤-الخلق والإيجاد. ٥- معرفة الله بالله. ٦ـ إجماع الأمم.

٧ـ دلالة الكتب المنزلة ومعجزات الأنبياء(٣). ٨ ـ دليل التمانع.

وسأتناولها في المباحث التالية:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٠١.

(٢) رواه البخاري ٢٢ / ٤٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠١ وانظر: نبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين ص ٧.

المبحث الأول: دليل الفطرة.

معنى الفطرة في اللغة:

قال الخليل: «وفطر الله الخلق، أي خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض، والفطرة التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته..وانفطر الثوب وتفطر أي انشق، وتفطرت الجبال والأرض انصدعت»(١).

وقال الجوهري: «والفِطْرة بالكسر الخلقة»(٢).

«والفِطْرَة: الجِبلَّة التي فطر الله تعالى عليها الخَلْقَ. ورُوي في الحديث: «كل مولودٍ يولد على الفِطْرَة»(٣)

«الجِبِلَّةُ بكسرتين وتثقيل اللام و الطَّبِيعَةُ و الخَلِيقَةُ والغَرِيزَةُ بمعنى واحد وجَبَلَهُ الله على كذا من باب قتل فطره عليه»(٤).

وبهذا يتبين أن معنى الفطرة في اللغة يدور معناه على الشق والابتداء والخلق والجبلة والطبيعة. وقد ورد ذكر أغلب هذه المعاني في القرآن قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾ [الشورى: ٥] والمقصود يتشققن وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [الإسراء: ٥١]، والمعنى

---

(١) العين ٧/ ٤١٨.

(٢) الصحاح ٢/ ٧٨١، وانظر: العين ٧/ ٤١٧ – ٤١٨، لسان العرب ٥/ ٥٥ - ٥٨.

(٣) جمهرة اللغة ١ / ٤١٤.

(٤) المصباح المنير- العلمية ١ / ٩٠.

هنا الابتداء والخلق والإيجاد على غير مثال سابق. وقال سبحانه: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ [المزمل: ١٨] إشارة إلى قبولها ما اقتضاه خلقه وابداعه لها.[١]

ومن معان الفطرة أيضاً: السنة كما في الحديث: «خمس من الفطرة»[٢].

المراد بالفطرة في الاصطلاح الشرعي:

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف الفطرة: «هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه»[٣]

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: «قال العلماء الفطرة هي الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، التي هي معدة، ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه ويؤمن به»[٤]

وقال أبو البقاء الكفوي: «الفطرة هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته»[٥].

أما ما جاء في السنة: «كل مولود يولد على الفطرة» فالمراد به الإسلام.[٦]

ومن هنا يتبين أن الإقرار بوجود الخالق أمر فطري فطر الخلق عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإقرار بالله والاعتراف به ثابت في الفطرة

---

(١) انظر: المفردات للأصبهاني ٥٧٥.

(٢) أخرجه البخاري (ح ٥٨٨٩) ومسلم (ح ٢٥٧). وقد تقدم تخريجه ص ٢٠.

(٣) بهجة قلوب الأبرار ص ٦٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٩).

(٥) كتاب الكليات لأبى البقاء الكفومى ١ / ١١٠٥.

(٦) انظر: درء التعارض٨/ ٣٦٧ - ٣٧١.

كما قرره سبحانه في كتابه في مواضع فلا يحتاج إلى دليل؛ بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول»[١] كيف لا «ووجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»[٢].

وقد دلّ على ما تقدم الكتاب والسنة والعقل:

أولا: دلالة الكتاب:

جاء التنبيه إلى هذه المعرفة في مواضع من كتاب الله جل وعلا والتي منها ما يلي:

١ـ قوله تعالى﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الروم].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: فسدِّد وجهك نحو الوجه الذي وجّهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿ حَنِيفًا ﴾ يقول: مستقيما لدينه وطاعته﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها ونصبت «فطرةَ» على المصدر من معنى قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٧٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢١٩.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[١].

وقد نقل الإمام ابن عبد البر[٢] إجماع أهل التفسير على أن المقصود بالفطرة: الإسلام، حيث يقول «أجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام، و هو المعروف عند السلف»[٣].

و قوله: لا تبديل لخلق الله تحتمل معنيين:

أحدهما: لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها - فيكون خبراً بمعنى الطلب.

الثاني: أنه خبر على بابه أي: ساوى الله بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك.[٤].

٢ـ قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

و للمفسرين في المراد بالأخذ و الإشهاد قولان:

الأول: ما جاءت به السنة من أن الله تعالى مسح على ظهر آدم عليه السلام،

---

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٩٧.

(٢) ابن عبد البر الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة في ربيع الآخر، وساد أهل الزمان في الحفظ والإتقان، ولم يكن بالأندلس مثله في الحديث، له التمهيد شرح الموطأ والاستذكار مختصره والاستيعاب في الصحابة، مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة.انظر: طبقات الحفاظ ١/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٨/ ٧٢.

(٤) تفسير ابن كثير٦/ ٥٠٠١.

فاستخرج منه ذريته، فأشهدهم على أنفسهم بربوبيته، فأقروا له بلسان المقال، وهذا قول جمهور المفسرين من أهل الأثر وجمع كبير من الصحابة التابعين وغيرهم.

الثاني: خلقهم على الفطرة، المتضمنة الإقرار بالخالق، و الشهادة له بالربوبية، فالإشهاد والإقرار على هذا القول حاصلان بلسان الحال، لا بلسان المقال[١].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «فأما نطقهم فليس في شيء من الأحاديث المرفوعة الثابتة، ولا يدل عليه القرآن، فإن القرآن يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فذكر الأخذ من ظهور بني آدم لا من نفس آدم، وذرياتهم يتناول كل من ولدوه وإن كان كثيرا، وقوله ﴿أَشْهَدَهُمْ﴾ يقتضي أنه هو الذي جعلهم شاهدين على أنفسهم بأنه ربهم، وهذا الإشهاد مقرون بأخذهم من ظهور آبائهم، وهذا الأخذ المشهود الذي لا ريب فيه، هو أخذ المني من أصلاب الآباء ونزوله في أرحام الأمهات، فالأخذ يتضمن خلقهم والإشهاد يتضمن هدايتهم إلى هذا الإقرار، فخلقوا حين ولدوا على الفطرة مقرين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم وخالقهم و أنهم عبيده المخلوقون له، وهذا الإقرار حجة لله عليهم يوم القيامة، ولهذا جميع بني آدم مقرون بهذا، شاهدون به على أنفسهم، والقول بإثبات الله أمر فطري ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجُعل علما ضروريا لهم لا يمكن لأحدٍ جحده»[٢]

فالله تعالى قد فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، وهذا هو

---

(١) المرجع السابق، وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٧٢، وأضواء البيان ٢/ ٤٢، والأدلة العقلية النقلية ص ١٩٩.

(٢) درء التعارض ٨ / ٤٨٤ ـ ٤٨٨ بتصرف.

الميثاق الذي أخذه الله على عباده كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴿١٧٢﴾﴾.

وقول الخليقة: شهدنا على أنفسنا أي: أقررنا بربوبية الله جل جلاله وأنه خالقهم، فهم قد خلقوا على ذلك شاهدين على أنفسهم بهذا الإقرار معترفين به، ولذلك كان هو حجة الله على خلقه يوم القيامة، ولهذا قال سبحانه مذكراً لهم بذلك: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف] أي كراهة أن تحتجوا بغفلتكم يوم القيامة؛ لأن هذا الأمر الضروري الذي لا يغفل عنه بشر.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟. قال فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك وأنت في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»(١).

وقال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم قرأ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[الروم: ٣٠](٢).

فمعنى الفطرة هنا الإقرار بمعرفة الله تعالى الموجبة لتوحيده والاستقامة على دينه.

ولذلك جاء قوله ﷺ: «إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في

---

(١) رواه البخاري (ح٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥).

(٢) البخاري رقم (١٣٥٩)، ومسلم رقم (٢٦٥٨).

يومي هذا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنْزل به سلطاناً[١]»[٢].

وهذا كله مما يؤيد القول بأن المراد بالميثاق الفطرة، لكن يبقى أن يقال إن ما ورد من آثار تؤيد القول الأول لا يمكن إغفالها أو إنكارها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الآثار في إخراج الذرية من ظهر آدم وحصولهم في القبضتين كثيرة لا سبيل إلى ردها وإنكارها، ويكفي وصولها إلى التابعين فكيف بالصحابة، ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين»[٣] وقد قال جمع بالتواتر المعنوي لهذه الآثار[٤].

٣ ـ ما جاء في جواب الرسل للكفار لما قالوا: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[إبراهيم: ١٠].

و قد ذكر الحافظ ابن كثير أن قول الرسل﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾يحتمل أمرين:

الأول: أفي وجوده شك؟.

الثاني: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؟[٥].

فيكون الرسل قد احتجوا على الكفار بحجتين:

الأولى: الفطرة، فإن قولهم ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾استفهام تقرير مفاده النفي،

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٨٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٠٠.

(٣) أحكام أهل الذمة ٢ / ١٠٠٦

(٤) انظر: فتح البيان للقنوجي ٥/ ٧١، معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٠١، والسلسلة الصحيحة للألباني ٤/ ١٦٢. وانظر: الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها ص٥٢٤وما بعدها.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٢٦.

أي أن الله تعالى فوق الشك، و أن الشك فيه مما تنكره الفطر، و هذه الحجة داخلية نابعة من نفس الإنسان، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، و الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة.

والثانية: العقل، وذلك في قولهم ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، فإن هذا استدلال بالخلق على الخالق، و هذه الحجة خارجية، مأخوذة من دلالة الأثر على المؤثر، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه(١).

٤ ـ ومن ذلك أيضاً: أن هذه القضية لم تذكر في الكتاب كثيراً، وإنما اكتفى سبحانه بجعلها من باب المسلمات واحتج بها على وجوب إفراده بالعبادة، كما أنه لم يناقش الدهرية، وإنما اكتفى بتجهيلهم؛ لأن خطأهم معلوم لجميع الناس.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الجاثية: ٢٤].

٥ ـ أن الرسل ابتدؤوا دعوتهم لأقوامهم بتوحيد الألوهية والعبادة ولم يدعوهم إلى توحيد الربوبية مما يبين أن إقرارهم به مستقر في نفوسهم، ولو لم يكن كذلك لقالوا لرسلهم: نحن لا نعرفه أصلا فكيف يأمرنا(٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه. فلم يكلفوا أولا بنفس المعرفة ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ

(١) تفسير ابن كثير، ص٢٠٠. وانظر: الأدلة العقلية النقلية ص٢٠٠.

(٢) انظر: درء التعارض لابن تيمية ٣/ ١٢٩ـ١٣٠.

كانت قلوبهم تعرفه وتقر به وكل مولود يولد على الفطرة»[(١)].

ثانياً: دلالة السنة:

دلت السنة النبوية على ما دل عليه القرآن فمن ذلك:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[(٢)].

فإن قيل: ألا يلزم من استقرار معرفة الله تعالى في الفطرة عدم وقوع إنكار الخلق؟ والحاصل أنه واقع بالفعل، فكيف اجتمع إنكاره مع كونه معروفا بالفطرة؟.

والجواب بأن نقول: إن هذا الاستشكال ومثله نابع من أن فطرة الإنسان لا تتغير ولا تتبدل والواقع أن إنكار وجود الله إنما نبع من المؤثرات التي تحيط بالإنسان وتؤثر عليه كما دل على ذلك الحديث: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

كما أنه قد يقال: إن التوجه إلى الله أمر فطري فلماذا عبد الناس في مختلف العصور والأزمان غيره؟.

فالجواب بأن نقول: الفطرة تدعو إلى معرفة الخالق والإقرار به، لكن الإنسان تحيط به مؤثرات تجعله ينحرف، كما سبق في قوله ﷺ: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»

وكذلك شياطين الجن والإنس تتخطفه من كل مكان، كما قال تعالى عن

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦ / ٣٣٨.

(٢) تقدم تخريجه انظر: ص ٢٠.

إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص].

وليس المراد من الفطرة أن الإنسان حين ولادته يكون عابدا لله عارفاً بحقوقه موحداً له بحيث يدرك ذلك كله ويعرفه، فإن الله يقول﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾[النحل: ٧٨] ونحن نعلم بالاضطرار أن الإنسان ليس عنده معرفة بهذا الأمر على التفصيل، ولكن ولادته على الفطرة تقتضى ذلك وتستوجبه بحسبها، ولذا احتاج إلى الرسل والتلقي عنهم وعبادة الله وفق نهجهم(١).

والكتاب والسنة دلا على أن الخلق مفطور على دين الله الذي هو معرفة الله والإقرار به، فهذا هو موجب فطرتهم، ولا ينكر ذلك إلا مكابر جاحد كفرعون ومن نهج نهجه.

ثالثاً: دلالة العقل:

دل العقل على أن الإنسان يعرف ربه بفطرته ومن ذلك:

١) ترجيح النافع على الضار:

إن الانسان يجد في نفسه أنه مدفوع في فطرته إلى ترجيح النافع على الضار، والصحيح على السقيم، لاسيما أنه يحصل له كثير من المعتقدات والإرادات والدوافع التي منها الحق والباطل.

وكذلك نجد أن الطفل مدفوع بفطرته إلى لبن أمه، وفي هذا دليل على أن النفس مركوزة على قبول الحق النافع، وعلى هذا فإن الإقرار بوجود الخالق

(١) درء التعارض ٨ / ٤٦٠. وانظر: الأدلة العقلية النقلية ٢٠٤.

وربوبيته والإيمان به إما أن يكون هو الحق أو نقيضه، والتقدير الثاني فاسد قطعاً، فتعين الأول.

ومن هنا كانت كل نفس مفطورة على الاعتراف بالخالق والإقرار به استجابة لما هي مركوزة عليه من طلب كل ما هو حق ونافع والاعتراف به.[١]

٢) زيادة العلم توجب الإقرار به.

إننا نجد أن الانسان كلما ازداد علماً وإرادة وأخلاقاً وتفكراً كلما ازداد معرفة بخالقه ومحبة له، وهذا دليل على أن النفوس مفطورة على الاعتراف به.

وعلى هذا فإما أن يكون الإقرار بالخالق والإيمان والاعتراف به وبربوبيته أكمل للناس علماً وقصداً، أو ضدها أكمل للناس، والثاني باطل قطعاً، فلا بد أن تكون الفطرة مقتضية للإيمان بربوبيته وسائر خصائصه سبحانه.[٢]

٣) شعور النفس وإرادتها:

أن النفس إذا كانت لا تخلو من الشعور والإرادة فإن من الممتنع أن تكون غير شاعرة بوجوده وعدمه، أو محبته وعدمها، إذ لازم ذلك كون ذلك ليس من لوازم وجودها، وهذا باطل فلا بد وأن تكون شاعرة به عالمة بربوبيته ضرورة، إذ أن ذلك من لوازم وجودها، إذ لا يعقل أثر بغير مؤثر، وموجود بغير موجد.[٣]

٤) أن من الممتنع أن يكون الناس فطروا على غير ربوبيته لعدة أمور منها:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧. وانظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٢٤

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٦٤.

أ ـ أن هذا خلاف الواقع.

ب ـ أن المخلوق ليس بأولى من المخلوق الآخر بأن يكون رباً وإلهاً، إذ أن هذا المعبود إما أن يكون حياً أو ميتاً. فإن كان ميتاً، فمن الممتنع أن يكون العباد مفطورين على عبادة الميت والإيمان بربوبيته.

وإن كان حياً فهو ليس بأولى من غيره الحي، وإلا للزم أن يكون كل حي ربا لكل حي، أو أن كل حي ربٌّ لآخر. إذ أن هذا يلزم منه التسلسل والدور في المؤثرين وهذا ممتنع(١).

ولذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب ليكمل بها الفطرة ويذكرها ويوجهها إلى ما هو مركوز فيها من معرفة الله والإقرار به.

٥) معرفته سبحانه من الأمور الضرورية:

دل العقل على أن معرفة الله من العلوم الضرورية التي لا تحتاج كبير عناء في اكتسابها، بخلاف غيرها من العلوم؛ كالحساب مثلا مع حاجة الإنسان له، لكن الإنسان قد يغفل عنها في كثير من الأحيان لشبهة نظر أو لبس في فهم الدليل، بخلاف الفطرة فإنه علم ضروري لازم لكل أحد. ولذا جاء أسلوب القرآن في الاستدلال على وجود الله على سبيل التذكير: قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [ق: ٣٧] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١].

وكل ما في القرآن من دعوة إلى الله إنما هي تذكير للإنسان بما دلت عليه فطرته من وجوب عبادة الله سبحانه وتعالى، ومحاولة للعودة به إلى حالته

(١) انظر: المصدر السابق ٨/ ٤٥٦ـ٤٦٨، ٤٨٣.

الصحيحة من استقامته على الفطرة التي قد يطرأ عليها من الشبهات والشكوك والغفلة ما يبعدها عما أوجدت له، فإن الشياطين من الإنس والجن قد تجتال العباد وتنحيهم عما دلت عليه فطرتهم.

ولذلك ترى أن المشركين يحتجون بغفلتهم عن إقرارهم بعبودية الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، أو يحتجون بشرك آبائهم ومتابعتهم على ضلالهم؛ لأن العادة جرت على أن يسلك الرجل مسلك أبيه، فيربيه بما معه من حق أو باطل، ولذلك لا يقبل الله منهم هذا الاحتجاج لكونه فطرهم على معرفته والإقرار به[1].

(١) انظر: المصدر السابق ٤٨٩ وما بعدها.

المبحث الثاني: دليل الخلق

يراد بدليل الخلق: الاستدلال بوجود المخلوق على وجود الخالق ووجوب عبادته.

ودليل الخلق ينبني على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: أن هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن موجودة.

المقدمة الثانية: وهي كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد.

إن وجود الموجودات بعد العدم، وحدوثها بعد أن لم تكن، يدل بداهة على وجود من أوجدها وأحدثها، ولا بد أن يكون هذا الموجد متصفاً بصفات الربوبية والألوهية.(١)

وهذه الدلالة أظهر دلائل الربوبية، وما من شك أن العلم بهذا حاصل بالضرورة، من طريقي الحس والخبر الصادق.(٢) ولذا نجد أن الله جل وعلا أكثر من ذكر هذا الدليل في كتابه العظيم ليبرهن لهم على استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، كما أنه هو وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير، ولهذا نجد أن الله جل ذكره بين هذا النوع من الأدلة بأساليب متنوعة وبذكر مظاهر من الخلق متعددة، فتارة يستدل جل وعلا عليه بتفرده بإيجاد الموجودات من عدم مبينا بالغ قدرته على إعادتها، وتارة يستدل بتفرده بتدبير هذا الكون

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١١٨ وما بعدها.

(٢) انظر: الأدلة العقلية النقلية / ٢١٧.

وجميع المخلوقات فلا راد لأمره ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وتارة يستدل بتفرده سبحانه وتعالى بالقوة والسلطان وإسداء نعمه على خلقه وبسطه للأرض وتهيئته لها وتسخيره لما فيه للإنسان، وتارة يستدل بأفعاله جل شأنه من خلق المخلوقات من السموات والأرض والناس والدواب وغيرها، وكثيرا ما يأمر بالنظر في مآلات المعاندين والمكذبين وكيف فعل بهم، وتارة يستدل بخلق الإنسان وما مر به من أطوار وما ينتظره من مآل، كل ذلك وغيره كثير يستدل به سبحانه وتعالى على عظيم خلقه وقدرته.

لكن تتبع ذلك في كتاب الله ليس هذا محلا لذكره إذ المقصود الإشارة؛ وسأقتصر على ذكر دليلين عليهما يجمعان جميع الأدلة الواردة في كتاب الله جل جلاله وهما: **دلالة العقل ودلالة الحس**.

فأما الأول: وهو دلالة العقل:

أجمل الله سبحانه وتعالى دلالة العقل على ذلك بأوجز عبارة وأبلغها قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور: ٣٦]، وهذا دليل يرغم العقلاء على التسليم بأن هناك خالقاً معبوداً.

روى البخاري في صحيحة عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الطور] قال: كاد قلبي أن يطير)[1].

(١) رواه البخاري (ح ٤٨٥٤).

قال الخطابي: «إنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية لحسن تلقيه معنى الآية ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة فأدركها بلطيف طبعه، واستشف معناها بزكي فهمه»(١).

وهذا استدلال بأمر مفحم لا يمكن إلا التسليم للحق أو الخروج عن موجب العقل.

وذلك لا يخلو من ثلاثة أمور:

١) ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ فوُجِدوا بلا موجد وهذا عين المحال، لأنه لابد في الموجود من موجد، فإذا أنكروا الإله الخالق لم يجز أن يُوجَدوا بلا خالق خلقهم.

٢) ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ أم هم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد أكثر وفي الباطل أشد، لأن ما لاوجود له كيف يوجد نفسه؟ وكيف يكون موصوفاً بالقدرة؟.

٣) فإذا بطل الوجهان وبان استحالتهما تعين القسم الثالث وهو: أن الله هو الذي خلق الخلق فقامت الحجة بوجوب عبادته وحده دون من سواه.

ثم أردف سبحانه بدلائل تؤكد هذا الدليل وتبينه فقال: ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وذلك شيء لا يمكنهم أن يدّعوه بوجه من الوجوه، فهم منقطعون والحجة قائمة عليهم.

ففي هذا السؤال قطع الحجاج والخصام، إذ قد يوجد جاحد مكابر يقول: أنا خلقت نفسي كما زعم النمروذ فيما أخبر عنه سبحانه بقوله: ﴿ أَلَمْ

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، شرح الحديث رقم (٨٠٢) وذكره القرطبي في تفسيره ١٧/ ١٥١.

تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ فماذا كان الجواب.؟ سؤال آخر أبان عجزه وأكذبه في زعمه الأول ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فكانت النتيجة أن بهت الذي كفر(١).

فمن زعم أنه خلق نفسه، احتج عليه بعدم استطاعته خلق السموات والأرض.

وهذا الأمر يدركه من هو على الفطرة السليمة، فهذا أحد الأعراب يقول: «البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العليم الخبير»(٢).

وقال آخر: «سل الأرض: من فجّر أنهارها، وغرس أشجارها، وأخرج ثمارها، وأغطش ليلها، وأوضح نهارها، فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً»(٣).

وقال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد(٤)

(١) انظر: العقيدة في الله ٧١.

(٢) جواهر الأدب من خطبة قس بن ساعدة ٢/ ١٩، والبيان والتبيين ١/ ١٦٣، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ١/ ٥٢.

(٣) والبيان والتبيين ١/ ٥٨. زهر الآداب وثمر الألباب ١ / ٣٠٨، الحيوان ١ / ٣٥ في خطبة للفضل بن عيسى الرقاشي.

(٤) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ص ٦٩ـ٧٠. وانظر: المستطرف في كل فن مستظرف ١/ ١٦.

ولذلك ألزم الله المشركين بهذا التوحيد على أن يقروا ويعترفوا بتوحيد الإلهية.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت]

ومما يذكر عن أبي حنيفة قوله لمن أنكر وجود الله: (ما تقولون في رجل يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز في العقل؟ قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ؟ فبكوا جميعاً، وقالوا: صدقت وتابوا)[1].

وقال بعض الحكماء: لو لم يكن للعالم صانع لكان أضيع ضائع، هل رأيت مصنوعاً بلا صانع، وسقفاً مرفوعاً بلا رافع، وهل ينفي الصانع إلا جاحد أو مكابر؟!.

الثاني: دليل الحس:

هذا الدليل يمكن حصره في قسمين كما أخبر سبحانه:

أحدهما: النظر في الآفاق.

والثاني: النظر في الأنفس.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٧، وتفسير الرازي ١/ ٢٥٥. وانظر: العقيدة في الله ٧٠ للاشقر.

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت].

وسأقتصر على مثال لكل منهما.

أولا: النظر في الآفاق:

أمر الله بالتفكر في الكون والنظر في الآفاق في آيات عديدة متنوعة في العرض وفي الأسلوب، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: محتجاً على المشركين: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النمل].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران].

فقد أمر الله العباد في هذه الآيات بالنظر في هذه المخلوقات والاتعاظ والاعتبار، بل أمرهم سبحانه بالسير ليعقلوا بقلوبهم وليتعظوا بحال تلك

القرى الخاوية.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت]

قال ابن سعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(قُلْ) لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: (سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ) بأبدانكم وقلوبكم (فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ) فإنكم ستجدون أمما من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئا فشيئا، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتا بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائما في بدء وإعادة، فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى -النوم- وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[1].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت] و«الآفاق» جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده. كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك.

---

(١) تفسير السعدي ١ / ٦٢٨.

وبين أيضا أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئا منها: تسخيره لهم الأنعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها، وينتفعوا بألبانها، وزبدها وسمنها، وأقطها ويلبسوا من جلودها، وأصوافها وأوبارها وأشعارها، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾[غافر: ٧٩ - ٨٠]»[(١)].

الثاني: التفكر في الأنفس:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها»[(٢)] وأكثر سبحانه من ذكرها في كتابه وأمر بالتفكر في خلق الإنسان والنظر في أطوار خلقه وعظيم إبداعه وتسخير ما في الكون له، فقد جعل الأرض بساطاً والجبال أوتادا وألان له الحديد وقرب له البعيد وسخر له ما فيها من نبات ومعادن ومخلوقات، بل جعله سبحانه هو سيد هذا الأرض، ذكر ذلك سبحانه في كتابه بأساليب مختلفة وطرق متعددة، ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس] بل لقد لفت سبحانه نظر رسوله الكريم إليه في أول آية أنزلها عليه فقال ﷻ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾[العلق] وأنكر سبحانه على من ترك التبصر والتفكر في خلق النفس الإنسانية، فقال ﷻ: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات].

---

(١) أضواء البيان - ٦ / ٣٧٦.

(٢) النبوات ١٠ / ٨١. وانظر: الفتاوى ٤/ ٢٨٢.

قال في أضواء البيان: «أي من أعضاء وأجزاء وتراكيب وعدة أجهزة تبهر العقول في السمع وفي البصر وفي الشم وفي الذوق وفي الحس ومن داخل الجسم ما هو أعظم فحق أن يقسم بها. (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا) أي: بالقدرة الباهرة والعلم الشامل، وذكرها بالمعنى الثاني فإنه في نظري أعظم من المعنى الأول، وذلك أن القوى المدركة والمفكرة والمقدرة للأمور التي لها الاختيار ومنها القبول والرفض والرضى والسخط والأخذ والمنع فإنها عالم مستقل.

وإنها كما قلنا أعظم مما تقدم لأن الجانب الخلقي قال تعالى فيه ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧]، ولكن في هذا الجانب قال ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب] ومعلوم أن بعض أفراد الإنسان حملها بصدق وأداها بوفاء ونال رضى الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فهذه النفس في تسويتها لتلقى معاني الخير والشر واستقبال الإلهام الإلهي للفجور والتقوى أعظم دلالة على القدرة من تلك الجمادات التي لا تبدي ولا تعيد والتي لا تملك سلبا ولا إيجابا»[(١)]

بل قد صرح بعض العلماء بوجوب النظر في خلق الإنسان أخذاً من قوله ﷻ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ [الطارق][(٢)].

كما أنه قد جاء ذكر هذا الدليل إجمالاً كما في قوله ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

(١) أضواء البيان ٨ / ٥٣٩ـ ٣٤٠.

(٢) أضواء البيان ٢/ ٣٣٨.

ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر].

وقال أيضا: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح] .

وجاء مفصلاً كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون][(١)].

قال قتادة: «من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة»[(٢)].

فهذه الأدلة العقلية الشرعية من الآيات المتلوة والمرئية، تدل على تفرده سبحانه بالخلق وإدارة الكون، كما تدل على أن هذا الكون وما فيه مخلوق، والمخلوق لابد له من خالق، ولهذا كانت الرسل تحتج بذلك على أقوامها، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[إبراهيم: ١٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «نفس حدوث الحيوان والنبات والمعدن والمطر والسحاب ونحو ذلك معلوم بالضرورة، بل مشهود لا يحتاج إلى دليل، وإنما يعلم بالدليل ما لم يعلم بالحس و بالضرورة، والعلم بحدوث هذه المحدثات علم ضروري، لا يحتاج إلى دليل»[(٣)].

---

(١) انظر: أضواء البيان ٧/ ١٨٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٣. وانظر: الدر المنثور ٧/ ٦١٩.

(٣) درء التعارض ٧/ ٢١٩.

وليس شرطاً أن يقف كل أحد على حدوث كل شيء حتى يصدق بذلك؛ بل إن ذلك غير ممكن كما قال ﷻ: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف].

المبحث الثالث: دليل العناية:

يقصد بالعناية ظهور آثار الكمال في الخلق والتي تتجلى في إتقانه وإحكامه ودقة صنعه وترابطه.

دليل العناية مبني على أصلين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان مهيأة له.

الثاني: أن هذه الموافقة وهذه الدقة وهذا الإحكام بالضرورة قد أوجد من قبل حكيم خبير مريد لعبادة الخلق له وتوحيدهم إياه[1].

فأما الأصل الأول:

وهو كون الموجودات موافقة لوجود الإنسان، فيتحصل اليقين به باعتبار موافقة المخلوقات لوجود الإنسان من الليل والنهار، والشمس والقمر، الأزمنة بفصولها والأمكنة باختلافها، وكثير من الحيوان والنبات والجماد وجزئيات كثيرة مثل الأمطار والأنهار والبحار، وبالجملة كل ما في هذه الأرض وغيرها من مخلوقات فهي موافقة لخلق الإنسان، وكذلك أيضاً تظهر العناية في البدن، كما أن معرفة منافع الموجودات داخلة في هذا الجنس، وكلما كان الوقوف على منافع الموجودات وحكمها والغاية التي وجدت لأجله أطول و أكثر تأملا، كان الوقوف على هذه الدلالة أتم.

ويمكن القول بأن هذا كله وغيره يمكن جمعه في ثلاث محاور كما ورد في القرآن الكريم:

---

(١) انظر: دلائل التوحيد القاسمي ٣٣ - ٣٦ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٧٥،

المحور الأول: الدقة والإتقان:

جاء ذكر ذلك في كتاب الله في عدة مواضع للفت انتباه المكلفين إلى عظيم قدرته سبحانه وتعالى ودقة خلقه وإيجاده، كما أنه جاء التعبير عنه بعدة ألفاظ منها: الإتقان قال سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[النمل] .

وجاء بلفظ سوّى: قال سبحانه ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ القيامة وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [الأعلى] وتسوية الشيء: إتقانه وإحسان خلقه وإكمال صنعته، بحيث يكون مُهيئاً لأداء وظيفته، ويكون مستوياً معتدلاً متناسب الأجزاء ليس بينها تفاوت يُخل بالمقصود.

وجاء بعبارات أخرى مختلفة الألفاظ وإن كانت مُتقاربة الدلالة كالإحسان ونفي التفاوت وإعطاء الخلق ونحوه، قال سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون] واستدل بذلك نبي الله إلياس محتجا به على قومه مستدلا بوجوب عبادته فقال سبحانه: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الصافات] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة].

وإذا كان الخلق يدل على وجود الله جل وعلا فإن دلالة الإتقان والعناية على وجوده أظهر وأبين، لأن العناية أخص من الخلق، إذ قد يُخلق الشيء بغير عناية وإتقان، وهذه العناية ظاهرة في الكائنات كلها. ولكنها في الكائنات الحية أظهر -وفي الإنسان على وجه الخصوص- أظهر وأبين قال سبحانه:

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[الذاريات].

قال سبحانه: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾[الملك].

أي لا مجال لنظر ناقد أو نقد مقوم، بل فيه من مظاهر الإتقان ما حير أولي الألباب، ووقفت عنده عيون الناظرين حائرة ذليلة لربها من عظم الدهشة بدقة الخلق وإتقانه وإحكامه.

ولقد بين الله سبحانه عنايته بهذا الكون وما حوى من مخلوقات: قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١﴾[يس] وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [الأنبياء] وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ٦١ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ [الفرقان] وقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥﴾ الآيات [عبس] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ورعاية الله لمخلوقاته وعنايته بهم وحفظه للإنسان في بطن أمه ثم بعد خروجه، ورعايته لسائر المخلوقات كما في آية الحج، وكما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: حدثنا رسول الله عليه وسلم وَهُوَ الصادق المَصْدُوقُ

قال: «إِنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ في الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»(١).

فهذه الآيات وغيرها تدل على عناية الله وخلقه لهذا الكون؛ لما فيه من التنظيم الدقيق والتناسق في أجزاء الكون في أقصى غايات الدقة والتنظيم العجيب الذي حيّر أولي الألباب.

المحور الثاني: التقدير:

التقدير: هو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب دقيق بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه.

فإذا كان الإتقان والعناية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يُؤدي به وظيفته على الوجه المناسب له، فإن التقدير أن يكون بالقدر الذي ينفع به نفسه ولا يضر غيره ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وذلك يتم إذا ما وضع في مكانه الملائم وزمانه المناسب، وبالكَمِّ الذي يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التي يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه وينتظم بها سير الوجود.

وهذا التقدير ظاهرة عامة في جميع مخلوقات الله كما قرر سبحانه هذه الحقيقة في كتابه، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[الطلاق] وقال جل شأنه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١ ﴾ [الحجر].

---

(١) رواه البخاري (ح٣٢٠٨) ومسلم (ح٢٦٤٣).

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: (فقدّره تقديرا) يقول: فسوّى كل ما خلق، وهيّأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت»[(١)].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا) أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد لا يناسبه غير محله الذي هو فيه»[(٢)]

المحور الثالث: الهداية:

الهداية من أظهر الأدلة الكونية على وجود الله جل وعلا، ويقصد بها في هذا المقام أن كل خلق من مخلوقات الله قد ألهم غاية وجوده، وهدى إلى ما خلق من أجله، وألهم الإلهام الفطري أو الغريزي الذي تتوجه به المخلوقات قاطبة إلى أداء دورها وتحقيق وظيفتها في هذه الحياة. قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى] وقال: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣﴾ [النمل].

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾ [النحل].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالوحي ههنا: الإلهام والهداية، والإرشاد

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٣٦.

(٢) تفسير السعدي ١ / ٥٧٧.

للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون، ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصِّها، بحيث لا يكون في بيتها خلل، ثم أذن لها تعالى إذنا قدريا تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذللة لها، أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم، والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل، فتبني الشمع من أجنحتها وتقيء العسل من فيها، وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها»[1].

وهذه الهداية عامة لا تتعلق بالمكلفين فحسب، وليست مقصورة على الكائنات التي تتحرك بالإرادة فحسب، ولكنها هداية مبثوثة في كل شيء في هذا الوجود لتحمل في طياتها أبلغ الأدلة على وجود الرب جل وعلا وبديع صنعه وتدبيره.

وقال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(ثُمَّ هَدَىٰ) كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧] فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه،

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٧٠٠.

وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك، ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا الدليل القاطع، عدل إلى المشاغبة، وحاد عن المقصود»[١]

و أما الأصل الثاني:

وهو: أن هذه الموافقة وهذه الدقة وهذا الإحكام بالضرورة قد أوجد من قبل حكيم خبير، وهذه قضية بدهية فطرية، لا يجحدها إلا مكابر، و بذلك تكون دلالته في غاية القوة و الحجية، حيث قامت على معلومات أولية بدهية، و مشاهدات حسية في متناول الجميع[٢].

ومن تأمل هذا الكون وما فيه من مخلوقات محكمة، يجد أنه قد وضعت في موضعها بدقة وإحكام وعناية فائقة، موافقةً للمنفعة الموجودة، والغاية المطلوبة، حتى يرى أنه لو وجد بغير تلك الصفة، أو بغير ذلك الوضع، أو بغير ذلك القدر، لم توجد فيه تلك المنفعة، لأدرك على القطع أن لذلك خالقاً حكيماً أوجده، وأنه لا يمكن أن تكون قد وجدت اتفاقاً من غير موجد.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

إذا ما طفت ببصرك وبصيرتك في هذا الكون العظيم وما حوى من مخلوقات؛ الشمس والقمر وسائر الكواكب، والليل والنهار، والأمطار والرياح والمياه، والأنهار والبحار، بل وجود الناس على اختلاف أصنافهم

---

(١) تفسير ابن سعدي ١/ ٥٠٦.

(٢) دلائل التوحيد لمحمد جمال الدين القاسمي / ٢٠٧.

وألوانهم وتنوع أعمالهم، ثم نظرت إلى الأرض فرأيتها قد هيئت لسكنى الناس وسائر الحيوانات البرية، والماء وكونه موافقاً لسكنى الحيوانات المائية، والهواء وحاجة الجميع له، والماء وعدم استغناء مخلوق عنه، وأنه لو اختل شيء من هذا الخلقة والبنية لاختل وجود هذه المخلوقات، من أدرك ذلك بعين البصر والبصيرة علم على القطع أنه لا يمكن أن تكون هذه الدقة والإحكام والإتقان قد وجدت من غير موجد. لماذا؟.

١) لأننا إذا رأينا مسكناً قد هُيِّئ على ملائمة جميع ما يحتاجه الإنسان علمنا أن مُعِداً قد أعده لذلك.

٢) ولو رأينا مركباً سائراً نحو نقطة مقصودة لعلمنا أن قائداً يقوده.

وهكذا هذا الكون من تأمله وجد أنه مخلوق من خالق حكيم عليم خبير حي قيوم بديع السموات والأرض.

وهذا الدليل من الطرق الشرعية التي أقامها الله لعبادة ليعرفوا منها أن لهم رباً علياً حكياً قد أوجدهم بعناية ودقة وإحكام وهيَّأ لهم هذا الكون ليعبدوه وليوحدوه.[1]

ويمكن أن نلخص دليل الخلق بما يلي:

- كل مخلوق لابد له من خالق.
- العدم لا يمكن أن يخلق شيئاً.
- فاقد الشيء لا يعطيه.
- التدبر في صفات المخلوق يدلنا على بعض صفات الخالق.

---

(١) انظر: في ذلك تلبيس الجهمية ٢/ ١٧٢ـ١٨٢.

المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار

معنى الضرورة والاضطرار في اللغة:

قال الخليل: «الضرورة اسم لمصدر الاضطرار، تقول حملتني الضرورة على كذا، وقد اضطر فلان إلى كذا وكذا»(١). والاضطرار الاحتياج إلى الشيء، وقد اضطره إليه أمر، والاسم الضرة، والضرورة كالضرة(٢). والضرورة اسم من الاضطرار(٣).

معنى الضرورة والاضطرار في الاصطلاح:

قال الباقلاني في تعريفه: «فالضروري ما لزم أنفس الخلق، لزوماً لا يمكنهم دفعه، والشك في معلومة»(٤).

وحَدّه بعض المعتزلة بأنه: «العلم الذي يحصل فينا، لا من قبلنا، ولا يمكننا نفيه عن النفس بوجه من الوجوه».

ويقول شيخ الإسلام: «حد العلم الضروري، وهو الذي يلزم نفس العبد لزوماً لا يمكنه معه دفعه عن نفسه»(٥).

الفرق بين الضرورة والاضطرار:

قال في الكشاف: «الضرورة: الحالة المحوجة إلى اللجإ، والاضطرار:

---

(١) العين ٧/ ٧، وانظر: لسان العرب ٤/ ٤٨٤.

(٢) انظر: لسان العرب ٤/ ٤٨٣، الصحاح ٢/ ٢٠، معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٦٠.

(٣) انظر: المصباح المنير ٢/ ٣٦٠.

(٤) الإنصاف ص١٤.

(٥) درء التعارض ٦/ ١٠٦، وانظر: الدرء ٧/ ٤٣٠ وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٦٦.

افتعال منها. يقال: اضطرّه إلى كذا، والفاعل والمفعول: مضطر.

والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجإ والتضرع إلى الله. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو المجهود. وعن السدّي: الذي لا حول له ولا قوة. وقيل: المذنب إذا استغفر.

فإن قلت: قد عمّ المضطرين بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]»[1].

فالمضطر هو ذو الضرورة أي الحالة المحوجة إلى الأشياء العسرة الحصول.

والاضطرار: افتعال من الضرورة لا من الضر. وتقديره: أنه نالته الضرورة فطاوعها. وليس له فعل مجرد وإنما يقال: اضطره كذا إلى كذا.

وبناء على ما تقدّم فإن الضرورة: هي حاجة ملحة لابد للإنسان منها.

أما الاضطرار: فهو حاجة وقتية تنشأ من محنة أو ضائقة.

دليل الضرورة على معرفة الله

دليل الضرورة يشمل أمرين مهمين:

أحدهما: ما قد جبل عليه الإنسان من معرفة الله وحاجته إليه من طلب اللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه، والتوجه بالدعاء إليه، وهذه أمور ضرورية يجدها العبد في نفسه وقلبه ولا يجد السبيل إلى دفعها، بل كل الخلق يعلمون وجوده وقدرته وتصرفه بهذا الكون وتدبيره له، إلا من شذ ولا عبرة بالشاذ، بل إن العبد يجد في قرارة نفسه الرغبة الملحة إلى التعرف على ربه وملء قلبه بالأنس به والشوق إليه والتلذذ بذكره وعبادته والتعرف على صفاته، فإذا

(١) الكشاف ٣ / ٣٨١. وانظر: التحرير والتنوير ١٠ / ٣٨٢.

لم يحصل له ذلك بقي قلبه فارغاً معذباً بفراق غذائه الروحي الذي هو أحوج إليه من الطعام والشراب[١].

الأمر الثاني: أن هذا هو العلم الضروري الذي يلزم المخلوق لزوماً لا يمكنه الانفكاك عنه، وهذا هو حال أهل الإيمان والمعرفة بالله ﷻ، من أئمة المسلمين وسلف الأمة وحملة الحجة، فإنهم يخبرون بما عندهم من اليقين والطمأنينة والعلم الضروري بالله جل وعز، كما في الحكاية المحفوظة عن نجم الدين الكُبْرَى[٢] لما دخل عليه متكلمان، أحدهما أبو عبدالله الرازي والآخر من متكلمي المعتزلة وسألاه عن علم اليقين الذي يجده العبد في قلبه من معرفة الله جل ذكره وضرورة التوجه إليه، فقالا له: بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال نعم، أنا أعلم علم اليقين، فقالا: كيف يمكن ذلك ونحن من أول النهار إلى الساعة نتناظر، فلم يقدر أحدنا أن يقيم على الآخر دليلاً؟ فقال ما أدري ما تقولان، ولكن أنا أعلم علم اليقين، فقال: صف لنا علم اليقين، فقال: علم اليقين عندنا واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها، فجعلا يقولان: واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها؟! ويستحسنان هذا الجواب.[٣].

---

(١) انظر: الفتاوى ١/ ٥٥، ٨/ ١٦٤ـ١٦٨، ٣٧٩، ومنهاج السنة ٥/ ٤١٤.

(٢) هو أبو الجناب نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي المحدث الصوفي، استشهد في قتال التتار سنة ٦١٨هـ، وقيل إن تسميته بالكبرى: أن أنه فاق أقرانه بفهم المشكلات وحل المعضلات، فلقبوه بالطامة الكبرى ثم حذفت الطامة، وبقيت الكبرى. انظر: السير ٢٢/ ١١١، وشذرات الذهب ٥/ ٧٩-٨٠.

(٣) انظر: هذه الحكاية في: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٢.

ومثلها تلك الحكاية المذكورة في قول أبي جعفر الهمداني لأبي المعالي الجويني[١] لما أخذ يقول على المنبر: كان الله ولا عرش، فقال يا أستاذ: دعنا من ذكر العرش وأخبرنا عن الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط «يا الله» إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو، لا تلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني ونزل[٢].

دليل الاضطرار:

الأصل في هذا الدليل قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢].

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعا، وكشْفُ السوء وجَعْلُ الناس خلفاء في الأرض من خصائص ربوبيته جل وعلا، ولذا قال بعدها: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

فتأمل قوله تعالى: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ مع قوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ تعلم أن إجابة المضطرين إذا التجؤوا ودعوا وَكَشْفَ السوء عن المكروبين، لا فرق في كونه من خصائص الربوبية، بينه وبين خلق السماوات والأرض وَإِنْزَالِ الْمَاءِ وَإِنْبَاتِ النَّبَاتِ، وَنَصْبِ الْجِبَالِ وَإِجْرَاءِ الْأَنْهَارِ، لِأَنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - ذكر الجميع بنسق واحد في سياق واحد، وأتبع

---

(١) هو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ولد سنة ٤١٩ هـ، وتوفي ٤٧٨ هـ انظر: السير ١٨/ ٤٦٨-٤٧٧.

(٢) انظر: الفتاوى ٤/ ٤٣-٤٤. وانظر: «الاستقامة» ١/ ١٦٧.

جميعه بقوله: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾.

فمن صرف شيئا من ذلك لغير الله تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْإِنْكَارُ السَّمَاوِيُّ الذي هو في ضمن قوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ فلا فرق البتة بين تلك المذكورات في كونها كلها من خصائص الربوبية»[(١)].

وقد تقدم أن الاضطرار حاجة وقتية تنشأ من محنة أو ضائقة، ولذا فكثير ما تنكشف الحجب عن الفطرة فتزول عنها الغشاوة التي رانت عليها عندما تصاب بمصاب أليم، أو تقع في مأزق لا تجد فيه من البشر عوناً، وتفقد أسباب النجاة، فكم من ملحد عرف ربه وآب إليه بسبب بلاء أصابه، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضر نزل به. وكم من فاجر أناب إلى ربه لخطب ألمّ به.

أقسام الناس فيه:

والناس فيه على ثلاثة أقسام:

قسم لا يلتجئون إليه ولا يدعونه، وهؤلاء هم شر الأقسام.

وقسم يلتجئون إليه ويدعونه؛ لكنهم عند كشف البلاء يشركون به، ومن هؤلاء: المشركون.

وقسم يلتجئون إليه ويدعونه ويخلصون له الدعاء والتوحيد، وهؤلاء هم أهل الإيمان وهم خير الأقسام[(٢)].

قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا

(١) أضواء البيان ٧ / ٤٠٥.

(٢) انظر: الفتاوى ١٤/ ٣٧٠-٣٧٢.

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢] لكن حال المؤمنين يختلف عن أولئك، فقد يكون من تمام النعمة والمنة عليهم ما ينزل بهم من مصائب ومحن تجعلهم يلتجؤون إلى الله سبحانه، فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشرك وأهله ما هو أعظم من زوال العسر وحصول اليسر، مما لا يستحضر تفصيله بال، أو يعبر عن كنهه مقال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب(١).

أدلة ما ذكر آنفاً:

سأذكر هنا بعض الآيات الدالة على هذا النوع من الأدلة وأقف معها بعض الوقفات:

١) قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس].

قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] أي موافقة لما يهوونه من غير انزعاج ولا مشقة. ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ أي اطمأنوا بها.

---

(١) انظر: الفتاوى ١٠/ ٣٣٢-٣٣٣، ١٤/ ٣٧٠-٣٧٣، ٢٢/ ٣٨٦-٣٨٧. وانظر: أيضاً درء التعارض ٣/ ١٣٥-١٣٦.

فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح عاصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان فعرفوا أنه الهلاك فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لاينجيهم من هذه الشدة إلا رب العالمين، وحينئذ دعوا الله مخلصين له الدين، ووعدوا الله من عند أنفسهم بالإخلاص له بالعبادة كما أخلصوا له بالدعاء في هذا الموقف العصيب إن هو أنجاهم(١).

٢) ذكر الله في كتابه على صفة الاستفهام التقريري قوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل]. أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله.

ومن يكشف السوء أي البرء والشر والنقمة إلا الله وحده.؟

ومن يجعلكم خلفاء الأرض بالتمكين والرزق والتناسل والتكاثر ونحو ذلك.

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي إذا تذكرتموها ادكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض، شامل فلذلك لا ارعويتم ولا اهتديتم(٢).

٣) الله جل شأنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل ويدل على ذلك مايلي:

قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا

(١) تفسير ابن سعدي ٣/ ٣٤١. وانظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٩٥.

(٢) تفسير ابن سعدي ٥/ ٥٩٢.

تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء] وقوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل][(١)].

أي إذا لجأتم إليه في البحر أنجاكم، ثم بعد خروجكم تكفرون به وتشركون، أَوَ تظنون أن بخروجكم من البحر نلتم على الأمن من عقابه وعذابه وانتقامه، فقد يخسف بكم جانب البر، أو قد يرسل عليكم مطراً فيه حجارة [قاله مجاهد] كما قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر: ٣٤] ﴿ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ أي ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها[(٢)].

من حوادث الرجوع إلى الله وقت الضرورة:

١ـ قصة عكرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ذهب فاراً من رسول ﷺ حين فتح مكة، فركب في البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك عليّ عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يديه فلأجدنه رؤوفا رحيماً، فخرجوا من البحر، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه[(٣)(٤)].

---

(١) انظر: ابن كثير ٦/ ٢١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٩٤.

(٣) انظر: ابن كثير ٥/ ٩٣.

(٤) أخرجه النسائي (ح ٤٠٦٧) وصححه الألباني، والطحاوي في شرح معاني الآثارأيضاً (ح ٥٠٦٤).

٢ـ قصة ابن حصين أخرج الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ لأبي: «يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة، ستا في الأرض وواحدا في السماء. قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء، قال يا حصين: أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك، قال: فلما أسلم حصين قال يا رسول الله: علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: قل اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي»[(١)].

٢ـ رجل من كنانة جاء بإبل له مريضة إلى صنم يقال له سعد ليشفيها ويتبرك به، فلما قرب منه نفرت وتفرق شملها، فأنشد يقول:

أتينا سعداً لنجمع شملنا
فشتّتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنومة
من الأرض لا يُدعى بِغَيٍّ ولا رشد[(٢)]

(١) سنن الترمذي (ح ٣٤٨٣) وقال حديث غريب وضعفه الألباني وأخرجه الترمذي في الدعوات (ح ١٤٨٧) وصححه، وأخرجه الطبراني في الدعاء (ح ١٣٩٣).
(٢) الملل والنحل ٢ / ٢٣٦.

المبحث الخامس: معرفة الله بالله[١]:

تقدم أن العباد قد فطروا على معرفة الله جل ذكره، وأن معرفته تدعوهم إلى التوجه إليه ومن ثم الإذعان والتوكل عليه، وتبين أن هذا الأمر راسخ في نفوس البشر منذ الولادة، ولذا فإن العبد إذا استمرت فطرته سليمة فإنه يعرف ربه من جراء ما جبل وفطر عليه، كما تقدم أنه يستدل بمخلوقاته سبحانه على وجوده، فالاستدلال به وبأفعاله على وجوده أولى وأحرى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما سوى الله من الموجودات والأعيان والصفات يستدل بها عليه، سواء كانت حية أو لم تكن، بل ويستدل بالمعدوم؛ فلأن يستدل بالحي القيوم أولى وأحرى، وقد ورد في الدعاء المأثور عن الإمام أحمد الذي علّمه لبعض أصحابه: «يا دليل الحيارى دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين»[٢].

وهذا يقتضي أن تسميته دليلاً باعتبار أنه دال لعباده، لا بمجرد أنه يستدل به، كما قد يستدل بما لا يقصد الدلالة والهداية من الأعيان والأقوال والأفعال.

ولهذا يذكر عن بعضهم قوله: «عرفت الأشياء بربي، ولم أعرف ربي بالأشياء»، وقال بعضهم: «هو الدليل لي على كل شيء، وإن كان كل شيء -لئلا

---

(١) انظر: كتاب الفوائد لابن القيم ٣١٨ وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/ ١٧، ١٨. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أنكر طائفة من أهل الكلام: كالقاضي أبي بكر وأبي الوفاء بن عقيل أن يكون من أسمائه الدليل؛ لأنهم ظنوا أن الدليل هو الدلالة التي يستدل بها، والصواب ما عليه الجمهور؛ لأن الدليل في الأصل هو المعرف للمدلول، ولو كان الدليل ما يستدل به، فالعبد يستدل به أيضاً فهو دليل من الوجهين جميعاً» الفتاوى ٢٢/ ٤٨٣-٤٨٤.

يعذبني- عليه دليلاً».

وقيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بم عرفت ربك؟ قال: من طلب دينه بالقياس لم يزل دهره في التباس، خارجاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، عرفته بما عَرَّف به نفسه، ووصفته بما وصف به نفسه[١]، فأخبر أن معرفة الله حصلت بمعرفة الله وهو نور الإيمان [٢].

وسئل عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ «بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه بائن من خلقه...»[٣].

والاستدلال بالله تعالى على فعله وخلقه وإيجاده معلوم سمعاً وعقلاً، وبذلك يستدل على وجود الله، وأنه حيٌّ قيوم، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما شاء، وأنه فعال لما يشاء، وهذا قد قال العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث، ونقلوه عن السلف والأئمة، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «.. دلالة الخالق على المخلوق، والفعّال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العُلْوِيَّةِ، والفطر الصحيحة: أظهر من العكس.

فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهما.

---

(١) الفتاوى ٢/ ٣.

(٢) الفتاوى ٢/ ١٨

(٣) درء التعارض ٢/ ٥٧.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٣-٥.

فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأنه، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] أي أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠]

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

ولـيس يصـح في الأذهـان شيء إذا احتـاج النهـار إلى دليـل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود الليل والنهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما» [(١)].

ومن ذلك استدلال عامر بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك على هدايته بقوله:

والله لـولا الله مـا اهتـدينا ولا صـمنا ولا صـلينا
فـأنزلن سـكينة عليـنا وثبـت الأقـدام إن لاقينـا
والمشـركون قـد بغـوا علينـا إذا أرادوا فتنـة أبينـا[(٢)]

وتمثل بها رسول الله ﷺ يوم الخندق[(٣)].

«فإذا كان الحق الحي القيوم الذي هو رب كل شيء ومليكه ومؤصل كل

(١) مدارج السالكين ١/ ٧١.
(٢) رواه البخارى (ح ٦٣٣١). ومسلم (ح ١٨٠٧).
(٣) رواه البخاري (٦٦٢٠).

أصل ومسبب كل سبب وعلة: هو الدليل والبرهان والأول والأصل الذي يستدل به العبد، ويفزع إليه، ويرد جميع الأواخر إليه في العلم: كان ذلك سبيل الهدى وطريقه، وكان المتوكل عليه في علمه وعمله القائل إنه لاحول ولا قوة إلا بالله مؤيداً منصوراً، فجماع الأمر: أن الله هو الهادي وهو النصير ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان].

وكل علم فلا بد له من هداية، وكل عمل فلا بد له من قوة، والواجب أن يكون الرب أصل كل هداية وعلم، وأصل كل نصرة وقوة، فلا يهتدي العبد إلا به ولا يستنصر إلا إياه.

والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً مفطوراً مصنوعاً عاد في علمه وعمله إلى خالقه وفاطره، وربه وصانعه فصار ذلك ترتيباً مطابقاً للحق، وتأليفاً موافقاً للحقيقة، إذ بناء الفرع على الأصل، وتقديم الأصل على الفرع: هو الحق، فهذه الطريقة الصحيحة في معرفة العبد لربه، الموافقة لفطرة الله وخلقه ولكتابه وسنة رسوله»[(١)] خلافاً للطريقة الفلسفية الكلامية، فإنهم ابتدأوا بنفوسهم فجعلوها هي الأصل الذي يفرعون عليه، والأساس الذي يبنون عليه، وجعلوا العلوم الحسية والبديهية ونحوها هي الأصل الذي لا يحصل العلم إلا به، ثم زعموا أنهم إنما يدركون بذلك الأمور الحسابية والأخلاق وغيرها من الأمور القريبة منهم، ثم بنوا على هذه الأصول التي وضعوها سائر العلوم [(٢)].

---

(١) الفتاوى ٢/ ١٩-٢٠ بتصرف.

(٢) انظر: الفتاوى ٢/ ٢٠-٢١.

ومما يستدل به أيضاً قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح] حيث يستدل بها على أن الله يفعل برسوله كل أمر محمود يؤيده وينصره به.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أنواع المعرفة بالله: «وأعلم هؤلاء معرفة من عرف من كلامه، فإنه يعرف ربا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزّه عن المثال، بريء من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال، فعّال لما يريد، فوق كل شيء ومع كل شيء، وقادر على كل شيء، ومقيم لكل شيء، آمر ناه متكلم بكلماته الدينية والكونية، أكبر من كل شيء، وأجمل من كل شيء، أرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين. فالقرآن أنزل لتعريف عباده به، وبصراطه الموصل اليه، وبحال السالكين بعد الوصول اليه»[1] والله تعالى أعلم.

(١) الفوائد لابن القيم - ١ / ١٩٩.

المبحث السادس: إجماع الأمم

من الأدلة الدالة على وجود الخالق جل وعلا ووجوب عبادته وتوحيده إجماع الأمم قاطبة سابقها ولاحقها على وجود الله سبحانه وتعالى سواء قولاً أو فعلاً أو عملاً، ولذا لو طفت الأرض لوجدت أن كلمة الله وكلمة الرب لا تخلو منها بقعة من الأرض.. ولذا لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، اللهم إلا شذاذ وحثالات لا يعتد لمثلهم بخلاف، ولا يؤبه لمثلهم بقول.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء، والأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم[(١)] شاركوا الله في خلق السموات والأرض. بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال؛ بل ولا أثبت أحد من بنى آدم إلهاً مساوياً لله في جميع صفاته. بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس له شريك مثله، بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له، سواء كان ملكاً أو نبياً أو كوكباً، أو صنماً كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.»[(٢)]

بل مع ذلك كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً.

وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل

---

(١) رغم اعتقاد النصارى هذا فإنهم يزعمون أنه بعد وجود المسيح أصبح مشاركاً لله في تدبير الخلق، وفي الأمر والنهي، وأنه سيحاسب البشر، ولم يذكروا أنه شارك الله في شيء من ذلك قبل وجوده، مع تسميتهم له رب وإطلاق صفات الله عليه.

(٢) الفتاوى ٣/ ٩٦. وانظر: الفتاوى أيضاً ١٤/ ٣٨٠، ١/ ٩١-٩٢، ٣/ ١٠٥.

والنحل، والآراء والديانات، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية الذين يقولون بالأصلين النور والظلمة، وأن النور خلق الخير والظلمة خلقة الشر(١).

فتبين من هذا أن ليس في العالم من ينازع في ربوبية الله جل وعز؛ وكونه خلق الخلق وأوجدهم فضلا عن وجوده؛ لكن غاية ما يقال: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقاً لغير الله كالقدرية وغيرهم؛ لكنهم يقرون بأن الله خالق العباد وأفعالهم وإن قالوا إنهم خلقوا أفعالهم.

وكذلك أهل الفلسفة والمنجمون الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور، هم مع الإقرار بالخالق يجعلون هذه الفاعلات من الكواكب وغيرها مخلوقة، ولا يقولون إنها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق(٢).

---

(١) وبرغم أن الثنوية يقولون بوجود خالقين إلا أنهم يعتقدون أن إله الخير أقوى وأعظم من إله الشر التي هي الظلمة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢٤٤-٢٤٦.

(٢) انظر: الفتاوى ٣/ ٩٧-٩٨. واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١ / ٤٥٩

المبحث السابع: دلالة معجزات الأنبياء والكتب المنزلة

من أوضح دلائل الربوبية دلالة المعجزة التي جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومما يلحق بدليل المعجزات دلالة الكتب المنزلة على أنبيائه ورسله حيث تضمنت كلام الله جل وعلا الذي هو هدى ونور للقلوب والعقول والأبدان من اتبعها رشد ومن أعرض عنها هلك.

وما زال بين أيدينا أعظم كتاب أنزل على رسول، القرآن العظيم الذي حوى كل خير وحذّر من كل شر، فيه شفاء لما في الصدور والأبدان، من اتبعه اهتدى ومن أعرض عنه ضل وغوى، تحدى الله به أفصح العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، والكتب المنزلة هي جزء من المعجزات التي أوتيها رسل الله ولذا كان الكلام على المعجزة متضمن الكلام على دلالة الكتب المنزلة. والكلام على هذا الدليل من عدة أوجه:

أولا: تعريف المعجزة:

المعجزة لغةً: أصل المعجزة مأخوذ من (العَجْز) «والعَجْزُ الضعف وعدم القدرة، تقول: عَجَزتُ عن كذا، أعْجِزُ بالكسر عَجْزَاً ومَعْجِزَةً ومَعْجزاً بالفتح» قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] قال الزجاج معناه ظانِّين أَنهم يُعْجِزُوننا وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢] والمعنى ما أَنتم بمُعْجِزِينَ في الأَرض ولا من في السماء بمُعْجِزٍ، قال الأَخفش: معناه ما أَنتم بمُعْجِزِين في الأَرض ولا في السماء، أَي: لا تُعْجِزُوننا هَرَباً في الأَرض ولا في السماء والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء[(١)].

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – دار العلم للملايين (٣/ ٨٨٣). وانظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٨١٧).

و في القاموس: ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة.

المعجزة اصطلاحاً: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريفهم للمعجزة على أقوال[١] يمكن جمعها بأن نقول المعجزة هي: أمر خارق للعادة يجري على أيديَ الأنبياء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه بأن إطلاق لفظ (المعجزة) على ما يأتي به النبي لإظهار صدقه في دعواه للنبوة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا على ألسنة الأئمة المتقدمين وإنما الذي ورد لفظ الآية، والبينة، والبرهان[٢].

ثانيا: وصف المعجزة في النصوص الشرعية:

وصفت المعجزة بأنها آيات بينات، والآية هي: العلامة، وجمع الآية آى وآياى وتأتي على ثلاثة معان:

أحدها: جماعة الحروف؛ قال أبو عمرو الشيباني: تقول العرب: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم.

ثانيها: الآية: العجب؛ تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال، قال الشاعر:

آية في الجمال ليس له في الـ حسن شبه وما له من نظير

فكأن كل آية عجب في نظمها والمعاني المودعة فيها

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٤٩، و الإتقان للسيوطي ٤/ ٣، و شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ١/ ١٥٢، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. شرح جوهرة التوحيد للقاني ص١٣٣.

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٧٠)

ثالثها: العلامة؛ تقول العرب: خربت دار فلان وما بقي فيها آية، أي: علامة، فكأن كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ[(١)].

ووصفت الآيات بأنها بينات، وهذا بليغ لظهورها وجلائها مما لا يدع لأحد بعد معاينتها أدنى شك في صدق ما جاءت به الأنبياء، قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وتسمية المعجزات بالآيات البينات كثير في القرآن الكريم.

ومما جاء في كتاب الله في وصف المعجزات؛ بأنها بصائر كما في شأن إعجاز القرآن الكريم وتحدّى ربنا جل وعلا أفصح العرب بأن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] فلشدة حصول البيان بها نزل العلم بها منزلة المبصر بالعين، يقول البقاعي: «أي بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب، أو حجج بينة وبراهين نيرة تغني عن غيرها فالكلام خارج مخرج التشبيه البليغ»[(٢)].

وبهذا وصفت معجزات موسى عليه السلام، قال تعالى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] «أي بينات ثابتاً أمرها علياً قدرها، يبصر بها صدقي»[(٣)].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٦٤.

(٢) انظر: وح المعاني في تفسير القرآن العظيم للألوسي ٥/ ١٤٠.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٤/ ٤٣٣).

ثالثا: كيف كانت معجزات الأنبياء دليلا على تفرد الله جل جلاله بالربوبية:

معجزات الأنبياء من أظهر الدلائل على صدقهم وعلى نبوتهم وأنهم رسل من عند الله، كما أنها من أظهر الدلائل على ربوبية الله جل جلاله وتفرده بالربوبية وذلك أن هذا الكون يسير وفق سنن إلهية تتكرر للإنسان حتى اعتادها وأصبحت من الأمور التي لا يجادل فيها عقل كطلوع الشمس من المشرق وتعاقب الليل والنهار، وتكون الماء من السحاب ونزوله على الأرض ونبات النبات بسببه، وبالجملة كون كل أمر له سبب كوني يعقله الإنسان، فإذا وردت المعجزة على غير العادة السالمة من المعارض دلت على أن ذلك الأمر إنما حدث من محدث قوي فعال لما يريد، وبالجملة يمكن أن نقول بأن هذا الدليل مبني على مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: حدوث هذه الآيات المعجزة للبشر على خلاف معهودهم وما يدركونه من أسباب.

المقدمة الثانية: أن حدوثها على تلك الصفة يدل على أن لها مسببا موجدا أوجدها على غير تلك الهيئة المعهودة.

النتيجة: لا بد وأن يكون الله جل جلاله هو الذي أوجد هذه الآيات على جهة تخالف ما سنّه كونا.

قال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معجزات الأنبياء كثيرة:، وهي إما حسية تشاهد بالبصر أو تسمع كخروج الناقة من الصخرة، وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات، ونحو ذلك، وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن، وهذه إحدى الطرق القرآنية في إثبات الربوبية، ذلك أن المعجزة كما تدل على

صدق الرسل، فإنها تدل أيضًا على ربوبية المرسل وألوهيته، وذلك لما يأتي:

أولًا: أن المعجزة تدل بنفسها على ثبوت الخالق جل وعلا كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة، ولهذا يُسَبَّح الرب عندها ويُمَّجَد ويُعَّظَم ما لا يكون عند المعتاد، ويحصل بها في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لا يحصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها.

ثانيًا: أنه إذا تقررت بها النبوة والرسالة فقد تقررت بها الربوبية كذلك، إذ لا يكون هناك نبي ولا رسول إلا وهناك مرسل، فالإقرار بالرسالة يتضمن الإقرار بالربوبية بلا نزاع.

ثالثًا: إن النبوة إذا ثبتت بالمعجزة، فقد صارت أصلًا في وجوب قبول جميع ما دعا إليه النبي من حقائق الربوبية والألوهية وغيرها.

وقد جاء القرآن بهذه الطريقة في قصة فرعون، فإنه كان منكرًا للرب جلا وعلا، فحاجه موسى في ذلك، ثم عرض عليه الحجة البينة التي جعلها دليلًا على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلهًا غير فرعون، فاستدل بالمعجزة على كلا الأمرين: ربوبية الله جل وعلا، وكونه مرسلًا من عنده تعالى.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣٣] فقد أقام عليه الحجة أولًا بالآيات التي يستلزم العلم بها العلم بالخالق جل وعلا، فلما عاند وكابر رده إلى دلالة المعجزة التي هي أبلغ في الدلالة على المقصود ليثبت بها كلا الأمرين: الربوبية والرسالة.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣ - ١٤] فبين أن المعجزة تدل على الرسالة والوحدانية، فإذا أثبتت المعجزة أحدها فقد أثبتت الآخر»[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعجزات قد يُعلم بها ثبوت الصانع وصدق الرسول معاً»[(٢)].

رابعا: أمثلة على معجزات الأنبياء:

معجزات الأنبياء كثيرة منها:

١) معجزة ناقة نبي الله صالح عليه السلام حيث طلب منه قومه ناقة من صخرة صماء وبصفات معينة، فدعا ربه فانفطرت الصخرة عن ناقة عظيمة على الصفة التي طلبوها فكانت آية من آيات الله الدالة على ربوبيته وعظمة وصدق رسله، قال تعالى حاكيا قول قومه: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء: ١٥٤ - ١٥٦].

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص: ١٢٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٤٢.

٢) جعل الله النار التي ألقي فيها خليل الله إبراهيم عليه السلام بردا وسلاما عليه. قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء: ٦٨ -٦٩].

٣) أما موسى عليه السلام فقد أوتي تسع آيات معجزات قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾[الإسراء: ١٠١].

«قال بعض أهل العلم: هذه الآيات التسع، هي: العصا، واليد، والسنون. والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات.

وقد بين جل وعلا هذه الآيات في مواضع أخر. كقوله: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الشعراء]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[الأعراف:]١٣٠، وقوله: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣] وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣] إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما ذكرنا. وجعل بعضهم الجبل بدل «السنين» وعليه فقد بين ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾[الأعراف: ١٧١] ونحوها من الآيات»[(١)].

ومن تلك الآيات تحول العصا إلى حية عظيمة في حال ألقاها إلى الأرض، وكذا يده إذا أدخلها في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء، قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٨/ ٣٥٤)

عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٧ - ٢٣].

٤ـ ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمه -وهو الأعمى- والأبرص فيبرآن بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

٥ـ وأما معجزات نبينا عيه الصلاة والسلام فأكثر من أن تذكر، ومن أعظمها القرآن العظيم الذي هو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال سبحانه ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم. قال ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر: ١ - ٢] ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج. قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] وهذا المعجزات كما تقدم تدل على ربوبية الله جل وعلا من الأوجه السابق ذكرها، كما أنها تدل على صدق نبوة الأنبياء. والله تعالى أعلم.

المبحث الثامن: دليل التمانع

دليل التمانع من أدلة المتكلمين وعلى رأسهم المعتزلة استدلوا به على إثبات الخالق جل وعلا، وتبعهم في ذلك الأشاعرة واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وهذا الاستدلال غير مسلّم لهم جملة وتفصيلا، وذلك لأنه مبني عندهم على أن غاية ما جاء به الرسل هو توحيد الربوبية، ولذا أنزلوا الآية عليه، والصحيح خلاف ذلك، لأن العرب الذين بعث لهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بالربوبية مؤمنين بها وكذا سائر الأمم التي بعثت لهم الأنبياء، ولذا كان كلهم مجمعين على الدعوة إلى توحيد العبادة لا الربوبية، وهذا بيِّن ظاهر لكل من سبر سيرهم وقرأ القرآن(١).

ودليل التمانع مبني على أنه يمتنع شرعاً وعقلاً وجود فاعلين تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد هما عليه تاما القدرة والإرادة؛ لأن من كان تام القدرة والإرادة والاستقلال بالفعل وجب وجود المفعول له وحده، وإذا كان الآخر كذلك وجب وجود المفعول له وحده، وإذ قدر اثنان مريدان لأمر من الأمور فلابد من أمرين:

إما أن ينفرد كل واحد منهما بخلقه وإيجاده، هذا ممتنع عقلاً؛ لما يعلم يقيناً من ترابط هذا الكون وانتظام أمره مما يدل على أن له رباً واحداً وموجداً واحداً لا شريك له ولا مثيل ولا نظير.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض فلا يرضى كل منهما بوجود الشريك في

(١) انظر: شرح الطحاوية ص٥٣.

الخلق، وهذا أيضاً ممتنع في حق الله؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لفسدت السماوات والأرض لما سيقع من الشريكين من التنافس والاقتتال على الملك. قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر][(١)].

وقد ورد معنى هذا الدليل في كتاب الله قال – تعالى –: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه – سبحانه – إله، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره، وتفرده بالإلهية دونه فعل. وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضاً بممالكهم.

وإذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر، والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد، وملك واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه، ولا يمتنعون من حكمه عليهم، فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون»[(٢)].

---

(١) انظر: المطالب العالية للفخر الرازي ٢/ ١٣٥. منهاج السنة ٣/ ٣٠٤ – ٣٠٥.

(٢) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٦٣ – ٤٦٤، وانظر: شرح الطحاوية ١/ ٣٨ – ٣٩، درء التعارض ٩/ ٣٥٥ – ٣٥٩.

فتبين بهذا أنه لا يمكن أن يجتمع فاعلان تامي القدرة والإرادة في مفعول واحد؛ لأنه يستلزم وجود النقيضين، فعند اختلافهما مثلا في أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما؛ أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين المتناقضين، والثاني أيضاً ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، كما أنه أيضاً يستلزم عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلها، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلهية، وإن كانت الآية سيقت للدلالة على عجز المعبودات من دون الله جل شأنه وتقرير وجوب عبادته وحده لكن يستدل بها على ذكر[(١)].

فإذا كان الاستقلال بالفعل والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين، كان التنزه عن شريك في الفعل والمفعول من خصائص رب العالمين، فليس في المخلوقات ما هو مستقل بشيء من المفعولات، وليس فيها ما هو وحده علة تامة، وليس فيها ما هو مستغنياً عن الشريك في شيء من المفعولات، بل لا يكون في العالم شيء موجود عن بعض الأسباب إلا ويشاركه سبب آخر له)[(٢)].

وهذا الدليل من أدلة المتكلمين التي يستدلون بها على وجود الرب جل وعلا، وهو دليل صحيح عقلاً.[(٣)]

وهناك أدلة استدل بها الفلاسفة والمتكلمون على إثبات وجود الله ﷻ إلا

---

(١) انظر: الفتاوى ٢٠/ ١٧٤-١٨٠. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٨٧.

(٢) الفتاوى ٢٠/ ١٨١، وانظر: منهاج السنة النبوية ٢/ ١٨٢، ٣/ ٣٠٤ - ٣٣٤.

(٣) انظر: درء التعارض ٩/ ٣٥٤.

أنها لا تخلو من مأخذ، وقد نقدها كثير من أهل السنة لكونها لا تخلو من خلط الحق بالباطل[1] إلا أن ما في القرآن من الدلائل على وجود الله ووجوب عبادته مما تقدم آنفاً غنية عن غيره.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر: درء التعارض ٣/ ٧٢ وما بعدها. ومما ينبغي التنبيه عليه أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما يذكر مثل هذه الأدلة لينقدها، لا ليقررها ويستدل بها.

الخاتمة

وبعد حمد الله والثناء عليه بإتمام هذا البحث يطيب لي أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها:

١) أهمية العناية بدلائل الربوبية حيث اعتنى الشارع بذكرها وألزمنا بالتفكر فيها.

٢) أن دلائل الربوبية على نوعين ظاهر لكل أحد وقسم لا يطلع عليه إلا من هداه الله له.

٣) تبين من خلال البحث أن أهل العلم أولوا هذا الجانب عناية تنبع من عناية الله لذكره في كتاب وذكر رسوله ﷺ له في سنته.

٤) معرفة الله نوعان عامة وهي: الإقرار بوجوده وربوبيته، وخاصة لأهل الإيمان بشهود آلائه وكمال محبته وإجلاله.

٥) أن سياق دلائل الربوبية في كتاب الله ليس مقصودا به إثبات ربوبيته جل شأنه، وإنما الاستدلال بذلك على تفرده بالعبادة والتأله.

٦) حاجة العباد إلى هذا النوع من الموضوعات ملحة للوصول إلى كمال العبودية.

٧) دليل الفطرة من أظهر الأدلة التي لا يقدر أحد على فعله.

٨) دليل الخلق من أظهر الأدلة وأبينها، وهو مبني على أصلين؛ أحدهما: أن كل المخلوقات وجدت بعد أن لم تكن، وثانيها: أن كل موجود لابد له من موجد.

٩) أكثر الله تعالى من ذكر دليل الخلق بأساليب متنوعة وطرق مختلفة

ومرد ذلك والله تعالى أعلم إلى دلالة العقل ودلالة الحس.

١٠) دليل الحس على قسمين النظر في الآفاق، والتفكر في الأنفس.

١١) دليل العناية مبناه على أصلين: أن جميع المخلوقات موافقة لوجود الإنسان، الثاني: أن هذه الموافقة بالضرورة أوجدت من موجد حكيم عليم.

١٢) دليل الإتقان ورد في كتاب الله في ثلاثة محاور: الدقة والاتقان والهداية للمصالح والمنافع.

١٣) دليل الضرورة يتضمن أمرين: عام وهو ما جبل عليه الإنسان من طلب اللجوء إلى الله والاستعانة به عند حلول المصائب، الثاني: خاص وهو العلم الضروري لازم للإنسان لا ينفك عنه و هو حال أهل الإيمان.

١٤) تفترق الضرورة عن الاضطرار بأن الضرورة حاجة ملحة للإنسان لا تنفك عنه، أما الاضطرار فهو حاجة وقتية تنشأ عن محنة وضائقة.

١٥) ينقسم الناس في حال الضرورة في لجوءهم إلى الله إلى ثلاثة أقسام: منهم من لا يلتجئ أصلا، ومنهم من يلتجئ في حال الضرورة ويكفر في حال الرخاء، وخيرهم من يلتجئ في حال الضرورة ويخلص لله العبودية في كل حال، وهؤلاء هم المؤمنون.

١٦) أن معرفة الله بالله دليل لا يدركه إلا الخواص من المؤمنين الكمل العارفون بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

١٧) أجمعت الأمم على وجوب الإقرار بربوبية الله والخضوع لملكه وقهره.

١٨) دليل التمانع دليل عقلي شرعي دل على وجوب إفراد الله بالتوحيد.

فهرس المراجع والمصادر

١) أحكام أهل الذمة أحكام أهل الذمة للعلامة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الناشر: رمادي للنشر، دار ابن حزم، الدمام – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧ تحقيق: يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري.

٢) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣) الاستقامة لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الطبعة الأولى، ١٤٠٣ تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٤) الأسماء والصفات للبيهقي الأسماء والصفات للبيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر ٤٥٨ هجرية المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي الناشر: مكتبة السوادي جدة. الطبعة: الأولى.

٥) أضواء البيان أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان الطبعة: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٦) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨هـ دراسة وتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، السابعة، ١٤١٩هـ

٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر الضبي الباقلاني، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري الطبعة الثانية،

مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ.

٨) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٨٨٦م

٩) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد لمحمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

١٠) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ط دار المعرفة سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

١١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الطبعة: الرابعة الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٣هـ.

١٢) بيان تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس تعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطابع الحكومة السعودية بمكة المكرمة ١٣٩٢هـ.

١٣) البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، الناشر: دار صعب – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٦٨.تحقيق: المحامي فوزي عطوي.

١٤) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

١٥) التدمرية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو

العباس. الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، مصر الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

١٦) تفسير ابن كثير لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

١٧) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير ابن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: لأولى، ١٤٢٠ هـ

١٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧.

١٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن السعدي، ت/ محمد النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٢٠) جمهرة اللغة محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين، سنة النشر: ١٩٨٧.الطبعة الأولى.

٢١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٤تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر،د. حمدان محمد.

٢٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد الهاشمي. تحقيق: لجنة من الجامعيين -الناشر: مؤسسة المعارف - بيروت -الطبعة: الثانية

٢٣) الحيوان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر دار الجيل ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م لبنان/ بيروت.

٢٤) الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي الناشر: دار الفكر - بيروت ١٩٩٣.

٢٥) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١ تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٦) دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ

٢٧) الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٢٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: على عبد البارى عطية الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ

٢٩) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م الطبعة الأولى تحقيق: د. يوسف على طويل.

٣٠) السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف - الرياض

٣١) سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٣٢) السنن الكبرى للنسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

٣٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٣٤) شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي تحقيق: أحمد محمد شاكر الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية.

٣٥) شرح معاني الآثار المؤلف: أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٣٩٩ تحقيق: محمد زهري النجار.

٣٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا. ١٤٠٢هـ. الشربتلي.

٣٧) صحيح البخاري تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية.

٣٨) صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي طبعة: دار إحياء التراث العربي فيصل الحلبي.

٣٩) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق د/ علي الدخيل الله، ط/ دار العاصمة الرياض ١٤٠٨هـ.

٤٠) طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

٤١) العقيدة في الله للدكتور عمر بن سليمان الأشقر طبعة مكتبة الفلاح ١٩٧٩م.

٤٢) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق حسن القنوجي، تحقيق عبد الله الأنصاري طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر.

٤٣) الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها لعلي بن عبد الله بن علي القرني طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٤) الفوائد لابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣.

٤٥) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٤٦) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٤٧) كتاب الكليات لأبى البقاء الكفوي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

٤٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٤٩) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى.

٥٠) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الناشر: دار الوفاء

الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ.

٥١) مدارج السالكين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تعليق الفقي، طبعة: دار الكتب العلمية.

٥٢) المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٦ تحقيق: د.مفيد محمد قميحة.

٥٣) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية.

٥٤) المطالب العالية من العلم الإلهي فخر الدين الرازي تحقيق أحمد حجازى السقا، الناشر دار الكتاب العربي.

٥٥) المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى ٣٦٠هـ تحقيق وتخريج، حمدي عبد الحميد السلفي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.

٥٦) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٧) مفتاح دار السعادة، للإمام ابن القيم: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، طبعة مؤسسة الأندلس للنشر والتوزيع ـ طليم ـ مصر. ١٤١٤هـ.

٥٨) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى عام ٥٠٢هـ بتحقيق محمد كيلاني ط/ الحلبي ١٣٨١هـ.

٥٩) الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر: دار المعرفة بيروت، ١٤٠٤ تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٦٠) منهاج السنة النبوية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى، ١٤٠٦ تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٦١) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد للدكتور: إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان الناشر: دار ابن القيم - دار ابن عفان سنة النشر: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤

٦٢) نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط مؤسسة ابن عثيمين الخيرية ـ دار ابن الجوزي.

٦٣) النبوات ـ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ط/ دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ.

جدول المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٣
خطة البحث	١٧
أهمية البحث:	١٨
منهج البحث:	١٩
الدراسات السابقة:	٢٠
المطلب الأول: في تعريف الدلائل في اللغة والشرع	٢٣
أولا: معنى الدليل في اللغة:	٢٣
ثانياً: معنى الدليل في الشرع:	٢٣
المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح	٢٦
أولا: تعريف التوحيد في اللغة	٢٦
المطلب الثالث: أهمية دلائل ربوبية الله:	٢٨
تمهيد	٢٨
اعتراض وجوابه:	٢٩
تمهيد	٣٥
المبحث الأول: دليل الفطرة.	٣٦
معنى الفطرة في اللغة:	٣٦
المراد بالفطرة في الاصطلاح الشرعي:	٣٧
الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والعقل:	٣٨
أولا: دلالة الكتاب:	٣٨

ثانياً: دلالة السنة: ٤٤
ثالثاً: دلالة العقل: ٤٥
المبحث الثاني: دليل الخلق ٤٩
دليل الخلق ينبني على مقدمتين ونتيجة: ٤٩
المقدمة الأولى: أن هذه الموجودات مخلوقة موجودة بعد أن لم تكن موجودة... ٤٩
المقدمة الثانية: كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد. ٤٩
دلالة العقل: ٥٠
دليل الحس: ٥٣
أولا: النظر في الآفاق: ٥٤
الثاني: التفكر في الأنفس: ٥٦
المبحث الثالث: دليل العناية: ٦٠
دليل العناية مبني على أصلين: ٦٠
الأصل الأول: ٦٠
المحور الأول: الدقة والإتقان: ٦١
المحور الثاني: التقدير: ٦٣
المحور الثالث: الهداية: ٦٤
الأصل الثاني: ٦٦
أمثلة على ذلك ٦٦
المبحث الرابع: دليل الضرورة والاضطرار ٦٨
معنى الضرورة والاضطرار في اللغة: ٦٨
معنى الضرورة والاضطرار في الاصطلاح: ٦٨

الفرق بين الضرورة والاضطرار: ٦٨
دليل الضرورة على معرفة الله ٦٩
دليل الاضطرار: ٧١
أقسام الناس فيه:.....٧٢
أدلة ما ذكر آنفاً:.....٧٣
من حوادث الرجوع إلى الله وقت الضرورة:.....٧٥
المبحث الخامس: معرفة الله بالله:.....٧٧
المبحث السادس: إجماع الأمم ٨٢
المبحث السابع: دلالة معجزات الأنبياء والكتب المنزلة.....٨٤
أولا: تعريف المعجزة:.....٨٤
ثانيا: وصف المعجزة في النصوص الشرعية: ٨٥
ثالثا: كيف كانت معجزات الأنبياء دليلا على تفرد الله جل جلاله بالربوبية:..٨٧
رابعا: أمثلة على معجزات الأنبياء:.....٨٩
المبحث الثامن: دليل التمانع.....٩٢
الخاتمة.....٩٦
فهرس المراجع والمصادر.....٩٨
جدول المحتويات ١٠٦

أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم

د. أحمد سردار محمد مهر الدين شيخ

باحث باكستاني، حاصل على الدكتوراه من قسم العقيدة
بالجامعة الإسلامية

ملخص البحث

أعظم مباني هذا الدين وأركانه، وأجلها قدراً، وأكثرها نفعاً وأجراً: توحيد الله تعالى، وقد دلت أدلة الكتاب والسنة على: أن التوحيد الذي أوجبه الله على العبيد ينقسم إلى أقسام، هي: توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ولا يصح للعبد توحيده إلا باعتقادها، ولا يَسْلَم له إلا بترك أضدادها.

ويأتي هذا البحث لبيان أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم، وذلك في فصلين:

فالفصل الأول في أقسام التوحيد، واشتمل على مبحثين:

أولهما في بيان مناهج أهل السنة في تقسيم التوحيد، وأنها -وإن تعددت في تقسيم التوحيد تقسيماً ثنائياً أو ثلاثياً- فإنها متفقة في المضمون، كما تمّ التنبيه على أن أقسام التوحيد بينها تلازم وترابط، فيجب الإيمان بها جميعاً، ولا يُغني الإيمان بأحدها مع ترك غيره، أو الإيمان ببعضها مع وجود الشرك في غيره.

وجاء المبحث الثاني في بيان أقسام التوحيد عند الأشاعرة والصوفية، وما في تقسيمهم إياه من الخروج عن هدي الكتاب والسنة ومخالفة ما كان عليه الصحابة وسلف الأمة.

والفصل الثاني في الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد، والرد على شبه المنكرين لتقسيمهم. واشتمل على مبحثين أيضاً:

أولهما في بيان أدلة أهل السنة على تقسيم التوحيد من: القرآن ـ كسورة الفاتحة، وآية الكرسي، والمعوِّذات ـ والسنة ـ كدعاء القيام من الليل ـ والاستقراء.

وثانيهما في الرد على شُبَه من أنكر تقسيم التوحيد، سواء أنكر وجود

التقسيم في الكتاب والسنة وادّعى أنه محدَث، أو أنكر وروده في كلام السلف، أو ادّعى أنه مجرد تقسيم اصطلاحي.

وخُتِم البحث بذكر أهم نتائجه.

Research Summary

The greatest of foundations and pillars of the Religion, the most noble of them in status, and the most beneficial and rewarding of them is Tawheed: to single Allah –the Most High- with all worship. The proofs from the Qur'aan and the Sunnah show that Tawheed, that which Allah has made obligatory upon His servants, is divided in three categories: Singling Allah alone in His Lordship, Worship, and His Names and Attributes. The Tawheed of the servant is not sound until s/he believes in all of these categories nor is it acceptable except by staying away from all that which opposes them.

This research clarifies the categories of Tawheed according to The People of Sunnah and according to those whom oppose them in two chapters:

The first chapter is on the categories of Tawheed and it consists of two sub-chapters:

The first of them clarifies the methodology of the People of the Sunnah in categorizing Tawheed: Even though they may differ whether it is divided into two or three categories the two opinions lead to the same conclusion, as it was mentioned before that they are interconnected. Hence, it is obligatory to believe in all of them and it is not sufficient to believe in one and not the other, nor is it sufficient to single Allah in some while associating partners with Him in others.

The second sub-chapter mentions the categories of Tawheed according to the Asharis and Sufis and how their categorization opposes the guidance of the Qur'aan, the Sunnah, the noble Companions, and the pious predecessors.

The second chapter consists of the proofs supporting the categorization of Tawheed according to the People of the Sunnah and a criticism of the doubts of those who deny their categorization. This chapter also consists of two sub-chapters.

The first of them mentions the proofs of the People of the Sunnah for their categorization from: The Qur'aan- such as Soorah Faatihah, the verse of the Footstool, and the two last chapters of the Qur'aan-, and the Sunnah- such as the supplication in the nigh prayer-, and from the general understanding of these texts.

The second sub-chapter consists of a criticism of the doubts of those who deny the categorization of Tawheed, whether they denied the existence of the categorization in the Qur'aan and the Sunnah and claimed that it is innovated, or they denied it being narrated in the speech of our pious predecessors, or they claimed that it is merely a terminological categorization.

The conclusion of the research mentions its main results.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.أما بعد:

فإن الله تعالى أكرم هذه الأمة بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس، أرسل إليها خير رسله، وأنزل عليها أفضل كتبه، وجعل دينها آخر الأديان السماوية وناسخاً لها، وجعله كاملاً من جميع الوجوه، فلا طريق إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا باتباعه، والشر كل الشر في تركه والإعراض عنه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وإن أعظم مباني هذا الدين وأركانه، وأجلها قدراً، وأكثرها نفعاً وأجراً: هو توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وقد قرّر الله هذا التوحيد في كتابه الكريم أتم تقريرٍ بالأدلة المتكاثرة والدلالات المتنوعة، وبينه النبي ﷺ في سنته المطهرة بياناً وافياً شافياً، وكان سلفنا الصالح يصرفون جلّ عنايتهم له من خلال نصوص الكتاب والسنة: يدرسونها ويتأملون فيها، ويستخرجون منها الدلائل على حقيقة التوحيد وغايته، وفائدته وثمرته، وطرق تحقيقه وأدلته...إلى غير ذلك مما له صلة بالتوحيد وتعلّق به.

وإن مما بينه سلفنا الصالح وقرّروه، وأقاموا عليه الأدلة وأظهروه: أن التوحيد الذي أوجبه الله على العبيد ينقسم إلى أقسام؛ لا يصح للعبد توحيده

إلا باعتقادها، ولا يسلم له إلا بترك أضدادها.

ولم يزل العلماء وأهل الحق يتناقلون ذلك ويؤمنون به خلفاً عن سلف، وهو عندهم من أمور الاعتقاد التي لا مجال للخلاف في وجوب الإيمان بمضمونها، ومن الأسس التي يجب تقريرها والدعوة إليها والذب عن حياضها، ومن الأصول التي ينعقد الولاء لمن آمن بمضمونها، والبراء ممن خالفها منكراً لمدلولها.

إلا أن أهل الباطل الذين جرفتهم البدع والأهواء، واعتمدوا على العقول والآراء؛ لم يرضوا بذلك التقسيم الصحيح، واعتقدوا ما تميل إليه عقولهم وأهواؤهم، فابتدعوا توحيداً ما أنزل الله به من سلطان، أو فيه حق يسير وغالبه خطأ وبطلان، ثم شحذوا هممهم، وبذلوا جهودهم؛ لمحاربة التوحيد الحق وأقسامه، وإثارة الشبه لهدمه وردِّه، ولكن الله ناصرٌ دينه، ومُعْلٍ كلمته، ومظهرٌ أولياءه، ولو كره المبتدعة الضالون.

فرأيت أن أكتب بحثاً في هذا الجانب، أبيّن فيه أقسام التوحيد عند أهل السنة وأدلتهم الصحيحة عليه، وأقسام التوحيد عند المخالفين لهم وما في تقسيمهم إياه من الخروج عن هدي الكتاب والسنة ومخالفة ما كان عليه الصحابة وسلف الأمة، وسمّيته:

«أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم».

أهمية الموضوع وأسباب الكتابة فيه:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

١) أنه يتعلق بالتوحيد الذي خلق الله الخلق من أجله، وأوجبه على

الثقلين، وكانت دعوة الرسل قاطبة لتحقيقه، ولا سعادة ولا فلاح إلا باعتقاده والإيمان به.

٢) أن تقسيم التوحيد الصحيح من الأمور المتقررة عند أهل السنة والجماعة، والإيمان بمضمونه من أصولهم، فهذا البحث جهد يسير لبيانه عندهم، وإقامة الأدلة على صحته.

٣) أن طرق أهل السنة والجماعة تنوعت في تقسيم التوحيد، فيظن من لم يفقه حقيقة تقسيمهم أنهم متنازعون فيما بينهم في ذلك؛ فكان من الواجب إيضاح حقيقة تلك التقسيمات وأنها متفقة في المضمون.

٤) أن من أهل الباطل من ابتدعوا لأنفسهم تقسيماً خاصاً للتوحيد، وادعوا أنه هو الحق؛ فلابد من بيان بطلان ما ذهبوا إليه حمايةً لحقيقة التوحيد ونصرة له وذبًّا عنه.

٥) أن أهل البدع أرادوا الطعن في التقسيم الصحيح للتوحيد بإثارة الشبه حوله؛ فمن الواجب تفنيد شبههم وبيان وهائها.

٦) أن هذا الموضوع لم أجد من استوفى جميع جوانبه وأطرافه في بحث واحد، وقد يوجد بعضه في بحثٍ أو كتابٍ دون بعضه الآخر، فأردت أن ألمّ شتاته وأجمع متفرّقه في هذا البحث؛ ليكون في متناول يد كلّ طالب علم.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

❁ **أما المقدمة**: فتشتمل على: الافتتاحية، وموضوع البحث، وأهميته، وخطة البحث، والمنهج الذي اتبعته فيه.

❁ **وأما التمهيد**: فهو في التعريف بأهل السنة والجماعة لغة واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المدلول اللغوي لأهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: المدلول الاصطلاحي لأهل السنة والجماعة.

❁ **وأما الفصل الأول**: فهو بعنوان: أقسام التوحيد.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج أهل السنة والجماعة في تقسيم التوحيد.

المطلب الثاني: تقسيمات أهل السنة والجماعة للتوحيد متفقة في المضمون.

المطلب الثالث: تلازم أقسام التوحيد وترابطها.

المبحث الثاني: أقسام التوحيد عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقسام التوحيد عند الأشاعرة والماتريدية والرد عليهم.

المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند الصوفية والرد عليهم.

❁ **وأما الفصل الثاني**: فهو بعنوان: الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد، والرد على شبه المنكرين لتقسيمهم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة أسماء الله تعالى على أقسام التوحيد.

المطلب الثاني: دلالة فاتحة الكتاب على أقسام التوحيد.

المطلب الثالث: دلالة سورة الناس على أقسام التوحيد.

المطلب الرابع: دلالة سورتي الكافرون والإخلاص على أقسام التوحيد.

المطلب الخامس: دلالة بعض آيات القرآن منفردة على أقسام التوحيد.

المطلب السادس: دلالة دعاء القيام من الليل على أقسام التوحيد.

المطلب السابع: دلالة استقراء نصوص الكتاب والسنة على أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: شبه المنكرين لتقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة والرد عليهم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شبهة أن تقسيم التوحيد لم يَرِدْ في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: شبهة أن تقسيم التوحيد لم يعرفه السلف.

المطلب الثالث: شبهة أن تقسيم التوحيد أمر اصطلاحي لا حقيقة شرعية.

المطلب الرابع: شبهة أن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية نفسه.

❁ **وأما الخاتمة**: فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

منهج البحث:

سرت أثناء عملي في البحث على الأمور الآتية:

١) عزوت الآيات إلى أماكنها بذكر السورة ورقم الآية.

٢) خرجت الأحاديث الواردة في البحث.

- فما كان في الصحيحين أو أحدهما: اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما.

- وما كان في غيرهما: عزوته إلى من أخرجه -غير ملتزم الاستيعاب-، مع ذكر الحكم على الحديث.

٣) نقلت الأقوال من مصادرها الأصيلة.

٤) ثمة كتب تكررت الإحالة إليها، ونظراً لطول عناوينها فقد قمت باختصار أسمائها، وفيما يلي بيان بهذه الكتب:

- سبيل الهدى والرشاد في بيان حقيقة توحيد رب العباد: سبيل الهدى والرشاد.

- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد: القول السديد.

- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات: معتقد أهل السنة.

- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى: منهج أهل السنة.

- منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل: منهج السلف والمتكلمين.

- وسطية أهل السنة بين الفرق: وسطية أهل السنة.

تمهيد
التعريف بأهل السنة والجماعة لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: المدلول اللغوي لأهل السنة والجماعة

معنى كلمة «أهل» لغة:

الهمزة والهاء واللام أصلان متباعدان:

أحدهما- الأهل. فَأهل الرجل: زوجه، وأخص الناس به، وأهل البيت: سكانه، وأهل الإسلام: من يدين به.

والأصل الآخر: الإهالة، وهي الإلية ونحوها[١].

والأصل المناسب لما نحن بصدد تعريفه هو الأول.

وعند التأمل في الأمثلة التي تدخل تحت الأصل الأول؛ نجد أن أقربها هو: أن أهل الرجل: أخص الناس به، وقد ورد هذا المعنى أيضاً في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله أهلين من الناس) قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: (هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته)[٢]. ومعناه: «حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به»[٣].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ١٥٠-١٥١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بالأرقام الآتية: (١٢٣٠٤، ١٢٣١٧، ١٣٥٧٦)، وابن ماجه (المقدمة، باب في فضل من تعلم القرآن وعلمه، ١/ ١٤٠، رقم: ٢١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٣٢) رقم (٢١٦٥).

(٣) النهاية (١/ ٨٣).

معنى كلمة «السنة» لغة:

السنة: مصدر من الفعل «سَنَّ»، يقال: «سَنَّ، يسُنّ، سُنَّة وسَنًّا»، و«السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل: قولهم: سننت الماء على وجهي، أَسُنُّه سَنًّا: إذا أرسلته إرسالاً...، ومما اشتق منه: السنة، وهي السيرة...، وإنما سميت بذلك لأنها تجري جرياً»[(١)].

فالسنة في اللغة: هي السيرة والطريقة، ولكن اختلف أهل اللغة: هل هي السيرة مطلقاً، أو هي السيرة الحسنة؟، فمنهم من قال: «السنة: السيرة، حسنةً كانت أو قبيحة»[(٢)]، ومنهم من قيدها فقال: «السنة: الطريقة المحمودة المستقيمة»[(٣)] إلا أن المناسب هنا هو التقييد.

والسنة -هنا- بمعنى اسم المفعول، فإن «السنة في الأصل: سنة الطريق، وهو طريق سَنَّه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم، وسَنَّ فلان طريقاً من الخير يسنّه: إذا ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه فاستسنوا به وسلكوه»[(٤)].

ثالثاً: معنى كلمة «الجماعة» لغة:

الجماعة: أصلها من الجمع، و«الجيم والميم والعين: أصل واحد يدل على تضام الشيء»[(٥)]، تقول: «جمعت الشيء: إذا جئت به من ههنا وههنا»[(٦)]، و

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٦٠-٦١).
(٢) لسان العرب (١٣/ ٢٢٥).
(٣) المصدر السابق (١٣/ ٢٢٦).
(٤) لسان العرب (١٣/ ٢٢٦).
(٥) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٧٩).
(٦) لسان العرب (٨/ ٥٣).

«الجمع: تأليف المتفرق»[١].

والجماعة -في الأصل- «بمعنى الاجتماع، فهي اسم مصدر...، ثم نقلت من هذا الأصل إلى القوم المجتمعين»[٢]، والمراد هنا هو الاجتماع.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن المدلول اللغوي لأهل السنة والجماعة هو: أخص الناس بالسيرة المحمودة المستقيمة التي ابتدأها النبي ﷺ، والمجتمعون عليها[٣].

(١) القاموس ص (٩١٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٥٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧).

(٣) انظر: وسطية أهل السنة ص (٤٦)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٥٢-٥٣).

المطلب الثاني: المدلول الاصطلاحي لأهل السنة والجماعة

تعريف السنة اصطلاحاً:

«يختلف معنى السنة في الاصطلاح عند كلٍّ من المحدثين والأصوليين والفقهاء وعلماء الوعظ وأصول الدين، وإن كان الجميع يتفق على أنها سنة النبي ﷺ، وإنما وقع الاختلاف عند التفصيل والتحديد، ومردّ هذا الاختلاف في المعنى الاصطلاحي للسنة إلى اختلافهم في الأغراض التي يعنى بها كل فئة من أهل العلم»[(١)].

والذي يعنينا هنا هو إطلاق السنة في أبواب الاعتقاد، ومن ذلك: إطلاقها على ما يقابل البدعة.

قال الشاطبي[(٢)]: «ويطلق -أي: لفظ السنة- أيضاً في مقابل البدعة، فيقال: فلان على سنة؛ إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أو لا، ويقال: فلان على بدعة؛ إذا عمل على خلاف ذلك»[(٣)].

وقال ابن رجب[(٤)]: «والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك

---

(١) وسطية أهل السنة ص (٣٠)، وانظر لبيان مصطلح السنة عند مختلف فئات أهل العلم: شرح الكوكب المنير (٢/ ١٥٩-١٦٠)، وسطية أهل السنة ص (٣٠-٣٢).

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، كان من أئمة المالكية، توفي سنة (٧٩٠هـ). انظر: الأعلام (١/ ٧٥).

(٣) الموافقات (٤/ ٣-٦).

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، الشيخ المحدث الحافظ زين الدين، ولد سنة (٧٠٦هـ)، أكثر من المسموع، وأكثر الاشتغال حتى مهر، وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ، مات سنة (٧٩٥هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/ ١٠٨-١٠٩).

بما كان عليه هو ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله»[(١)].

وهذا الذي ذكره الشاطبي وابن رجب في معنى السنة، هو أحد مدلولين لعبارة: «أهل السنة»، فإن هذه العبارة وردت في استعمال العلماء لمعنيين، هما[(٢)]:

١) **إطلاق (أهل السنة) فيما يقابل أهل البدع**، وهذا هو الذي تقدم في كلام الشاطبي وابن رجب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]: «والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة»[(٤)]، «فيخرج من هذا المعنى: كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء»[(٥)].

٢) **إطلاق أهل السنة فيما يقابل الرافضة**[(٦)]:

---

(١) جامع العلوم والحكم ص (٣٥٩)، وانظر: وسطية أهل السنة ص (٣٢).

(٢) انظر: وسطية أهل السنة ص (٤٦-٤٨)، معتقد أهل السنة ص (٦٣-٦٥).

(٣) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي، الإمام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام، ولد سنة (٦٦١هـ)، كان إماماً في التفسير والفقه والحديث والأصول والفروع والنحو واللغة والعلوم العقلية والنقلية، توفي سنة (٧٢٨هـ). انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥-١٣٩).

(٤) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٥) معتقد أهل السنة ص (٦٣).

(٦) عَلَم على تلك الطائفة التي ترفض إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويتبرؤون منهما ومن أكثر الصحابة ﷺ، ويسبونهم، وينتقصونهم، ويزعمون أن الإمامة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذريته بالنص، وأن إمامة غيره باطلة، ورفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام بن عبدالملك لأنه لم يوافقهم على ذلك، ثم تطوّر مذهبهم حتى طعنوا في القرآن وادّعوا لأئمتهم من المناقب والمزايا ما لا يكون إلا لله أو لرسله وغير ذلك من العقائد الفاسدة المنحرفة. انظر: =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلفظ (أهل السنة) يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.»[(١)].

وقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا الإطلاق يشتهر عند العامة، وذلك لكون الرافضة أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة، وأكثرهم مخالفة للأحاديث النبوية ولمعاني القرآن، وأكثرهم قدحاً في سلف الأمة وأئمتها، وطعناً في جمهور الأمة من جميع الطوائف، حتى أن جمهور العامة لا يعرفون ضد السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني؛ فإنما معناه: لست رافضياً[(٢)].

تعريف الجماعة اصطلاحاً:

وردت جملة من الأحاديث عن النبي ﷺ فيها الحث على لزوم الجماعة، والتحذير من مخالفتها ومفارقتها، وقد اختلف أهل العلم في معنى الجماعة في تلك الأحاديث على ستة أقوال، هي[(٣)]:

١) السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢) جماعة أئمة العلماء المجتهدين.

٣) الصحابة على الخصوص.

٤) جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر.

=

منهاج السنّة النبوية (١/ ٣٤)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١/ ٣٤٤).

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٦) و (٤/ ١٥٥).

(٣) انظر: الاعتصام ص (٤٤٨-٤٥٢)، وسطية أهل السنة ص (٩٣-٩٦)، المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم (٣/ ١٢٤٣-١٣٤٤).

٥) جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

٦) الحق وأهله.

وهذه الأقوال الستة ترجع إلى معنيين:

أحدهما: الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وهو القول الخامس.

الثاني: الاجتماع على الحق الذي جاء به النبي ﷺ، ويدخل في ذلك: الأقوال الخمسة الباقية، فإن الصحابة ﷺ هم أعظم الناس تمسكاً بالحق، وهم السواد الأعظم في وقتهم، ومَن بعدهم مِن أهل العلم المجتهدين إنما هم متبعون لهم، ومقتفون لآثارهم في التمسك بآثار النبي ﷺ وطريقته، وهم بذلك السواد الأعظم وإن كانوا قلة في العدد.

والمعنى الأول يعود إلى الثاني؛ لأن من الحق الذي جاء به النبي ﷺ: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج عليه.

المراد بأهل السنة والجماعة:

على ضوء ما تقدم يمكن تعريف أهل السنة والجماعة اصطلاحاً بأنهم «الذين تمسكوا بالسنة (الحق الذي جاء به النبي ﷺ)، واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلى سواها، لا في الأمور العلمية العقدية، ولا في الأمور العملية الحكمية»[(١)]، وهم «الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة، ومن تبعهم في ذلك، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ٣٧).

(٢) منهج أهل السنة (١/ ٢٣)، وانظر: معتقد أهل السنة ص (٦٣).

الفصل الأول

أقسام التوحيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني: أقسام التوحيد عند المخالفين لأهل السنة والجماعة

المبحث الأول
أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: منهج أهل السنة والجماعة في تقسيم التوحيد

تنوعت طرق علماء أهل السنة والجماعة في ذكر أقسام التوحيد: فمنهم من قسم التوحيد إلى قسمين، ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام، ومنهم من زاد قسماً رابعاً، «ولعل السبب في ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص، ولم ينصّ عليها باللفظ مباشرة»[(١)]، وفيما يلي ذكر تلك التقسيمات:

تقسيم التوحيد قسمة ثنائية:

قسَّم جماعة من علماء أهل السنة والجماعة: التوحيد قسمة ثنائية، «وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين»[(٢)]، وقد تنوعت عباراتهم في التعبير عن ذينك القسمين على النحو التالي[(٣)]:

تعبيراتهم عن القسم الأول:

- توحيد المعرفة والإثبات.
- التوحيد في العلم والاعتقاد.
- التوحيد العلمي.

---

(١) معتقد أهل السنة ص (٤٢).

(٢) المصدر السابق ص (٤٣).

(٣) انظر: الماتريدية للشمس الأفغاني (٢/ ٣٩٤-٣٩٥)، وقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند كل قسم: من قال به من أهل العلم. وانظر أيضاً: معتقد أهل السنة ص (٤٣-٤٦)، وشرح أقسام التوحيد مأخوذ منه ومن: تيسير العزيز الحميد ص (٣٨).

- التوحيد في العلم والقول.
- التوحيد القولي.
- التوحيد العلمي الخبري.
- توحيد العلم.
- توحيد علمي اعتقادي.
- توحيد قولي اعتقادي.
- توحيد السيادة.

تعبيراتهم عن القسم الثاني:

- توحيد القصد والطلب.
- التوحيد في الإرادة والقصد.
- التوحيد القصدي الإرادي.
- التوحيد في الإرادة والعمل.
- توحيد العمل.
- التوحيد العملي.
- التوحيد الفعلي.
- التوحيد الإرادي الطلبي.
- توحيد العبادة.

وفيما يلي شرح للألفاظ الواردة في هذه التعبيرات:

❁ **توحيد المعرفة والإثبات**: سمي بذلك لأن معرفة الله ﷻ إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، والإثبات: أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه

من الأسماء والصفات والأفعال.

❁ **التوحيد في العلم، التوحيد العلمي، توحيد العلم**: لأنه يعتني بجانب معرفة الله والعلم به سبحانه.

❁ **التوحيد في الاعتقاد**: لأنه يعتني بجانب ما يجب على العبد اعتقاده في أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله.

❁ **التوحيد** القولي، **في القول، توحيد قولي**: لأنه في مقابل جانب العمل من التوحيد، فهذا الجانب مختص بالجانب القولي العلمي.

❁ **التوحيد الخبري**: لأنه يتوقف على الخبر (أي: الكتاب والسنة).

❁ **توحيد السيادة**: لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته يوجب له السيادة المطلقة والتصرف التام في هذا الكون خلقاً ورزقاً وإحياءً وإماتة وتصرفاً وتدبيراً سبحانه وتعالى، فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

❁ **توحيد القصد والطلب**، التوحيد في القصد، التوحيد القصدي، التوحيد الطلبي: لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده، فالعبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته.

❁ **التوحيد في الإرادة، التوحيد الإرادي**: لأن العبد له في العبادة إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، كما أن هذا التوحيد مبني على إرادة وجه الله بالأعمال.

❁ **التوحيد في العمل، توحيد العمل، التوحيد العملي، التوحيد الفعلي**: لأنه يشمل كلاً من عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح التي

تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد، كما أن هذا التوحيد مبني على إخلاص العمل لله وحده.

❁ **توحيد العبادة**: لأنه مبني على إخلاص العبادة لله سبحانه.

تقسيم التوحيد قسمة ثلاثية:

ومن علماء أهل السنة والجماعة من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

وهذه الأقسام هي:

١) توحيد الربوبية:

وهو: إفراد الله بأفعاله من الخلق والملك والتدبير[(١)].

فالله سبحانه هو الخالق لا خالق سواه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [فاطر: ٣]، وهو المتفرد بملك الخلق، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وهو سبحانه منفرد بالتدبير، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾[الأعراف: ٥٤].

٢) توحيد الأسماء والصفات:

وهو «إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها»[(٢)].

وهذا يتضمن شيئين[(٣)]:

---

(١) انظر: القول المفيد (١/ ٥)، معتقد أهل السنة ص (٤٢).

(٢) معتقد أهل السنة ص (٣١).

(٣) انظر: القول المفيد (١/ ١٢)، معتقد أهل السنة ص (٣٩)، أعلام السنة المنشورة ص (٥٧-٥٨).

الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله ﷻ جميع أسمائه وصفاته، مع الإيمان بما تضمنته من المعاني، وبما يترتب عليها من مقتضيات وأحكام.

الثاني: نفي المماثلة، وذلك بأن لا يجعل لله مثيل في أسمائه وصفاته كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣) توحيد الألوهية أو الإلهية:

وهو إفراد الله ﷻ بأفعال العباد التعبدية الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان[(١)].

فهذا التوحيد قائم على أمرين لا انفكاك لأحدهما عن الآخر شرعاً، وهما:

النفي: نفي الإلهية الحقة عما سوى الله.

والإثبات: إثبات الإلهية الحقة لله وحده لا شريك له.

كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله).

تقسيم التوحيد قسمة رباعية:

ومن المتأخرين من أهل العلم من زاد على الأقسام الثلاثة السابقة قسماً رابعاً، فصار التقسيم عنده كالتالي:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الأسماء والصفات.

٣- توحيد الألوهية.

٤- توحيد الاتباع.

---

(١) انظر: أعلام السنة ا لمنشورة ص (٥١)، معتقد أهل السنة ص (٤٢).

والمقصود بهذا القسم الرابع: تجريد المتابعة للنبي ﷺ. و «لعل مقصود من أفرد الاتباع بقسم مستقل هو إبراز أهميته وتعظيم شأنه؛ نظراً لانصراف الناس عنه»[(١)]، أو لعله نظر إلى الشهادتين اللتين لا يصير العبد موحداً إلا بتحقيقهما، فإن شهادة أن لا إله إلا الله: تشمل أنواع التوحيد الثلاثة الأولى، وشهادة أن محمداً رسول الله: يدخل في ضمنها تجريد المتابعة له ﷺ، ولعل هذا هو ما نظر إليه الدكتور حسن بن علي العواجي حين عرف التوحيد بقوله: «هو إفراد الله بربوبيته وألوهيته دون سواه، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والاعتقاد برسالة محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، واتباعه فيما جاء به عن الله تعالى»[(٢)].

إلا أن «هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية؛ لأن العبادة لا تقبل شرعاً إلا بشرطين هما:

١) الإخلاص.

٢) الاتباع. كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]»[(٣)]، ومن ثمَّ فلعل الأولى -والله أعلم- هو الاقتصار على ما ورد عن العلماء السابقين من تقسيم التوحيد إلى قسمين أو إلى ثلاثة أقسام.

هذا، وقد يوجد في كلام بعض الناس جعْل القسم الرابع ما يسمونه

---

(١) معتقد أهل السنة ص (٤٣).

(٢) شرح نواقض التوحيد ص (٩).

(٣) معتقد أهل السنة ص (٤٣).

بـ«**توحيد الحاكمية**»، ويعنون بذلك: وجوب تطبيق شرع الله، والتحاكم إليه. ومنهم من يغلو فيه -بهذا المفهوم- حتى يجعله هو التوحيد الذي هو معنى (لا إله إلا الله)، فيقول: لا حاكم إلا الله.

وهذا الأمر بشقّيه -أعني: جعل ما يسمى بتوحيد الحاكمية قسماً من أقسام التوحيد، والغلو في إثباته حتى يجعل هو التوحيد-: تصرف خاطئ من عدة أوجه[(١)]:

١) أن هذا القسم -بهذا المفهوم- يتضمنه توحيد الألوهية، فإن من مقتضى (لا إله إلا الله): قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم، ورفض تشريع من سواه، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، فوجوب التحاكم إلى شرع الله: موجود في أقسام التوحيد الثلاثة التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة، فلا داعي لإفراده بقسم مستقل.

٢) أن علماء أهل السنة والجماعة ممن لم يعتبر ما يسمى بـ «توحيد الحاكمية» قسماً من أقسام التوحيد؛ لاشك أنهم كانوا أعلم وأفقه، فزيادة نوع مستقل على ما ذكروه فيه نوع استدراك عليهم، إضافة إلى أن ذلك يفضي إلى أن يقوم كل من شاء بزيادة قسم مستقل، مع أن ما يزيده قد يكون داخلاً في قسمٍ ذكره علماء أهل السنة والجماعة -كما هي الحال هنا-.

٣) أنه لا يصح أصلاً جعل التحاكم إلى الشريعة -وهو داخل في إفراد توحيد الألوهية- قسماً مستقلاً برأسه من أقسام التوحيد، لأنه يلزم من ذلك

---

(١) انظر: معنى (لا إله إلا الله) ص (٢٢-٢٣)، سبيل الهدى والرشاد ص (٦٥-٦٦).

الاضطراد، فيقال -مثلاً-: توحيد التوكل قسم من أقسام التوحيد، وتوحيد المحبة قسم من أقسام التوحيد ... وهكذا، وذلك -كما هو ظاهر- غير صحيح، يُضاف إلى ذلك: أن كل قسم من أقسام التوحيد الثلاثة قسيم للآخر، فلا يصح أن يؤخذ فردٌ يندرج تحت أحد الأقسام ليجعل قسيماً لها؟.

هذا ما يتعلق بجعل ما يسمى بتوحيد الحاكمية قسماً من أقسام التوحيد، وأما ما يتعلق بجعله معنى (لا إله إلا الله) فيُردّ بالوجهين الآتيين:

١- أنّ ما يسمّى بتوحيد الحاكمية لو كان هو المقصود بـ (لا إله إلا الله)؛ لما كان بين الرسول ﷺ والمشركين نزاع، بل كانوا يبادرون إلى إجابة الرسول ﷺ إذا قال لهم: تحاكموا إلى الشريعة في الدماء والأموال والحقوق، وسكت عن العبادة. ولكن القوم أهل اللسان العربي، فعلموا أن حقيقة معنى (لا إله إلا الله) هي: الكفر بكل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده، ولذا قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

٢- أن العبد لو تحاكم إلى الشريعة في الحقوق والحدود والخصومات، وحصل له -مع ذلك- شرك في العبادة؛ لم ينفعه ذلك التحاكمُ للحكم عليه بالتوحيد، ولم يمنع من الحكم عليه بالشرك.

المطلب الثاني: تقسيمات أهل السنة والجماعة للتوحيد متفقة في المضمون.

إن تقسيم علماء أهل السنة والجماعة للتوحيد إلى قسمين أو إلى ثلاثة أقسام؛ ليس فيه منافاة بين التقسيمين، ولا مناقضة بين الطريقتين، بل هما متفقتان في المضمون، مجتمعتان في المدلول، والخلاف بينهما في طريقة التقسيم، وتعداد الأقسام إنما هو مجرد خلاف في الألفاظ، وتنوع في العبارات والتعبيرات، ويقرر ذلك ما يأتي[١]:

١) أن من قسم التوحيد إلى قسمين قد جعل القسم الأول -وهو توحيد المعرفة والإثبات أو ما عبِّر به عنه- شاملاً لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وذلك بالنظر إلى كونهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ﷻ. بينما جعل القسم الثاني -وهو توحيد القصد والطلب أو ما عبِّر به عنه- في مقابل توحيد الألوهية[٢].

فظهر أن التقسيمين يشتملان على الأنواع نفسها، ولكن أحدهما فصَّل والآخر أجمل لاعتبار معيّن، وهو ما سيأتي بيانه.

---

(١) انظر: سبيل الهدى والرشاد ص (٤٣)، معتقد أهل السنة ص (٤٤).

(٢) على أنه قد ورد عن ابن القيم ما يخالف ذلك في ظاهره، فقد ذكر في مدارج السالكين (١/ ٢٤-٢٥) أن التوحيد القصدي الإرادي نوعان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وقد حاول الشيخ الشمس السلفي توجيه ذلك فقال (الماتريدية ٢/ ٣٩٦): «ولعل وجهه: أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، كما أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية». قلت: وتوجيهه لا يزيل الإشكال -من وجهة نظري-؛ لأن ما ذكره لا يقتضي إدخال توحيد الربوبية -وهو جانب علمي- مع توحيد الألوهية -وهو جانب عملي- في قسم واحد، مع إفراد توحيد الأسماء والصفات -وهو جانب علمي- بقسم مستقل، فالله أعلم.

٢) أن الاختلاف في طريقة التقسيم إنما جاء مراعاة لاعتبار معين:

- فتقسيم التوحيد إلى قسمين فيه مراعاة لاعتبار ما يجب على الموحد من العلم والعمل، فجاء التقسيم إلى جانبين: علمي وعملي.

- وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام فيه مراعاة لاعتبار متعلَّق التوحيد، فجاء تقسيمه إلى الربوبية والأسماء والصفات والألوهية.

وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يشملهما الجانب العلمي، وتوحيد الألوهية هو الجانب العملي، فاتفق التقسيمان في المضمون.

٣) أن من أئمة أهل السنة من يكون في كلامه استعمال التقسيمين، فمضمون التقسيمين -إذاً- واحد عندهم.

المطلب الثالث: تلازم أقسام التوحيد وترابطها.

إن أقسام التوحيد[١] التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة -وإن كانت متفرقة فيما بينها من حيث مفهوم كلٍّ منها -إلا أنها مرتبطة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً من حيث العلاقة التي تربط بعضها ببعض، ومن حيث الإيمان بها جميعاً، ونوضح ذلك بأمرين:

أحدهما: العلاقة بين أقسام التوحيد:

بين أقسام التوحيد الثلاثة علاقة تلازم وتضمن وشمول، «فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معاً»[٢].

بيان ذلك: أن «توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية والعبادة، فهو منه كالمقدمة من النتيجة، فإنه إذا علم أنه سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته؛ كانت العبادة حقه الذي لا ينبغي إلا له، فإنه لا يصح أن يعبد إلا من كان رباًّ خالقاً مالكاً مدبراً ومادام ذلك له وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده الذي لا يجوز أن يكون لأحدٍ معه شركة في شيء من صور العبادة كلها...»[٣].

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، ومعنى كونه متضمناً له: أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الإلهية، فإن من عبد الله وحده

---

(١) سيكون الحديث من هذا المطلب فما بعده على التقسيم الثلاثي للتوحيد.

(٢) معتقد أهل السنة ص (٤٧).

(٣) وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٩١)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٣١٣).

ولم يشرك به شيئاً لابد أن يكون قد اعتقد أن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب له غيره ولا مالك له سواه، فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده، وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، وأن كل ما يدعى من دونه فهو لا يملك لعابديه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وأما توحيد الأسماء والصفات، وأنه شامل للنوعين: فهو يقوم على إفراد الله سبحانه بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له، ومن جملتها: كونه رباً واحداً لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلهاً واحداً لا شريك له في إلهيته، فاسم «الرب» لا ينصرف إلا إليه عند الإطلاق، فله وحده الربوبية المطلقة الشاملة لجميع خلقه، وكذلك اسم الجلالة (الله) لا يطلق إلا عليه وحده، فهو ذو الألوهية على جميع خلقه، ليس لهم إله غيره»[(١)].

و «من جملتها: ...الخالق-الرازق- الملك وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: ...الغفور -الرحيم- التواب وهذا هو توحيد الألوهية»[(٢)].

ثانياً: وجوب الإيمان بجميع أقسام التوحيد[(٣)]:

أقسام التوحيد الثلاثة متلازمة يكمل بعضها بعضاً، ولا ينفك قسم منها عن الآخر، فيجب الإيمان بها جميعاً على ما ورد في الكتاب والسنة، ومن جاء بقسم منها دون الآخرين لم ينفعه ذلك، ومن أشرك في قسم منها فهو مشرك في البقية.

---

(١) الكواشف الجلية ص (٢٤٤-٢٤٥)، وانظر: معتقد أهل السنة ص (٤٧-٤٩)، منهج أهل السنة (١/ ١٦-١٧).

(٢) معتقد أهل السنة ص (٤٩).

(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٤٧٤-٤٧٥)، أعلام السنة المنشورة ص (٧٧)، الكواشف الجلية ص (٢٤٥).

وأضرب على ذلك مثالين:

الأول: من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً في عبادته، ولكنه اعتقد مع ذلك أن لغير الله قدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله، أو أنه يملك نفع العباد أو ضرهم ونحو ذلك من خصائص الربوبية؛ لم تصح عبادته ولم تنفعه، ولا يكون بها موحّداً.

وقِس على ذلك: من أقر بالربوبية وجحد بالألوهية، أو أقر بالربوبية والألوهية وجحد حقائق أسماء الله ومعانيها أو شبّه الله بأحد من خلقه.

الثاني: من دعا غير الله سبحانه وسأله ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب نفع أو دفع ضر؛ فإنه أشرك في الإلهية؛ لأن الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، وهو مع ذلك مشرك في الربوبية؛ لأنه اعتقد أن المدعوّ له قدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله، وهو في الوقت نفسه مشرك في الأسماء والصفات؛ لأنه لم يدعُ ذلك المخلوق إلا وقد اعتقد أنه يسمعه على البعد والقرب، في أي وقتٍ كان، وفي أي مكان.

المبحث الثاني:
أقسام التوحيد عند المخالفين لأهل السنة والجماعة

المطلب الأول: أقسام التوحيد عند الأشاعرة والماتريدية والرد عليهم

ذهب الأشاعرة[١] والماتريدية[٢] إلى تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، موافقين في ذلك أهل السنة والجماعة من حيث العدد، إلا أنهم خالفوهم إلى درجة كبيرة من حيث المضمون، وفيما يأتي ذكر أقسام التوحيد الثلاثة عند الأشاعرة والماتريدية، وشرحها، ثم الرد عليهم:

أقسام التوحيد عند الأشاعرة والماتريدية:

❁ تقسيمه عند الأشاعرة:

يقسم الأشاعرة التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهو ما يشير إليه الشهرستاني في

---

(١) أتباع أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، حيث إن أبا الحسن كان على مذهب المعتزلة إلى الأربعين من عمره، ثم سلك طريقة ابن كلاب في إثبات الصفات اللازمة لله تعالى ونفي الصفات الاختيارية والقول بصحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام، وقد مرّت الأشعرية بمراحل: أولها زيادة المادة الكلامية على يد أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، ثم الجنوح للمادة الاعتزالية على يد الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، ثم خلط ذلك بالمادة الفلسفية على يد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) وأبي عبدالله الرازي (ت: ٦٠٦هـ). انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٧-١٤٨) (١٢/ ٢٠٤)، الاستقامة (١/ ٢١٢)، درء التعارض (٧/ ٩٧)، منهاج السنة (٢/ ٢٢٣-٢٢٤)، بغية المرتاد ص(٤٤٨-٤٥١).

(٢) أتباع أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، الذي تابع ابن كلاب في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها، وتعدّ من فرق أهل الكلام من الصفاتية. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٣)، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (١/ ٢٠٩، ٢٦٢-٢٦٨).

قوله[١]: «هو الاعتقاد بأن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»[٢].

وقال البيجوري[٣]: «ويجب في حقه تعالى: الوحدانية في الذات وفي الصفات وفي الأفعال، ومعنى الوحدانية في الذات: أنها ليست مركبة من أجزاء متعددة، ومعنى الوحدانية في الصفات: أنه تعالى ليس له صفتان فأكثر من جنس واحد كقدرتين وهكذا، وليس لغيره صفة تشابه صفته تعالى، ومعنى الوحدانية في الأفعال أنه ليس لغيره فعل من الأفعال، وضدها التعدد»[٤].

❁ تقسيمه عند الماتريدية:

ويقسم الماتريدية التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهو ما يشير إليه البابرتي[٥] في قوله: «وعبّر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال: هو نفي الشريك والقسيم

---

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، الشهرستاني، أبو الفتح، شيخ أهل الكلام وصاحب التصانيف، برع في الفقه، وكان كثير المحفوظ قوي الفهم مليح الوعظ، مات سنة (٥٤٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٨٦-٢٨٨).

(٢) الملل والنحل (١/ ٤٢).

(٣) إبراهيم بن محمد الباجوري، ولد سنة (١١٩٨هـ) ببلدة بيجور (قرية من قرى مصر)، ونشأ فيها في حجر والده وقرأ عليه القرآن، ثم قدم إلى الجامع الأزهر، ثم خرج وتوجه إلى الجيزة، انتهت إليه رئاسة الجامع الأزهر سنة (١٢٦٣هـ)، توفي (١٢٧٦هـ). انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٧-١١).

(٤) رسالة في علم التوحيد -ضمن مجموع المتون- ص (٢٧).

(٥) محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين، أبو عبد الله، الرومي البابرتي، علامة بفقه الحنفية عارف بالأدب، رحل إلى حلب ثم إلى القاهرة، وعرض عليه القضاء مرارا فامتنع، توفي بمصر سنة (٧٨٦هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٤٢).

والشبيه، فالله تعالى واحد في أفعاله لا يشاركه أحد في إيجاد المصنوعات، وواحد في ذاته لا قسيم له ولا تركيب فيه، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها»[١].

وقال الكمال بن أبي شريف المقدسي[٢]: «هو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال»[٣].

وبحكاية أقوال الأشاعرة والماتريدية يظهر أن الفريقين يتفقان في التقسيم تعداداً ومضموناً.

شرح أقسام التوحيد عند الأشاعرة والماتريدية[٤]:

- **قولهم: «إن الله واحد في ذاته لا قسيم له»:**

يعنون بذلك:

انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى، بمعنى: عدم قبولها الانقسام، فهي لا تتبعض ولا تتجزأ ولا تنقسم.

نفي الصفات التي توهموا بعقولهم أن إثباتها يقتضي الانقسام وينافي وحدانية الذات كالوجه واليدين.

- **قولهم: «وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له»:**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبابرتي ص (٢٩).

(٢) محمد بن محمد بن أبى بكر بن على بن أبى شريف المقدسي، كمال الدين، أبو المعالي، عالم بالأصول من فقهاء الشافعية، نعته ابن العماد بالإمام شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام، درس وأفتى ببلده وبمصر، توفي سنة (٩٠٦هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٥٣).

(٣) المسامرة بشرح المسايرة ص (٤٣).

(٤) انظر: منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٥٦٩-٥٧١).

المراد بذلك عندهم:

نفي النظير عن الله تعالى في كل صفة من صفات المعاني التي أثبتوها، فيمتنع أن يكون له تعالى علوم وقدرات متكاثرة بحسب المعلومات والمقدورات، بل علمه تعالى واحد، ومعلوماته كثيرة، وقدرته واحدة، ومقدوراته كثيرة، وعلى هذا جميع صفات المعاني.

ونفي الصفات التي توهموا بعقولهم أن إثباتها يستلزم التشبيه وينافي وحدانية الله في الصفات كالأفعال الاختيارية ورؤية الله حقيقة في الآخرة وأن القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق.

- **قولهم: «وواحد في أفعاله لا شريك له»:**

يعنون بذلك: «انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموماً، وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى في شيء من الممكنات أصلاً»[(١)].

وهذه الأقسام الثلاثة ترجع إلى نوعين[(٢)]:

الأول: توحيد الربوبية، وهو الذي عبّروا عنه بقولهم: «واحد في أفعاله لا شريك له». وهو أشهر النوعين عندهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد...، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: (لا إله إلا الله)، حتى يجعلوا معنى الإلهية: القدرة على الاختراع»[(٣)].

---

(١) الماتريدية للحربي ص (١٩٠).

(٢) انظر: منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٥٧٠).

(٣) التدمرية -مع التحفة المهدية- ص (٣٤٠).

الثاني: توحيد الصفات، وهو الذي عبروا عنه بقولهم: «واحد في ذاته لا قسيم له» و «واحد في صفاته الأزلية لا نظير له».

الرد على الأشاعرة والماتريدية في تقسيمهم للتوحيد:

إن الأشاعرة والماتريدية في تقسيمهم للتوحيد قد انحرفوا عن التقسيم الصحيح له، ففي تقسيمهم قصور عن بيان التوحيد الذي جاء في الكتاب والسنة وسار عليه سلف الأمة وأئمتها، وفيه -أيضاً- انحراف عن فهم التوحيد الحق، بل إطلاق التوحيد على ما هو مضاد للتوحيد الصحيح.

ففي تقسيم الأشاعرة والماتريدية انحرافات إجمالية وتفصيلية، ولبيان ذلك أقول:

أما الانحرافات الإجمالية فهي:

١) أن تقسيم الأشاعرة والماتريدية للتوحيد خلا من توحيد الألوهية الذي هو المقصد الأعلى من خلق الكون وما فيه، وهو زبدة دعوة الرسل وروحها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود هنا: أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله، وهو المذكور في الكتاب والسنة، وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون، وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول، فهم مع زعمهم أنهم موحدون ليس توحيدهم هو التوحيد الذي ذكر الله ورسوله، بل التوحيد الذي يدّعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة، وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده، فمن عبد الله و حده لا يشرك به شيئاً فقد وحّده، ومن عبد من دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك به

ليس بموحد مخلص له الدين، وإن كان مع ذلك قائلاً بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد، حتى لو أقرّ بأن الله وحده خالق كل شيء -وهو التوحيد في الأفعال الذي يزعم هؤلاء المتكلمون أنه يقرر أن لا إله إلا هو، يثبتون ما توهموه من دليل التمانع[١] وغيره- لكان مشركاً»[٢].

وقد يعترض على هذا بأن في تعريفات بعض الأشاعرة للتوحيد ذكرا لتوحيد العبادة، كما في تعريف الباقلاني[٣] -وهو من متقدمي الأشاعرة- حيث قال: «التوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد فرد معبود، ليس كمثله شيء»[٤]، وكما في تعريف البيجوري: «وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتٍ[٥] وأفعالاً»[٦].

---

(١) قال الباقلاني -في بيان المراد بدليل التمانع-: (يجب أن يعلم أن صانع العالم -جلت قدرته- واحد أحد...، فلو جاز أن يكون اثنين أو أكثر فيريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده: فلا يخلو: أن يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر، ولا يجوز أن يتم مرادهما؛ لأن في إتمام مراد أحدهما عجز الآخر، لأنه تم ما لا يريد، وفي ذلك تعجيز لكل واحد منهما؛ لأنه تم ما لا يتم مراد واحد منهما، فقد ثبت عجزهما أيضاً، ومن يكون عاجزاً فليس بالإله، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر؛ فالذي تم مراده هو الإله، والذي لم يتم عاجز ليس بالإله، فلم يكن إلا إله واحد). الإنصاف ص (٣٢-٣٣)، وانظر: التمهيد في أصول الدين للنسفي ص (٦).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٨).

(٣) محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاني رأس المتكلمين على مذهب الشافعي، وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام، انتشرت عنه تصانيف كثيرة، كانت وفاته سنة (٤٠٣هـ). انظر: البداية والنهاية (١١-٣٥٠-٣٥١).

(٤) الإنصاف ص (٢٢).

(٥) في الأصل: صفاتاً، وهو خطأ.

(٦) تحفة المريد ص (٩).

والجواب عن ذلك:

❁ أن الباقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع ذكره لتوحيد العبادة في تعريفه للتوحيد؛ «لم يخرج عن منهج المتكلمين في إهمالهم توحيد العبادة والدعوة إليه والنهي عن ضده، واستبدالهم هذا النوع بتوحيد الأفعال»[(١)].

❁ أن البيجوري حينما شرح تعريفه للتوحيد لم يتطرق لبيان توحيد العبادة مطلقاً، فقد قال: «فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى، ولا تقبل ذاته الانقسام لا فعلاً ولا وهماً ولا فرضاً مطابقاً للواقع، ولا تشبه صفاتِه الصفاتُ، ولا تعدد فيها من جنس واحد بأن يكون له تعالى قدرتان مثلاً، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقاً، وإن نسب إلى غيره كسباً»[(٢)]. فخلا شرحه للتوحيد من بيان توحيد العبادة، بل خلا كتابه كله من ذلك، بل ذكر ما يستلزم مناقضته، حيث نقل عن الشعراني قوله: «ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه»[(٣)]، ولم يتعقبه بشيء.

٢) أن تقسيمهم لم يكن مبنياً على أصول من الكتاب والسنة ودلالاتها الصحيحة، وإنما كان تقليداً لمن قبلهم من أهل الكلام والفلسفة، فإن أصل هذا التقسيم هو قول الفلاسفة الذين وصفوا الله -ﷻ- بأنه بسيط لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم ولا يتركب لا في المعنى ولا في الكم، وجردوا الله سبحانه بذلك عن كل صفة تجعل له وجوداً خارج الذهن والتصور العقلي.

---

(١) منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٦٠٨).

(٢) تحفة المريد ص (٩).

(٣) المصدر السابق ص (١٠٨).

ثم اتبع المعتزلة الفلاسفة فقالوا بأن القدم أخص وصف لله سبحانه فلا يتجزأ ولا ينقسم ولا يتبعض، ونفوا بذلك جميع صفات الله القائمة بالذات؛ لأن إثباتها -في زعمهم- يؤدي إلى تعدد القدماء. ثم سار الأشاعرة والماتريدية على سيرهم، وكان تقسيمهم للتوحيد تبعاً لذلك[١].

٣) أن العبارات التي استعملوها في أقسام التوحيد عبارات مجملة مبتدعة، توهم من لم يعرف قصدهم أنهم يقصدون بها معنى صحيحاً، وهم في الحقيقة إنما يريدون التوصل بتلك الألفاظ المبتدعة إلى إنكار صفات الباري سبحانه بدعوى نفي الانقسام أو المشابهة.

٤) نتج عن تقسيمهم هذا للتوحيد: أن جعلوا توحيد الربوبية -وهو الذي عبّروا عنه بقولهم: «واحد في أفعاله لا شريك له»- أهم أقسام التوحيد، وطوّلوا في تقريره والاستدلال عليه بأدلة عقلية محضة موروثة عن الفلاسفة اليونانيين كدليل الجواهر والأعراض[٢].

---

(١) انظر: منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٥٦٨-٥٦٩)، و (٢/ ٥٩٤-٥٩٥).

(٢) وطريقة استدلالهم بدليل الجواهر والأعراض: أن الموجودات كلها على ضربين: قديم لم يزَل، ومُحدَث لم يكن ثم كان، والمُحدَث ثلاثة أقسام: الجسم (وهو المؤلَّف المركَّب)، والجوهر (وهو الذي له مكان وله قيام بذاته)، والعَرَض (وهو الذي يعرِض في الجواهر والأجسام ولا يصح قيامه بذاته كاللون والحركة، ولا يصح بقاؤه وقتين)، فالأعراض حادثة؛ لما هي عليه من التنافي والتضاد، فالحركة تبطل عند مجيء السكون، وفي بطلانها دليل على طروء السكون بعد أن لم يكن، والطارئُ بعد عدمه والمعدومُ بعد وجوده: محدَث، والأجسام حادثة؛ لأنها لم تسبق الحوادثَ ولم تخلُ منها، وما لا ينفكّ من الحوادث ولم تسبقه كان محدثاً، فالعالم -إذاً- كله محدَث؛ لأنه لا يخرج عن الجواهر والأعراض. انظر: الإنصاف للباقلاني ص (١٧-١٨)، ويراجع للتوسع: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (١/ ٣٧٥- ٢/ ١٩٩).

وهذا الأمر -أعني اعتبار توحيدِ الربوبية أهمَّ أقسام التوحيد، وأن من حققه فقد حقق التوحيد- خطأ من عدة أوجه:

❁ أن «أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم ضروري فيهم»[(١)].

❁ «أن إثبات ربين للعالم لم يذهب إليه أحد من بني آدم، ولا أثبت أحد إلهين متماثلين ولا متساويين في الصفات ولا في الأفعال، ولا أثبت أحد قديمين متماثلين ولا واجبي الوجود متماثلين، ولكن الإشراك الذي وقع في العالم إنما وقع بجعل بعض المخلوقات مخلوقة لغير الله في الإلهية بعبادة غير الله تعالى واتخاذ الوسائط ودعائها والتقرب إليها، كما فعل عباد الشمس والقمر والكواكب والأوثان وعباد الأنبياء والملائكة أو تماثيلهم ونحو ذلك. فأما إثبات خالقين للعالم متماثلين فلم يذهب إليه أحد من الآدميين»[(٢)].

❁ أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم النبي ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]، ومع ذلك لم يصيروا موحّدين، بل هم مشركون كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام[(٣)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤٤)، وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٤٣-٤٤).

(٣) انظر: التدمرية -مع التحفة المهدية- ص (٣٤٠)، درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤٥)، =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا فسّر المفسّر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه؛ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره»[(١)].

وأما الانحرافات التفصيلية في تقسيم الأشاعرة والماتريدية للتوحيد[(٢)] فهي:

١ - قولهم: «إن الله واحد في ذاته لا قسيم له».

هذا من الألفاظ المجملة المبتدعة التي يستفصل عن معناها:

❁ فإن قصدوا بها أن الله أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فيمتنع عليه أن يتفرق أو يتحيز أو يكون قد ركب من أجزاء: فهذا المعنى حق، ولكن الألفاظ التي عبروا بها مبتدعة باطلة؛ لأنها لم ترد في صحيح المنقول.

❁ ولكنهم في الحقيقة إنما يريدون بها نفي صفاته تعالى، كنفي علوه على

=

توضيح المقاصد (٢/ ٢٦٢).

(١) توضيح المقاصد (٢/ ٢٦١-٢٦٢)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٧٧-٣٧٨).

(٢) سبق ذكر الانحرافات الإجمالية ابتداءً من ص (٣٨).

عرشه ومباينته لخلقه واتصافه بالصفات الخبرية كالوجه واليد ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله[١].

٢-**قولهم: «واحد في صفاته الأزلية لا نظير له -أو لا شبيه له-»**: هو أيضاً من الألفاظ المجملة، فيقال:

❁ «إن أرادوا بذلك أنه سبحانه مسمى بالأسماء الحسنى، ومتصف بالصفات الكاملة العليا التي لا يماثله فيها أحد: فهذا حق...

❁ وأما إن أراد القائل المعنى الباطل من أنه سبحانه غير مستوٍ على عرشه ولا ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يجيء لفصل القضاء يوم القيامة، ولا يفعل ما يريد، إلى غير ذلك: فهو ملحد ضال»[٢].

وقد سبق عند شرح هذه العبارة[٣] أن الأشاعرة والماتريدية أرادوا بها نفي صفات الله التي توهموا أن إثباتها يقتضي التشبيه، حتى أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحيد، فصار من يقول: إن الله يُرى في الآخرة، أو أن القرآن كلام الله حقيقة غير مخلوق؛ صار عندهم مشبهاً وليس بموحد[٤].

٣-**وقولهم: «واحد في أفعاله لا شريك له»**:

سبق أنهم يجعلون مضمون هذه العبارة -وهو توحيد الربوبية- أهم أنواع

---

(١) انظر: التدمرية -مع التحفة المهدية- ص (٣٤٧-٣٤٨)، منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٥٩٦)، القول السديد ص (٥٩)، سبيل الهدى والرشاد ص (٤٨).

(٢) التحفة المهدية ص (٣٤٤).

(٣) انظر ص (٣٦).

(٤) انظر: التدمرية -مع التحفة المهدية- ص (٣٤٥)، الروح ص (٢٦١-٢٦٢)، القول السديد ص (٥٨).

التوحيد، وأن من حققه فقد حقق التوحيد، وقد سبق مناقشة ذلك مما يغني عن إعادته هنا[١].

وبما سبق يتضح أن تقسيم التوحيد عند الأشاعرة والماتريدية «فيه ما هو حق، وفيه ما هو باطل»[٢]، وحتى الحق الذي عندهم رتبوا عليه أموراً باطلة، وهذا كله يبين ما ذكرته سابقاً من أن تقسيم الأشاعرة والماتريدية جمع بين التقصير في بيان أقسام التوحيد، والانحراف عن مفهوم التوحيد الصحيح الذي قرّره الكتاب والسنة.

(١) انظر ص (٤١-٤٤).

(٢) التدمرية -مع التحفة المهدية- ص (٣٤٨).

المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند الصوفية والرد عليهم

«لقد وقف الصوفية[١] من التوحيد الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه موقفاً معادياً تماماً، ويتمثل ذلك [فيما يأتي]:

أولاً: قال بعضهم: «إنه لا يمكن التعبير عن التوحيد، بل هو شيء خيالي، ومن عبَّر عنه فقد أشرك وكفر»[٢].

ومن ذلك: أنه قيل للشبلي[٣] وهو من الأئمة العظام عند الصوفية: أخبر عن توحيد مجرد، وبلسان حق مفرد. فأجاب الشبلي قائلاً: «ويحك! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليك فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن

---

(١) اختلف في تعريف الصوفية -من حيث النسبة- على أقوال كثيرة، فقيل: نسبة إلى الصوف، وقيل: إلى الصفاء، وقيل: إلى الصُّفَّة، وقيل غير ذلك، وأما في الاصطلاح: فعُرِّف التصوف بأنه: «الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق»، وقيل غير ذلك، وقد مرّت الصوفية بمراحل، فكانت نشأتها في أوائل القرن الثاني الهجري عن طريق المبالغة في الزهد والعبادة والمحبة والخوف ونحو ذلك، ثم أخذت منحى التقعيد والتنظير لأصول المذهب وقواعده في القرنين الثالث والرابع الهجريين، كما أنها انحرفت إلى عقيدة فناء الإنسان عن نفسه واتحاده بربه، وتأثرت بالمذاهب الفلسفية القديمة كالبوذية والهندوسية وغيرهما، وفي القرون السادس والسابع والثامن بلغت أقصى مدى في الانتشار في البلاد الإسلامية. انظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/ ٢٥-٥٣).

(٢) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/ ٢١٣).

(٣) اسمه دلف، يقال: ابن جحدر، ويقال: ابن جعفر، ويقال: اسمه جعفر بن يونس، خراسانى الأصل، بغدادى المنشأ والمولد، صحب الجنيد ومن فى عصره من مشايخ الصوفية، ويعدّه الصوفية أوحد وقته حالاً وعلماً، مات سنة (٣٣٤هـ). انظر: طبقات الصوفية ص (٩٧).

توهم أنه واصل فليس بحاصل»[(١)].

وقال الشبلي أيضاً: «ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد»[(٢)].

«**ثانياً**: لقد صرح الصوفية بأن التوحيد الذي أرسل الله الرسل وأنزل الكتب من أجله: توحيد العوام، أما الخواص [فـ] يعتبر هذا التوحيد عندهم شركاً.

ثالثاً: لقد قسم الصوفية التوحيد إلى أقسام لم ترد في الكتاب ولا في السنة»[(٣)].

وفيما يلي ذكر أقسام التوحيد عند الصوفية، مع بيانها، ثم الرد عليهم.

أقسام التوحيد عند الصوفية:

قال أبو إسماعيل الهروي[(٤)]: «والتوحيد على ثلاثة وجوه:

---

(١) الرسالة القشيرية ص (١٣٩).

(٢) المصدر السابق ص (١٣٧).

(٣) الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/ ٢١٣).

(٤) أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شيخ الإسلام الإمام القدوة الحافظ الكبير، مولده في سنة (٣٩٦هـ)، قال عنه الذهبي: «ولقد بالغ أبو إسماعيل في «ذم الكلام» على الاتباع فأجاد، ولكنه له نفس عجيب لا يشبه نفس أئمة السلف في كتابه «منازل السائرين»، ففيه أشياء مطربة، وفيه أشياء مشكلة، من تأمله لاح له ما أشرت إليه...، وقد كان هذا الرجل سيفا مسلولا على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده يعظمونه...، وكان طودا راسيا في السنة لا يتزلزل ولا يلين...، وقد امتحن مرات وأوذي...، قد انتفع به خلق، وجهل آخرون، فإن طائفة من صوفية الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في «منازل السائرين» وينتحلونه ويزعمون أنه موافقهم، كلا، بل هو رجل أثري، لهج بإثبات نصوص الصفات، منافر للكلام وأهله جدا، وفي «منازله» إشارات إلى المحو والفناء...، ويا ليته لا صنف ذلك». بقي إلى سنة نيف وسبعين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣-٥١٨).

الوجه الأول: توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني: توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق، والوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة.

فأما التوحيد الأول: فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم، وعليه نصبت القبلة، وبه وجبت الذمة، وبه حقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة وإن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحيحها قبول القلب.

هذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والشواهد هي الرسالة والصنائع يجب بالسمع ويوجد بتبصير الحق، وينمو على مشاهدة الشواهد.

وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة، وهو إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا تشهد في التوحيد دليلا، ولا في التوكل سببا، ولا للنجاة وسيلة، فتكون مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها، وتعليقه إياها بأحايينها، وإخافة إياها في رسومها، وتحقق معرفة العلل، وتسلك سبيل إسقاط الحدث، هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء، ويصفو في علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

وأما التوحيد الثالث: فهو توحيد اختصه الحق لنفسه، واستحقه بقدره، وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثه، والذي يشار به عليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات

القدم، على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطها، هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق وإن زخرفوا له نعوتا وفصلوه فصولا، فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاء والصفة نفورا والبسط صعوبة، وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال، وله قصد أهل التعظيم، وإياه عني المتكلمون في عين الجمع، وعليه تصطلم الإشارات، ثم لم ينطق عنه لسان، ولم تشر إليه عبارة، فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكون أو يتعاطاه حين أو يقله سبب»[١].

شرح أقسام التوحيد عند الصوفية:

لقد شرح أبو إسماعيل الهروي الأقسام الثلاثة السابقة بعباراتٍ زادتها -في كثيرٍ منها- إيهاماً وغموضاً[٢]، إلا أن ما يهمنا هنا هو بيان المعنى العام لكل قسم.

أما القسم الأول: فالمراد به هو التوحيد القائم على شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، المبني على الأدلة والبراهين والآيات المتلوة والمرئية، الذي يوجد عند العبد بتوفيق الله له إليه، والذي يزيد وينمو بمشاهدة الأدلة والآيات[٣].

وأما القسم الثاني: ففسره شيخ الإسلام ابن تيمية بالفناء في توحيد الربوبية[٤]، وفسّر ابن القيم الفناء بقوله: «الفناء الذي يشير إليه القوم

---

(١) منازل السائرين ص (١٣٥-١٣٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٥٠١) إلى آخر الكتاب -ط: العلمية.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٦) - ط: العلمية.

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٥٥-٣٥٩).

ويعملون عليه: أن تذهب المحدثات في شهود العبد، وتغيب في أفق العدم كما كانت قبل أن توجد، ويبقى الحق تعالى كما لم يزل، ثم تغيب صورة المشاهِد ورسمه أيضاً، فلا يبقى له صورة ولا رسم، ثم يغيب شهوده أيضاً فلا يبقى له شهود، ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات، وحقيقته: أن يفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل»[(١)]، «وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به، فيظن أنه اتحد به وامتزج، بل يظن أنه هو نفسه»[(٢)]، «وأصل هذا الفناء: الاستغراق في توحيد الربوبية، وهو رؤية تفرد الله بخلق الأشياء وملكها واختراعها، وأنه ليس في الوجود قط إلا ما شاءه وكوّنه، فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات من خلق الله إياها ومشيئته لها وقدرته عليها وشمول قيوميته وربوبيته لها، ولا يشهد ما افترقت فيه من محبة الله لهذا وبغضه لهذا، وأمره بما أمر به ونهيه عما نهى عنه، وموالاته لقوم ومعاداته لآخرين...، فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على وحدة ذاته...، والفرق بين مأموره ومنهيه، ومحبوبه ومبغوضه، ووليه وعدوه»[(٣)].

وأما القسم الثالث: ففسره شيخ الإسلام ابن تيمية بالاتحاد والحلول الخاص، وقال: «وحقيقة قول هؤلاء: الاتحاد والحلول الخاص من جنس قول النصارى في المسيح، وهو أن يكون الموحِّد هو الموحَّد، ولا يوحِّد الله إلا الله، وكل من جعل غير الله يوحِّد الله فهو جاحد عندهم»، إلى أن قال: «وحقيقة

(١) مدارج السالكين (١/ ١٦٧) -ط: العلمية.
(٢) المصدر السابق (١/ ١٧٤) -ط: العلمية.
(٣) مدارج السالكين (١/ ١٧٧-١٧٨) -ط: العلمية.

الأمر: أن كل من تكلم بالتوحيد أو تصوَّره وهو يشهد غير الله فليس بموِّحد عندهم. وإذا غاب وفني عن نفسه بالكلية فتمّ له مقام توحيد الفناء الذي يجذبه إلى أرباب الجمع؛ صار الحق هو الناطق المتكلم بالتوحيد، وكان هو الموحِّد وهو الموحِّد، لا موحِّد غيره. وحقيقة هذا القول لا يكون إلا بأن يصير الرب والعبد شيئاً واحداً، وهو الاتحاد، فيتحد اللاهوت والناسوت، كما يقول النصارى: إن المتكلم بما كان يُسمع من المسيح هو الله»[(١)].

الرد على الصوفية في تقسيمهم للتوحيد:

إن الملاحظ في تقسيم الصوفية للتوحيد: أنهم وافقوا أهل السنة والجماعة وكذا الأشاعرة والماتريدية في عدد الأقسام، ثم وافقوا أهل السنة في ذكر التوحيد الحق ضمن أقسام التوحيد، ولكنهم في النهاية خالفوهم ووافقوا الأشاعرة والماتريدية في إهمال التوحيد الحق، ثم تميزوا بالفناء في توحيد الربوبية والحلول من بعده.

وقبل بيان ما تضمنه تقسيمهم للتوحيد من الخطأ والباطل؛ أحب أن أنقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن قال من الصوفية: إنه لا تصح العبارة عن التوحيد، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله[(٢)]: إنه لا تصح العبارة عن التوحيد؛ كفر بإجماع المسلمين، فإن الله قد عبّر عن توحيده، ورسوله عبّر عن توحيده، والقرآن مملوء من ذكر التوحيد، بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد، وقد قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٧٠-٣٧٢).

(٢) أي: الشبلي، وقد سبق ذكر قوله ص (٤٧).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ولو لم يكن عنه عبارة لما نطق به أحد، وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد، كما قال النبي ﷺ: **(أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله)**[(١)]، وقال: **(من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة)**[(٢)]»[(٣)].

وبعد هذا أعود لبيان ما تضمنه تقسيم الصوفية من الخطأ والباطل:

١) أن هذا التقسيم -بما تضمنه من القسمين الثاني والثالث- «ليس له أي مستندٍ لا من الكتاب ولا من السنة، بل هو عين الشرك، إذ هو الحلول بعينه»[(٤)].

٢) أن هذا التقسيم جعل التوحيد الحق في أدنى منازل التوحيد، وجعله توحيد العامة، وذلك باطل من أوجه:

الأول: أن التوحيد الحق الذي مبناه على كلمة التوحيد وإثبات الكمال لله سبحانه هو: «الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بن عبدالله (كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، ٤/ ٢٤٧-٢٤٨، رقم: ٣٨٠٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٢٤٨) رقم (١١٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد رقم (٢٢٣٨٤، ٢٢٤٧٨)، وأبوداود (كتاب الجنائز، باب في التلقين، ٨/ ٢٦٧- مع عون المعبود-، رقم: ٣١١٤) من حديث معاذ بن جبل، وحسنه الألباني في الإرواء (٣/ ١٤٩-١٥٠) رقم (٦٨٧).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ١٢٣).

(٤) الشرك في القديم والحديث (١/ ٣٠).

والآخرين من الرسل، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]...، وقد أخبر الله تعالى عن كلٍّ من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم: اعبدوا الله مالكم من إله غيره، وهذا أول دعوة الرسل وآخرها...، والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به...، وهو أول الدين وآخره، وباطن الدين وظاهره»[(١)]، فكيف يجعل أدنى أقسام التوحيد؟!.

الثاني: أن «أكمل الناس توحيداً: الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيداً، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وأكملهم توحيداً الخليلان محمد وإبراهيم -صلوات الله وسلامه عليهما-»[(٢)]، «وكمال توحيدهما بتحقيق إفراد الألوهية، وهو أن لا يبقى في القلب شيء لغير الله أصلاً، بل يبقى العبد موالياً لربه في كل شيء، يحب ما أحب ويبغض ما أبغض، ويرضى بما رضي ويسخط بما سخط، ويأمر بما أمر وينهى عما نهى»[(٣)]، «فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه...، فهذا هو توحيد خاصة الخاصة الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٤٦-٣٤٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٥٠١) -ط: العلمية.

(٣) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٥٥).

أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣١]»[(١)].

الثالث: أن مقتضى هذا التقسيم «أن أصحاب التوحيد الثاني والثالث أعلى منزلة ومكانة من الأنبياء والمرسلين الذين لم يعرفوا هذا النوع من التوحيد ولم يفنوا في ذات الله كما تزعم الصوفية، ولا تكلموا حول هذا التقسيم، فالأنبياء والرسل قد قصروا عن إدراك هاتين الدرجتين في التوحيد كما تزعم الصوفية»[(٢)].

٣) أن غاية هذا التقسيم إما إلى الفناء في توحيد الربوبية، أو إلى الحلول الخاص:

فأما الفناء في توحيد الربوبية: فليس هو التوحيد الواجب الذي به يخرج الإنسان من الإشراك إلى التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد، فإن الرجل لو أقرّ بما يستحق الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كل ما يتنزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء؛ لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له»[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٠١-٥٠٢).

(٢) سبيل الهدى والرشاد ص (٤٩).

(٣) توضيح المقاصد (٢/ ٢٦١).

إضافة إلى أن من كان الفناء غاية توحيده «انسلخ من دين الله، ومن جميع رسله وكتبه، إذ لم يتميز عنده ما أمر الله به مما نهى عنه، ولم يفرق بين أولياء الله وأعدائه، ولا بين محبوبه ومبغوضه، ولا بين المعروف والمنكر، وسوّى بين المتقين والفجار، والطاعة والمعصية، بل ليس عنده في الحقيقة إلا طاعة؛ لاستواء الكل في الحقيقة التي هي المشيئة العامة الشاملة»[١].

وأما الحلول الخاص:

فهو في الأصل «قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: إن اللاهوت حلّ في الناسوت، ثم انتقل في عهد المأمون إلى الصف الإسلامي بواسطة الرافضة الذين قالوا: إن الله حلّ بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، والصوفية الذين يقولون بأن الله حلّ في الأولياء»[٢]، فإذا كانت غاية توحيد الصوفية هي الوصول إلى عقيدة نصرانية خبيثة؛ فلا شك أنه ضلال عظيم، إذ جعلوا قول النصارى -الذي هو من مذاهب أهل الكفر والضلال- هو التوحيد الذي هو أحب الأعمال إلى الله.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٧٩-١٨٠) -ط: العلمية.

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٤٦١-٤٦٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٧١-١٧٢، ٤٣٥)، مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٢٩). وانظر في عقيدة الصوفية في الحلول والاتحاد: تقديس الأشخاص (١/ ٤٦١-٤٨٢).

الفصل الثاني

الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد، والرد على شبه المنكرين لتقسيمهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد.

المبحث الثاني: شبه المنكرين لتقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة والرد عليهم

المبحث الأول:
الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد

المطلب الأول: دلالة أسماء الله تعالى على أقسام التوحيد

سبق أن بينت -عند ذكر العلاقة بين أقسام التوحيد- أن توحيد الأسماء والصفات شامل لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ذلك أن من أسماء الله: الرب-الخالق-الرازق-الملك وهذا هو توحيد الربوبية، ومن جملتها: الله-الغفور-الرحيم-التواب وهذا هو توحيد الألوهية. وبهذه العلاقة تظهر الدلالة العامة لأسماء الله تعالى على القسمين الآخرين من أقسام التوحيد.

وهناك دلالة خاصة لبعض أسمائه سبحانه على أقسام التوحيد الثلاثة:

دلالة اسمه تعالى (اللّه) على أنواع التوحيد الثلاثة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اسم (الله) دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث[1]، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص...، فعلم أن اسم (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله).

واسم (الله) دال على كونه مألوهاً معبوداً تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته

---

(١) يعني دلالة المطابقة والتضمن واللزوم.

ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد»[١].

وقريب من هذا: ما ذكره أهل العلم من اشتمال كلمة التوحيد على أقسام التوحيد الثلاثة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات»، ووجه الدلالة: أن كلمة التوحيد دلت على إثبات العبادة لله ونفيها عمن سواه، كما دلّت أيضاً على توحيد الربوبية، فإن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، ودلت على توحيد الأسماء والصفات، فإن مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء بل هو عدم محض[٢].

دلالة أسمائه تعالى (اللّه، الرب، الرحمن، الملك) على أقسام التوحيد الثلاثة:

فأسماؤه تعالى (الرب، الملك) دالان على توحيد الربوبية وتفرده سبحانه بالملك واسمه (الله) دال على توحيد الألوهية، واسمه (الرحمن) دال على إثبات صفة الرحمة لله سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته[٣].

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إلى هذه الأسماء الأربعة، ومدارها عليها[٤]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٢-٣٣).

(٢) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص(١٣)، وقول شيخ الإسلام منقول عنه، ولم أقف عليه في كتب شيخ الإسلام بعد البحث عن طريق البرامج العلمية المعاصرة. وانظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ٨٢)، سبيل الهدى والرشاد ص (٥٠-٥١).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٣-٤٤) -ط: العلمية.

(٤) انظر: المصدر السابق (١/ ٧).

ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله)، وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة أخص باسم (الرب)، وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف أخص باسم (الرحمن)...، وصفات العدل والقبض والبسط والخفض والرفع والعطاء والمنع والإعزاز والإذلال والقهر والحكم ونحوها أخص باسم (الملك)»[١].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣-٣٤)، وانظر: الفوائد ص (١٩).

المطلب الثاني: دلالة فاتحة الكتاب على أقسام التوحيد

دلت فاتحة الكتاب -التي هي أعظم سورة في القرآن- على أقسام التوحيد الثلاثة دلالة عظيمة، سواء كان ذلك عن طريق دلالتها على ذلك بجملتها، أو عن طريق ما احتوته في ثنايا آياتها.

دلالة سورة الفاتحة بجملتها على أقسام التوحيد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تضمنت -أي: سورة الفاتحة- تعريف الرب، والطريق الموصل إليه، والغاية بعد الوصول، وتضمنت الثناء والدعاء، وأشرف الغايات وهي العبودية، وأقرب الوسائل إليها وهي الاستعانة، مقدماً فيها الغاية على الوسيلة، والمعبود المستعان على الفعل؛ إيذاناً لاختصاصه، وأن ذلك لا يصلح إلا له سبحانه، وتضمنت ذكر الإلهية والربوبية والرحمة، فيُثنى عليه ويُعبد بإلهيته، ويخلق ويرزق ويميت ويحي ويدبر الملك ويضل من يستحق الإضلال ويغضب على من يستحق الغضب بربوبيته وحكمته، وينعم ويرحم ويجود ويعفو ويغفر ويهدي ويتوب برحمته. فلله كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد وحقائق الإيمان»[(١)].

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه السورة -على إيجازها- قد احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الربوبية: يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

توحيد الألوهية -وهو إفراد الله بالعبادة-: يؤخذ من لفظ (الله)، ومن

(١) شفاء العليل ص (٢٢٨).

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وتوحيد الأسماء والصفات -وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه وأثبتها لله رسوله، من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه-: وقد دل على ذلك لفظ (الحمد) -كما تقدم-»[١]. يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: «هو الثناء على الله بصفات الكمال وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه»[٢].

الدلائل في سورة الفاتحة على أقسام التوحيد الثلاثة:

١-دلالة (الحمد) على أقسام التوحيد الثلاثة:

من دلائل سورة الفاتحة على أقسام التوحيد: ما بدأ الله به السورة، وهو قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، «فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله [وهذا هو توحيد الأسماء والصفات]، مع محبته والرضا عنه والخضوع له [وهذا هو توحيد الألوهية، وهو متضمن لتوحيد الربوبية]، فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له»[٣].

٢-دلالة أسمائه تعالى (الله، الرب، الرحمن، الملك) على أنواع التوحيد:

وقد سبق بيان ذلك في المطلب الأول.

٣-دلالة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

دلت هذه الآية على أقسام التوحيد الثلاثة:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٤).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٥)، وانظر أيضاً (١/ ٤٥) -ط: العلمية.

أما دلالتها على توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية: فظاهر؛ فإن قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه إخلاص العبادة لله سبحانه -وذلك من معنى ألوهيته-، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيه إفراد الله لطلب الاستعانة على كل مطلوب - وذلك من معنى ربوبيته؛ لأنه سبحانه هو القادر على كل شيء، المالك المدبر-[١].

وأما دلالتها على الأسماء والصفات: فقال ابن القيم: «إن العبد يشهد من قوله: (إياك) الذات الجامعة لجميع صفات الكمال التي لها كل الأسماء الحسنى، ثم يشهد من قوله: (نعبد) جميع أنواع العبادة ظاهراً وباطناً، قصداً وقولاً وعملاً وحالاً واستقبالاً، ثم يشهد من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جميع أنواع الاستعانة والتوكل والتفويض. فيشهد منه جمع الربوبية، ويشهد من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ جمع الإلهية، ويشهد من (إياك) الذات الجامعة لكل الأسماء الحسنى والصفات العلى»[٢].

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٧)، الصلاة وحكم تاركها ص (٢٠٥).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٠).

المطلب الثالث: دلالة سورة الناس على أقسام التوحيد

وإذ بينت دلالة سورة الفاتحة -أول سورة في القرآن- على أقسام التوحيد فإنه يحسن هنا بيان دلالة سورة الناس -آخر سورة في القرآن- على ذلك.

فإن القارئ لهذه السورة يجد فيها أقسام التوحيد الثلاثة ظاهرة غاية الظهور لا تحتاج إلى تكلف:

فقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فيه إثبات الربوبية لله سبحانه.

وقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ فيه إثبات لصفة الملك المتضمنة لصفات عديدة من صفات الله -كما سبق بيانه-.

وقوله: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ فيه إثبات الألوهية لله سبحانه.

فاجتمعت أنواع التوحيد الثلاثة في ثلاث آيات متتابعات في سورة واحدة.

المطلب الرابع: دلالة سورتي الكافرون والإخلاص على أقسام التوحيد

اشتملت سورتا الكافرون و الإخلاص على أقسام التوحيد الثلاثة:

١-فسورة الكافرون اشتملت على التوحيد في القصد والإرادة والعمل (وهو توحيد الألوهية)، فإن في السورة إيجاب عبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من عبادة كل ما سواه[١].

بينما اشتملت سورة الإخلاص على التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي (وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات)[٢]، ودلالتها على توحيد الأسماء والصفات بالمطابقة، ودلالتها على توحيد الربوبية بالتضمن[٣]، وبيان ذلك: أن الله سبحانه ذكر في هذه السورة اسمين عظيمين من أسمائه سبحانه -وكل أسمائه عظيم- وهما: الأحد والصمد، وهذان الاسمان لم يذكرا في القرآن إلا في هذه السورة. وهما يتضمنان أنه سبحانه هو «الذي يقصده كل شيء لذاته ولما يطلب منه، وأنه مستغنٍ بنفسه عن كل شيء، وأنه بحيث لا يجوز عليه التفرق والفناء، وأنه لا نظير له في شيء من صفاته ونحو ذلك مما ينافي الصمدية، وهذا يوجب أن يكون حياً عالماً قديراً ملكاً قدوساً سلاماً مهيمناً عزيزاً جباراً متكبراً»[٤]. كما تضمنت هذه السورة «نفي الشريك بجميع أنواعه: فقد نفى عن

(١) انظر: التدمرية -مع التحفة المهدية- ص (٢٧)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٤٦٥)، اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٣).

(٢) انظر: المصادر السابقة نفسها.

(٣) الكواشف الجلية ص (٧٢).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٥٩)، وانظر أيضاً (٢/ ٣٠٩-٣١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٧٤-٥٧٥).

نفسه أنواع الكثرة بقوله ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ونفى عن نفسه أنواع الاحتياج بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، وعن نفسه المشابهة والمجانسة بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، ونفى عن نفسه الحدوث بقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، ونفى عن نفسه الأنداد والأشباه بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾»[(١)].

٢-واشتملت سورة الكافرون على التوحيد العملي نصاً (وهو توحيد الألوهية)، وهي دالة على العلمي لزوماً. واشتملت سورة الإخلاص على التوحيد العلمي نصاً (وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات)، وهي دالة على العملي لزوماً؛ فإن أحد التوحيدين لا يتم إلا بالآخر[(٢)].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن اسمه تعالى (الأحد) يوجب أن لا يشرك به في العبادة ولا في الاستغاثة والدعاء، وهذا يبين دلالة سورة الإخلاص على توحيد الألوهية[(٣)].

وقد سميت هاتان السورتان بسورتي الإخلاص[(٤)]؛ لما اشتملتا عليه من إخلاص جميع أنواع العبادة لله، وكان النبي ﷺ يقرأ بهما في سنة الفجر والمغرب والوتر، فيكون أول نهاره توحيداً، وخاتمته توحيداً، وخاتمة عمله بالليل توحيداً[(٥)].

---

(١) الكواشف الجلية ص (٧٣). وانظر: شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص (٣٣-٣٤).

(٢) انظر: التحفة المهدية ص (٢٨).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٥٩)، وانظر أيضاً: (٢/ ٣٠٩-٣١٠).

(٤) انظر: التدمرية -مع التحفة المهدية- ص (٢٧)، اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٤٣).

(٥) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٤٣)، التحفة المهدية ص (٢٨).

المطلب الخامس: دلالة بعض آيات القرآن منفردة على أقسام التوحيد

في كتاب الله الكريم آيات دلت كل آية منها بانفرادها على أقسام التوحيد الثلاثة، فتكون الآية مشتملة على الأقسام الثلاثة اشتمالاً كاملاً دون نظر إلى دلالات التلازم والتضمن والشمول، وفيما يلي ذكر لآيتين دلتا على ذلك:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

هذه الآية هي آية الكرسي، وهي أعظم آية في كتاب الله، لما روى مسلم عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟) قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟) قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: (والله ليهنِك العلم يا أبا المنذر)[(١)].

وقد اشتملت هذه الآية على أقسام التوحيد الثلاثة، وإليك بيان ذلك:

توحيد الربوبية والأسماء والصفات:

دلت هذه الآية على **توحيد** الربوبية والأسماء والصفات:

ففي قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾:

الحي: «ذو الحياة الكاملة المتضمنة لجميع صفات الكمال، لم تسبق بعدم،

(١) صحيح مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ١/ ٥٥٦، رقم: ٨١٠).

ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه...

والقيوم: أي: أنه القائم بنفسه، فقيامه بنفسه يستلزم استغناءه عن كل شيء...، ومن معنى (القيوم) كذلك: أنه قائم على غيره...فهو إذاً كامل الصفات وكامل الملك والأفعال»[١].

واسمه تعالى (الحي) يقتضي كمال عزته وقدرته وسعة علمه و شمول حكمته وعموم رحمته وغير ذلك من صفات الكمال الذاتية، واسمه (القيوم) يتضمن جميع الصفات الفعلية[٢].

ثم ذكر سبحانه أنه لا يأخذه النعاس ولا النوم؛ لأنهما «إنما يعرضان للمخلوق الذي يعتريه الضعف والعجز والانحلال، ولا يعرضان لذي العظمة والكبرياء والجلال»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

فيه إثبات الملك الكامل لله سبحانه، وهو من خصائص ربوبيته، «فهو مالك جميع ما في السماوات والأرض، فكلهم عبيدٌ لله مماليك، لا يخرج أحد منهم عن هذا الطور...، فهو المالك لجميع الممالك، وهو الذي له صفات الملك والتصرف والسلطان والكبرياء»[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣١٣)، الكواشف الجلية ص (٧٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣١٤).

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

فيه إثبات صفة العلم، فالله سبحانه يعلم الماضي والمستقبل، ويعلم ما كان من فعله سبحانه وما كان من أفعال خلقه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

فاسمه تعالى (العلي): «دال على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه: فله علو الذات، فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى (أي: علا وارتفع). وله علو القدر، وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته...، وله علوّ القهر، فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم»[(١)].

واسمه تعالى (العظيم): أي: «الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جلت عن الصفة فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم»[(٢)].

توحيد الألوهية:

ويظهر توحيد الألوهية في هذه الآية من مواضع، ففي قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، «فأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره وعبادة غيره باطلة»[(٣)].

الآية الثانية[(٤)]: قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ

(١) شرح أسماء الله الحسنى ص (٧٩).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣١٥).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣١٣).
(٤) التي دلّت على أقسام التوحيد الثلاثة.

﴿لِعِبَٰدَتِهِۦٓ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتملت [أي: الآية] على أصول عظيمة: على توحيد الربوبية، وأنه تعالى رب كل شيء وخالقه ورازقه ومدبره.

وعلى توحيد الألوهية والعبادة، وأنه تعالى الإله المعبود.

وعلى أن ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده؛ ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ الدالة على السبب، أي: فكما أنه رب كل شيء فليكن هو المعبود حقاً فاعبده...

واشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات، عظيم النعوت، جليل القدر، وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سميّ، بل قدر تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات»[(١)].

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية ص (٦٠).

المطلب السادس: دلالة دعاء القيام من الليل على أقسام التوحيد

اشتملت سنة النبي ﷺ على أحاديث كثيرة تدل على أقسام التوحيد الثلاثة، إلا أنني -من باب الاختصار- أكتفي هنا بذكر حديث واحد اشتمل على الأقسام الثلاثة، وهو الحديث الوارد في دعاء القيام من الليل.

فقد روى الشيخان -واللفظ للبخاري- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك»[(١)].

وفي رواية لهما[(٢)]: زيادة: «أنت رب السماوات والأرض» بدل «لك ملك السماوات والأرض».

---

(١) البخاري (كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾، ٣/ ٣ -مع الفتح-، رقم: ١١٢٠)، مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١/ ٥٣٢-٥٣٤، رقم: ٧٦٩).

(٢) البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ﴾، ١٣/ ٣٧١، رقم: ٧٣٨٥) و (باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾، ١٣/ ٤٢٣، رقم: ٧٤٤٢)، و (باب قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾، ١٣/ ٤٦٥، رقم: ٧٤٩٩). مسلم: الموضع السابق.

ومن دلالات هذا الحديث على أقسام التوحيد الثلاثة:

توحيد الربوبية:

أما توحيد الربوبية فيشير إليه من هذا الحديث: قوله: «أنت رب السماوات والأرض»، وقوله: «أنت ملك السماوات والأرض»، وقوله: «أنت قيم السماوات والأرض».

فهذه الجمل الثلاث اشتملت على الربوبية والملك والتدبير[١].

توحيد الأسماء والصفات:

وأما توحيد الأسماء والصفات فيدل عليه من هذا الحديث: قوله: «لك الحمد». فـ «الحمد: هو الثناء بالقول على المحمود بصفات اللازمة والمتعدية. و «أل» فيه للاستغراق والاستقصاء، أي: جميع الحمد واجب ومستحق لله تعالى، فهو المحمود على صفاته وأسمائه، وعلى نعمه وأياديه، وعلى خلقه وأفعاله، وعلى أمره وحكمه، وهو المحمود أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً»[٢].

وقوله: «أنت نور السماوات والأرض» فالنور: جاء في النصوص تسمية الرب به، وبأن له نوراً مضافاً إليه إضافة صفة إلى موصوفها كالحياة والسمع والبصر، وبإضافة نوره تعالى إلى السماوات والأرض -كالحديث الذي معنا-، وبأن حجابه النور[٣].

---

(١) وقد سبق ص (٢١) تعريف العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتوحيد الربوبية بأنه: إفراد الله بأفعاله من الخلق والملك والتدبير.

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ١٦٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ١٧٣-١٧٤).

وقوله: «وقولك الحق». فيه إثبات الكلام صفةً لله سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته.

وقوله: «أنت المقدم وأنت المؤخر». فيه إثبات اسمين لله سبحانه، فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته. وهذا التقديم يكون كونياً وشرعياً، فالكوني: كتقديم بعض المخلوقات على بعض، والشرعي: كتفضيل الأنبياء على الخلق[١].

توحيد الألوهية:

وأما توحيد الألوهية فيدل عليه من الحديث:

ما جاء فيه من ذكر عبادات يتضمنها توحيد الألوهية كالتوكل والإنابة والتحاكم إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقوله: «لا إله إلا أنت ولا إله غيرك».

---

(١) انظر: شرح أسماء الله الحسنى ص (١٩٢-١٩٤).

المطلب السابع: دلالة استقراء نصوص الكتاب والسنة على أقسام التوحيد

من الأدلة الدالة على صحة تقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة:

استقراء نصوص الكتاب والسنة، فقد استقرأ العلماء نصوص الكتاب والسنة وتتبعوها، فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، ودلالة الاستقراء من الدلائل المعتمدة عند أهل كل فن.

وممن ذكر هذه الدلالة:

١-العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته... الثاني: توحيده جلّ وعلا في عبادته... النوع الثالث: توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته»[(١)].

٢-العلامة محمد بن صالح العثيمين، حيث قال: «وعَلِموا [أي: العلماء الذين قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام] ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث، فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة: فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع»[(٢)].

٣-العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد، حيث قال: «هذا التقسيم الاستقرائي[(٣)] لدى متقدمي علماء السلف...استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطّرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم

---

(١) أضواء البيان (٣/ ١٧-١٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٧-١٨).

(٣) يقصد: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام.

وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»[١].

ولعله يحسن هنا أن أختم هذا المبحث بما قاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دلالة القرآن على التوحيد وأنواعه، حيث قال -بعد أن ذكر أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في القصد والطلب- «وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد. بل نقول قولاً كلّياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه: فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمرٌ ونهي، وإلزام بطاعته ونهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[٢].

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص (٣٠).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩-٤٥٠).

المبحث الثاني:
شبه المنكرين لتقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة والرد عليهم

المطلب الأول: شبهة أن تقسيم التوحيد لم يَرِدْ في الكتاب والسنة

من الشبه التي يتمسك بها من أنكر على أهل السنة والجماعة تقسيمهم للتوحيد إلى ثلاثة أقسام: ما ذكره بعض الكتاب المعاصرين من أن هذا التقسيم لم ينص عليه كتاب ولا سنة، أي: فهو تقسيم محدَث مبتدع. فقال أحدهم في ذلك: «ولم يذكر الله تعالى في كتابه، ولا النبي ﷺ في سنته: أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد ربوبية، وتوحيد ألوهية، وتوحيد أسماء وصفات»[(١)]. وقال آخر: «هذا التقسيم ابتداءً على هذا النحو لم يردْ به فيما نعلم آية محكمة أو سنة متبعة»[(٢)].

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال: إن أدلة الكتاب والسنة على صحة هذا التقسيم أكثر من أن تحصر، وقد تنوعت دلالاتها على الأقسام الثلاثة تنوعاً يقرِّر لطالب الحق صحته، ولا يدع شبهة إلا دحضها وأزالها:

-فإن مجرد التأمل في أول سورة في القرآن (الفاتحة) وآخر سورة منه (الناس) يدل على صحة هذا التقسيم.

-فضلاً عن أن في القرآن والسنة سوراً وآيات وأحاديث، تضمنت كل سورة أو آية أو حديث منها تلك الأقسام الثلاثة، ودلت عليها دلالة كاملة.

---

(١) التنديد بمن عدّد التوحيد ص (٧-٨).

(٢) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ص (١٤٥).

-أضف إلى ذلك: تلك الآيات الكثيرة التي تدل على نوع من أنواع التوحيد[١]، فإذا جمعت مع بعضها البعض أفادت هذا التقسيم وقررته.

-ناهيك عن دلالة استقراء نصوص الكتاب والسنة، والذي قام به أئمة أجلاء، وعلماء فضلاء، فكانت نتيجة استقرائهم: أن التوحيد الذي أمر الله به هو هذه الأقسام الثلاثة.

فكيف يصح أن يقال -بعد وجود هذه الأدلة الكثيرة بدلالاتها المتنوعة- إن تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة لم يرد في الكتاب والسنة؟!

(١) انظر بعض هذه الآيات في القول السديد ص (١٨-٢٠) و (٢٣-٢٩).

المطلب الثاني: شبهة أن تقسيم التوحيد لم يعرفه السلف

لما كان من أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يحتجون بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة؛ حاول بعض أهل الأهواء إبطال تقسيم التوحيد عن طريق ذلك الأصل، فنفوا أن يكون ذلك التقسيم معروفاً لدى السلف، وادعوا أنه بدعة ابتدعها شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن الثامن الهجري.

قال حسن بن علي السقاف: «لم ينطق بهذا التقسيم أحد من الصحابة، بل ولا أحد من التابعين، بل ولا أحد من السلف الصالح -رضي الله عن الجميع-، بل إن هذا التقسيم بدعة خلفية مذمومة حدثت في القرن الثامن الهجري، أي: بعد زمن النبي ﷺ بنحو ثمانمائة سنة، ولم يقل بهذا التقسيم أحد من قبل»[(١)].

وقال أيضاً: «ابن تيمية الذي اخترع تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية..»[(٢)]

والجواب عن هذه الشبهة:

١-أن السلف الصالح قد جاء في كلامهم ذكر هذه الأقسام الثلاثة، ومن ذلك: قول أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء»[(٣)].

«فقوله: «يدعى من أعلى لا من أسفل..» فيه إثبات العلو لله، وهو من

---

(١) التنديد بمن عدد التوحيد ص (٧).

(٢) المصدر السابق ص (١١).

(٣) الفقه الأبسط ص (٦٠٨-٦٠٩).

توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: «من وصف الربوبية» فيه إثبات توحيد الربوبية.

وقوله: «والألوهية» فيه إثبات توحيد الألوهية»[١].

كما جاء ذكر الأقسام الثلاثة في كلام أبي يوسف أيضاً، حيث قال: «يُعرَف الله بآياته وبخلقه، ويوصف بصفاته ويسمّى بأسمائه كما وصف في كتابه وبما أدّى إلى الخلقِ رسولُه...، إن الله ﷻ خلقك وجعل فيك آلات وجوارح عجز بعض جوارحك عن بعض، وهو ينقلك من حال إلى حال؛ لتعرف أن لك رباً...، ثم وصف نفسه فقال: أنا الرب وأنا الرحمن وأنا الله وأنا القادر وأنا المالك، فهو يوصف بأسمائه ويسمى بأسمائه...، فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس...»[٢].

٢-أن تقسيم التوحيد لم يكن ابن تيمية أول قائل به، بل قد ورد عن العلماء قبله بالتصريح تارة، وبالإشارة تارة أخرى؛ مما يدل على أن هذه الأقسام الثلاثة كانت معروفة لديهم. ومن ذلك:

قول الطحاوي (ت: ٣٢١) في مقدمة متنه في العقيدة المشهور بالطحاوية: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره.»[٣].

«فقوله: «إن الله واحد لا شريك له» شامل لأقسام التوحيد الثلاثة، فهو

---

(١) القول السديد ص(٤٧).

(٢) التوحيد لابن مندة (٣/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) العقيدة الطحاوية ص (٣١-٣٢).

سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته.

وقوله: «ولا شيء مثله» هذا من توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: «ولا شيء يعجزه» هذا من توحيد الربوبية.

وقوله: «ولا إله غيره» هذا من توحيد الألوهية»[(١)].

قول عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري (ت: ٣٨٧هـ)[(٢)]: «وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه»[(٣)].

فالأقسام الثلاثة في كلامه واضحة جلية.

وذكر الإمام محمد بن إسحاق بن مندة (ت: ٣٩٥هـ) في كتابه «التوحيد

---

(١) القول السديد ص (٤٧).

(٢) عبيد الله بن محمد بن محمد العكبري الحنبلي، أبو عبدالله، ابن بطة، الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث، ولد سنة (٣٠٤هـ)، كان أمّاراً بالمعروف مستجاب الدعوة، توفي سنة (٣٨٧هـ). انظر: السير (١٦/ ٥٢٩-٥٣٣).

(٣) الإبانة (٦٩٣-٦٩٤) من النسخة الخطية، نقلاً عن القول السديد ص (٣٥).

ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد» أقسام التوحيد الثلاثة، واستعرض كثيراً من أدلتها في الكتاب والسنة بشرح وبسطٍ لا مزيد عليه، فعقد أبواباً متعلقة بتوحيد الربوبية، وأخرى متعلقة بتوحيد الألوهية، وأخرى متعلقة بتوحيد الأسماء والصفات[١].

فهذه النصوص عن علماء من القرن الثاني والقرن الرابع «تدل دلالة واضحة على أن هذا التقسيم كان معروفاً قبل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن تبعوه من بعده، وفي هذا أبلغ ردّ على من زعموا هذا الزعم السخيف، واعتبروا ذلك تقسيماً محدثاً ليس له سلف»[٢].

(١) انظر: القول السديد ص (٣٧-٤٠).

(٢) سبيل الهدى والرشاد ص (٦٢).

المطلب الثالث: شبهة أن تقسيم التوحيد أمر اصطلاحي لا حقيقة شرعية

من الشبه التي أريد بها هدم تقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: زعم بعض الكتاب أن ذلك التقسيم لا ينبني على حقيقة شرعية دل عليها الكتاب والسنة، وإنما هو أمر اصطلاحي، أي: فهو اجتهاد شخصي من العلماء، حاله حال أي مصطلح آخر، لا يراد به إلا تقريب الفهم، دون أن يكون له تأثير في الولاء والبراء.

قال صلاح الصاوي: «فإن هذا التقسيم اصطلاحي، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم...، وعلى هذا فلا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات»[(١)].

والرد على هذه الشبهة:

١-إن تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة حقيقة شرعية مأخوذة بالتتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا التقسيم لا يعدّ اجتهاداً شخصياً عارياً عن الاستدلال، ولا مجرد تقسيم أريد به تقريب القضية وتنظيم دراستها، بل هو عقيدة يجب الإيمان بها، وحقيقة شرعية يتعين قبولها.

وتأمل ما نقلته سابقاً عن الطحاوي وابن بطة لترى كيف جعلا هذه

---

(١) الثوابت والمتغيرات ص (٥٤).

الأقسام الثلاثة من أمور الاعتقاد التي يجب اعتقادها والإيمان بها، فمضمونها هو أعظم ما يقوم عليه الولاء والبراء[١].

٢-أن أقسام التوحيد الثلاثة كل واحد منها متميز عن الآخر من حيث المعنى والمفهوم، وحدود كل نوع منها في غاية الوضوح والجلاء، وقد بيّن العلماء تلك الأقسام وعرّفوها ومثلوا لها بأفرادها وذكروا لها قواعد وضوابط تندرج تحتها، فلا يشتبه أحد الأقسام بغيره، ولا يختلط نوع منها بنوع آخر. وإذا كان الكاتب لا يميز بين كل توحيد وآخر؛ فما هو التوحيد الذي يدين الله به؟.

(١) وانظر: سبيل الهدى والرشاد ص (٦٤).

المطلب الرابع: شبهة أن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية نفسه

من الشبه التي عورض بها تقسيم أهل السنة والجماعة: شبهة موروثة عن أهل الكلام، وهي: أن توحيد الربوبية هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو أعلى درجات التوحيد، فمن حققه فقد حقق التوحيد، وأما توحيد الألوهية فهو توحيد الربوبية نفسه، فلا يعدّ العبد كافراً إلا إذا أشرك في الربوبية[١].

وهذه الشبهة يمكن تقسيمها إلى شقين:

الأول: ادعاؤهم أن توحيد الربوبية هو أعلى درجات التوحيد، وأن من حققه فقد حقق التوحيد.

وهذا الشق قد سبق الجواب عنه مفصلاً، فليرجع إليه[٢].

الثاني: ادعاؤهم أن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية نفسه، وأن الشرك لا يكون إلا في الربوبية.

والجواب عنه من أوجه:

١-أن مدلول توحيد الألوهية غير مدلول توحيد الربوبية، ويقرر ذلك: الفرق بين اسمه تعالى (الله) واسمه (الرب) باعتبار دلالتهما على المعاني والأوصاف، فإن «كتب اللغة مطبقة على أن الرب بمعنى المالك الذي له الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وأما الإله فهو المعبود، من التأله، وهو التعبد.

فالرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها. والإله هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً.

---

(١) انظر بعض أقوال المبتدعة في هذا المعنى: القول السديد ص(٧٩، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤)، منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٧٧).

(٢) انظر: ص (٣٢-٣٣).

والرب إذا ذكر وحده دخل فيه الإله، والإله إذا أفرد دخل فيه الرب، وإذا اجتمعا افترقا فصار لكل منهما معنى خاص، وإذا افترقا اجتمعا»[(١)].

٢-أن «الشرك كما يكون في الربوبية يكون في الألوهية، بل هو الغالب على أهل الإشراك من الشرك في الربوبية، وقد أخبر الله تعالى عن المشركين في آيات كثيرة من كتابه أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ولم يكن إشراكهم في الربوبية، وإنما كان في الألوهية، حيث عبدوا أصنامهم مع الله تعالى بحجة أنها تقربهم إلى الله زلفى، ومن أعظم الآيات الدالة على أن إشراكهم كان في الألوهية: قول الله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] قال عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تسألهم: من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره»[(٢)].

٣- «أن التفريق بين الشرك في الربوبية والألوهية، وجعل الشرك في الأول دون الثاني تفريقٌ بين المتماثلين في الحكم المستنكر في العقول والفطر السليمة؛ لأن كلا النوعين منهيّ عنهما ومتوعّد عليهما...

٤-أخبر الله تعالى عن المشركين أن إشراكهم إنما كان في الألوهية دون الربوبية، فإهمال بيان الشرك في الألوهية، واستبداله بالشرك في الربوبية؛ أمرٌ مخالف لخبر الله وشرعه...، فكيف يترك خبر الله وبيانه، ويفسر الشرك بالاستحسان العقلي، والهوى النفسي!»[(٣)].

---

(١) القول السديد ص (٩٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٣-٢٨٤)، منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٥٧٤-٥٨٠).

(٢) منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٦٣٣-٦٣٤).

(٣) منهج السلف والمتكلمين (٢/ ٦٣٨-٦٢٩).

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث توصلت -ولله الحمد- إلى عدد من النتائج المهمة، أذكر أهمها فيما يلي:

١- أن تقسيم التوحيد أمر مسلَّم ومتقرر عند أهل السنة والجماعة، دل عليه: وجوده في كلامهم وكتبهم، تارة بالإشارة وتارة بالتصريح.

٢-أنه قد تعددت طرق أهل السنة والجماعة في ذكر أقسام التوحيد: فمنهم من قسمه إلى قسمين، ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام، ومنهم من زاد قسماً رابعاً مراعياً جانب الرسالة في تقسيم التوحيد.

٣-أن من قسّم التوحيد إلى قسمين تنوعت عباراتهم في التعبير عن كل قسم منها، وحاصلها يرجع إلى جانبين: العلم والعمل. وأما من قسمه إلى ثلاثة أقسام فعبروا عنه بتعبير واحد: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

٤-أنه مع اختلاف أقسام التوحيد فيما بينها من حيث المعنى والمدلول لكل قسم؛ إلا أن بينها ارتباطاً وثيقاً يجعلها متلازمة بحيث لا ينفك أحد منها عن الآخر.

٥-أنه يجب الإيمان بجميع أقسام التوحيد، ولا يغني الإيمان بأحدها مع ترك غيره، أو الإيمان ببعضها مع وجود الشرك في غيره.

٦- أنه لا خلاف بين من جعل التوحيد قسمين ومن قسمه إلى ثلاثة أقسام من حيث المضمون؛ لأن من قسمه إلى قسمين أجمل، ومن قسمه إلى ثلاثةٍ فصَّل.

٧-أن من أهل البدع من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام -أيضاً-، إلا أنهم خالفوا أهل السنة والجماعة في مضمون الأقسام الثلاثة: إما مخالفة كلية أو جزئية.

٨-أنه قد دلت نصوص الكتاب والسنة على صحة تقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، وقد تنوعت دلالاتها على ذلك.

٩-أن لأهل البدع شُبَهاً يثيرونها للطعن في صحة التقسيم للتوحيد عند أهل السنة والجماعة، ويلبسونها لباس الدفاع عن الكتاب والسنة وفهم السلف، ولكنها -ولله الحمد- شبهٌ باطلة زائفة أمكن الردُّ عليها.

١٠-أن من اتبع الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة كان في خير وعافية وطمأنينة؛ يدين بدين الحق، ويسير على بصيرة، ويحي على بينة. وأما من خالف الكتاب والسنة، ولم يعتدّ بفهم السلف؛ فهو في حيرة واضطراب، وزيغ وضلال، يعتقد أنه على شيء، وهو على شفا جرف هار.

١١-أنه لا اجتماع لهذه الأمة ولا قوة ولا عزة إلا بالرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح، وخاصة فيما يتعلق بالتوحيد وأمور الاعتقاد.

هذا آخر ما تيسر جمعه حول هذا الموضوع، وأسأل الله أن أكون قد وُفِّقت فيه، كما أسأله سبحانه المزيد من كرمه وتوفيقه وعونه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية- محمد بن أبي بكر ابن القيم -دار الكتب العلمية، بيروت- ط: ١- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل- محمد ناصر الدين الألباني -بإشراف: محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي، بيروت دمشق- ط: ٢-١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣) الاستقامة- شيخ الإسلام ابن تيمية -تحقيق: د. محمد رشاد سالم- مؤسسة قرطبة- ط. د-ت. د.

٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي- دار الفكر، بيروت- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥) الاعتصام- إبراهيم بن موسى الشاطبي -ضبطه وصححه: أحمد عبدالشافي- دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢-١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦) الأعلام - خير الدين الزركلي- دار العلم للملايين، بيروت - الطبعة: الحادية عشـرة- ١٩٩٥م.

٧) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة- حافظ بن أحمد الحكمي -خرج أحاديثه وعلق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي- مكتبة السوادي جدة- ط: ٢-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨) إغاثة اللهفان- محمد بن أبي بكر ابن القيم -تحقيق: محمد حامد الفقي -دار المعرفة، بيروت -ط: ٢-١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية- تحقيق وتعليق: د.ناصر بن عبدالكريم العقل- مكتبة الرشد، الرياض؛ شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض- الطبعة: الخامسة- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به- أبي بكر الباقلاني- تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد الكوثري- المكتبة الأزهرية للتراث، مصر- الطبعة: الثانية- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١١) البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء - مكتبة المعارف، بيروت.

١٢) بغية المرتاد - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: د. موسى سليمان الدويش - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ.

١٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية- شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية- تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم - مطبعة الحكومة، مكة المكرمة - الطبعة: الأولى - ١٣٩٢هـ.

١٤) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير(ضمن مجموعة الردود)- عبدالله بن بكر أبو زيد- دار العاصمة، الرياض- الطبعة: الأولى- ١٤١٤هـ.

١٥) تحفة المريد على جوهرة التوحيد- إبراهيم بن محمد الباجوري- ن: د- ط: د- ت: د.

١٦) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية- فالح بن مهدي آل مهدي - تصحيح وتعليق: عبدالرحمن المحمود- مكتبة الحرمين، الرياض- ط: ٢-١٤٠٥هـ.

١٧) التدمرية = التحفة المهدية- شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٨) تفسير القرآن العظيم- إسماعيل بن عمر بن كثير -مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- ط. د-١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٩) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة- محمد أحمد لوح -دار الهجرة، الرياض- ط: ١- ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٠) التمهيد في أصول الدين- أبو المعين النسفي- تحقيق: د. عبدالحي قابيل- دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة- ١٤٠٧هـ.

٢١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية- عبدالعزيز الناصر الرشيد- دار الرشيد، الرياض- الطبعة: الثانية- ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٢) التنديد بمن عدّد التوحيد- حسن بن علي السقاف- دار الإمام النووي، عمان- الطبعة: الثانية- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢٣) التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد- محمد ابن إسحاق بن مندة- تحقيق: د. علي بن ناصر فقيهي- مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- الطبعة: الأولى - ١٤٠٩هـ.

٢٤) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم - أحمد بن إبراهيم بن عيسى - تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي، بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٦هـ.

٢٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد- سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب -المكتب الإسلامي، بيروت- ط: ٧-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبدالرحمن بن ناصر السعدي -تحقيق: محمد زهري النجار- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض- ط. د-١٤١٠هـ.

٢٧) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر- أ.د. صلاح الصاوي- أكاديمية الشريعة، أمريكا- الطبعة: الأولى- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٨) جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم.

٢٩) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر- عبدالرزاق البيطار- حققه ونسقه وعلق عليه: محمد بهجت البيطار- دار صادر، بيروت- الطبعة: الثانية- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٠) درء تعارض العقل والنقل- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: محمد رشاد سالم - دار الكنوز الأدبية، الرياض - ١٣٩١هـ.

٣١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- تحقيق مراقبة: محمد عبدالمعيد ضان- مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند- ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٣٢) الرسالة القشيرية- عبدالكريم بن هوزان القشيري أبو القاسم- تحقيق: د. عبدالحليم محمود؛ محمود بن الشريف- دار الكتب الحديثة.

٣٣) رسالة في علم التوحيد (ضمن مجموع المتون)- إبراهيم بن محمد الباجوري- ط: د- ت: د.

٣٤) الروح- محمد بن أبي بكر ابن القيم -دار الكتب العلمية، بيروت- ط. د-١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٣٥) سبيل الهدى والرشاد في بيان حقيقة توحيد رب العباد- د. محمد بن عبدالرحمن الخميس -مكتبة الصحابة، الشارقة؛ مكتبة التابعين، القاهرة- ط.د-ت.د.

٣٦) سنن ابن ماجه -مع شرح السندي وتعليقات مصباح الزجاجة- محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق: خليل مأمون شيحا -دار المعرفة، بيروت- ط: ٢-١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٧) سنن أبي داود -مع عون المعبود- سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الكتب العلمية، بيروت- ط: ١-١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٨) سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق: عدد من المحققين - مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: العاشرة- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٩) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة- سعيد بن علي بن وهف القحطاني -ن.د- ط: ١-١٤٠٩هـ.

٤٠) شرح العقيدة الواسطية- محمد خليل هراس -راجعه: عبدالرزاق عفيفي- مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. ط. د-ت.د.

٤١) شرح العقيدة الواسطية- محمد صالح العثيمين -تخريج: سعد بن فواز الصميل- دار ابن الجوزي، الدمام؛ الأحساء، جدة؛ الرياض- ط: ٤-١٤١٧هـ.

٤٢) شرح الكوكب المنير- محمد بن أحمد ابن النجار -تحقيق: د.محمد الزحيلي؛ د. نزيه حماد-مكتبة العبيكان، الرياض- ط. د-١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٣) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (العقيدة الطحاوية)- محمد بن

محمد بن محمود البابرتي- تحقيق: د. عارف آيتكن؛ مراجعة: د. عبدالستار أبو غدة- الطبعة: الأولى- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- عبدالله بن محمد الغنيمان -مكتبة لينة، دمنهور- ط: ٢-١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٥) شرح نواقض التوحيد- حسن بن علي العواجي-مكتبة لينة، دمنهور- ط: ١-١٩٩٣م/ ١٤١٣هـ.

٤٦) الشرك في القديم والحديث- أبو بكر محمد زكريا- دار الرشد، الرياض- الطبعة: الأولى- ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.

٤٧) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - محمد ابن أبي بكر أيوب ابن القيم الزرعي - تحقيق: محمد بدر الدين - دار الفكر، بيروت - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤٨) صحيح البخاري -مع فتح الباري لابن حجر- محمد بن إسماعيل البخاري -ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، إخراج: محب الدين الخطيب -دار المعرفة، بيروت- ط. د-ت. د.

٤٩) صحيح الجامع الصغير وزيادته- محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت؛ دمشق- ط: ٢-١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٠) صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج النيسابوري -تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط: ٢-١٩٧٢م.

٥١) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر- محمد بن أبي بكر ابن القيم -تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي- دار ابن حزم،

بيروت -ط: ١-١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥٢) طبقات الصوفية- محمد بن الحسين بن محمد أبو عبدالرحمن السلمي-مكتبة الخانجي، القاهرة- الطبعة: الثالثة- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٥٣) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي -مكتبة دار التراث، القاهرة- ط. د-ت. د.

٥٤) العقيدة الطحاوية -مع شرح الألباني- أحمد بن محمد الطحاوي - المكتب الإسلامي، بيروت؛ دمشق؛ عمان- ط: ٢-١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥٥) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام - د. غالب العواجي - دار لينة، دمنهور - الطبعة: الرابعة - ١٤٢٠هـ.

٥٦) الفقه الأبسط (ضمن: العقيدة وعلم الكلام من أعمال محمد زاهد الكوثري- دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥٧) الفوائد- محمد بن أبي بكر ابن القيم -دار الكتب العلمية، بيروت- ط: ٢-١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٥٨) القاموس المحيط- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي -تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط: ٤-١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥٩) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد- عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد البدر -دار ابن عفان، الخبر- ط: ١-١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٠) القول المفيد على كتاب التوحيد- محمد بن صالح العثيمين -اعتنى

به: د. سليمان أبا الخيل؛ د. خالد المشيقح- دار العاصمة الرياض- ط: ١- ١٤١٥هـ.

٦١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية- عبدالعزيز المحمد السلمان - مطبعة السعادة- ط: ٢-١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٦٢) لسان العرب- محمد بن مكرم ابن منظور -دار صادر، بيروت- ط. د-ت. د.

٦٣) الماتريدية دراسة وتقويماً- أحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي -دار العاصمة، الرياض- ط: ١-١٤١٣هـ.

٦٤) الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات- الشمس السلفي الأفغاني- الطبعة: الثانية- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦٥) المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم- أحمد سردار محمد شيخ- الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- الطبعة: الأولى- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٦٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية- جمع وترتيب: عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم -دار عالم الكتب، الرياض- ط. د-١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٦٧) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (فتاوى العقيدة)- جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان-دار الثريا، الرياض- ط: ٢-١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦٨) مجموعة الرسائل والمسائل- شيخ الإسلام ابن تيمية -دار الكتب العلمية، بيروت- ط: ١-١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٩) مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)[1]- محمد بن أبي بكر ابن القيم -دار الكتب العلمية، بيروت- ط: ٢-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧٠) مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)- محمد بن أبي بكر بن القيم -تحقيق: محمد حامد الفقي- دار الكتاب العربي، بيروت- ط: ٢-١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٧١) المسامرة بشرح المسايرة للكمال ابن الهمام- الكمال بن أبي شريف- المطبعة الكبرى الأميرية، مصر- الطبعة: الأولى- ١٣١٧هـ.

٧٢) المسند- الإمام أحمد بن حنبل -بيت الأفكار الدولية، الرياض- ط. د-١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧٣) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية- إدريس محمود إدريس -مكتبة الرشد، الرياض؛ شركة الرياض، الرياض- ط: ١-١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول- حافظ بن أحمد الحكمي -ضبط وتعليق وتخريج: عمر بن محمود أبو عمر- دار ابن القيم، الدمام- ط: ١-١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧٥) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات- د. محمد ابن خليفة التميمي- دار إيلاف، الكويت- ط: ١-١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧٦) معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس بن زكريا -تحقيق: عبدالسلام

(١) الإحالة إلى هذه الطبعة تكون مقيدة بعبارة: «ط: العلمية»، وأما الطبعة الثانية: فتكون الإحالة إليها بغير تقييد.

هارون- دار الجيل، بيروت- ط: ١-١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٧٧) معنى (لا إله إلا الله) ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع- د.صالح بن فوزان الفوزان -الجامعة الإسلامية، مركز شئون الدعوة- ط: ١-١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٧٨) الملل والنحل- محمد بن عبدالكريم الشهرستاني -تحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل- مؤسسة الحلبي، القاهرة- ط. د-ت.د.

٧٩) منازل السائرين- عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر- الطبعة: الثانية- ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٨٠) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية- شيخ الإسلام ابن تيمية -تحقيق: د. محمد رشاد سالم- إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- ط. د-١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٨١) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة- جابر إدريس علي أمير -أضواء السلف، الرياض- ط: ١-١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٨٢) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى- خالد بن عبداللطيف بن محمد نور -مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية- ط: ١-١٤١٦هـ/ ١٩٩م.

٨٣) الموافقات في أصول الفقه - إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي - تحقيق: عبد الله دراز - دار المعرفة، بيروت.

٨٤) المواهب الربانية من الآيات القرآنية- عبدالرحمن ابن سعدي-

اعتنى بها: أبو عبدالرحمن سمير الماضي- رمادي للنشر، الدمام- الطبعة: الثانية- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٨٥) النهاية في غريب الحديث والأثر- المبارك محمد بن الجزري ابن الأثير -تحقيق: محمود محمد الطناحي- دار الفكر، بيروت- ط. د-ت. د.

٨٦) وسطية أهل السنة بين الفرق- د. محمد با كريم محمد با عبدالله- دار الراية، الرياض - الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع ..... الصفحة
ملخص البحث ١١١
المقدمة ١١٥
أهمية الموضوع وأسباب الكتابة فيه:.....١١٦
خطة البحث: ١١٧
منهج البحث:.....١٢٠
تمهيد: التعريف بأهل السنة والجماعة لغة واصطلاحاً ١٢١
المطلب الأول: المدلول اللغوي لأهل السنة والجماعة ١٢١
المطلب الثاني: المدلول الاصطلاحي لأهل السنة والجماعة ١٢٤
الفصل الأول: أقسام التوحيد ١٣٠
المبحث الأول: أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة.....١٣١
المطلب الأول: منهج أهل السنة والجماعة في تقسيم التوحيد ١٣١
المطلب الثاني: تقسيمات أهل السنة والجماعة للتوحيد متفقة في المضمون.....١٣٩
المطلب الثالث: تلازم أقسام التوحيد وترابطها.....١٤١
المبحث الثاني: أقسام التوحيد عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.....١٤٤
المطلب الأول: أقسام التوحيد عند الأشاعرة و الماتريدية والرد عليهم ١٤٤
أقسام التوحيد عند الأشاعرة والماتريدية: ١٤٤
الرد على الأشاعرة والماتريدية في تقسيمهم للتوحيد: ١٤٨
المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند الصوفية والرد عليهم.....١٥٦
أقسام التوحيد عند الصوفية: ١٥٧
الرد على الصوفية في تقسيمهم للتوحيد: ١٦١

الفصل الثاني: الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد، والرد على شبه المنكرين لتقسيمهم.....١٦٨
المبحث الأول: الأدلة على صحة تقسيم أهل السنة والجماعة للتوحيد ١٦٩
المطلب الأول: دلالة أسماء الله تعالى على أقسام التوحيد ١٦٩
دلالة اسمه تعالى (الله) على أنواع التوحيد الثلاثة:.....١٦٩
دلالة أسمائه تعالى (الله، الرب، الرحمن، الملك) على أقسام التوحيد الثلاثة: ...١٧٠
المطلب الثاني: دلالة فاتحة الكتاب على أقسام التوحيد ١٧٢
دلالة سورة الفاتحة بجملتها على أقسام التوحيد:.....١٧٢
المطلب الثالث: دلالة سورة الناس على أقسام التوحيد ١٧٥
المطلب الرابع: دلالة سورتي الكافرون والإخلاص على أقسام التوحيد ١٧٦
المطلب الخامس: دلالة بعض آيات القرآن منفردة على أقسام التوحيد.....١٧٨
المطلب السادس: دلالة دعاء القيام من الليل على أقسام التوحيد.....١٨٢
المطلب السابع: دلالة استقراء نصوص الكتاب والسنة على أقسام التوحيد...١٨٥
المبحث الثاني: شبه المنكرين لتقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة والرد عليهم.....١٨٧
المطلب الأول: شبهة أن تقسيم التوحيد لم يَرِدْ في الكتاب والسنة ١٨٧
المطلب الثاني: شبهة أن تقسيم التوحيد لم يعرفه السلف.....١٨٩
المطلب الثالث: شبهة أن تقسيم التوحيد أمر اصطلاحي لا حقيقة شرعية....١٩٣
المطلب الرابع: شبهة أن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية نفسه.....١٩٥
الخاتمة.....١٩٧
فهرس المصادر والمراجع.....١٩٩
فهرس الموضوعات ٢١٠

المحبة بين العبودية والفطرية

د. علي حسين يحيى موسى

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الملك خالد

ملخص البحث

يتناول هذا البحث المحبة بين العبودية والفطرية، وكما هو معلوم فإن المحبة هي أصل الإيمان وشرط لصحة العبادة، وهي عبادة قلبية عظيمة، وقد قسمته إلى مبحثين:

الأول: محبة العبودية: وهي محبة الله تعالى وتعظيمه والخشوع له، ومحبة الرسول ﷺ لشخصه الكريم وذاته الشريفة. ومن لوازم محبة ﷺ طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانقياد له والرضا والتسليم لحكمه وأمره. و محبة ما يحبه الله تعالى؛ كحب الطاعات والأعمال الصالحة والحب في الله ولله تعالى، وأنه يجتمع في الشخص الواحد سبب الولاية وسبب العداوة، فيحب من وجه ويبغض من وجه والحكم لما يغلب عليه.

الثاني: الحديث عن المحبة الفطرية الطبيعية: وهي ميل الإنسان لما يلائم طبعه، ولها ثلاثة أحكام:

فإن أحبها متوصلاً بها إلى محبة الله أثيب عليها. وإن أحبها موافقة لطبعه ولم يؤثرها على محبة الله كانت من قسم المباحات، وإن قدّمها على ما يحبّه الله تعالى ويرضاه كان ظالماً لنفسه، أما حُبُّ الكافر وموالاته لكفره، فهذا كفر مخرج من الملة.

أما إذا أحبّ الكافر للدنيا مطلقاً خوفاً وطمعاً فهذا نوع من مودّتهم وموالاتهم فحكمه حرام وإثم عظيم، وإذا كان حُبُّ الكافر ومودّته لأجل قرابة أو في مقابلة نعمة أو زواج ولم يكن من المحاربين ففي هذا رخصة، وهو من باب مقابلة الإحسان بالإحسان ومن باب حسن الخلق والمروءة.

ثم ختم البحث بأهم النتائج.

Abstract

of the treatise entitled:

Love between Worship and Natural attachment

This treatise deals with the conception of love between worship and natural attachment. As it is known, the Love is a basis of Faith (Imaan) and a prerequisite for the correct worship. It is a great hearty worship. The treatise is divided into two chapters:

The first chapter: is about Love as worship: it is a love of Allah, the exalted, His glorification, and submission to Him. And love of the Prophet (peace be upon him) for his honorable personality and his noble being. And loving him (peace be upon him) requires to obey him in what he has commanded, and To believe in everything he has informed us, to submit to him, and to be pleased with and completely satisfied with his judgment and order.

And love of what Allah loves, like the compliances, good deeds, loving in Allah and for sake of Him.

And that the reason of love and hate may get together in one person, so he may be beloved by its reason and may be hated by its too, and the verdict will be applied on him according to the majority of reasons of love or hate.

The second chapter: talks about natural love and attachment, and that is a man's inclination towards what suites to his nature. And it holds three verdicts:

If he intends to attain love of Allah by this love, he will be awarded for this kind of love.

If he loves by his nature's suitability and does not prefer it on the love of Allah, it will be of permissible (Mubahat).

If he prefers his natural love on what Allah loves and be pleased with, he will commit outrage upon himself.

But loving the disbeliever (Kafir) and adoring him for his disbelief (Kufr), it is an unbelief, gets out of the Religion.

As for loving the disbeliever (Kafir) for absolute worldly purposes, like scares and desires, it is a kind of friendliness and amiability with the disbelievers. It is illegal as verdict and a big

sin.

If the loving of the disbeliever (Kafir) is for due to a blood relationship, or as requital for kindness, or due to marriage, and he is not in battling against Islam, it is allowable. It is as repaying kindness for same, and a form of good behavior and magnanimity.

Then, the treatise concluded with main outcomes.

المقدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين ﷺ، الذي أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وترك الأمة على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فالمحبة واضحة المعالم والحدود والدلالة، لا توصف بوصف أظهر وأبرز من المحبة وهي عبادة عظيمة، وأصل الإيمان والأعمال الصالحة، وبالمحبة تَحْيا القلوب والأرواح وتبلغ الدرجات العالية في الجنة.

وكما هو معلوم فإنّ مذهب أهل السنة في المحبة هو أنها تتجزأ وتتبعّض، فقد يجتمع في الشخص الواحد سبب الولاية وسبب العداوة، فيحب من وجه ويبغض من وجه، والحكم لما يغلب عليه.

ويهدف هذا البحث إلى التفريق بين محبة العبودية والمحبة الفطرية، فمحبة العبودية: هي محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ومحبة ما يحبه الله تعالى من الطاعات والأعمال الصالحة والحب في الله ولله. أما المحبة الفطرية: فهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه؛ كحُبِّ الطعام والشراب والقرابة، وحُبِّ من أسدى إليك معروفاً أو قدّم لك نفعاً خاصاً أو قدّم نفعاً عاماً للإسلام والمسلمين، وتظهر أهمية الموضوع في بيان أحكام محبة العبودية والمحبة الفطرية وهي الإجابة على هذه التساؤلات:

هل حُبُّ المسلم لقرابته من غير المسلمين يُعَدُّ مخالفة شرعية؟

وهل المسلم إذا أعان كافراً على المسلمين خوفاً وطمعاً يُعَدُّ خارجاً من الملة؟

وما أحكام المحبة الفطرية؟ ومتى يُثاب المسلم على المحبة الفطرية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات تظهر أهمية البحث والإضافة الجديدة.

وللإجابة على التساؤلات السابقة قُسِّم البحث «المحبة بن العبودية والفطرية» إلى مُقدِّمة ومبحثين وخاتمة:

۞ **المُقدِّمة**: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث.

۞ **المبحث الأول**: محبة العبودية.ويشتمل على ثلاثة مطالب:

۞ **المطلب الأول**: محبة الله تعالى ولوازمها.

۞ **المطلب الثاني**: محبة الرسول ﷺ ولوازمها.

۞ **المطلب الثالث**: محبة ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

۞ **المبحث الثاني**: المحبة الفطرية

۞ **الخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: محبة العبودية.

المطلب الأول: محبة الله تعالى ولوازمها

محبة الله تعالى: هي أصل الإيمان، وشرطه الرئيس، وبها تتحقق العبودية والتعظيم والإجلال لله ﷻ، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي، وهي سر التأله وتوحيدها: شهادة أن لا إله إلا الله(١).

فمحبة العبد لربه هي محبة إجلال وتعظيم وإنابة وذل وخضوع وخوف ورجاء وتوكل وخشية، وأن تكون هذه المحبة فوق كل محبّة تقدّر، ولا نسبة لسائر المحابِّ إليها، فالمحبون لربهم يتنافسون في القرب إليه ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى ويخافون عذابه ويرجون رحمته كما قال ﷻ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء، ٥٧].

قال السعدي عند تفسير هذه الآية: «وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقرّبين عنده هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تَمّت له تَمّت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحّلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور.

وعلامة المحبة ما ذكره الله: أن يجتهد العبد في كل ما يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب»(٢).

---

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص ٥١٤ بتصرف.

(٢) تفسير السعدي ص ٤٦٠

فالتنافس الحقيقي هو في محبة الله تعالى، لأن بها حياة القلوب وبلوغ الدرجات العالية في الجنة قال ابن القيم «ومن المعلوم قطعاً أنك لا تنافس إلا في قرب من تحب قربه، وحب قربه تبعٌ لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه، إذ فيها حياة القلوب، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس وقرة العيون، وأعلى نعيم الدنيا والآخرة»(١).

أما من جعل محبة الله تعالى كمحبة غيره فهذا هو الذي اتخذ من دون الله أنداداً قال تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فمن أحب مع الله شيئاً كما يحب الله تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فأكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم لا في الخلق والرب، وجاء في تقدير الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾ قولان:

أحدهما: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا ﴾ من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها، ويعظمونها من دون الله تعالى .

والثاني: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا ﴾ من محبة المشركين بالأنداد لله، فإنَّ محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها .

والمحبة الخالصة أشد من المشتركة، والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ فإن فيها قولين:

أحدهما: يحبونهم كحب الله، فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٦

يشركون فيها مع الله أندادا .

والثاني: أن المعنى يحبون الله كما يحب المؤمنون الله، ثم بين أن محبة الله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم .

ومعنى الآية: أن المشركين يحبون أندادهم من جنس محبة المؤمنين لله، وهي محبة ممتزجة بِذُلٍّ وتعظيم وتقديس يحملهم على عبادتهم بالدعاء وغيره من أنواع العبادة، وعلى طاعتهم فيما يشرعون لهم من الدين الخرافي»[(١)].

فالمؤمنون أشد حباً لربهم من محبة هؤلاء المشركين لأندادهم، ثم إن اتخاذ الأنداد من أعظم الذنوب كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت ثم أيّ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال: أن تزاني حليلة جارك»[(٢)].

وخلاصة القول أنّ حقيقة العبودية لا تحصل مع الإشراك بالله في المحبة .

فإذا أحبَّ العبد المؤمن ربّه فإن الله تعالى يحبه، فصفة محبة الله تعالى لعباده ثابتة في الكتاب والسنة، وهي من الصفات الفعلية كما هو مذهب السلف الصالح، فإنهم يثبتون المحبة لله تعالى خلافاً للمتكلمين ومن سار على نهجهم من المبتدعة الذين نفوا صفة المحبة عن الله تعالى،وقد دلّت نصوص الكتاب والسنة على محبة الله تعالى،ومن تلك الأدلة قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٤-٥١٥ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٦/ ٢٢ح (٤٤٧٧). ومسلم باب كون الشرك أقبح الذنوب ١/ ٦٣ح (٢٦٧).

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[المائدة٥٤].

فالله يحب عباده الصالحين، ومحبة الله تعالى للعبد المؤمن نعمة عظيمة، وفضل عظيم وليس بعده فضل، ومحبة الله للعبد هي «أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة تفضل الله بها عليه، وإذا أحبَّ الله عبداً يسَّر له الأسباب، وهوَّن عليه كل عسير، ووفَّقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد» .(١)

وأخبر الله تعالى أنه يحبُّ التوابين والمتطهرين فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة٢٢٢]،وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[الصف: ٤] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٤].

وأخبر الرسول ﷺ عن محبة الله تعالى لعباده في أحاديث كثيرة منها:

ما جاء في حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ في فتح خيبر قال: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجوه فقال أين علي؟. قيل: يشتكي عينه. فبصق في عينه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه..».(٢).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما فترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه

(١) تفسير السعدي ص ٢٣٥

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٤/ ٧٣ح (٣٠٠٩) ومسند الإمام أحمد ٥/ ٣٣٣ح (٢٢٨٧٢).

الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه»[(١)].

ومن لوازم محبة العبد لربه أن يتصف ويلتزم بمتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً في أقواله وأعماله وجميع أحواله كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله أحواله»[(٢)].

كما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٣)].فمن تابع الرسول ﷺ وسلك طريقه وأخذ بسنته ﷺ أحبَّه الله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

أي: «يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبته إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٨/ ٣١ح (٦٥٠١) والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٤٦ ح(٦١٨٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي محمد سلامه جـ٢ ص ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ٣/ ٢٤١ ح (٢٦٩٧) ومسلم باب نقض الأحكام الباطلة ٥/ ١٣٢ح (٤٥٨٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي محمد سلامه جـ٢ ص ٣٢.

قال ابن القيم: ومعنى ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ «إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها: محبة المرسل إليكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية»(١).

فمحبة العبد ربه: أن يتبع أمره ويجتنب نهيه، وأن تكون طاعته لربه ابتغاء مرضاته، وأن يبتعد عما يوجب سخطه وعقابه، ومن لوازم محبة العبد لربه أن يحافظ العبد على الفرائض ويكثر من النوافل، كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولن سألني لأعطينَّه، ولأن استعاذني لأعيذنه»(٢)، وأخبر الرسول ﷺ الصحابي الذي كان يقرأ (سورة الإخلاص) أن الله تعالى يحبّه بسبب قراءته لهذه السورة، كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كان أمير سرية يقرأ «قل هو الله أحد» لأصحابه في كل صلاة، وقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أُحِبُّ أن أقرأ بها، فقال النبي: «أخبروه أن الله يحبه»(٣).

ومن لوازم محبة الله تعالى معرفته والإكثار من ذكره تعالى، فإنّ المحبة بدون معرفة الله ناقصة، ومن أحب الله أكثَرَ من ذكره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب٤١] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٥.

(٢) سبق تخريجه.ص٧

(٣) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٩/ ١٤١ (٧٣٧٥) ومسلم باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٢/ ٢٠٠ ح (١٩٢٦).

وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا ﴾ [الأحزاب٣٥]، فذِكْر الله تعالى أكبر من كل شيء، وهو أفضل العبادات وأسهلها وأعظمها قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(١) .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي الدر داء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: وماذاك يا رسول الله!قال: ذكر الله»(٢)، فالمداومة على ذكر الله تعالى باللسان والقلب دليل على المحبة.

قال ابن القيم: «دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر»(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ويحذركم نفسه﴾ ٦/ ٢٦٩٤ح (٦٩٦٩). ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب الحث على ذكر الله ٢/ ١٧٩ ح (١٨٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر ٥/ ٤٥٩ ح (٣٣٧٧) وابن ماجه كتاب الأدب باب فضل الذكر ٢/ ١٢٤٥ ح (٣٧٩٠).

(٣) تهذيب مدارج السالكين ص ٥١٣.

المطلب الثاني: محبة الرسول ﷺ ولوازمها

أما محبة الرسول ﷺ فهي تصديق بنبوته وإيمان برسالته وطاعة أمره واجتناب نهيه وزجره،وهي أصل من أصول الدين وشرط لإيمان المؤمن، وفرض على كل مسلم، وهي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ قال الله تعالى﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

«فأقسم سبحانه بأجل مقسم به وهو نفسه ﷻ على أنه لا يثبت لهم الإيمان، ولا يكونوا من أهله حتى يحكِّموا رسول الله ﷺ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين، ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه، حيث لا يجدون في أنفسهم حرجاً وهو الضيق والحصر من حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشراح ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض ويشربونه على قذى، فإن هذا منافٍ للإيمان بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضا وانشراح صدر، ومتى أراد العبد أن يعلم هذا فلينظر في حاله ويطالع قلبه عن ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها، بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره»(١).

ومن لوازم محبة الرسول ﷺ الانقياد له ولحكمه والتسليم والرضا به والخضوع له، وأن يعتقد المسلم بأنه لا سعادة له إلا بتسليمه وانقياده ويكون ذلك في قرارة قلبه، ويعلم علماً يقينياً بأن الرسول ﷺ أولى به من نفسه وأبرَّ

(١) انظر الرسالة التبوكية «زاد المهاجر إلى ربه» ص ٢٥.بتصرف

به منه قال﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ [الأحزاب: ٦]. «وهذا دليل على أنه من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب له من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، وأحب إليه منها فبذلك يحصل اسم الإيمان»[(١)].

وجاء الحث في الأحاديث الصحيحة على محبة الرسول ﷺ لذاته وشخصه الكريم وأنها شرط لازم لإيمان المؤمن، كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[(٢)].وقد نقل الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث ما ذكره الخطابي بأن المقصود بالمحبة الاختيارية لا محبة الطبع

فقال: قال الخطابي: «لم يرد به حبّ الطبع بل أراد به حب الاختيار؛ لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه. قال فمعنى: لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعة نفسك، وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك»[(٣)].

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٩ بتصرف

(٢) أخرجه مسلم باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من ١/ ٤٩ ح (١٧٨) وأخرجه النسائي في السنن بأحكام الألباني ٨/ ١١٤ح (٥٠١٣).

(٣)انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٢٤.

ونقل أيضا قول القاضي عياض بأن محبة الرسول شرط لتحقيق الإيمان فقال: قال القاضي عياض: «ومن محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه. قال وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنـزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضِّل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن»(١).

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: «كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال عمر: لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر: فإنك الآن أحب إليّ من نفسي، فقال: النبي ﷺ الآن يا عمر»(٢).

«فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية للرسول ﷺ فقط،فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعاً؛ ولأن من علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خير بين فَقْدِ غرض من أغراضه أو فَقْدِ رؤية النبي ﷺ أن لوكانت ممكنة، فإن فَقْدَها أن لوكانت ممكنة أشد عليه من فَقْدِ شيء من أغراضه، فَقَد اتصف بالأحبية المذكورة ومن لا، فلا، وليس ذلك محصوراً في الوجود والفَقْدِ، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته، وقمع مخالفيه ويدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) انظر المصدر السابق ١/ ١٢٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٨/ ١٦١ح (٦٦٣٢). ومسند الإمام أحمد ٥/ ٢٩٣ح (٢٢٥٥٦).

وفي هذا الحديث: إيماء إلى أنّ فضيلة التفكّر في الأحبية المذكورة تعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها، أما نفسه فهو يريد دوام بقائها سالمة من الآفات وهذا هو حقيقة المطلوب، أما غيرها فإذا حقّق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالاً ومآلاً، فإذا تأمّل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان؛ إما بالمباشرة وإما بالسبب، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أو من غيره لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره»[(١)].

وفي صحيح البخاري أيضا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمنٍ إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾»[(٢)]، قال ابن جزي عند تفسير هذه الآية: «يقتضي أن يحبوه ﷺ أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم»[(٣)].

وقال أبو السعود: «أي في كل من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الإطلاق فيجب أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم

---

(١) انظر فتح الباري ١/ ٥٩-٦٠بتصرف

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٦/ ١٤٥ح (٤٧٨١). والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢٣٨ح (١٢١٤٨).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ج١/ ص ١٥٢٤.

من شفقتهم عليها»[١].

وبَيَّن الشيخ السعدي عند تفسيره هذه الآية: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أن من حقوق النبي ﷺ عدم معارضة مراده، وأن يقدموا محبته على أنفسهم وجميع الخلق، فقال: «فلذلك وجب عليهم إذا تعارض مراد الرسول أن يقدموا مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد كائناً من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول ولا ينتقدوا بين يديه»[٢].

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه، وأن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها[٣].

أما من قدّم حكم غيره على حكم الرسول ﷺ وقدّم دلالات العقل على ما جاء به الرسول ﷺ فإنّ هذا من الإعراض عنه وعما جاء به، ولم تحصل الأولوية الواردة في الآية الكريمة ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ قال الإمام ابن القيم: «فيا عجباً كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصب التحكيم، ورضي بحكم غيره واطمأن إليه أعظم من اطمئنانه إلى الرسول ﷺ، وزعم أن الهدى لا يتلقى من مشكاته وإنما

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ج٢ / ص ٣٢٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص ٦٥٩.
(٣) انظر: التبوكية ص ٢٩.

يتلقى من دلالة العقول، وأن الذي جاء به لا يفيد اليقين إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه وعما جاء به»[١].

وخلاصة القول: أنّ محبة الرسول ﷺتتضمن محبته لذاته وشخصه الكريم، بأن يكون الرسول ﷺأحب إلى المسلم من ولده ووالده والناس أجمعين، وهي شرط للإيمان.

ومن لوازم محبته ﷺطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر،واجتناب ما نهى عنه وزجر والرضا و لانقياد لأمره والتسليم لحكمه.

(١) المصدر السابق ص ٢٩-٣٠

المطلب الثالث: محبة ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

تقدم أن محبة الله تعالى ورسوله ﷺ هي أصل الإيمان، وأصل كل عمل يتقرب به إلى الله تعالى، وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، وكل إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة أو شبهة تمنع كمال التصديق، فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له، فإنْ قويت أو عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفراً أو شركاً أكبر، وإن لم تعارضه قدحت في كماله، وأثّرت فيه ضعفاً وفتوراً في العزيمة والطلب(١).

ومحبة الله تعالى وحده وتعظيمه وإجلاله والخضوع له لا تكفي في النجاة من النار وعذاب الله تعالى، ولا تكفي في الفوز بالجنة وثواب الله تعالى، فإن المشركين وعبّاد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله تعالى، ولهذا فلا بد من محبة ما يحبه الله تعالى، وهذه المحبة هي التي تدخل العبد في الإسلام، كمحبة الرسل والأنبياء والمؤمنين وهي من محبة الله تعالى، قال ابن أبي العز: «فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله لامع الله»(٢).فالذين آمنوا بالله ورسوله ودخلوا في الإسلام يحبون في الله ولله، لأن «المحب يحب ما يحبه محبوبه، ويبغض ما يبغضه ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه ويغضب لغضبه،

(٢) انظر: الجواب الكافي ص ١٩٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤٧.

ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله تعالى، والله لا يحب الخائنين ولا يحب المفسدين، ولا يحب المتكبرين ونحن لا نحبهم أيضاً موافقة له سبحانه وتعالى».[١]

أما المشركون والكفار ومن لم يدخل في الإسلام فنبغضهم ونكرههم موافقة لله سبحانه وتعالى، لأن المحبة التامة مستلزمه لموافقة المحبوب في محبوبه، ومكروهه، وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلابد أن يبغض أعداءه، ولابد أن يحب ما يحبه من جهادهم[٢]

كما قال الله **تعالى**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[الصف: ٤].

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الحب والبغض تقوم على ثلاث قواعد رئيسة:

الأولى: من يحبونه جملةً وهم المؤمنون بالله ورسوله والذين آمنوا بأركان الإيمان وأركان الإسلام والذين اتبعوا أوامر الله تعالى ورسوله، وانتهوا عما نهى الله عنه ورسوله.

الثاني: من يبغضون جملةً وهم من كفروا بالله ورسوله، ولم يشهدوا له بالوحدانية ولم يعبدونه حق عبادته بل أشركوا معه آلهة أخرى، فهؤلاء يبغضهم الله ﷻ ويبغضهم المؤمنون مواقفه له سبحانه وتعالى .

الثالث: وهو من يجتمع فيه حب وبغض وهو المسلم الذي عمل عملاً

---

(١) المصدر السابق ص ٥٤٧.

(٢) انظر المصدر السابق ص٥٤٧.

صالحاً وآخر سيئاً، فيُحَب على قدر ما معه من الخير والطاعة، ويُبغَض ما فيه من الشر والمعصية، لأن المسلم الذي هذا حاله يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، قال ابن أبي العز: «والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإنَّ العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، والحكم للغالب، وكذلك حكم العبد عند الله، فإنَّ الله قد يحبُّ الشيء مِن وجه ويكرهه من وجه آخر»[(١)]، كما في الحديث القدسي، قال الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه..»[(٢)].

أما محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال والأقوال والمحبة في الله ولله، فقد جاءت نصوص كثيرة في الحث على فضلها وما للمحبين في الله ولله من الأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن ذلك حديث أبي أمامه الباهلي أنه ﷺ قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل إيمانه»[(٣)].

وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق ص ٥٤٧.

(٢) سبق تخريجه.ص٧

(٣) أخرجه أبو داوود ٢/ ٦٣٢. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٦٥٧ وصحيح الجامع برقم (٥٩٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب حلاوة الإيمان ١/ ١٠ح (١٦) ومسلم باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/ ٤٨ح (١٧٤).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...».وذكر منهم «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»(١). وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ فقال: أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا. غير أني أحببته في الله عَزَّ وَجَلَّ قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»(٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً، فأحبه قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلان فأبغضه فقال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض»(٤).

---

(٥) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة.. ١/ ١٦٨ح (٦٦٠).

(٦) أخرجه مسلم باب فضل الحب في الله ٨/ ١٢ح (٦٧١٤) والإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٠٨ ح (٩٢٨٠).

(٧)أخرجه مسلم في باب بيان أنه لا يدخل الجنة.. ١/ ٥٣ ح (٢٠٤) وأبي داود في سننه ٤/ ٥١٦ح (٥١٩٥)، والترمذي في سننه ٥/ ٥٢ ح (٢٦٨٨).

(٤) أخرجه مسلم في باب إذا أحب الله عبداً.. ٨/ ٤٠ ح (٦٨٧٣). والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٦٧) ح (٧٦١٤).

وحديث البراء بن عازب قال: كنت جالساً عند النبيﷺ فقال: أتدرون أي عرى الإسلام أوثق؟.... ثم قال لهم: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[(١)].

وحديث ابن مسعود جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ «المرء مع من أحب[(٢)]».

وحديث أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال: «أنت مع من أحببت»[(٣)]. فدلت الأحاديث على فضل المحبة في الله ولله، وأن المُحِب مع من أحب في المنزلة والدرجة لأنه أحبهم لأجل طاعتهم لربهم فأثابه الله ثواب الصالحين، ولما كانت المحبة عملا قلبيا يثاب المؤمن عليه كان ذلك بمثابة العمل الذي له نية وقصد فجعلهم الله معهم، كما أكد ذلك ابن بطال في شرحه للحديث فقال:

«قول هذا أن من أحب عبداً في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته، ومدخله مدخله وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله «لم يلحق بهم»: يعني في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى ـ والله أعلم ـ أنه لما كان المحب للصالحين،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ح (٣١٠٦٠)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي ١/ ٤٠٣ ح (٣٩٣). وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٩٤م (٣٠٣٠)

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٨/ ٤٩ح (٦١٦٩)، ومسلم باب المرء مع من أحب ٨/ ٤٣ ح(٦٨٨٨).

(٣)أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٥/ ١٤ح (٣٦٨٨) ومسلم باب المرء مع من أحب ٨/ ٤٢ح (٦٨٧٨).

وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله، وكانت المحبة عملاً من أعمال القلوب واعتقاداً لها، أثاب الله معتقد ذاك ثواب الصالحين إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء»[١].

(١) شرح صحيح البخاري ٩/ ٣٣٣. لابن بطال.

المبحث الثاني: مفهوم المحبة الفطرية

مفهوم المحبة الفطرية: وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام ومحبة النوم، وكمحبة الوالدين والزوجة والولد والمسكن والمال، وكمحبة من أسدى إليك معروفاً أو قدم إليك إحساناً سواءً كان مسلماً أو كافراً ونحو ذلك.

وهذه المحبة مذكورة في كتاب الله ﷻ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم: ٢١].

وقد يكون الزوج مسلماً والزوجة يهودية أو نصرانية فيحصل بينهما من المودة والرحمة ما يبقي على الحياة الزوجية السعادة والاستقرار والهدوء، وهذا لا يحصل إلا بالمحبة بينهما؛ وهي محبة طبيعية فطرية، قال الزحيلي: «جعل الله تعالى من العلامات الدالة على قدرته ورحمته وهيمنته خلق النساء من جنس الرجال، وإيجاد وشائج وصلات وثيقة بين الرجل والمرأة قائمة على المودة والمحبة والرحمة ليتعاون الجنسان على تحمل أعباء الحياة الزوجية، وترابط أفراد الأسرة.

إن في ذلك الخلق والإيجاد وتكوين جسور المودة والألفة بين الأزواج للسكن والاستقرار والهدوء في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ويتأملون هذا»[(١)].

ولا يلزم من المحبة الطبيعية الفطرية للزوجة الكتابية، والوالدين المشركين، والقرابة من الإخوة وغيرهم المحبة الدينية، فإنه يجب بغضهما في الله لما يحملونه من الكفر، والواجب على المسلم بغض جميع الكفار والمشركين

(١) التفسير الوسيط للزحيلي ٣/ ٢٩٩.

وذلك لأنهم يحادّون الله تعالى ورسولهﷺ، وهذا لا ينافي محبة القرابة بمقتضى المحبة الفطرية الطبيعية، فإن الإنسان مجبول على حُبِّ والديه وقريبه كما كان النبيﷺ يُحِبُّ عمَّه أبا طالب لقرابته منه وقد بيَّن القرآن الكريم تلك المحبة فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص: ٥٦].

وقد أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في عمه أبي طالب لما طلب منه الإيمان بالله تعالى عند موته[١]، قال له رسول الله ﷺ: «قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»، قال: «لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينيك»[٢]. فأنزل الله **تعالى** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنّ لك مالم أنه عنك» فأنزل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[التوبة: ١١٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سبب نزول هذه الآية هو ما ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول اللهﷺ، وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم في صفه ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً. فلما حضرته الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة التامة[٣].

---

(١) أنظر تفسير الطبري ١٩/ ٥٩٨، وتفسير القرطبي ١٣ / ٢٩٩

(٢) أخرجه مسلم باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله ١/ ٤١ح (١٤٤) من حديث أبي هريرة والترمذي في سننه ٥/ ٣٤١ ح (٣١٨٨).

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٤٦.

وكما هو معلوم عند أهل السنة أن الحب والبغض يتجزآن ويتبعَّضان، فقد يحب الشيء من وجه ويبغض من وجه آخر؛ مثل الجهاد والولاء والمسلم الفاسق ونحو ذلك «وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله ﷻ وحده الذي لا تصلح الألوهية إلا له فلو كان في السموات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا»(١).

وبناء على هذا فالمحبة منها محبة العبودية؛ كمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ومحبة ما يحب الله تعالى، والمحبة في الله ولله، ومحبة ما يوصل إلى محبة الله من الطاعات ونحوها. ومنها المحبة الطبيعية العادية الفطرية؛ كمحبة الوالدين غير المسلمين ومحبة الزوجة الكتابية ومحبة القرابة من إخوة وأولاد غير مسلمين، وهذه المحبة من المباحات التي لا يعاقب الإنسان عليها إلا إذا قدمها على ما يحبه الله تعالى ويرضاه، بحيث تصبح هي المقصودة، ففي هذه الحالة يكون ظالماً لنفسه قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

والمحبة الفطرية الطبيعية لها ثلاثة أحكام: فإن أحبها لله توصلاً بها إليه واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه ويلتذ بالتمتع بها، وهذا حال أكمل الخلق الذي حُبِّب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لها عوناً له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره، وإن أحبَّها لموافقة طبعه وهواه وإرادته ولم يؤثرها على ما يحبه الله

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ١٣٥.

ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب عليها على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه، وإن كانت هي مقصودَه ومرادَه وسعيَه في تحصيلها والظفر بها وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالماً لنفسه متبعاً لهواه[١].

فهذه المحبة أعني ـ الطبيعية الفطرية ـ قد تكون معينة على محبة الله تعالى؛ كمحبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرع الله سبحانه له من النكاح وملك اليمين من إعفاف الرجل نفسه وأهله، فلا تطمح نفسه إلى ما سواها من الحرام، ويعفها فلا تطمح نفسها إلى غيره، وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف ١٨٩].

وفي السنن من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل يا رسول الله من أحب الناس إليك فقال: عائشة: ولهذا كان مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ يقول إذا حدث عنها: «حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات»[٢].

وفي الحديث الآخر عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «حُبِّب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٣].

---

(١) انظر الروح لأبن القيم ص ٢٥٤

(٢) أخرجه الترمذي في السنن باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٥/ ٧٠٧ ح (٣٨٩٠) وصححه الألباني والحاكم في المستدرك ٤/ ١٣ (٦٧٤١) ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ ح (٣٩٣٩) وقال الألباني: حسن صحيح. والإمام أحمد في المسند ٣/ ١٢٨ ح (١٢٣١٥).

«فلا عيب على الرجل في محبته لأهله وعشقه لها إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة الله ورسوله وزاحم حبه وحب رسوله، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها وتنقصها فهي مذمومة، وإن أعانت على محبة الله ورسوله، وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يحب الشراب البارد الحلو، ويحب الْحَلْوَاء والعسل ويحب الخيل، وكان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب الدباء، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله بل قد تجمع الهمّ والقلب على التفرغ لمحبة الله، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه؛ فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قُربة، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرّد لم يُثَب ولم يعاقب،وإن فاته درجة من فعله متقرباً به إلى الله[(١)].

ويجب التحذير من اتباع الهوى في الحب والبغض، لأن اتباع الهوى يكون فيهما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة: ٨].

والهوى المنهي عنه اتباعه كما يكون هوى الشخص في نفسه، فقد يكون أيضاً هوى غيره فيه فهو منهي عن اتباع هذا وهذا لمضادة كل منها لهدى الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه»[(٢)].

(١) انظر إغاثة اللهفان ٢/ ١٣٩-١٤٠.

(٢) انظر المصدر السابق ٢/ ١٣٩.

فإن محبة الكافر لدينه موادة لأعداء الله تعالى، وهي تنافي محبة العبودية التي لله تعالى ورسوله قال الله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

وأما المحبة للدنيا مطلقاً وطلب زينتها ومالها وجاهها والسعة فيها ومحبة الكفار وموالاتهم لأجل الدنيا وعرضها الزائل، أوخوفاً منهم على منصبه ومكانته وطمعاً فيما عندهم من جاه أو مال أو نحو ذلك، فهي محرمة وصاحبها يأثم إثماً عظيماً وهي نوع موالاة، ولكنها لاتخرج المسلم من الإيمان بل هو باقٍ على إيمانه كما في قصة حاطب بن أبي بلتعه، والذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[الممتحنة١].

فقد ذهب كثير من المفسرين أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في قصة حاطب ابن أبي بلتعه حين غزا النبي ﷺ غزوة الفتح فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم ليتخذ بذلك يداً عندهم»[1] .كما في حديث علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا

(١) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٨٣ – وتفسير السعدي ص ٨٥٤

حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالضغينة قلنا أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتُلقين الثياب. قال: فأخرجت الكتاب من عِقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعه إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر الرسول ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ياحاطب ماهذا؟ قال لا تعجل عليّ، إني كُنْتُ امْرَأً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فأحببت إذْ فاتني ذلك النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رِضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم». فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[(١)]».

فهذا الفعل الذي فعله حاطب وهو إخبار قريش بغزو الرسول ﷺ لهم يعدُّ إلقاء بالمودة للكفار ومحبة لهم، وهي صورة من صور موالاتهم، ولكن أهل العلم من المفسرين وغيرهم قالوا: ناداه الله باسم الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فدل هذا الفعل أنه لم يرفع عنه اسم الإيمان، فهو لا زال مؤمناً ثم بعد أن سمع منه الرسول ﷺ سبب ذلك الفعل، وهو أن يكون له يداً عند المشركين فعذره الرسول ﷺ، فدل ذلك على أن موالاة الكفار لأجل الدنيا وزينتها وعرضها الزائل لا تخرج المسلم من الدين بالكلية، ولكن إثم هذا الفعل عظيم وجرمه كبير.

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ٤/ ٧٢-٧٣ ح (٣٠٠٧) ومسلم باب فضائل أهل بدر ٧/ ١٦٧ ح (٦٥٥٧).

وأكد الشيخ ابن جبرين أن إعانة الكفار على المسلمين كبيرة من الكبائر، وليست من الكفر المخرج من الملة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوجه الثاني أن يعين الكفار على المسلمين بأي إعانة ويكون الحامل له على ذلك مصلحة شخصية أو خوف عداوة دنيوية بينه وبين من يقاتله الكفار من المسلمين، فهذه إعانة محرمة وكبيرة من كبائر الذنوب ولكنها ليست من الكفر المخرج من الملة»(١).

وأما المحبة المقيدة لأجل النفع المفيد الحاصل له منه، أو ما فيه خدمة الإسلام وأهله أو للإنسانية وما يقدم لهم من وسائل النفع والراحة وما يصلح دنياهم ففي هذا سعة ممدوحة، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها. ومما يستدل به على ذلك: فعل الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب، فقد كان يحميه من كفار قريش ويغضب لغضبه، كما ثبت في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال: «هو في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»(٢).

وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»(٣).

فقد أذن الله تعالى لرسوله ﷺ أن يشفع في عمه أبي طالب بسبب ما قدمه من حماية للرسول ﷺ ودفاع عنه وعن الإسلام، فكان مقابل ذلك التخفيف

---

(١) تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ص ٢٢١،الطبعة الأولى جمادي الأخر ١٤٢٥هـ

(٢) البخاري ٥/ ٦٥ ح (٣٨٨٣) ومسلم ١/ ١٣٤ ح (٥٣١).

(٣) البخاري ٥/ ٦٦ ح (٣٨٨٥) ومسلم ١/ ١٣٥ ح (٥٣٥).

عنه من عذاب النار بأن يكون في ضحضاح يغلي فيها دماغه.

وكذلك ما قاله الرسول ﷺ في المطعم بن عدي الذي أجاره وحماه من كفار قريش بأن يهب له أسارى بدر، فقال ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له»[(١)].

فالنفس مجبولة على رد الجميل لمن أحسن إليها وهو من المروءة ومقابلة الإحسان بالإحسان ولما توفي المطعم بن عدي قال حسان بن ثابت: «والله لأرثينه»، وفيما قال:

فلو كان مجد مخلد اليوم واحداً ... من الناس نحى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبادك ما لبى محل وأحرما
فلو سألت عنه معد بأسرها ... وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره ... وذمته يوماً إذا ما تجشما
وما تطلع الشمس المغيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعزوا وأكرما
إباء إذا يأبى وألين شيمة ... وأنوم عن جار إذا الليل أظلما[(٢)]

وينبغي أن يكون التعامل مع الكافر في هذه الحالات تعاملاً ظاهراً بالعدل والإنصاف دون الميل القلبي و المودة لهم، وهذا التعامل من باب الإحسان لمن يحسن إليك ورداً للمعروف وقد دل على ذلك حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما قدمت عليها أمها إلى المدينة وكانت مشركة فسألت النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في المغازي ٥/ ١١٠ج (٤٠٢٤) وأبو داوود في السنن٣/ ١٣ج(٢٦٩١) والحديث عن محمد بن جبير عن أبيه.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٥٤ دار المعرفة، بيروت.

عن أمها قالت: «أأصل أمي؟ قال: نعم صِلي أمك»[(١)].

والصلة المراد بها في الحديث أنها تكرمها إكرام الولد لوالده إذا قدم عليه، وهذا الإكرام لا يخلو من مودة، ثم إن الرسول ﷺ أمرها أن تقبل هدياها وتدخلها منزلها فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة ٨].

فدلت الآية على أن بر ضَعَفة الكفار لابأس به؛ لأن الله نهى عن الإحسان إلى المحاربين وأذن بالصلة والإحسان لمن لم يحارب من الكفار إذا لم يكن مع ولايتهم ومودتهم حب قلبي، بل يجب أن يكون مع ذلك بغض لكفرهم، ويدل على ذلك فعل الصحابة الذين تكلموا في مالك بن الدخيش[(٢)] قال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: لا تقل ذلك ألا تراه قد قال: «لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، قالوا بلى: ولكنا نرى نصيحته للمنافقين، فقال: فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[(٣)]، وقوله تعالى ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة ٩] في صفِّ المحاربين يدل على أن نوع غير المحاربين له نوع موالاة جائزة بالإحسان والمودة الجزئية، وهذا واضح بالمقابلة.

---

(١) أخرجه البخاري ٣/ ٢١٥ ح (٢٦٢٠). ومسلم ٣/ ٨١ح (٢٣٧٢).

(٢) هو: مالك بن الدخشم بن مرضخه ويقال ابن الدخيش، وقد استأذن رجل من الأنصار الرسول ﷺ في قتل ابن الدخيش،لأنه من المنافقين، وقد برأ الرسول ﷺابن الدخيش من النفاق.انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٥٠.تحقيق طه عبد الرءوف، دار الجيل بيروت، والروض الأنف في شرح غريب السير،تأليف عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد السهيلي.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢٢، والحاكم ٢/ ٢٨٥ ح (٣٨٠٤).

والمقصود من ذلك أن يعلم أن الولاء والبراء للكافرين يعني للعبد ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: موالاة ومحبة الكافر لكفره فهذا كفر مخرج من الملة .

الدرجة الثانية: محبته ومودته وإكرامه للدنيا مطلقاً، وهذا لا يجوز ومحرم لأنه نوع موالاة ومودة ولكنه لا يخرج من الإيمان، وإن كان صاحبه على خطر عظيم وإثم كبير.

الدرجة الثالثة: وهو أن يكون في مقابلة نعمة أو في مقابله قرابة، ففي هذا رخصة وهو من باب مقابلة الإحسان بالإحسان ومن المروءة وحسن الخلق[1].

ومن المحبة الطبيعية محبة الوطن والمسكن وهي محبة فطرية غريزية مرتبطة بالمشاعر والعواطف نحو الوطن والمسكن، وهذه المحبة لا تتعارض مع المحبة الدينية العبادية، فقد ذكر الله ﷻ محبة الآباء والأبناء و الإخوان والعشيرة والأموال والمساكن في القرآن الكريم فقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة ٢٤].

أما إذا كان حب الأوطان والمساكن هو الأصل وعلى أساسه يكون الحب والولاء والانتماء والبغض والمعاداة فهذا الذي حذر منه القرآن الكريم، قال الشيخ السعدي عند تفسير هذه الآية: «وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية تلعيق الشيخ صالح آل الشيخ ١/ ٥٠١.

وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله»[١].

بل ورد في السنة الصحيحة الإشارة إلى حب الوطن والحنين إليه وأن ذلك لا يؤثر على المحبة الدينية كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال قالت: فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: كان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

كان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»[٢].وكما في حديث عبد الله بن حمراء قال قال رسول الله ﷺ عن مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[٣].

وكذلك في حديث عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال قال رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير السعدي ص٣٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة ح (١٨٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب باب فضل مكة ح (٤٠١٧) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

عن مكة المكرمة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي لولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»[١].

وحديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبها[٢].

ففي هذه الأحاديث بيان لحب الأوطان والحنين إليها وهو أمر فطري وشعور داخلي في كيان الإنسان، قال ابن حجر معلقاً على حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وفي هذا الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه»[٣]. وحديث أبي حميد قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أُحد جبل يحبنا ونحبه»[٤].

فقد دلت النصوص على حب الوطن والمسكن لأنه مقر الإقامة والسكن والعمل، وهو مكان العبادة وإقامة حكم الله تعالى على ثراه، وهو بهذه المكانة والمنزلة لا يتنافى مع المحبة العبودية بل هو مرتبط بها،لأن من ضروريات قيام الدين أنه لا يقوم إلا على أرض ووطن، وهذا هو الإطار الصحيح للعلاقة بين محبة الوطن محبة طبيعية فطرية وبين محبة العبودية.

---

(١) أخرجه الترمذي في باب فضل مكة ج(٤٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة ح (١٨٨٦).

(٣) فتح الباري ابن حجر: ٣/ ٧٩٣.

(٤) أخرجه البخاري ح (٤٤٢٢). ومسلم ح (٣٤٣٧).

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبعد هذه الرحلة الماتعة مع هذا الموضوع الحيوي: «**المحبة بين العبودية والفطرية**» أقف على بعض النتائج أهمها:

۞ أن محبة الله تعالى هي: الخضوع والتذلل له والخوف والخشية منه والتعظيم والإجلال له والتوكل عليه، وهي حقيقة العبودية لله تعالى وليس شيء يُحَب لذاته من كل وجه إلا الله ﷻ.

۞ أن محبة الرسول ﷺ هي شرط للإيمان وفرض على كل مسلم،وهي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، وهي محبة لذاته وشخصه الكريم، ويلزم من محبة ذاته طاعته والانقياد له والرضا والتسليم بحكمه وأمره وإيثاره على من سواه.

۞ أن من محبة الله تعالى محبة ما يحبه الله ﷻ من الطاعات والأعمال الصالحات والحب لله تعالى، وهذا من كمال المحبة وكمال الذل ونهايته.

۞ أن المحبة الفطرية الطبيعية هي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه من المأكل والمشرب ومحبة القرابة، ولها ثلاثة أحكام: فإن كانت المحبة الفطرية، توصل بها إلى محبة الله تعالى أثيب عليها، وإن أحبها موافقة لطبعه ولم يؤثرها على محبة الله كانت من قسم المباحات، وإن قدّمها على ما يحبه الله ويرضاه كان ظالماً لنفسه.

۞ أن موالاة الكفار ومحبتهم لأجل دينهم كفر مخرج من الملة، أما

محبتهم ومودتهم للدنيا مطلقاً فهذا نوع موالاة لهم، وهو محرم وإثم عظيم. أما إذا كان حبهم ومودتهم لأجل قرابة أو زواج أو في مقابلة نعمة لغير المحارب ففي هذا رخصة، وهو من باب مقابلة الإحسان بالإحسان وهي من حسن الخلق والمروءة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت بالمراجع والمصادر

۞ ابن أبي العز: علي بن علي الحنفي (١٤١٣هـ)، تحقيق: د. عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت.

۞ ابن أبي شيبة: عبدالله بن محمد مصنف بن أبي شيبة تحقيق محمد عوامه، طبعة دار القبلة.

۞ ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

۞ ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة، بيروت، سنة النشر ١٤١٨هـ.

۞ ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، الرسالة التبريكيه زاد المهاجر إلى ربه، تحقيق: محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جده.

۞ ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، تهذيب مدارج السالكين هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزى، طبعة وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة.

۞ ابن القيم الجوزيه: محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

۞ ابن جزى: محمد بن أحمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنـزيل.

۞ ابن حجر: أحمد بن علي فتح الله شرح صحيح البخاري، تحقيق وضبط: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

۞ ابن حجر أحمد بن علي فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.

۞ ابن حنبل أحمد مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، بيروت.

۞ ابن جبرين: عبد الله بن عبد العزيز الجبرين تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية مطبعة السفير الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

۞ ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت.

۞ ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء، تحقيق سامي محمد سلامه، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

۞ ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدا لله القزويني تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، سنن ابن ماجة والأحاديث المذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت.

۞ أبن هشام: عبد الملك هشام الحميري، السيرة النبوية،تحقيق طه عبد الرءوف دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ

۞ أبو السعود: محمد بن محمد مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

۞ أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. سنن أبي داود ومع الكتاب تعليقات كمال الحدث والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت.

۞ الألباني: محمد ناصر الدين سلسلت الأحاديث الصحيحة،المكتب الإسلامي، دمشق.

۞ الألباني: محمد بن ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزياداته،

المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة.

۞ الألباني محمد ناصر الدين،صحيح الترغيب والترهيب مكتبة المعارف الرياض الطبعة الخامسة

۞ البخاري: محمد بن علي إسماعيل أبو عبدا لله الجامع الصحيح، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى.

۞ البيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر المحقق الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، السنن الكبرى، وفي ذيله الجوهر النقي، الطبعة الأولى.

۞ البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر، تحقيق: محمد عبدا لقادر عطا سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

۞ الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

۞ الحاكم: محمد بن عبدا لله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدا لقادر عطا، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

۞ الزحيلي: وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

۞ الزحيلي: وهبه بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ السعدي: عبدا لرحمن بن ناصر، تحقيق عبدا لرحمن معلا، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

۞ السهيل: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الروض الأنف في شرح

غريب السير.

۞ الطبري: محمد بن جرير، تحقيق أحمد محمد شاكر، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

۞ عبدا لرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتخريج الأحاديث والتعليق: حبيب ألأعظمي، المصنف، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

۞ القرطبي: أبو عبدا لله محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطقيس، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

۞ المروزي: محمد بن الحاج أبو عبدا لله، تحقيق: عبدا لرحمن بن عبدا لجبار الفريوائي. تعظم قدر الصلاة، مكتبة المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

۞ مسلم بن الحجاج أبو الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وضبط محمد فؤاد عبدا لباقي، صحيح مسلم، دار المغني، السعودية.

۞ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديد، بيروت.

۞ المكتبة الشاملة.

۞ موسى: علي حسين العقيدة الإسلامية وعلاقتها بالوطنية وحقوق المواطنة، منشور في المجلة الأمنية، العدد (٣١) عام ١٤٢٦هـ.

۞ النسائي: أحمد بن شعيب بن علي أبو عبدا لرحمن، تحقيق حسن عبد المنعم حسن شلبي، مطبعة مؤسسة الرسالة.

۞ النووي: يحيى بن شرف صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

ملخص البحث.....٢١٥
المقدمـــة.....٢١٩
المبحث الأول: محبة العبودية.....٢٢١
المطلب الأول: محبة الله تعالى ولوازمها.....٢٢١
المطلب الثاني: محبة الرسول ﷺ ولوازمها.....٢٢٨
المطلب الثالث: محبة ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.....٢٣٤
المبحث الثاني: مفهوم المحبة الفطرية.....٢٤٠
الخاتمـــة.....٢٥٣
ثبت بالمراجع والمصادر.....٢٥٥
فهرس الموضوعات.....٢٥٩

السؤال بوجه الله تعالى

«صوره وأحكامه ـ دراسة عقدية»

د. إبراهيم بن عبد الله الحماد

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

يبين البحث معنى السؤال بوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن هناك فرقاً بين السؤال بوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والقسم بوجهه، كما يوضح أن عدداً من العلماء بيّنوا العلاقة بين توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والسؤال بوجهه الجنة دون غيرها من المطالب.

وأن السؤال بوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له صور مشروعة وصور ممنوعة، فليس كل سؤال بوجه الله مشروع، كما إنه ليس كل سؤال بوجه الله محرماً وممنوعاً.

فاتفقت عبارات العلماء على بيان جواز سؤال الله بوجهه مايكون وسيلة وطريقاً موصلاً إلى الجنة، وأن ذلك لايدخل تحت عموم النهي الوارد في حديث:«لايسأل بوجه الله إلا الجنة».

جعل بعض العلماء ذكر الجنة في حديث:«لايسأل بوجه الله إلا الجنة» من باب التنبيه على الأمور العظام لاأنه على سبيل التخصيص.

كما إن مسالك العلماء تعددت في بيان الوسائل والطرق الموصلة إلى الجنة التي يجوز أن تُسأل من الله بوجهه، فمنها : الاستعاذة بوجهه من غضبه وناره، وسؤال العمل الصالح، والاستقامة، والعافية من مضلات الفتن، والهداية إلى الحق، وكالتثبيت عند السؤال، ونحو ذلك .

وحمل أكثر العلماء النهي الوارد في حديث :«لايُسأل بوجه الله إلا الجنة» على أن المراد به سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً، وذلك لأن وجه الله عظيم فمن غير المناسب أن يتوسل بالعظيم إلى شيء حقير، وكلُّ ما دون الجنّة ومايوصل إليها فإنّه حقير.

وذهب عدد من العلماء إلى أن النهي الوارد في الحديث إنما هو للكراهة،

وليس هو للتحريم.

ذهب بعض العلماء إلى تحريم سؤال المخلوق بوجه الله أمراً دنيوياً استدلالاً بحديث النبي ﷺ :«مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهِ ﷻ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ ﷻ ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يُسْأَلْ هُجْرًا».

ولاتعارض بين القول بتحريم أو كراهة السؤال بوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمراً دنيوياً، وبين القول بمشروعية إعطاء من سأل بوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمراً دنيوياً، لأن الممنوع منه إنما هو السؤال، وأما إجابة من سأل فإن النصوص لم تأت بالنهي عنه

Abstract

of the treatise, entitled:

Asking God (Allah) by His Countenance; its Forms and Rules; A Doctrinal Study

The research explains the meaning of asking Allah by His Countenance, and that there is a difference between asking Allah by his face and swearing by It. It also shows that a number of scholars clarified the relevance between the unification of Allah and asking by His Countenance the 'Paradise' only, not other demands. And that the 'asking Allah by His Countenance' has both, allowable and forbidden forms. So neither is there a permission for asking anything by His Countenance, nor a prohibition of everything by this kind of asking. The words of scholars are similar in the statement upon legality of 'asking Allah by His face' things that are mediums of getting Heaven. And that does not come within the general interdiction of the Hadith (prophetic saying): (Nothing but Paradise must be begged by Face of Allah).

Some scholars state that the specification of Paradise in the Hadith: (Nothing but Paradise must be begged by Face of Allah) is as a form of stimulation of passion for huge things, not as a limitation.

As the views of scholars varied in specifying the means and ways leading to Paradise, which may be legally asked by Face of Allah. Some of these: seeking refuge with His Face from His Wrath and Hellfire, asking of: good deeds, firmness on the straight path, protection from being led astray, guidance to the Rightness, and keeping strengthened at the time of being asked in the Grave, etc.

Most of the scholars (Ulama') interpreted the interdiction came in the Hadith: (Nothing but Paradise must be begged by Face of Allah) as forbidding from asking Allah by His Countenance the mundane things. For The Face of Allah is a Great one, so it is unsuitable to use the Great as a means of inferior things. And everything except Paradise or its means is inferior.

A number of scholars have gone to interpret the prohibition in the Hadith as a mere disliking (karahiyyah), not as illegality (tahrim).

Some other scholars (Ulama') have gone to illegality of asking the creature by Allah's Countenance the mundane thing, inferring from the Hadith: (Accursed the one who asks by the Face of Allah, Accursed the one who is being asked by the Face of Allah and then he refused the beggar, except if be asked of unsuitable).

There is no conflict between the saying of illegality (tahrim) or disliking (karahat) of asking Allah by His Countenance the mundane thing, and the saying of legality of giving whom asks by the Countenance of Allah the mundane thing. Because the prohibition relates to the asking. And as for as giving to the asker is concerned, the Texts of Sharia do not forbid from it.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[2].

أما بعد:

فإن حقيقة العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قائمة على تعظيمه وإجلاله، وعلى قدر معرفة الإنسان بربه يكون تعظيمه له كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «على قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ -تعالى- في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً، وقد ذمّ الله -تعالى- من لم يعظّمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، قال -تعالى-: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[3]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٠.

(٣) نوح: ١٣.

تعظمون الله حق عظمته»[(١)].

ولذا كان تعظيم الله تعالى حق التعظيم هو الدافع لفعل الأوامر وترك النواهي؛ فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[(٢)]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾: طَلَبَ تَعْظِيمِ اللهِّ، وَتَنْزِيهًا لَهُ أَنْ يُخَالَفَ فِي أَمْرِهِ، أَوْ يَأْتِي أَمْرًا كَرِهَ إِتْيَانَهُ فَيَعْصِيهِ بِهِ»[(٣)].

ولما كان توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة يستلزم تعظيمه وإجلاله، وأن أي خلل في تعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعدّ قدحاً في توحيده اعتنى السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بذلك، وبينوا ما ينافي تعظيم الله من الاعتقادات، والأقوال، والأفعال غاية البيان، ومما جعله العلماء من كمال التعظيم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدم السؤال بوجهه غير الجنة أو ما يوصل إليها، وكذلك جعلوا من كمال تعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إجابة من سأل بوجه الله تعالى.

وسؤال الله تعالى بوجهه، وكذا إجابة من سأل بوجه الله تعالى أو منعه له صور متعددة، وأحوال مختلفة، ولكل صورة أو حالة حكم يخصها، لذلك عزمت البحث في هذه المسألة، وجعلت عنوان البحث: «**السؤال بوجه الله – صوره وأحكامه، دراسة عقدية**».

---

(١) مدارج السالكين في إياك نعبد وإياك نستعين٢/ ٥٥٣، وينظر لقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، وسعيد بن جبير رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: تفسير الطبري ٢٣/ ٦٣٤.

(٢) الرعد: ٢٢.

(٣) جامع البيان ١٣/ ٥٠٩.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

كان من دوافع دراسة هذا الموضوع ما يلي:

١) أنه يمسّ جانباً مهماً ينبني عليه توحيد الله تعالى وهو تعظيمه كمال التعظيم.

٢) بيان الصلة والعلاقة بين توحيد الله تعالى والسؤال بوجهه.

٣) إيضاح صور السؤال بوجه الله تعالى المشروعة والممنوعة، وكذا حكم إجابة من سأل بوجه الله تعالى، وما يجب من ذلك وما لا يجب.

٤) جمع أقوال العلماء المتفرقة في المسائل المتعلقة بالسؤال بوجه الله تعالى يساعد على تحرير أقوالهم، وفهم المسألة وتقريبها.

٥) لم أقف على دراسة مستقلة جمعت أقوال العلماء في هذا الموضوع، وإنما يأتي الحديث عنها عند كلام العلماء في الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع.

أهداف البحث:

١- بيان المراد بالسؤال بوجه الله تعالى.

٢- التنبيه على الصلة والعلاقة بين توحيد الله تعالى والسؤال بوجه الله تعالى.

٣- بيان حكم السؤال بوجه الله تعالى وذلك بذكر الصور المشروعة والممنوعة.

٤- إيضاح الأحكام المتعلقة بإجابة من سأل بوجه الله تعالى من حيث الإعطاء والمنع.

أسئلة البحث:

لعل هذه الدراسة تساعد في الإجابة عن عدد من الأسئلة، من بينها:

١. ما معنى السؤال بوجه الله تعالى؟.

٢. ما العلاقة بين توحيد الله تعالى، و السؤال بوجه الله تعالى؟.

٣. ما الأمور التي يشرع أن يُسأل فيها بوجه الله؟ وما الأمور التي لا يشرع؟.

٤. متى يجب إجابة من سأل بوجه الله تعالى؟ ومتى لا يجب؟.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم الفهارس

المقدمة وفيها بيان: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلته، وخطته، ومنهجه.

المبحث الأول: بيان معنى السؤال بوجه الله تعالى، وعلاقته بتوحيد الله تعالى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معنى السؤال بوجه الله تعالى.

المطلب الثاني: العلاقة بين توحيد الله تعالى و السؤال بوجه الله تعالى.

المبحث الثاني: صور السؤال بوجه الله تعالى، مع بيان حكمها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصور المشروعة.

المطلب الثاني: الصور المختلف فيها.

المبحث الثالث: حكم إجابة من سأل بوجه الله تعالى.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس.

منهج البحث:

سلكت في هذه الدراسة المنهج التالي:

١) حرصت على استقراء الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع.

٢) استفدت مما ذكره شراح كتاب التوحيد للشيخ الإمام محمد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونقلت من أقوالهم وأقوال غيرهم مايوضّح ذلك.

٣) قد أذكر في موضع واحد أكثر من نقل إما لزيادة معنى، أو تأكيده.

٤) عزو الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٥) تخريج الأحاديث النبوية، وذكر حكم العلماء عليها إذا لم تكن في الصحيحين، أو أحدهما لتلقي الأمة لهما بالقبول.

٦) تخريج الآثار من مظانها، مع بيان حكم العلماء عليها إن وجدت كلاما للعلماء في ذلك.

٧) توثيق النقول بذكر مصادرها.

٨) اكتفيت بذكر سنة الوفاة للأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث، .

٩) ذكرت المعلومات المتعلقة بالمصادر والمراجع في الملحق الخاص بها في آخر البحث، وإذا اختلفت طبعة أي مصدر أو مرجع فإني أشير إلى ذلك.

وبعد: فهذا جهد متواضع، واجتهاد في إبراز جانب من موضوع يتعلق بتوحيد الله وتعظيمه، فما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده وبفضله وتوفيقه وتسديده، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك.

كما أسأله ﷻ أن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يرزقنا الفقه في الدين، والسير على طريقة سيد المرسلين ﷺ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: بيان معنى السؤال بوجه الله تعالى، وعلاقته بتوحيد الله تعالى

المطلب الأول: بيان معنى السؤال بوجه الله تعالى.

أ - معنى السؤال في اللغة:

السؤالُ والسؤْلُ: ما يسأله الإنسان، وقُرئ ﴿أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[١] بالهمز وبغير الهمز[٢]، وسألَهُ كذا وعن كذا وبكَذا بمعنى، سُؤالاً وسَآلَةً ومَسْأَلَةً وتَسْآلاً وسَأْلَةً[٣]، وسَأَلْتُ الله العافية طَلَبْتُها[٤]، وسَأَلته الشيءَ بمعنى اسْتَعْطَيته[٥]، والسؤال طلب الأدنى من الأعلى[٦].

وقد فصّل الراغب الأصفهاني[ت٥٠٢ هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى السؤال فقال: «السؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد، أو برد...، والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبكيت، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[٧]، ولتعرّف المسؤول.

---

(١) سورة طه: ٣٦.

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري، ٦/ ١.

(٣) ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص١٣٠٧.

(٤) ينظر: المصباح المنير للفيومي، ص٢٩٧.

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور١/ ٣١٨.

(٦) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص٤١٧.

(٧) سورة التكوير: ٨.

والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجار، تقول: سألته كذا، وسألته عن كذا، وبكذا، وبعن أكثر، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾[١]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾[٢]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾[٤]، وقال: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾[٥].

وإذا كان السؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه أو بمن، نحو: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[٦]، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾[٧]، وقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[٨].

ويعبر عن الفقير إذا كان مستدعياً لشيء بالسائل، نحو: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[٩]، وقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[١٠]»[١١].

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) سورة الكهف: ٨٣.

(٣) سورة الأنفال: ١.

(٤) سورة البقرة: ١٨٦.

(٥) سورة المعارج: ١.

(٦) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٧) سورة الممتحنة: ١٠.

(٨) سورة النساء: ٣٢.

(٩) سورة الضحى: ١٠

(١٠)سورة الذاريات: ١٩.

(١١) المفردات في غريب القرآن ١/ ٥١٦.

ب - معنى السؤال بوجه اللّه:

السؤال بوجه الله هو: أن يجعل سؤاله بوجه الله ,كالوسيلة التي يتوسل بها إلى حصول مقصوده(١)، كأن يقول: اللهم إني أسألك بوجهك الكريم أن تدخلني الجنة(٢)، فيسأل الله -جل وعلا- إياه متوسلاً بوجهه العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(٣)، أو يقول: أعطني شيئًا بوجه الله(٤).

ويحسن التنبيه هنا على أن شراح كتاب التوحيد يبينون عند شرحهم لهذا الحديث في كتاب التوحيد ما تضمنه هذا الحديث من إثبات صفة الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إثباتاً يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب[ت١٢٣٣هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لهذا الحديث من كتاب التوحيد: «وفيه إثبات الوجه خلافًا للجهمية ونحوهم، فإنهم أَوَّلُوا الوجه بالذات، وهو باطل، إذ لا يسمى ذات الشيء وحقيقته وجهًا، فلا يسمى الإنسان وجهاً، ولا تسمى يده وجهًا، ولا تسمى رجله وجهًا. والقول في الوجه عند أهل السنة كالقول في بقية الصفات، فيثبتونه للهّ على ما يليق بجلاله وكبريائه من غير كيف ولا تحديد، إثبات بلا تمثيل، وتنْزيه بلا تعطيل»(٥)

---

(١) ينظر: فتاوى أركان الإسلام لابن عثيمين ص١٩١.

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص٥٧٣، وتحقيق وتحقيق التجريد شرح كتاب التوحيد لعبدالهادي العجيلي، ٢/ ٤٩٤، والدر النضيد على كتاب التوحيد لسليمان بن حمدان، ص٢٩٤.

(٣) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص٥٢٦.

(٤) ينظر: تيسير العزيز الحميد ص٥٧٣، والدر النضيد على كتاب التوحيد ص٢٩٤.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص٥٧٣، وينظر فتح المجيد ٢/ ٤٥٨، والقول السديد ص١٦٨، =

ج - الفرق بين السؤال باللّه أو بأسمائه وصفاته -كالوجه- وبين القسم بها:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[ت٧٢٨هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفرق بين السؤال بالله أو بأسمائه وصفاته -كالوجه- وبين القسم بها فقال: «قَوْلُهُ: سَأَلْتُك بِاَللَّهِ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، فَهَذَا سُؤَالٌ وَلَيْسَ بِقَسَمِ وَفِي الْحَدِيثِ: (مَنْ سَأَلَكُمْ بِاَللَّهِ فَأَعْطُوهُ)[(١)] وَلَا كَفَّارَةَ عَلَى هَذَا إذَا لَمْ يُجَبْ سُؤَالُهُ. وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَقَدْ يُجِيبُ اللَّهُ دُعَاءَ الْكُفَّارِ، فَإِنَّ الْكُفَّارَ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الرِّزْقَ فَيَرْزُقُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ، وَإِذَا مَسَّهُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ إلَّا إيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا.

وَأَمَّا الَّذِينَ يُقْسِمُونَ عَلَى اللَّهِ فَيُبِرُّ قَسَمَهُمْ فَإِنَّهُمْ نَاسٌ مَخْصُوصُونَ، فَالسُّؤَالُ كَقَوْلِ السَّائِلِ للَّهِ: أَسْأَلُك بِأَنَّ لَك الْحَمْدَ أَنْتَ اللَّهُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَأَسْأَلُك بِأَنَّك أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَأَسْأَلُك بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَك سَمَّيْت بِهِ نَفْسَك أَوْ أَنْزَلْته فِي كِتَابِك أَوْ عَلَّمْته أَحَدًا مِنْ خَلْقِك أَوْ اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك؛ فَهَذَا سُؤَالُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إقْسَاماً عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ أَفْعَالَهُ هِيَ مُقْتَضَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَمَغْفِرَتُهُ وَرَحْمَتُهُ مِنْ مُقْتَضَى اسْمِهِ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ، وَعَفْوُهُ مِنْ مُقْتَضَى اسْمِهِ الْعَفُوِّ....فَإِذَا سُئِلَ الْمَسْؤولُ بِشَيْءِ - وَالْبَاءُ لِلسَّبَبِ - سُئِلَ بِسَبَبِ يَقْتَضِي وُجُودَ الْمَسْؤولِ، فَإِذَا قَالَ:

=

والدر النضيد ص٣٠١، والقول المفيد ٢/ ٣٥٧-٣٥٩، وإعانة المستفيد ٢/ ٣١٧، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٥٢٧.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند٢ / ٦٨، وأبوداود ١ / ٣٨٩، والنسائي ١ / ٣٥٨، وصححه الألباني في صحيح أبي داود حديث رقم٥١٠٨.

أَسْأَلُك بِأَنَّ لَك الْحَمْدَ أَنْتَ اللهُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَ كَوْنُهُ مَحْمُودًا مَنَّانًا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقْتَضِي أَنْ يَمُنَّ عَلَى عَبْدِهِ السَّائِلِ، وَكَوْنُهُ مَحْمُودًا هُوَ يُوجِبُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، وَحَمْدُ الْعَبْدِ لَهُ سَبَبُ إجَابَةِ دُعَائِهِ....، وَإِذَا قَالَ السَّائِلُ لِغَيْرِهِ: أَسْأَلُك بِاَللَّهِ فَإِنَّمَا سَأَلَهُ بِإِيمَانِهِ بِاَللَّهِ وَذَلِكَ سَبَبٌ لِإِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَهُ بِهِ فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إلَى الْخَلْقِ، لَا سِيَّمَا إنْ كَانَ الْمَطْلُوبُ كَفَّ الظُّلْمِ، فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَيَنْهَى عَنْ الظُّلْمِ، وَأَمْرُهُ أَعْظَمُ الْأَسْبَابِ فِي حَضِّ الْفَاعِلِ فَلَا سَبَبَ أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ مُقْتَضِيًا لِمُسَبِّبِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ-تَعَالَى-»[1].

وبذلك يتضح الفرق بين السؤال بوجه الله تعالى والقسم بوجهه، إذ لايلزم السائل بوجه الله كفارة إذا لم يُجب سؤاله، بخلاف القسم، كما إن القسم لايلزم أن يكون متضمناً لسؤال فقد يقسم لتصديق أمر أو تكذيبه ونحو ذلك.

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٨٩.

المطلب الثاني: العلاقة بين توحيد الله تعالى و السؤال بوجه الله تعالى.

عقد الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب[ت١٢٠٦هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه النفيس «كتاب التوحيد» باباً مستقلاً جعل عنوانه: «بابٌ: لايُسأل بوجه الله إلا الجنة»(١)، وذكر فيه ماروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لايسأل بوجه الله إلا الجنة»(٢).

ووجه العلاقة بين توحيد الله تعالى والسؤال بوجهه الجنة دون غيرها من المطالب أن امتثال ذلك دليل على احترام وإجلال وتعظيم صفات الله تعالى، وتعظيمُ صفاته تعظيمٌ له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتعظيمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من توحيده، وأن كمال التعظيم دليل على كمال التوحيد والإيمان، وقد نصّ على ذلك عدد من

(١) هو الباب السادس والخمسون من أبواب كتاب التوحيد.

(٢) أخرجه أبوداود في كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى٢/ ٣٠٩، وقد اختلف العلماء في الحكم على درجة الحديث فقد رمز له بالصحة السيوطي في الجامع الصغير ح٩٩٧٢، وقال الرباعي الصنعاني[ت١٢٧٦هـ] في كتابه فتح الغفار: «إسناده لابأس به»، وحسنّه الشيخ فريح البهلال في كتابه تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص١٢٢، وأشار في تيسير العزيز الحميد إلى تضعيفه ص٥٧٤، وقال الشيخ ابن باز في شرح كتاب التوحيد ص٢٤٨: «إسناد الحديث فيه لين وضعف، لكنه ينجبر بما جاء في الروايات الأخرى من النهي عن السؤال بوجه الله»، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود ص١٦٩، لكنه قال في السلسة الصحيحة١/ ٥١٣: «النظر الصحيح يشهد له»، وقال الشيخ ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين ٦/٦٤٥:«إسناده ضعيف، ولكن معناه صحيح»، وقال الشيخ صالح الفوزان في إعانة المستفيد ٢/ ٣١٨:«الحديث رواه أبو داود، وفي إسناده: سليمان بن معاذ، وهو ضعيف، فهو حديث ضعيف فكيف أورده المصنِّف هنا؟.

فنقول: المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكتاب يستدل بالأحاديث الصحيحة أو الأحاديث الحسنة، أو الأحاديث الضعيفة التي لها شواهد تؤيدها، وهذا الحديث له شواهد».

وينظر لمعرفة أقوال أهل العلم في الاحتجاج بالحديث الضعيف كتاب: الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به لفضيلة الشيخ عبدالكريم الخضير ص٢٥٠-٢٩٠.

العلماء منهم:

١ - الشيخ سليمان بن عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال عند شرحه لهذا الحديث الذي أورده المصنف في كتاب التوحيد: «أي: إعظامًا وإجلالاً وإكراماً لوجه اللهّ أن يسأل به إلا غاية المطالب، وهذا من معاني قوله -تعالى-: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[١]»[٢].

وقال -أيضاً-: «اللهّ أعظم من أن يسأل به شيء من الحطام»[٣].

٢ - الشيخ عبدالرحمن السعدي [ت١٣٧٦هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «باب: لا يرد من سأل بالله، **وباب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**.

الباب الأول خطاب للمسئول، وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل، وهو السؤال بالله، أن يجيبه احتراماً وتعظيماً لحق الله، وأداء لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم.

والباب الثاني خطاب للسائل، وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته، وأن لا يسأل شيئاً من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضى الرب، والنظر إلى وجهه الكريم، والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأسنى هو الذي يسأل بوجه الله.

وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه،

---

(١) سورة الرحمن: ٢٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٧٤، وينظر: حاشية ابن قاسم ص٣٥٠.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٥٧٤.

فإنه لا يسألها بوجهه»[١].

٣ - الشيخ عبدالعزيز بن باز [ت١٤١٩هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لهذا الباب من كتاب التوحيد قال: «وجه الله له شرفه العظيم فلا يسأل به إلا الجنة.... وهذا من كمال التوحيد والإيمان»[٢].

٤ - الشيخ محمد بن عثيمين [ت١٤٢١هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيّن مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد، مشيراً إلى تلك العلاقة فقال: «مناسبة هذا الباب للتوحيد: أن فيه تعظيم وجه الله ,، بحيث لا يسأل به إلا الجنة»[٣].

وقال في موضع آخر: «وجه الله أعظم من أن يسأل به شيء من الدنيا، الدنيا كلها دنيئة، كلها فانية، كلها لا خير فيها إلا ما يقرب إلى الله , وإلا فهي خسارة»[٤].

٥ - الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- نصّ في شرحه لحديث الباب على هذه العلاقة فقال: «هذا الباب عقده الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب التّوحيد» لأنّ تعظيم صفات الله تعالى من تعظيم الله، وتعظيمُها من التّوحيد، لأنه تعظيمٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأمّا عدمُ تعظيمِها فإنّه تنقُّصٌ للتّوحيد، لأنّه تنقُّصٌ لله ﷻ»[٥].

وقال -أيضاً-: «إعظامًا لوجه الله وإجلالاً له؛ فمن سأل بوجه الله أمرًا من أمور الدنيا؛ كان عاصيًا مخالفًا لهذا النهي، وهذا يدل على نقصان

(١) القول السديد للسعدي ص١٦٧، وينظر: الجامع الفريد للجار الله ص١٩٥.
(٢) شرح كتا ب التوحيد ص١٤٤.
(٣) القول المفيد ٢/ ٣٥٦.
(٤) شرح رياض الصالحين ٦/ ٤٦٤.
(٥) إعانة المستفيد للشيخ صالح الفوزان ٢/ ٣١٧.

توحيده وعدم تعظيمه لوجه الله -تعالى-»[١].

٦ - الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- أكد على هذه العلاقة بأكثر من عبارة فقال مبيناً مناسبة الباب لكتاب التوحيد: «مناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة في تعظيم صفات الله -جل وعلا- الذاتية والفعلية من تحقيق التوحيد، ومن كمال الأدب والتعظيم لله -جل وعلا، فإن تعظيم الله ﷻ، وتعظيم أسمائه وصفاته يكون بأمور كثيرة، منها: ألا يسأل بوجه الله أو بصفات الله ﷻ إلا المطالب العظيمة التي أعلاها الجنة»[٢].

وقال -أيضاً-: «لكي يتناسب السؤال مع وسيلة السؤال، وهذا معنى هذا الباب، وهو أن من تعظيم صفات الله -جل وعلا- أن لا تدعو الله بها إلا في الأمور الجليلة، فلا تسأل الله -جل وعلا- بوجهه أو باسمه الأعظم أو نحو ذلك في أمور حقيرة وضيعة لا تناسب تعظيم ذلك الاسم»[٣].

---

(١) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان ٢/ ٧.

(٢) التمهيد شرح كتاب التوحيد ص٥٢٦.

(٣) المصدر السابق.

المبحث الثاني: صور السؤال بوجه الله تعالى مع بيان حكمها

جعل الشيخ بكر أبوزيد[ت١٤٢٩هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاصل السؤال بوجه الله يتلخص في أربعة أوجه فقال:

«وحاصل السؤال بوجه الله يتلخص في أربعة أوجه:

- سؤال الله بوجهه أمراً دينياً أو أُخروياً، وهذا صحيح.
- سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً وهذا غير جائز.
- سؤال غير الله بوجه الله أمراً دنيوياً وهو غير جائز.
- سؤال غير الله بوجه الله أمراً دينياً.

والموضوع يحتاج إلى زيادة تحرير»[(١)].

ويلحظ من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدم تصريحه بحكم من سأل غير الله بوجه الله أمراً دينياً، كما أنه صرّح بأن الأمر يحتاج إلى زيادة تحرير، وسيكون ذكر صور السؤال بوجه الله بناءً على هذا الحاصل الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنه تقسيم جامع لكل الصور عدا صورتين وهما:

١ - سؤال الله بوجهه أمراً محرماً سواءً كان دنيوياً أم أخروياً.

٢ - سؤال غير الله بوجه الله أمراً محرماً سواءً كان دنيوياً أم أخروياً.

وهاتان الصورتان لم يذكرهما الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنه لاخلاف بين العلماء في تحريمهما.

---

(١) معجم المناهي اللفظية ص١٦٥.

المطلب الأول: الصور المشروعة.

أولاً: سؤال الله بوجهه أمراً دينياً أو أُخروياً:

١ - سؤال الله بوجهه الجنةَ ونعيمَها:

لا خلاف بين العلماء بأن سؤال الله بوجهه الجنة جائز بل مشروع، قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله: «قال العلماء هنا: إن وجه الله -جل وعلا- يسأل به الجنة»[(١)].

وقد تنوعت عبارات العلماء في بيان أن الجنة لما كانت هي أعلى المطالب ناسب أن يتوسل بوجه الله في سؤالها.

فقال الشيخ أبو الحسن السندي[(٢)][ت١١٣٨هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجنة أعظم مطلب للإنسان فصار التوسل به -تعالى- فيها مناسباً»[(٣)].

وأوضح الشيخ حامد بن محمد بن محسن[(٤)]رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك بقوله: «لأنه غاية مطلوب العارفين، وعبادته ومحبته نهاية منازل السائرين؛ فكما أنه الغاية في

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٤٥٨.

(٢) محمد بن عبد الهادي السندي نور الدين أبو الحسن الحنفي نزيل المدينة المنورة توفي سنة ١١٣٨ هـ، من تصانيفه: بهجة النظر على شرح نخبة الفكر في أصول الحديث، حاشية على الأذكار للنووي، فتح الودود بشرح سنن أبي داود. ينظر: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين٦ / ٣١٨.

(٣) فتح الودود للسندي نقلاً عن عون المعبود ٥/ ٦٠، وكتاب السندي لايزال مخطوطاً.

(٤) قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحقيقه لكتاب الشيخ حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«والمؤلف -رحمه الله تعالى- لا نعرف عنه شيئاً أكثر مما ذكر، وبعد البحث علمت أنه من الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، ولم أر له مؤلفاً سوى هذا الكتاب، وكتاب آخر طبع في آخره باسم: «جلاء العينين في بيان الدينين» وهو نظم» مقدمة فتح الله الحميد ص٦.

الطلب فلايسأل بوجهه من المخلوقات إلا ماهو الغاية في الفضل والإحسان وهو رضا الله والجنة»[١].

وبيّن الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك فقال: «أعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب، والنظر إلى وجهه الكريم، والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأسنى هو الذي يسأل بوجه الله»[٢].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجنة هي أعلى المطالب وفيها النظر إلى وجه الله تعالى، وفيها النعيم المقيم، ووجه الله له شرفه العظيم فلا يسأل به إلا الجنة»[٣].

وأشار إلى ذلك الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- فقال: «يُسأل به [أي: وجه الله] شيءٌ عظيم يليق بعظمتِه وهو الجنّة، لأنّ الجنة هي أعظم المطالِب، وهي غاية المطالب، فهي شيءٌ عظيم»[٤].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: «الجنة: هي دار الكرامة التي أعدها الله ﷻ للمكلفين من عباده الذين أجابوا رسله، ووحدّوه، وعملوا صالحاً، وهي أعظم مطلوب؛ لأن الحصول عليها حصول على أعظم ما يُسرُّ به العبد، فلهذا كان من غير السائغ واللائق.... أن يُسأل الله ﷻ بنفسه أو وجهه أو بصفة من صفاته أو باسم من أسمائه الحسنى إلا أعظم مطلوب»[٥].

---

(١) فتح الله الحميد المجيد، لحامد بن محمد بن محسن، ص٤٤٠.

(٢) القول السديد ص١٨٣.

(٣) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص١٤٤.

(٤) إعانة المستفيد ٢/ ٣١٧.

(٥) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٤٥٩.

٢ - سؤال الله بوجهه ماهو وسيلة إلى الجنة وطريقٌ لها:

اتفقت عبارات العلماء على بيان جواز سؤال الله بوجهه مايكون وسيلة وطريقاً موصلاً إلى الجنة، وأن ذلك لا يدخل تحت عموم النهي الوارد في حديث: (لايسأل بوجه الله إلا الجنة)، سواء كان ذلك تحصيلاً أو دفعاً، سؤالاً أو استعاذة، بل جعل بعضهم ذكر الجنة في الحديث إنما هو من باب التنبيه كما قال الحافظ العراقي[ت٨٠٦هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَعَلَّ ذِكْرَ الْجَنَّةِ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّنْبِيهِ بِهِ عَلَى الْأُمُورِ الْعِظَامِ وَلَمْ يَرِدْ تَخْصِيصُهَا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ النَّهْيُ عَنْ سُؤَالِ الْمَخْلُوقِينَ بِذَلِكَ، وَكَذَا عَنْ سُؤَالِ اللهَّ -تَعَالَى- بِوَجْهِهِ فِي الْأُمُورِ الْهَيِّنَة، أَمَّا طَلَبُ الْأُمُورِ الْعِظَامِ تَحْصِيلًا وَدَفْعًا فَلَمْ يَتَنَاوَلْهُ نَهْيٌ وَاللهُ أَعْلَمُ»(١).

وقد تعددت مسالك العلماء في بيان الوسائل والطرق الموصلة إلى الجنة التي يجوز أن تُسأل من الله بوجهه، فمن ذلك ما قاله الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظاهر أن المراد لا يسأل بوجه اللهّ إلا الجنة، أو ما هو وسيلة إليها، كالاستعاذة بوجه اللهّ من غضبه، ومن النار ونحو ذلك مما هو وارد في أدعيته ﷺ»(٢).

كما أن الشيخ عبدالرحمن بن حسن [ت١٢٨٥هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيّن أنه لا تعارض

---

(١) طرح التثريب شرح التقريب ٣/ ١١٢، قال الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إبطال التنديد ص٢٧٣ بعد ذكره لقول الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ السابق: «والحديث أحق مما قال»، وينظر الدر النضيد فقد ذكر قول الشيخ حمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يعلق عليه، ويشكل على قول الشيخ حمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ماقاله ابن مندة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على الجهمية ص٥٣: «ثبت عن النبي ﷺ أنه سأل بوجه الله، واستعاذ بوجه الله، وأمر من يسأل بوجه الله أن يعطى من وجوه مشهورة بأسانيد جياد».

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٧٤.

بين الاستعاذة بوجه الله من غضبه، أوناره ونحو ذلك وماورد في الحديث من النهي عن السؤال بوجه الله غير الجنة فقال: «**وهنا سؤال**: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا النبي ﷺ بالدعاء المأثور: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يك بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي) وفي آخره: (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل عليّ غضبك، أو ينزل بيّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[(١)]، والحديث المروي في الأذكار: (اللهم أنت أحق من ذُكر وأحق من عُبد) وفي آخره: (أعوذ بنور وجهك)[(٢)]، وفي حديث آخر: (أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم، وبكلماته التامة من شر السامّة واللامّة، ومن شر ما خلقت، أي رب ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده، ومن شر الدنيا والآخرة)[(٣)]. وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة أو ما يمنعه

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ح١٠٣٦، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم١١٨٢.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ح٨٠٢٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد١٠/ ١٢٠: فيه فضال بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه، وحكم الألباني على الحديث كما في السلسة الضعيفة برقم٦٢٥٣: بأنه ضعيف جداً.

(٣) أخرجه البيهقي بنحوه في الأسماء والصفات برقم ٣٨٩ من حديث ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: وهو إسناد صحيح.

من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة كما في الحديث الصحيح: (اللهم إني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل)[1]»[2].

وكذلك وجّه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى [ت١٣٢٧هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ ماقاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

بحياة وجهك خير مسؤول به وبنور وجهك يا عظيم الشان

بكلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ السابق، فقال: «قوله: بحياة وجهك الخ لايقال: هذا يعارض ما رواه أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) لأنه ورد في دعاء النبي ﷺ منصرفه من الطائف حين كذّبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة فدعا النبي ﷺ بالدعاء المأثور (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني وفي آخره

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح٣٨٩١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم٣١١٦.

(٢) فتح المجيد٢/ ٧٦١-٧٦٢، وقال الشيخ سليمان بن حمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدر النضيد ص٣٨٤بعد نقله لنص كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأقول: هذا السؤال الذي أورده الشيخ -رحمه الله تعالى- وتكلَّف الجواب عنه ليس = من السؤال بوجه الله، وإنما هو استعاذة بوجه الله، وفرق بين السؤال والاستعاذة، فتنبَّه لذلك»، وهذا الكلام من الشيخ ابن حمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ محل تأمل، لأن الاستعاذة نوع من المسألة، يدل لذلك قول النبي ﷺ لأم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (لو سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو من عذاب في القبر كان خيراً وأفضل) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، ح٢٦٦٣.

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات الخ)، والحديث المروي في الأذكار: (اللهم أنت أحق من ذكر وأحق من عبد) وفي آخره (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض) وفي حديث آخر: (أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله القديم، وبكلماته التامة من شر السامّة واللامّة، ومن شر ما خلقت أي رب، ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده ومن شر الدنيا والآخرة) وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة، فيجاب عن ذلك: بأن ما ورد من ذلك أنه سؤال ما يقرب من الجنة أو يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة، كما في الحديث الصحيح: (اللهم أني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل)»[(١)].

ثم قال الشيخ أحمد بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والناظم إنما سأل بوجه الله ما يقرب إلى الجنة بل هو طريق إلى الجنة وهو نصرة كتاب الله ورسوله ودينه وعلى هذا لاتعارض بين الأحاديث كما لايخفى»[(٢)].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يقرب إليها كأن يسأل الإخلاص والتوفيق للخير والاستقامة على الطاعة، فما يقرب إلى الجنة هو من طلب الجنة ... كالعمل الصالح، والاستقامة، والعافية من مضلات الفتن»[(٣)].

ويرى الشيخ الألباني [ت١٤٢٠هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سؤال الله بوجهه الهداية إلى الحق لايتناوله النهي حيث قال: «أن يسأل به [أي: بوجه الله] الهداية إلى الحق

(١) شرح القصيدة النونية ٢ / ٦١٧.

(٢) المصدر السابق٢ / ٦١٨.

(٣) شرح كتاب التوحيد لابن باز ص١٤٤.

الذي يوصل به إلى الجنة، فلا يبدو لي أن الحديث يتناوله بالنهي، ويؤيدني في هذا ما قاله الحافظ العراقي: وذكر الجنة إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص؛ فلا يسأل الله بوجهه في الأمور الدنيئة، بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعاً كما يشير إليه استعاذة النبي ﷺ»[(١)].

وصرّح بجواز ذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من موضع فقال: «إن سألت الجنة وما يستلزم دخولها، فلا حرج أن تسأل بوجه الله، فأمور الآخرة تُسأل بوجه الله، كقولك مثلاً: أسألك بوجهك أن تنجيني من النار، والنبي ﷺ استعاذ بوجه الله لما نزل قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال: (أعوذ بوجهك)، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[(٢)]، قال: هذه أهون أو أيسر)[(٣)]»[(٤)].

وقال -أيضاً-: «لك أن تسأل بوجه الله النجاة من النار: اللهم إن أسألك بوجهك أن تنجني من النار، لأنه إذا نجا الإنسان من النار لابد أن يدخل الجنة، ما فيه ثلاثة دور، ما فيه إلا داران فقط: دار الكفار وهي النار أعاذنا الله وإياكم منها، ودار المؤمنين المتقين وهي الجنة، فإذا قلت: أسألك بوجهك أن تجيرني من النار فلا بأس لأن الله متى أجارك من النار أدخلك الجنة»[(٥)].

---

(١) التعليق على المشكاة ١/ ٦٠٥، وسبق ذكر قول الحافظ العراقي.

(٢) الأنعام: ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ ح٤٦٢٨.

(٤) القول المفيد ٢/ ٤٠٠.

(٥) شرح رياض الصالحين ٦/ ٤٦٤.

وبيّن الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- أن كلَّ ما يوصِّل إلى الجنّة من الأعمال الصّالحة فإنّه يُسأل بوجه الله.[١]

وأوضح الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- ذلك بقوله: «ما كان وسيلة إلى الجنة، أو كان من الأمور العظيمة التي هي من جنس السؤال بالجنة، أو من لوازم السؤال بالجنة كالنجاة من النار، وكالتثبيت عند السؤال، ونحو ذلك.

فالأمر المطلوب الجنة أو ما قرّب إليها من قول أو عمل، والنجاة من النار أو ما قرب إليها من قول وعمل، فهذا يجوز أن تسأل الله ﷻ إياه متوسلاً بوجهه العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[٢].

ثانياً: سؤال غير الله بوجه الله أمراً دينياً:

لم يبين الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكره لأوجه السؤال بوجه الله[٣] حكم هذه الصورة، وقد جاء في الأحاديث ما يدل على جواز أن يُسأل غير الله بوجه الله أمراً دينياً كما في حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله وَاللهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أُولاَءِ، وَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى أَنْ لاَ آتِيَكَ، وَلاَ آتِيَ دِينَكَ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ امْرَأً لاَ أَعْقِلُ شَيْئًا إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي اللهُ وَرَسُولُهُ، **وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ الله بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا** ؟ قَالَ: «بِالإِسْلاَمِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله: وَمَا آيَةُ

(١) ينظر: إعانة المستفيد ٢/ ٣١٧.

(٢) التمهيد ص٤٥٩.

(٣) ينظر: معجم المناهي اللفظية ص١٦٥.

الإِسْلاَمِ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»[(١)].

الشاهد من الحديث: قوله:«وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ الله بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا ؟».

ووجه الدلالة: أن النبيﷺ أقر السائل حينما قال: «أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ الله بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا؟» فدل ذلك على أن سؤال غير الله بوجه الله إذا كان لأمر دينيٍ كتعلم الدين ونحوه فإنه مشروع[(٢)].

قال ابن حجر الهيتمي [ت٩٧٣هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يظهر أن سؤال المخلوق بوجه الله ما يؤدي إلى الجنة كتعليم خبر لا يكره»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٤، والنسائي في سننه، باب من سأل بوجه الله ٢/ ٤٣، والحاكم في المستدرك ٤/ ٦٤٣وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن عبدالبر كما في الاستيعاب ١/ ٤٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم٣٦٩.

(٢) ينظر: ذخيرة العقبى شرح المجتبى لمحمد بن علي الأثيوبي٢٣/ ٨٨.

(٣) تحفة المحتاج شرح المنهاج ٢/ ١٣١.

المطلب الثاني: الصور المختلف فيها.

من صور السؤال بوجه الله التي يحرم السؤال فيها بوجه الله أو بغيره من أسمائه وصفاته، سواء كان المسؤول بها هو الله تعالى أو أحداً من خلقه إذا سأل أمراً محرماً[١]، سواءً سأل أمراً دينياً كأن يسأل إباحة المحرمات ونحوه، أو دنيوياً كأن يسأل ما لا يستحقه من مال وغيره، أو أخروياً كسؤال دخول المشركين الجنة ونحوه، وهذه الصور وأمثالها وأمثالها لايتصور أن يقول أحد بجوازها، إذ إنها سؤال لأمرٍ محرم، وسؤال المحرم لايبيحه كون الوسيلة المسؤول بها عظيمةً وشريفةً، بل إن هذا يزيد السؤال شناعة وقُبحاً.

ولذا فإن الكلام سيكون عن صور السؤال بوجه الله إذا كان السؤال به ليس لأمرٍ محرم.

أولاً: سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً:

حمل أكثر العلماء النهي الوارد في حديث: «لايُسأل بوجه الله إلا الجنة» على أن المراد به سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً، وذلك لأن وجه الله عظيم فمن غير المناسب أن يتوسل بالعظيم إلى شيء حقير، وكلُّ ما دون الجنّة ومايوصل إليها فإنّه حقير[٢]، وإذا قيل بالمنع من سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً، فمنع سؤال غير الله بوجه الله أمراً دنيوياً من باب أولى كما سيأتي.

وقد نصّ بعض العلماء على تحريم سؤال الله بوجهه أمراً من أمور الدنيا، وصرّح آخرون بعدم الجواز، ومنهم من جعل الحديث السابق دليلاً على المنع،

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين ٦/ ٤٦٤.

(٢) ينظر: إعانة المستفيد ٢/ ٣١٧.

وذهب عدد منهم إلى النهي للكراهة وليس للتحريم.

وممن ذهب إلى تحريم سؤال الله بوجهه أمراً من أمور الدنيا الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تعليقه على قول النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير الناس منزلة؟ قلنا: بلى، قال: رجل ممسك برأس فرسه- أو قال: فرس - في سبيل الله حتى يموت أو يقتل، قال: فأخبركم بالذي يليه؟ فقلنا: نعم يارسول الله قال: امرؤ معتزل في شعب يقيم الصلاة، و يؤتي الزكاة ويعتزل الناس، قال: فأخبركم بشر الناس منزلة؟ قلنا: نعم يا رسول الله، قال: الذي يسأل بالله العظيم، و لا يعطي به»[(١)] حيث قال: «(فائدة) في الحديث تحريم سؤال شيء من أمور الدنيا بوجه الله -تعالى-»[(٢)]، ثم قال -أيضاً- في نفس الموضع: «يدل على تحريم السؤال به تعالى حديث: (لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) ولكنه ضعيف الإسناد كما بيّنه المنذري وغيره، و لكن النظر الصحيح يشهد له، فإنه إذا ثبت وجوب الإعطاء لمن سأل به -تعالى- كما تقدم، فسؤال السائل به قد يعرض المسؤول للوقوع في المخالفة وهي عدم إعطائه إياه ما سأل وهو حرام، و ماأدى إلى محرم فهو محرم، فتأمل»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٩٧، الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب أحاديث في صفة الثلاثة الذين يحبهم الله، برقم: (٢٥٦٨)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الليل في السفر، برقم: (١٦١٦) وفي الزكاة، باب من يسأل بالله ﷻ ولا يعطى به، برقم: (٢٥٧١)، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٣٦٨، وصححه الألباني في الصحيحة برقم٢٥٥، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان ٢/ ٣٦٨: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) السلسلة الصحيحة١ / ٥١٢، ولم يتبين لي وجه الشاهد من الحديث، إذ ليس فيه تصريح بذكر الوجه.

(٣) المصدر السابق ١/ ٥١٢-٥١٣.

وقال بعدم الجواز الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لحديث: (لايسأل بوجه إلا الجنة) في كتاب التوحيد: حيث قال: «أي لا يجوز ذلك، إجلالا لله وإكراما وإعظاما له أن يسأل بوجهه العظيم ما هو حقير لديه من حوائج الدنيا»(١).

وعند ذكر أوجه السؤال بوجه الله قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً وهذا غير جائز»(٢).

وصرّح بعدم الجواز -أيضاً- الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- حيث قال: «من غير الجائز أن يُسأل الله ﷻ بنفسه أو وجهه أو بصفة من صفاته أو باسم من أسمائه الحسنى إلا أعظم مطلوب، فإن الله ﷻ لا يُسأل بصفاته الأشياء الحقيرة الوضيعة»(٣).

وذهب الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن الحديث يدل على المنع من أن يَسأل السائل حوائج الدنيا بوجه الله بصرف النظر عن كونه أراد بذلك أن تكوناً عوناً على الآخرة أم لا، فقال: «ما يختص بالدنيا

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٧١.

(٢) معجم المناهي اللفظية ص١٦٥.

(٣) التمهيد ص٤٥٩، وقد جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما عند البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٧٢ أنه قال: «يَنْبَغِي لِلسَّائِلِ أَنْ يُعَظِّمَ أَسْمَاءَ الله -تَعَالَى-، وَلَا يَسْأَلُ بِشَيْءٍ مِنْهَا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا شَيْئًا»، ويشكل على القول بعدم جواز سؤال أمرٍ من أمور الدنيا بغير الوجه من أسماء الله وصفاته حديث: الثلاثة الأبرص، والأقرع، والأعمى، فإن المَلَك قال للأبرص: (أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي)، وقال للأعمى: (أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة، ح٣٤٦٤.

كسؤال المال والرزق والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة. فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله»[١]، ونقل هذا الكلام على سبيل الإقرار دون الإشارة إلى قائله كل من الشيخ أحمد بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، والشيخ عبدالرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: «لا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل بوجه الله حوائج الدنيا؛ إعظامًا لوجه الله وإجلالاً له؛ فمن سأل بوجه الله أمرًا من أمور الدنيا؛ كان عاصيًا مخالفًا لهذا النهي»[٤].

وجاءت عبارات بعض العلماء مبينة منع سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً، وإن لم تصرّح بالتحريم أو عدم الجواز، فمن ذلك ماقاله الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «إِنَّمَا أُرِيدَ النَّهْيُ عَنْ سُؤَالِ الْمَخْلُوقِينَ بِذَلِكَ وَكَذَا عَنْ سُؤَالِ اللهِ تَعَالَى بِوَجْهِهِ فِي الْأُمُورِ الْهَيِّنَةِ»[٥].

وذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه، فإنه لا يسألها بوجهه»[٦].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن سألت من أمور الدنيا، فلا تسأله

---

(١) فتح المجيد ٢/ ٧٦٣.
(٢) ينظر: شرح القصيدة النونية ٢/ ٦١٨.
(٣) ينظر: حاشية ابن قاسم ص٣٥٠.
(٤) المنتقى من فتاوى الفوزان ٢/ ٧.
(٥) طرح التثريب ٣/ ٤٤١.
(٦) القول السديد ص١٦٨.

بوجه الله، لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به لشيء من أمور الدنيا»[١].

وقال -أيضاً-: «لا تسأل بوجه الله شيء من أمور الدنيا، لا تقل: اللهم أني أسألك بوجهك أن تعطيني بيتاً أسكنه، أو سيارة أركبها أو ما أشبه ذلك، لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به شيء من الدنيا، الدنيا كلها دنيئة، كلها فانية، كلها لا خير فيها إلا ما يقرب إلى الله ﷻ، وإلا فهي خسارة قال -تعالى-: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[٢]العصر يعني: الدهر، وهو الدنيا أقسم بالعصر أن كل إنسان في خسر لا يستفيد من عصره إلا من جمع هذه الصفات الأربع ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ واحد، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ اثنين، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ ثالث يعني أوصى بعضهم بعضاً بالحق، والرابع ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[٣] أي: بالصبر على الحق، والدعوة إليه، والصبر على أقدار الله وغير ذلك»[٤].

وذهب عدد من العلماء إلى أن النهي الوارد في الحديث إنما هو للكراهة، وليس للتحريم.

وممن ذهب إلى ذلك النووي [ت٦٧٦هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث بوّب على هذا الحديث في كتابه رياض الصالحين بقوله: «باب كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله غير الجنة»[٥]، وأكد ذلك الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «إنما بوّب النووي للحديث بالكراهة لا بعدم الجواز فقال: باب كراهة أن يسأل الإنسان

(١) القول المفيد ٢/ ٣٩٨.
(٢) سورة العصر: ١-٢.
(٣) سورة العصر: ٣.
(٤) شرح رياض الصالحين٦/ ٦٤٦.
(٥) رياض الصالحين ص٦٠٥.

بوجه الله غير الجنة. والكراهة عند الشافعية للتنزيه»[١]

وقال السخاوي [ت٩٠٢هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «الظاهر أن النهي فيه للتنزيه[٢]».

وقال الشيخ عبدالهادي البكري العجيلي[٣][ت١٢٦٢هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لهذا الحديث من كتاب التوحيد: «يظهر أن سؤال الله بوجهه بما يتعلق بالدنيا يكره، كما يدل عليه الحديث»[٤].

ونصّ على القول بالكراهة عدد من علماء المالكية[٥]، الشافعية[٦].

ثانياً سؤال غير اللّه بوجه اللّه أمراً دنيوياً:

ذهب بعض العلماء إلى تحريم سؤال المخلوق بوجه الله أمراً دنيوياً استدلالاً بحديث النبي ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ الله ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ الله ﷻ ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يُسْأَلْ هُجْرًا[٧]»[٨]، وإلى لعنة من فعل ذلك.

---

(١) التعليق على المشكاة ١/ ٦٠٥.

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي ص٧٣٠-٧٣١

(٣) كتب د.حسن العواجي ترجمة موسعة عنه في مقدمة تحقيقه لكتاب تحقيق التجريد شرح كتاب التوحيد.

(٤) تحقيق التجريد شرح كتاب التوحيد٢/ ٣٢٢.

(٥) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل ٩ / ١٧٧.

(٦) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب ٤ / ٢٤١، ومغني المحتاج ٣/ ١٢٢.

(٧) الهُجْر: بضم الهاء وسكون الجيم الإفحاش في المنطق والخنا والقبيح من القول. ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٤٢، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٥٧، والمراد به في الحديث: ما لم يسأل أمراً قبيحاً لا يليق، ويحتمل أنه أراد ما لم يسأل سؤالا قبيحا بكلام قبيح. ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ٣٦٩، وسبل السلام للصنعاني٢/ ٧١.

(٨) أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء ١/ ٥٨١، وحسّنه العراقي في طرح التثريب٤/ ٥٠٠، =

قال الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما سؤال المخلوق بوجه الله فحرام للأحاديث التي تقدمت في الباب قبله[١]، وفيها لعن من سأل أحداً بوجه الله»[٢].

وقال الشيخ سليمان بن حمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما سؤال المخلوق بوجه الله فحرام لما روى الطبراني عن أبي موسى مرفوعًا: (ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سئل بوجه ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً)»[٣].

ووجّه بعض أهل العلم اللعن في الحديث إلى أن المراد به سؤال المخلوق بوجه الله فقال المناوي [ت١٠٢٩هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله مالم يسأل هجرا) لا يناقضه استعاذة النبي ﷺ بوجه الله، لأن ما هنا في طلب تحصيل الشيء من المخلوق وذاك في سؤال الخالق، أو المنع في الأمر الدنيوي، والجواز في الأخروي»[٤].

كما نصّ بعض العلماء على أن سؤال غير الله بوجه الله أمراً من أمور الدنيا غير جائز، وممن نصّ على ذلك الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال عند ذكره لأوجه السؤال بوجه الله: «سؤال غير الله بوجه الله أمراً دنيوياً وهو غير جائز»[٥].

ولاريب أن من صرّح بالتحريم، أو قال بعدم الجواز، أو منع أن يُسأل الله

=

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد٣/ ١٠٣: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ عَلَى ضَعْفٍ فِي بَعْضِهِ مَعَ تَوْثِيقٍ»، وحسّنه الألباني في السلسة الصحيحة برقم٢٢٩٠.

(١) يعني: باب لايرد من سأل بالله.

(٢) إبطال التنديد ص٢٧٠، وينظر: حاشية ابن قاسم ص٣٥٠.

(٣) الدر المنضود ص٢٩٤.

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير٢/ ٧٣٣.

(٥) معجم المناهي اللفظية ص١٦٥.

بوجهه أمراً من أمور الدنيا في الصورة السابقة[١] فإن قوله بالتحريم أو عدم الجواز أو المنع في هذه الصورة من باب أولى.

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه لحديث: «لايسأل بوجه الله إلا الجنة» قولين للعلماء في معنى الحديث، أحدهما أن المراد لا تسألوا الله بوجهه إلا الجنة، والثاني ذكره بقوله: «وقيل: المراد لا تسألوا من الناس شيئًا بوجه اللهّ، كأن يقول: أعطني شيئًا بوجه اللهّ، فإن اللهّ أعظم من أن يسأل به شيء من الحطام. قلت: والظاهر أن كلا المعنيين صحيح»[٢].

كما ذكر القولين الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لكتاب التوحيد فقال: «اُختلف في المراد بذلك على قولين:

القول الأول: أن المراد: لا تسألوا أحداً من المخلوقين بوجه الله، فإذا أردت أن تسأل أحداً من المخلوقين، فلا تسأله بوجه الله، لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة فإذاً لا يسألون بوجه الله مطلقاً، ويظهر أن المؤلف يرى هذا الرأي في شرح الحديث[٣]، ولذلك ذكره بعد: باب لا يرد من سأل بالله.

القول الثاني: أنك إن سألت الجنة وما يستلزم دخولها، فلا حرج أن تسأل بوجه الله، فأمور الآخرة تُسأل بوجه الله، كقولك مثلاً: أسألك بوجهك أن تنجيني من النار، والنبي ﷺ استعاذ بوجه الله لما نزل قوله -تعالى-: ﴿قُلْ

(١) أي: سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٧١.

(٣) حديث: (لايسأل بوجه الله إلا الجنة).

هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾، قال: (أعوذ بوجهك)، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾، قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[(١)]، قال: هذه أهون أو أيسر)[(٢)].

ولو قيل: إنه يشمل المعنيين جميعا، لكان له وجه»[(٣)].

وقد سُئِل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -أيضاً- سؤالاً هذا نصه: «بعض الناس يسأل بوجه الله فيقول: أسألك بوجه الله كذا وكذا، فما الحكم في هذا القول؟.

الجواب: وجه الله أعظم من أن يسأل به الإنسان شيئاً من الدنيا ويجعل سؤاله بوجه الله ﷻ كالوسيلة التي يتوسل بها إلى حصول مقصوده من هذا الرجل الذي توسل إليه بذلك، فلا يقدمن أحد على مثل هذا السؤال، أي لا يقل: وجه الله عليك، أو أسألك بوجه الله أو ما أشبه ذلك»[(٤)].

وجعل ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ السؤال بوجه الله غير الجنة كبيرة من الكبائر لورود هذا اللعن على فاعله، فقال: «الكبيرة الثامنة والتاسعة والثلاثون بعد المائة أن يسأل السائل بوجه الله غير الجنة، وأن يمنع المسئول سائله بوجه الله.

أخرج الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح إلا شيخه وهو ثقة على كلام فيه عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ملعون

---

(١) الأنعام: ٦٥.

(٢) سبق تخريجه ص٢٠.

(٣) القول المفيد ٢/ ٤٠٠.

(٤) فتاوى أركان الإسلام ص١٩١.

من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا)»[١]، لكنّه نبّه إلى أن جعل ذلك كبيرة أو أنه أمرٌ محرم لم يأخذ به أئمة الشافعية بل جعلوه مكروهاً، ثم وجّه الحديث توجيهاً يرى أنه لا يمانع أئمة الشافعية -عند وقوعه على الوجه الذي ذكره- من جعله كبيرة وأمراً محرماً فقال: «تنبيه: عُدَّ كلٌّ من هذين كبيرة وهو صريح اللعن عليهما في الحديث الصحيح، وأن من سئل بالله ولا يعطي شر الناس كما في الحديث الذي بعده[٢]، لكن لم يأخذ بذلك أئمتنا فجعلوا كلاً من الأمرين مكروهاً، ولم يقولوا بالحرمة فضلاً عن الكبيرة، ويمكن حمل الحديث في المنع على ما إذا كان لمضطر، وتكون حكمة التنصيص عليه أن منعه مع اضطراره وسؤاله بالله أقبح وأفظع، وحمله في السؤال على ما إذا ألح وكرر السؤال بوجه الله حتى أضجر المسئول وأضره وحينئذ فاللعن على هذين، وكون كل منهما كبيرة ظاهر ولا يمتنع من ذلك أصحابنا، وكلامهم إنما هو في مجرد السؤال بوجه الله -تعالى-، وفي منع السائل بذلك لا عن اضطراره، وبهذا اتضح الجمع بين كلام أئمتنا وتلك الأحاديث التي قدمناها»[٣].

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْعُلَمَاءَ حَمَلُوا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى الْكَرَاهَةِ»[٤].

وقد أخرج البيهقي[ت٤٥٨هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناد صحيح عن عدد من

---

(١) الزواجر ١/ ٣٦٩.

(٢) وهو قوله ﷺ: (ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يسأل بالله العظيم ولا يعطي به.) وسبق تخريجه، وبيان حكم العلماء ص٢٤.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١ / ٣٧١.

(٤) سبل السلام ٢/ ٧١.

السلف أنهم كانوا يكرهون أن يسأل الله تعالى بوجهه أمراً من أمور الدنيا، وكذا نقل عن بعضهم بنفس الإسناد كراهة أن يُسأل الإنسان بوجه الله فقال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حَدَّثَنَا أبو العباس هو الأصم، حَدَّثَنَا الصاغاني، حَدَّثَنَا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: قال **عطاء**: بلغنا أنه يكره أن يسأل الله -تعالى- شيئاً من الدنيا بوجهه.

قال: وقال ابن جريج: أخبرني ابن **طاووس**، عن أبيه أنه كان يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله. قال: وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: بلغنا ذلك.

قال: وقال ابن جريج: أخبرني عبد الكريم بن مالك قال: إن رجلاً جاء إلى **عمر بن عبد العزيز** فرفع إليه حاجته ثم قال: أسألك بوجه الله -تعالى-، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد سألت بوجهه، فلم يسأل شيئا إلا أعطاه إياه، ثم قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك ألا سألت بوجهه الجنة»[(١)].

وأخرج ابن أبي شيبة[ت٢٣٥هـ]رَحِمَهُ اللَّهُ بسند صحيح: «عن عطاء أنه كره أن يسأل بوجه الله أو بالقرآن شيء من أمر الدنيا»[(٢)].

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ٢ / ٩٥، قال محقق الكتاب عن هذا الإسناد: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات معروفون».

(٢) مصنف أبن أبي شيبة ٤/ ٦٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٢٥٢.

المبحث الثالث: حكم إجابة من سأل بوجه الله تعالى

قد يُظنّ أن هناك تعارضاً بين القول بتحريم أو كراهة السؤال بوجه الله تعالى أمراً دنيوياً، وبين القول بمشروعية إعطاء من سأل بوجه الله تعالى أمراً دنيوياً، والصحيح أنه لاتعارض بينهما، لأن الممنوع منه إنما هو السؤال، وأما إجابة من سأل فإن النصوص لم تأت بالنهي عنه، بل جاءت بالأمر به كقول النبي ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه»(١)، وقوله ﷺ: «ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سُئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هُجْراً»(٢).

وقد جاءت أقوال العلماء مبيّنة لهذا الأمر، وأن إجابة السائل بوجه الله قد تكون واجبة، أو مستحبة، وقد تكون حراماً.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود: (ومن سألكم بوجه اللهّ فأعطوه). ومعناه ظاهر، وهو أن يقول: أسألك باللهّ أو بوجه اللهّ ونحو ذلك، أن تفعل أو تعطيني كذا، ويدخل في ذلك القسم عليه باللهّ أن يفعل كذا، وظاهر الحديث، وجوب إعطائه ما سأل ما لم يسأل إثمًا، أو قطيعة رحم.

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب، باب الرجل يستعيذ الرجل بالرجل ح٥١١٠، والإمام أحمد في مسنده٤/ ١١٣، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ٤١٢، وجود إسناده ابن مفلح في الفروع ٦/ ٣٠٦، وقال الألباني في السلسة الصحيحة ١/ ٥٠٩: «هذا سند جيد -إن شاء الله تعالى-، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير أبي نهيك»، وحسّنه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ٤/ ١١٣، وقال محقق مسند أبي يعلى ٤/ ٤١٢: «إسناده صحيح».

(٢) سبق تخريجه.

وقد جاء الوعيد على ذلك في عدة أحاديث، منها: حديث أبي موسى مرفوعًا: «ملعون من سأل بوجه اللهّ، وملعون من يسأل بوجهه ثم منع سائله ما لم يسأل هجرًا». رواه الطبراني. قال في«تنبيه الغافلين»: ورجال إسناده رجال الصحيح، إلا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، والأكثر على توثيقه، فإن بلغ هذا الإسناد أو إسناد غيره مبلغًا يحتج به كان ذلك من الكبائر[١]»[٢].

وأكد القول بالوجوب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «يجب إعطاء السائل مما له فيه حق كبيت المال، أو من في ماله فضل على حسب حاله ومسألته، أو يكون السائل مضطراً فيجب دفع ضرورته، ويحتمل أن يكون المراد فيما لا مشقة فيه ولا ضرر، وقد حث الله على الإنفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه، فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[٣]، وغيرها. وذكره في الأعمال التي أمر بها عباده وتعبدهم بها، ووعدهم عليها الأجر العظيم، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾[٤]، وحث النبي ﷺ على الصدقة ورغّب فيها في أحاديث كثيرة، **فإذا سُئل بوجه الله صار آكد وأوجب، إعظاماً لله، وهيبة منه أن يرد من سأل به**»[٥].

وذكر المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من سأل بوجه الله فإنه يعطى ماهو جائز شرعاً إعطائه، فقال عند شرحه لحديث: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِّ فَأَعِيذُوهُ، ومن سألكم

(١) ينظر: تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، لأبي زكريا النحاس ص٣٣٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٧٢.

(٣) سورة الحديد: ٧.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٥) حاشية ابن قاسم ص٣٥٠.

بوجه الله فأعطوه»: «(بوجه الله) شيئاً مما يجوز شرعاً (فأعطوه) ما طلبه ندبا مؤكداً»[١]، وقال -أيضاً-: «(فأعطوه) ما يستعين به على الطاعة إجلالاً لمن سأل به، فلا يعطى من هو على معصية أو فضول، وزاد لفظ (بالله) إشارة إلى أن استعاذته وسؤاله بحق، فمن سأل بباطل فإنما سأل بالشيطان»[٢].

وأكد الشيخ عبدالمحسن العباد -حفظه الله- أن السائل بوجه الله يعطى إذا سأل ماهو ممكن تحقيقه من غير مشقة فقال: «قوله: (ومن سألكم بوجه الله فأعطوه) يعني: من سأل بوجه الله شيئاً من الأشياء فإنه يعطى، وفي بعض الروايات: (من سأل بالله) يعني: دون ذكر وجه الله، ومن المعلوم أن السؤال الجائز هو الذي يكون تحقيقه ممكناً وليس فيه مشقة على الإنسان، وإلا فقد يسأل الإنسان أشياء ليس من حق السائل أن يسأل، فلا يحقق له ما يريد، كأن يسأل بالله شيئاً لا يجوز أن يخبر به وليس من حقه أن يسأل عنه، وإنما يسوغ السؤال في الشيء الذي من حقه أن يسأله، أو في أمر دعته الضرورة إليه، أما أن يسأل عن أمور خاصة لا يجوز إبداؤها ولا يجوز إظهارها، فليس من حقه أن يسأل هذا السؤال، لكن له أن يسأل شيئاً هو بحاجة إليه والمسؤول متمكن من ذلك ولا مشقة عليه، وأما إذا كان غير مضطر وإنما يريد أن يتوسع أو يريد شيئاً ليس بحاجة إليه، كأن يريد مثلاً مبالغ طائلة، فلا تحقق رغبته»[٣].

وقال العظيم آبادي [ت١٣٢٩هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عون المعبود: «(ومن سألكم بوجه الله) أي شيئاً من أمور الدنيا والآخرة أو العلوم (فأعطوه) إجلالاً لمن

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير٢/ ٧٦٦.
(٢) المصدر السابق
(٣) شرح سنن أبي داود ١/ ٢، وهو شرح منسوخ من دروس الشيخ الصوتية.

سألكم به»[١].

وذهب السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى استحباب إجابة السائل بوجه الله ذاكراً الأدلة على ذلك فقال: «لا يمنع استحباب الإجابة لمن سئل به، بل ورد الترهيب من كليهما[٢]، فعند الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح عن أبي موسى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من يسأل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً) - يعني قبيحاً، وللطبراني عن أبي عبيدة مولى رفاعة بن رافع أن رسول الله ﷺ قال: (ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من يسأل بوجه الله فيمنع سائله)، ولأبي داود والنسائي وصححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عمر رفعه في حديث: (من سأل بوجه الله فأعطوه)»[٣].

وقد وجه بعضهم ما ذهب إليه بعض العلماء من أن ردّ السائل بوجه الله كبيرة من الكبائر بأن ذلك محمول على ما إذا كان السائل مضطراً، والمسؤول قادراً على الإجابة.

قال ملا علي قاري[ت١٠١٤هـ] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: (الذي يسأل بالله ولا يعطي به) على بناء الفاعل فيهما أي يسأل غيره بحق الله ثم إذا سُئل هو به لا يعطي بل ينكص ويبخل، ويحتمل أن يكون قوله (يُسأل) مبنياً للمفعول أي يسأله غيره بالله فلا يجيب؛ يعني يسأله صاحب حاجة بأن يقول: أعطني لله وهو يقدر، ولا يعطي شيئاً بل يرده خائباً.

---

(١) عون المعبود ١٤ / ٩.

(٢) يعني: السؤال بوجه الله، وعدم إجابة من سائل بوجه الله.

(٣) المقاصد الحسنة ص٧٣٠.

قال الطيبي [ت٧٤٣هـ]: الباء كالباء في كتبت بالقلم أي: يسأل بواسطة ذكر الله، أو للقسم والاستعطاف أي يقول السائل: أعطوني شيئاً بحق الله.

وقال ابن حجر [ت٨٥٢هـ]: أي مقسماً عليه بالله استعطافاً إليه وحملاً له على الإعطاء، بأن يقال له: بحق الله أعطني كذا لله. ولا يعطي مع ذلك شيئاً أي: والصورة إنه مع قدرةٍ عَلِمَ اضطرار السائل إلى ما سأله، وعلى هذا حمل قول الحليمي أخذاً من هذا الحديث وغيره، إن رد السائل بوجه الله كبيرة»[(١)].

وأشار الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السائل مالم يسأل أمراً ممتنعاً فإن ينبغي إعطاؤه فقال: «حَيْثُ جَازَ السُّؤَالُ فَيُجْتَنَبُ فِيهِ الْإِلْحَافُ وَالسُّؤَالُ بِوَجْهِ اللهَّ تَعَالَى فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: (لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهَّ إِلَّا الْجَنَّةُ). وَمَعَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي إِعْطَاؤُهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ مُمْتَنِعًا، لِمَا رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهَّ وَمَلْعُونٌ مِنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهَّ فَمَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ هَجْرًا)»[(٢)].

وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَحْتَمِلُ أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ الْمُضْطَرُّ، وَيَكُونُ ذِكْرُهُ هُنَا أَنَّ مَنْعَهُ مَعَ سُؤَالِهِ بِاَللَّهِ أَقْبَحُ وَأَفْظَعُ وَيُحْمَلُ لَعْنُ السَّائِلِ عَلَى مَا إذَا أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ حَتَّى أَضْجَرَ الْمَسْؤولَ»[(٣)].

ولا يخفى أن القول بوجوب أو استحباب إجابة من سأل بوجه الله إنما هو

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/ ١٨٦.

(٢) طرح التثريب ٣/ ١١٢.

(٣) سبل السلام ٢/ ٧١.

في سؤال غير المكروه أما سؤال المكروه فلا يكره رده، ومثله المحرم بالأولى[١].

أما القول بتحريم إجابة من سأل بوجه الله أمراً ليس بمكروه ولا محرم فهو قول لا تعضده الأدلة التي وردت بإجابة من سأل بوجه الله، قال ابن العماد الحنبلي[ت١٠٨٩هـ]رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا الإقسام بوجه الله -تعالى-، فقيل: حرام، وقيل: مكروه، وهو الصحيح لما روى أبو داود: (لا يُسأل بوجه الله إلاَّ الجنَّة).

وتُسَنُّ إجابة السّائل بذلك، وقيل: تجب، لما روى أبو داود بإسناد جيد: (من سألكم بوجه الله فأعطوه).

وقيل: يحرم، بناءً على أن ابتداء السؤال بذلك حرام، فمن أجابه فقد أعانه على فعل المحرّم، وفيه شيء»[٢].

(١) ينظر: إعانة الطالبين ٤/ ٣١٤.

(٢) معطية الأمان من حنث الأيمان ص٢٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على التوفيق والامتنان والفضل والإنعام لما يسّر من إكمال هذا البحث الذي كان من أهم نتائجه ما يلي:

١) معنى السؤال بوجه الله: أن يجعل السائل السبب والوسيلة لحصول مطلوبه، أو دفع مرهوبه هو توسله بوجه الله تعالى.

٢) أن هناك فرقاً بين السؤال بوجه الله تعالى والقسم بوجهه، إذ لايلزم السائل بوجه الله كفارة إذا لم يُجب سؤاله، بخلاف القسم، كما إن القسم لايلزم أن يكون متضمناً لسؤال فقد يقسم لتصديق أمر أو تكذيبه ونحو ذلك.

٣) أوضح عدد من العلماء العلاقة بين توحيد الله تعالى والسؤال بوجهه الجنة دون غيرها من المطالب، وأنها ظاهرة، لأن امتثال ذلك دليل على احترام وإجلال وتعظيم صفات الله تعالى، وتعظيمُ صفاته تعظيمٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتعظيمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من توحيده، وكمال التعظيم دليل على كمال التوحيد والإيمان.

٤) السؤال بوجه الله تعالى له صور مشروعة وصور ممنوعة، فليس كل سؤال بوجه الله مشروعا، كما إنه ليس كل سؤال بوجه الله محرما وممنوعا.

٥) لاخلاف بين العلماء على تحريم سؤال الله بوجهه أمراً محرماً سواء كان دينياً، أو دنيوياً، أو أخروياً.

٦) سؤال الله بوجهه الجنة ونعيمها جائز بل مشروع، وذلك لأنها أعظم المطالب فناسب ذلك عظمة وجه الله تعالى الذي جُعل وسيلة وسبباً في السؤال.

٧) اتفقت عبارات العلماء على بيان جواز سؤال الله بوجهه مايكون وسيلة وطريقاً موصلاً إلى الجنة، وأن ذلك لا يدخل تحت عموم النهي الوارد في حديث: «لايسأل بوجه الله إلا الجنة».

٨) جعل بعض العلماء ذكر الجنة في حديث: «لايسأل بوجه الله إلا الجنة» من باب التنبيه على الأمور العظام لا أنه على سبيل التخصيص.

٩) تعددت مسالك العلماء في بيان الوسائل والطرق الموصلة إلى الجنة التي يجوز أن تُسأل من الله بوجهه، فمنها: الاستعاذة بوجهه من غضبه وناره، وسؤال العمل الصالح، والاستقامة، والعافية من مضلات الفتن، والهداية إلى الحق، وكالتثبيت عند السؤال، ونحو ذلك.

١٠) لا تعارض بين الاستعاذة بوجه الله من غضبه، أوناره ونحو ذلك وماورد في الحديث من النهي عن السؤال بوجه الله غير الجنة لأنه سؤال ما يقرب إلى الجنة، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة.

١١) جاء في الأحاديث ما يدل على جواز أن يُسأل غير الله بوجه الله أمراً دينياً كما في حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال للنبي ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا ؟» فأقره النبي ﷺ، وأجابه على سؤاله.

١٢) حمل أكثر العلماء النهي الوارد في حديث: «لايُسأل بوجه الله إلا الجنة» على أن المراد به سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً، وذلك لأن وجه الله عظيم فمن غير المناسب أن يتوسل بالعظيم إلى شيء حقير، وكلُّ ما دون الجنّة وما يوصل إليها فإنّه حقير.

١٣) وذهب عدد من العلماء إلى أن النهي الوارد في الحديث إنما هو للكراهة، وليس هو للتحريم.

١٤) ذهب بعض العلماء إلى تحريم سؤال المخلوق بوجه الله أمراً دنيوياً استدلالاً بحديث النبي ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهِ ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ ، ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يُسْأَلْ هُجْرًا».

١٥) لا تعارض بين القول بتحريم أو كراهة السؤال بوجه الله تعالى أمراً دنيوياً، وبين القول بمشروعية إعطاء من سأل بوجه الله تعالى أمراً دنيوياً، لأن الممنوع منه إنما هو السؤال، وأما إجابة من سأل فإن النصوص لم تأت بالنهي عنه.

هذا ما يسر الله بحثه، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله من ذلك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد، حمد بن علي بن عتيق، تقديم ومراجعة إسماعيل ابن عتيق، دار الكتاب والسنة، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ، توزيع مؤسسة الجريسي.

٢) الأسماء والصفات لأبي بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدالله محمد الحاشدي، قدم له مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة.

٣) إعانة الطالبين حاشية على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين أبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٥) تاج اللغة وصحاح العربية.، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة، يناير ١٩٩٠.

٦) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي البكري، دراسة وتحقيق: حسن بن علي العواجي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، نشر دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٨) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، لأبي زكريا النحاس، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٩) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق:

د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ه.

١٠) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ.

١١) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٢) الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة في علم التوحيد، عبدالله بن جارالله الجارالله، مطابع الإشعاع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد، محمد بن عبدالعزيز القرعاوي، مطابع نجد، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

١٤) حاشية كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

١٥) الدر النضيد على كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالرحمن الحمدان اعتنى به: عبدالإله بن عثمان الشايع نشر دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٦) الرد على الجهمية لابن منده، تحقيق علي ناصر فقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.

١٧) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

١٨) سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٩) سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ.

٢٠) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق محمد فؤاد

عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

٢١) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، مراجعة وضبط وتعليق د. محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٢٢) السنن الكبرى للنسائي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسري حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٣) شرح سنن أبي داود للشيخ عبدالمحسن العباد، وهو شرح منسوخ من دروس الشيخ الصوتية.

٢٤) شرح كتاب التوحيد، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، حقق أحاديثه وخرجها محمد العلاوي، دار الضياء، طنطا- مصر.

٢٥) صحيح أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٢٦) صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٧) طرح التثريب شرح التقريب، لأبي الفضل عبدالرحيم العراقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

٢٩) فتاوى أركان الإسلام ابن عثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر بإشراف محب الدين الخطيب، ١٣٨٠هـ.

٣١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق الوليد بن عبدالرحمن الفريان، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٢) الفروع، لمحمد بن مفلح المقدسي، تحقيق حازم القاضي، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.

٣٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ.

٣٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ربيع بن هادي المدخلي، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٣٥) القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٠١ هـ.

٣٦) القول السديد في مقاصد التوحيد، عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٣٧) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، الرياض، دار الثريا، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٨) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، محمد بن عبدالوهاب، نشر دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

٣٩) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

٤٠) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي قاري، تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

٤١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت،

الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

٤٢) المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت.

٤٣) المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٤٤) معطية الأمان من حنث الأيمان لابن العماد الحنبلي، حققه وعلق عليه د. عبدالكريم العمري، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية.

٤٥) المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودى، دار العلم الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٦) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دارالكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

٤٧) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لأبي عبدالله المغربي المعروف بالحطاب الرعيني، ضبطه وخرّج أحاديثه زكريا عميرات، دار عالم الكتب.

٤٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

جدول المحتويات

ملخص البحث ٢٦٣
المقدمة ٢٦٧
أهمية الموضوع وأسباب اختياره: ٢٦٩
أهداف البحث: ٢٦٩
أسئلة البحث: ٢٧٠
خطة البحث: ٢٧٠
منهج البحث: ٢٧١
المبحث الأول: بيان معنى السؤال بوجه الله تعالى، وعلاقته بتوحيد الله تعالى .. ٢٧٣
المطلب الأول: بيان معنى السؤال بوجه الله تعالى ٢٧٣
أ – معنى السؤال في اللغة: ٢٧٣
ب – معنى السؤال بوجه الله: ٢٧٥
ج – الفرق بين السؤال بالله أو بأسمائه وصفاته –كالوجه– وبين القسم بها: ٢٧٦
المطلب الثاني: العلاقة بين توحيد الله تعالى و السؤال بوجه الله تعالى ٢٧٨
المبحث الثاني: صور السؤال بوجه الله تعالى مع بيان حكمها ٢٨٢
المطلب الأول: الصور المشروعة ٢٨٣
أولاً: سؤال الله بوجهه أمراً دينياً أو أُخروياً: ٢٨٣
ثانياً: سؤال غير الله بوجه الله أمراً دينياً: ٢٩٠
المطلب الثاني: الصور المختلف فيها. ٢٩٢
أولاً: سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً: ٢٩٢
ثانياً سؤال غير الله بوجه الله أمراً دنيوياً: ٢٩٧

المبحث الثالث: حكم إجابة من سأل بوجه الله تعالى ٣٠٣
الخاتمة.....٣٠٩
المصادر والمراجع ٣١٢
جدول المحتويات ٣١٧

السلفية
حقيقتها وصلتها
بالدولة السعودية

د. خالد بن ناصر بن ربيعان العتيبي

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

السلفية: حقيقتها وصلتها بالدولة السعودية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فيتلخص بحث هذا الموضوع في النقاط التالية:

١) أهمية العقيدة السلفية فهي تعدّ عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، ومن أراد النجاة في الدنيا والآخرة فعليه لزوم طريقها.

٢) أهمية البحث ترجع لخطورة الاختلاف عن عقيدة السلف والآثار المترتبة عليه في الدنيا والآخرة.

٣) تبيين خطورة أعداء العقيدة السلفية ودعاتها، فهم يسعون لإبطالها وتشويهها بأنواع الافتراءات، وهذا من ديدن أهل البدع، وهو مستمر منذ قيام الدعوة إلى اليوم، إلا أن الله تعالى لا يزيد هذه الدعوة إلا نجاحا ونصراً، وذلك بسبب تأييده سبحانه، ثم بسبب حماس أتباعها في العمل بها ونصرتها والذب عنها.

٤) تبين أن السلفية تعني لغة: التقدم والسبق، وفي الشرع تعني: أحد معنيين: الأول: أهل القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، من التمسّك بالكتاب والسنة، علمًا وعملاً، وفهمًا وتطبيقًا، وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم السلف الصالح.

٥) السلفية كمعتقد لم يؤسسها أحد من البشر، بل هي العقيدة التي

ارتضاها الله تعالى وأنزلها على أنبيائه ورسله، وأما عن نشأة مصطلح «السلفية» فإنه لما ظهرت الفرق المبتدعة وخالفت هدي الصحابة وأتباعهم، اشتهر هذا الاصطلاح.

٦) يصح الانتساب إلى السلفية ما دام أنهم قد التزموا بما كان عليه سلفهم من الاعتقاد الصحيح بالنص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة والتمسّك بموجبها من الأقوال والأعمال.

٧) السلفية تعني الإسلام الصافي الصحيح الذي اختاره الله تعالى وأنزله على أنبيائه ورسله، والذي أمرنا باتباعه، وهي سلفية واحدة وليست متعددة.

٨) كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب على عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

٩) الباعث الحقيقي للدعوة الإصلاحية هو ما وصل إليه حال العالم الإسلامي من تدهور وانحطاط على كافة المستويات وخاصة الدينية والسياسية.

١٠) انتقلت الدعوة السلفية بسبب البيعة المباركة بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وبين محمد بن سعود من حال الضعف إلى حال القوة والانتشار.

١١) أثرت الدعوة السلفية تأثيرا كبيراً على أدوار الدولة السعودية الثلاثة في جميع المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فتمسك الناس بالدين وانتشر التوحيد وحورب الشرك، ورفعت راية الجهاد، ووحدت نجد والجزيرة العربية، وعم الأمن والرخاء والألفة بين المسلمين، وتبنت الدولة العقيدة السلفية ونشرتها في جميع المجالات الرسمية.

١٢) أسهم حكام آل سعود إسهاماً عظيماً في نصرة الدعوة السلفية

وانتشارها داخلياً وخارجياً، فانتقلت الدعوة من مرحلة الدعوة باللسان إلى مرحلة الدعوة بالجهاد والسنان، وانتشرت بذلك العقيدة السلفية، وهدمت جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور، وأقيمت شعائر الإسلام، وتفقه الناس في دينهم، وأقيمت دولة إسلامية دستورها كتاب الله، وسنة رسوله.

١٣) تَمَثّل حكامُ آل سعود الدينَ في حكمهم، وحكموه فيهم، فقويت صلتهم بالله تعالى، وبذلوا النصيحة للدين والرعية.

١٤) فهم حكام آل سعود من الدعوة الإصلاحية السلفية ما فهمه السلف الصالح من الإسلام، ولذلك افتخروا بانتسابهم إلى السلفية، واتبعوا الكتاب والسنة بفهم السلف دون التعصب لقول أحد، وسعوا إلى وحدة المسلمين وجمع كلمتهم.

Abstract

of the treatise entitled:

The Reality of Salafiyah and Its Relevance to Saudi State

All praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah and his family and companions, and who followed them in truth until the Day of Judgment, and after:

This treatise sums up in the following points:

1- importance of Salafi doctrine: Salafi doctrine is a doctrine of the sect, saved (from Hellfire), and supported (by Allah) against other sects till the day of resurrection, and he who wanted safety in this world and in the Hereafter he must adhere to its way.

2- importance of the treatise: goes back to the seriousness of difference from the doctrine of the predecessors and its implications in the worldly life and the Hereafter.

3- To indicate significance of the enemies of the Salafi doctrine and its preachers. They seek to invalidate it, and distort it by the types of slanders. This is a habit of the people of innovation, and is continuous till today since the establishment of the Dawah movement. However, Allah does increase this movement with success and victory. And that because of His support, Almighty, after that, because of enthusiasm of the followers in working out and supporting it and defending it.

4- To indicate that the Salafiyah linguistically means: Progress and precession. In the Sharia means: one of two connotations: first: the people of the three favorite centuries; Companions, followers and their followers. The second is the way on which were the Companions and followers and who followed them in truth, i.e. to stick to the Qur'an and Sunnah, by learning, doing, understanding and application, and putting them above all other else, and acting according to them in the light of understanding of the pious ancestors (Salaf Salih).

5- The Salafiyah as a faith is not established by one of the humans. But It is a doctrine accepted by God and revealed to the prophets and messengers. As for the genesis of the term

(Salafiyah), it appeared and became known when the teams of innovators emerged and differed from the guidance of the Companions and their followers.

6- Belonging to the Salafiyah is true as long as they have sticked to the belief of the righteous forefathers that is a correct belief by the text of the Quran and Sunnah and the consensus of the islamic nation.

7- Salafiyah means the clean and right Islam, chosen by God Almighty, revealed to the Prophets and Messengers of Allah by Him. And it is which we all are ordered to follow, its one Salafiyah only, not multiple.

8- Sheikh Muhammad bin Abdul Wahab was on the doctrine of the pious ancestors, Ahl Sunnah wal Jama'h.

9- The real motive for the 'reformative Dawah movement' was what the Islamic world has reached to, as the deterioration and degeneration at all levels, especially the religious and political.

10- The Salafi Dawah moved from the case of weakness to the case of strongness and proliferation because of the blessed pledge of allegiance between the Imam Muhammad ibn Abd al-Wahhab and Muhammad bin Saud.

11- The Salafi Dawah Influenced a major impact on the three eras of the Saudi state in all spheres; religious, political, social and economic. People stuck to the religion, and spread monotheism, and polytheism was fought, and the banner of jihad was raised, Najd and the Arabian Peninsula were united, and prevailed the security, prosperity and intimacy among Muslims. The state has adopted the Salafi doctrine and spread it over the all official domains.

12- Rulers of Al-Saud shared a great contribution in support of the Salafi Dawah and its spread internally and externally. The Dawah moved from the stage of the tongue calling to the stage of the calling with Jihad by sword and arrow. And thus they spread the Salafi doctrine, and demolished the domes and all the scenes that were built on the graves. The authentic rituals of Islam were raised up. People got knowledge of their religion. And the Islamic state was

established,of which constitution consisted of the Book of Allah, and the Sunnah of His Messenger (p.b.u.h.).

13- Rulers of Al-Saud Represented the religion in their judgment, and appointed it as ruling system over themselves. Their connection with God Almighty got Stronger, they granted sincerity to the religion and the subjects.

14- Rulers of Al-Saud Understood of the reformative Salafi Dawah what pious ancestors Understood of Islam. Therefore they were proud of belonging to the Salafiyah. They followed the Quran and Sunnah in the light of understanding of pious ancestors without intolerance to the words of anyone. And they endeavored to the unity of Muslims and collected their word.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإنه لنعمة خاصة أن يوفق المسلم لسلوك منهج السلف الصالح علما وفهما وعملا، ذلك المنهج الذي لا ريب في صحته وسلامته عند أصحاب العقول والقلوب السليمة، التي سلمت من لوثة الشبهات والشهوات، وقد كان هذا المنهج هو السائد في القرون الثلاثة المفضلة، وكانت له الغلبة، ثم توالت السنون فانتشرت مذاهب أهل البدع حتى أصبح بعضها يسمى بمذهب أهل السنة والجماعة.

ثم قيض الله تعالى بتوفيقه قيام دولة آل سعود التي نصرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، فأعيد منهج السلف الصالح للصدارة والريادة، إلا أن أهل البدع ما لبثوا أن ألصقوا بدعوة الشيخ ومناصريه الأكاذيب والأباطيل لينفروا الناس عنها، فكان لزاما على من عرف حقيقة هذه الدعوة الإصلاحية السلفية أن يقدم شهادته لبيان الحق ورد الباطل، فرغبت أن أكتب بحثا مختصراً أتأمل من الكريم الرحيم أن يكتب لي فيه التوفيق والسداد، وأسميته: «السلفية حقيقتها وصلتها بالدولة السعودية».

وبينت في الفصل الأول: حقيقة السلفية، موضحاً فيه مفهوم السلفية في اللغة والاصطلاح الشرعي، ونشأتها، واستمراريتها إلى يوم القيامة، وأنه يصح الانتساب إليها، وصلتها بالإسلام الصحيح، ووجوب اتباعها وبطلان تقسيمها.

ثم ذكرت في الفصل الثاني تعريفا موجزا بالدولة السعودية، موضحا

سيرة مختصرة للإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم بداية نهضته الإصلاحية، وأثرها على أدوار الدولة السعودية الثلاثة، وأسباب انتشارها، ثم ذكرت في الفصل الثالث مفهوم السلفية عند ولاة الدولة السعودية، موضحا هديهم في حكم الدولة، ومفهوم السلفية عندهم، وأنهم فهموا من السلفية الدين الصحيح الذي دعا إليه النبي ﷺ وأصحابه.

سائلا المولى تبارك وتعالى القبول والتوفيق والسداد، وما توفيقي إلا بالله سبحانه وتعالى.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا الموضوع وتظهر من الوجوه الآتية:

أولاً: بيان حقيقة المنهج السلفي، وأنه يعني الإسلام الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى لعباده.

ثانياً: بيان حقيقة الدعوة السلفية التي دعا إليها الإمام المجدد، والتي هي مطابقة لمعتقد السلف الصالح.

ثالثاً: بيان حقيقة الدولة السعودية، التي كانت مناصرة للدعوة السلفية بصدق، وملتزمة بها في شؤونها كلها داخليا وخارجيا، ومن أجل ذلك كتب الله تعالى لهم القبول والتمكين.

رابعاً: أنه رد وإبطال لكل من سعى لتشويه صورة المعتقد السلفي، زاعما أنه ليس للسلف مذهب، وأنه قد انقرض الانتساب إليهم، ولم يعد لهم أتباع.

خامساً: أنه رد على الأباطيل التي ألصقت بالدعوة الإصلاحية السلفية، والتي يراد منها إبعادها عن منهج السلف الصالح، ومشابهتها لمذهب الخوارج.

سادساً: أن هذا البحث فيه تصحيح لجملة من المفاهيم الخاطئة حول أتباع الدعوة السلفية من حكام آل سعود الأمر الذي يرد الباطل ويحق الحق السلفي.

أسباب الكتابة في هذا الموضوع:

ويمكن حصر هذه الأسباب فيما يلي:

أولاً: إن بيان حقيقة منهج السلف الصالح هو بيان لمنهج الإسلام الصحيح: عقيدة وشريعة، ودعوة وسلوكا، وإرجاع الأمة للإسلام الخالص من كل بدعة وضلالة.

ثانياً: إن من أكبر الأسباب التي أدت إلى ضعف المسلمين اليوم هو الابتعاد عن الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ولا يمكن للأمة أن تعود لسابق عزها وريادتها إلا بسلوك منهج سلف الأمة ﷺ.

ثالثاً: تتابعت الأكاذيب الجائرة قديما وحديثا على الدعوة السلفية وأنصارها من العلماء والحكام حتى صارت موضع شك وريبة عند البعض، فصار لزاماً على من عرف حقيقة الدعوة السلفية أن يبين حقيقتها وصلتها بالإسلام الصحيح، ويدرأ عنها تلك الأكاذيب الباطلة.

رابعاً: ظلمت السلفية بانتساب من ليس منها إليها، أو تقصير بعض أتباعها في بيان حقيقتها، فوجد من يفعل أفعال الخوارج من التكفير والإفساد والتخريب وينسب ذلك إلى منهج السلف، والسلف منه براء، فبيان حقيقة السلفية هو رد على تلك الطوائف الضالة، وكشف لها.

خامسا: ظلمت الدولة السعودية من قبل أعدائها في القديم والحديث بأنهم خوارج ويسعون إلى الملك والسيطرة على العباد والبلاد، وليس لهم

مقصد صادق في سلوك منهج السلف الصالح، فكان من الضروري بيان الحق ورد الباطل لكي يتضح للمسلم حقيقة السلفية وحقيقة الدولة السعودية، وبراءتها مما نسب إليها.

لهذا فقد عزمت على الكتابة في هذا الموضوع، ولست أزعم أن سأوفيه حقه في البحث والتحقيق، لكن أسأل الله تعالى أن يعينني على إخراجه بصورة صحيحة، وأسأله أن يتقبل صوابه، وأن يعفو عن نقصه وخطئه، إنه سميع قريب.

الأمور التي راعيتها في البحث:

راعيت بفضل الله تعالى في أثناء إعداد هذا البحث الأمور الآتية:

١- عزو الآيات القرآنية ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما، وذكرت رقم الحديث فقط مقدما بحرف (ح:) وإن لم يخرجاه فإنني أجتهد في تخريجه من المصادر المعتمدة، وأذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث، وأنقل كلام الأئمة في الحكم عليه.

٣- تجنب ذكر الأحاديث الضعيفة لعدم صحة الاستشهاد بها.

٤- أحرص غالبا على الرجوع إلى التفاسير، وكتب شروح الحديث عند ذكر آية أو حديث لمعرفة كلام أهل العلم عنها.

٥- التعريف بالأعلام، والفِرَق، وضبط الكلمات المشكلة، وتوثيق الأقوال.

٦- أثبت في الآخر المصادر والمراجع التي استقيت منها البحث.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع، وخطة البحث التفصيلية.

التمهيد: في افتراءات خصوم السلفية، وتصدي علماء الدعوة لهم.

الفصل الأول: حقيقة السلفية.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى السلفية لغة واصطلاحا.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى السلفية في اللغة.

المطلب الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح العرفي.

المبحث الثاني: نشأة السلفية واستمراريتها وصحة الانتساب إليها.

المبحث الثالث: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد ﷺ.

المبحث الرابع: وجوب اتباع السلفية.

المبحث الخامس: بطلان تقسيم السلفية.

الفصل الثاني: نشأة الدولة السعودية وتأثرها بالسلفية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

المبحث الثاني: بدء نهضة الشيخ في الإصلاح الديني.

المبحث الثالث: أثر الدعوة السلفية على أدوار الدولة السعودية الثلاثة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الدعوة السلفية في الدور الأول من الدولة السعودية.

المطلب الثاني: أثر الدعوة السلفية في الدور الثاني من الدولة السعودية.

المطلب الثالث: أثر الدعوة السلفية في الدور الثالث من الدولة السعودية.

المبحث الرابع: أسباب انتشار الدعوة السلفية وأثرها على العالم الإسلامي.

الفصل الثالث: مفهوم السلفية عند حكام الدولة السعودية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: هدي حكام آل سعود في حكمهم.

المبحث الثاني: مفهوم السلفية عند حكام آل سعود.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس

التمهيد
افتراءات خصوم الدعوة وتصدي علماء الدعوة لهم

الافتراءات على الدعوة السلفية، والسعي لإبطالها، وتشويهها بما ليس فيها ديدن قديم عند أعداء الدعوة السلفية، فهم قد عجزوا أن يجدوا فيها ما يمكن أن يكون ممسكاً للقدح فيها، فلجأوا إلى اختلاق الأكاذيب والأباطيل الظاهرة في فسادها، والتي لم تخطر على بال أئمة الدعوة، وما هذا الصنيع منهم إلا لكي ينفروا الخلق عن هذه العقيدة السلفية، وتظهر في أعين الخلق في صورة مذهب الخوارج الذين يكفرون ويقتلون المسلمين.

وقد تصدى الإمام محمد بن عبد الوهاب ومن جاء بعده من أئمة الدعوة والمنصفين لإبطال هذه التهم، فقد أنكر الشيخ نفسه في حياته كثيراً من هذه المزاعم التي افتراها عليه بعض أعدائه، حيث جاء في إحدى رسائله مكذبا لبعضهم: «والله يعلم أن الرجل افترى علي أمورا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله: أني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأني أقول: إن الناس من ست مائة سنة ليسوا على شيء، وأني أدعي الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد، وأني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وأني أكفر من توسل بالصالحين ... جوابي عن هذه المسائل: سبحانك هذا بهتان عظيم»[(١)].

وقال الشيخ عبد الله[(٢)] بن عبد اللطيف عن أعداء الدعوة: «فلما لم يبق

---

(١) رسالة الشيخ إلى أهل القصيم ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية ص: ١١- ١٢.

(٢) هو: عبد الله بن عبد اللطيف بن حسن، من أئمة الدعوة الإصلاحية بنجد، تلقى العلم على =

لديهم من سلاح يحاربون الدعوة به؛ شرع بعض المدعين للعلم والحكام يزيدون في اختلاقهم للأكاذيب والافتراءات وينسبونها إلى الشيخ، وأخذوا في استعمال الدعايات الكاذبة والإشاعات الباطلة، وطفق بعضهم يكتب إلى الأتراك، وإلى الأشراف في الحجاز: إن هذا مبتدع، ومذهبه خامس المذاهب، ولا يحب الرسول ﷺ وكفر جميع الناس إلا من كان من أتباعه... »[١].

وقال برائجس[٢]: «لقد أشاع الباب العالي أنه- أي سعود بن عبد العزيز- نهى الناس عن زيارة المدينة، إلا أن هذا ليس بصحيح، فإنه نهى فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة، كما نهى عنها عند قبور الأولياء...وقد اعتمد الأتراك على الشائعات التي روجها الأشراف، إلا أن الحقيقة أنهم متبعون تماما للقرآن والسنة، وكانت حركتهم تطهيرية خالصة في الإسلام»[٣].

كما مدح دعوته كثير من العلماء والمفكرين المنصفين من خارج نجد منهم الأمير الصنعاني[٤]، ومؤرخ مصر الجبرتي[٥]،

=

والده وكبار علماء الدعوة، كان ناشرا للعلم محاربا للبدع، توفي عام: ١٣٣٩ هـ. انظر: الدرر السنية (٢٣/ ٤٥٦).

(١) الإمام محمد بن عبد الوهاب في التاريخ، لعبد الله بن سعد الرويشد ص: ١٦٦.

(٢) أحد الغربيين الذين زاروا الشرق، وكان في البصرة سنة ١٧٨٤ م، وله كتاب: تاريخ موجز للوهابيين.

(٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ص: ١٨٥.

(٤) هو: محمد بن إسماعيل الصنعاني، فقيه مجتهد من بيت الإمامة باليمن، وله المؤلفات العديدة الدالة على سعة علمه أشهرها: سبل السلام في شرح بلوغ المرام لابن حجر، توفي عام: ١١٨٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٨).

(٥) هو: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، مؤرخ مصر في وقته، تعلم في الأزهر وولي إفتاء الحنفية في =

والشيخ القاسمي[١]، والشيخ محمد رشيد رضا[٢]، والأمير شكيب أرسلان[٣]، والشيخ طاهر الجزائري[٤]، والزركلي[٥]، وغيرهم كثير[٦].

=

عهد محمد علي، له كتابه الشهير (عجائب الآثار في التراجم والآثار) أرخ فيه الحوادث من سنة ١١٠٠هـ وحتى ١٢٣٦هـ، توفي عام: ١٢٣٧هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٠٤).

(١) هو: جمال الدين القاسمي الحسيني، إمام الشام في عصره، تعرض للتهم بسبب سلفيته، له العديد من المؤلفات منها: (موعظة المؤمنين) والتفسير، توفي عام: ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٣٥).

(٢) هو: محمد رشيد رضا المصلح المشهور، بغدادي الأصل، له مؤلفات عدة أشهرها تفسيره للقرآن، كما أقام بمصر وأصدر بها مجلة المنار، توفي عام: ١٣٥٤هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١٢٦).

(٣) هو: شكيب بن محمود أرسلان، مؤرخ وعالم بالأدب والسياسة من أكابر الكتاب ينعت بأمير البيان، وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي، له العديد من المؤلفات الدالة على غيرته الإسلامية أشهرها: تعليقاته على (حاضر العالم الإسلامي)، و (لماذا تأخر المسلمون)، توفي عام: ١٣٦٦هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٧٣).

(٤) هو: طاهر بن صالح الجزائري الأصل، الدمشقي المولد والوفاة، بحاثة من أكابر علماء عصره في اللغة والأدب له العديد من المؤلفات، توفي عام: ١٣٣٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٢٢٢).

(٥) هو: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، ولد في بيروت سنة: ١٨٩٣م، لأسرة دمشقية، وعاد أبوه إلى دمشق، وبها تعلم، وكان شاعراً وصحفياً ومؤرخاً، من أشهر أعماله كتابه (الأعلام)، أخذ الجنسية السعودية، وعين سفيراً للدولة السعودية في أماكن عدة، توفي سنة ١٣٩٦هـ. انظر: إتمام الأعلام ص: ١٢.

(٦) انظر: هذه الأقوال في كتاب: محمد بن عبد الوهاب في التاريخ، لعبد الله بن سعد الرويشد ص: ٤٠٨، ٤٠٩، وكتاب: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دائرة المعارف الإسلامية لخالد القاسم في مجلة البحوث الإسلامية (٦١/ ٣٢٥).

الفصل الأول

حقيقــة الـسلفيــة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى السلفية لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: نشأة السلفية واستمراريتها وصحة الانتساب إليها

المبحث الثالث: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد ﷺ

المبحث الرابع: وجوب اتباع السلفية

المبحث الخامس: بطلان تقسيم السلفية

المبحث الأول: معنى السلفية لغة واصطلاحا

المطلب الأول: معنى السلفية في اللغة:

السلفية نسبة إلى (سَلَفَ يسلُف)، بمعنى مضى وتقدّم، ومنه السُّلاَّف المتقدمون، وسَلَفُ الرجل: آباؤه المتقدمون، وجمعه أَسْلاف وسُلاَّف.

قال أحمد بن فارس[١]: «سلف، السين واللام والفاء أصل يدل على تقدُّم وسَبْق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون»[٢].

وقال أبو منصور الأزهري[٣]: «والسلف أيضا: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، واحدهم سالِف»[٤].

وقال الراغب[٥]: «السلف المتقدم، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا

---

(١) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي اللغوي، كان رأساً في الأدب، بصيراً بفقه مالك، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق، مات بالري سنة (٣٩٥هـ). انظر: السير (١٧/ ١٠٣)، وفيات الأعيان (١/ ١١٨).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٥).

(٣) هو: أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، كان رأسا في اللغة والفقه، ثقة، ثبتا، دينا، وله كتاب (تهذيب اللغة) المشهور، وكتاب (التفسير)، و(علل القراءات)، وكتاب (الروح)، مات عام (٣٧٠هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٣٤)، والعبر (٢/ ٣٥٦) والسير (١٦/ ٣١٥).

(٤) تهذيب اللغة (١٢/ ٢٩٩)، وانظر: كتاب العين (٧/ ٢٥٨)، والصحاح (٤/ ١٣٧٦)، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٩٠)، ولسان العرب (٩/ ١٥٨).

(٥) هو: أبو القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، العلامة الماهر، المحقق الباهر، كان من أذكياء المتكلمين، صاحب التصانيف، ومنها: الذريعة إلى مكارم الشريعة والمفردات في غريب القرآن، اختلف في سنة وفاته، وأقربها: ٤٥٢هـ، انظر: السير (١٨/ ١٢١)، والأعلام (٢/ ٢٥٥).

لِّلْآخِرِينَ ﴾ [الزُّخرُف: ٥٦] أي معتبرا متقدما»[(١)].

والسلف بهذا المعنى يشمل: كل من سبق وتقدم على غيره، وهذا المعنى أعم من المعنى العرفي للسلف الذي يقصره على من تقدمنا من قدوتنا من الصحابة ومن سار على هديهم من التابعين وأتباعهم من أهل القرون الثلاثة المفضلة، كما سيتضح هذا عند ذكر التعريف العرفي.

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص: ٤٢٠.

المطلب الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح العرفي:

السلفية هي الانتساب إلى الطريقة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، من التمسّك بالكتاب والسنة، علما وعملا، وفهما وتطبيقا، وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم السلف الصالح.

وقد ذهب المحققون من أهل العلم[١] إلى أن مفهوم السلف عند الإطلاق يراد به الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأتباع التابعين من أهل القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف.

معاني السلفية:

تبين من التعريف السابق أن السلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين:

الأول: السلف زماناً، وهي مرحلة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم[٢]، لقوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٣]، وهذه الحِقبة التاريخية لا يصح

---

(١) قال ابن تيمية: (مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٥).

(٢) المراد بهم: أتباعهم من أئمّة الهدى، الذين اتفقت الأمة على إمامتهم وعدالتهم، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول كالأئمة الأربعة، والليث، والسفيانين، وإبراهيم النخعي، والبخاري، ومسلم وغيرِهم، دون أهل الأهواء والبدع ممن رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج والروافض والمعتزلة والجبرية وسائر الفرق الضالة، انظر: أرشيف منتدى الألوكة – ٢ ضمن المكتبة الشاملة.

(٣) أخرجه البخاري ح: ٢٦٥٢، ومسلم ح: ٢٥٣٣.

الانتساب إليها لانتهائها بموت رجالها.

وقد تناقل أهل العلم في القرون المفضلة هذا المصطلح للدلالة على منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان، قال راشد بن سعد[١]: «كان السلف يستحبون الفحولة؛ لأنها أجرى وأجسر»، وعلق الحافظ بن حجر[٢]: قائلا: «أي الصحابة ومن بعدهم»[٣]، وكذلك تقرر هذا المصطلح عند جميع العلماء حتى أهل الكلام، قال الغزالي[٤] معرفا كلمة السلف: «أعني: مذهب الصحابة والتابعين»[٥].

والثاني: السلف معتقداً، وهي الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالدين أصولا وفروعا ومنهجا، وهي بهذا المعنى يصح الانتساب إليها، فالتحديد الزمني ليس شرطاً في ذلك؛ بل الشرط هو موافقة الكتاب والسنة في العقيدة والأحكام والسلوك بفهم السلف؛ فكل من وافق الكتاب والسنة فهو من أتباع السلف، وإن باعد بينه وبينهم المكان

(١) هو: راشد بن سعد الحبراني، ويقال المقرائي، الفقيه، محدث حمص، يروي عن سعد بن أبي وقاص، وأبي أمامة، وأنس وطائفة، وثقه غير واحد، توفي: ١١٣هـ. انظر: السير (٤/ ٤٩٠)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٢٥).

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، الإمام الحافظ، شهد له أعيان عصره بالحفظ، من أعظم مؤلفاته: فتح الباري، توفي سنة ٨٥٢هـ انظر في ترجمته: شذرات الذهب (٧/ ٢٧٠)، والبدر الطالع (١/ ٨٧).

(٣) فتح الباري (٦/ ٦٦).

(٤) هو: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فيلسوف، متصوف، ولد سنة ٤٥٠هـ، صاحب تصانيف، وذكاء مفرط، وله رحلات، اشتغل بعلوم مذمومة ثم تاب عنها، وأقبل على الحديث حتى توفي في طابران بخراسان سنة ٥٠٥ هـ. انظر: طبقات الشافعية (٦/ ١٩١)، والسير (١٩/ ٣٢٢).

(٥) إلجام العوام عن علم الكلام ص: ٦٢.

والزمان، ومن خالفهم فليس منهم وإن عاش بين ظهرانيهم.

فالعمدة في مفهوم معنى السلفية يقوم على تعظيم جيل الصحابة، وتعظيم فهمهم للدين، وتقديمه على ما سواه، وكذلك تعظيم من تبعهم من التابعين وأتباعهم من الأئمة، كما جاء في ثناء الله تعالى عليهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

نقولات العلماء في بيان معنى السلفية:

وقد اهتم العلماء قديما وحديثا في بيان معنى مصطلح السلفية الذي يعد من أهم المصطلحات العقدية، لأنه يعني امتداد العقيدة الصحيحة في الماضي في العصور الثلاثة المفضلة، واستمرار هذه العقيدة على يد أتباعهم ممن جاء بعدهم فسار على منهجهم في اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، وكذلك مما شاب هذا المصطلح من تشويه ممن ادعى أنه من أتباعه وهو أبعد الناس عنه لزيادة أو نقص فيه.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال السفاريني[1]: «المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناسُ كلامَهم خلفاً عن سلف،

(١) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، عالم بالحديث والأصول، وهو من متأخري الحنابلة، من أشهر كتبه: غذاء الألباب، ولوامع الأنوار البهية، مات سنة (١١٨٨هـ). انظر الأعلام (٦/ ١٤).

دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مُرض، مثل الخوارج [١]، والروافض [٢] والقدرية [٣]... والجبرية [٤]، والجهمية [٥]، والمعتزلة [٦]...ونحو

(١) الخوارج: سموا بهذا الاسم لخروجهم على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما أجمعوا -عدا النجدات منهم- على تكفير مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار إذا مات مصراً عليها، ووجوب الخروج على أئمة الجور، وفرق الخوارج تصل إلى عشرين فرقة، وكانوا أهل عبادة ولكن على جهل وغلو. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧)، والفرق بين الفرق ص: ٧٨، والتبصير في الدين ص: ٤٥.

(٢) الرافضة: سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل لرفضهم زيد بن علي بن الحسين عندما أنكر عليهم الطعن في أبي بكر وعمر ومنعهم من ذلك فرفضوا قوله، وهم فرق كثيرة منهم من يصل إلى درجة الكفر، ومنهم دون ذلك، وسموا إمامية اثني عشرية، لقولهم بإمامة اثني عشر إماماً معصوما من ولد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأجمعوا على إثبات الإمامة عقلاً، وأن إمامة علي وتقديمه ثابت نصاً. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، والملل والنحل (١/ ١٤٤)، والتبصير في الدين ص: ٢٧، وتلبيس إبليس ص: ١١٨.

(٣) القدرية: هم نفاة القدر، وهم القائلون بأن العبد يحدث فعل نفسه، وأن أفعال العباد مقدورة لهم على جهة الاستقلال، وكان متقدموهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، وهم الذين كفرهم السلف، ومتأخروهم يثبتون العلم، وينازعون في مرتبة الخلق. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥)، والملل والنحل (١/ ٣٨).

(٤) الجبرية: من الجبر، وهو نفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف، فمنهم من لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة أصلاً، ومنهم من يثبت له قدرة غير مؤثرة أصلاً، وأشهر فرقهم الجهمية. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، والفرق بين الفرق ص: ١٩٤، والملل والنحل (١/ ٨٣).

(٥) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم، ومن ضلالاته: أن العبد مجبور على فعله، ولا قدرة له ولا اختيار، ومن ضلالاته: إنكار الصفات، والقول بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، والفرق بين الفرق ص: ١٩٤، والتبصير في الدين ص: ١٠٧.

(٦) المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وتبعه عمرو بن =

هؤلاء»[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز[٢]: «إن السلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو (سلفي) ومن خالفهم في ذلك فهو من (الخلف)»[٣]، وقال الشيخ ابن عثيمين[٤]: «السلف معناه المتقدمون، فكل متقدم على غيره فهو سلف له، ولكن إذا أطلق لفظ السلف فالمراد به القرون الثلاثة المفضلة: الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، هؤلاء هم السلف الصالح، ومن كان بعدهم وسار على منهاجهم فإنه مثلهم على طريقة السلف، وإن كان متأخراً عنهم في الزمن»[٥].

=

عبيد، ولقولهم بأن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بينهما، ويجمعهم القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأنه ليس خالفاً لأفعال العباد، ويسمون القدرية والعدلية. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥)، والفرق بين الفرق ص: ١١٢، والتبصير في الدين ص: ٦٣-٦٧.

(١) لوامع الأنوار (١/ ٢٠).

(٢) هو: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، كف بصره ولما يبلغ العشرين، حفظ القرآن دون البلوغ، وتلقى العلوم الشرعية عن كبار علماء الرياض، وكان شيخ الإسلام في وقته، جمع كثيراً من العلوم، وكان مفتياً للدولة السعودية، توفي سنة (١٤٢٠هـ). انظر: إتمام الأعلام ص: ٢٣٩-٢٤٠.

(٣) نقلاً عن تعليق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري على العقيدة الحموية ص: ٢٠٣.

(٤) هو: محمد بن صالح بن محمد بن سليمان آل عثيمين من الوهبة من بني تميم، كان له جهود مثمرة في عدة مجالات من التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله، وعضوية هيئة كبار العلماء، وقد مُنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، توفي بمكة عام: ١٤٢١هـ. انظر: موقع الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين: *http://www.ibnothaimeen.com/index.shtml*.

(٥) فتاوى نور على الدرب النصية (٢/ ٤).

المبحث الثاني: نشأة السلفية واستمراريتها وصحة الانتساب إليها

نشأة السلفية:

إن السلفية كمعتقد لم يؤسسها أحد من البشر، بل هي العقيدة التي ارتضاها الله تعالى وأنزلها على أنبيائه ورسله، فالنبيون والمرسلون بلغوا عن الله ما أراده، ثم تلقى ذلك أتباع الرسل ومنهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فدعوا الناس إلى ما دعت إليه الرسل، ثم سار على هديهم التابعون وأتباعهم، فالسلفية ليست مذهبا مبتدعا في الدين الإسلامي بل هو عقيدة جميع الأنبياء والرسل.

وأما عن نشأة مصطلح (السلفية) فإنه لما ظهرت الفرق المبتدعة وخالفت هدي الصحابة وأتباعهم، اشتهر هذا الاصطلاح «حين ظهر النزاع، ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف، وأعلن أن ما هو عليه هو ما كان عليه السلف الصالح، فإذن لابد أن تظهر والحالة هذه أُسس وقواعد واضحة المعالم، وثابتة للاتجاه السلفي، حتى لا يلتبس الأمر على كل من يريد الاقتداء بهم، وينسج على منوالهم»[(١)].

وهي بهذا الإطلاق تعدُّ منهاجاً باقياً إلى قيام الساعة، لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[(٢)]، ويصح الانتساب إليه إذا ما التُزِمت شروطه وقواعده، سواء كانوا فقهاء أو محدثين أو مفسرين أو غيرهم، ما دام أنهم قد التزموا بما كان عليه سلفهم من الاعتقاد الصحيح بالنص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة

(١) الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ص: ٥٧.

(٢) أخرجه مسلم ح: ١٩٢٠، من حديث ثوبان.

والتمسّك بموجبها من الأقوال والأعمال.

فالسلفية انتساب إلى السلف، وهي نسبة محمودة إلى منهج معصوم، وجيل مرحوم، وهو مذهب أثري سديد، وليس ابتداع مذهب جديد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: «ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً»[٢] أما من رمي ببدعة أو لقب غير مرضي، كالخوارج، والرافضة، والمعتزلة، والمرجئة، والجبرية، وسائر الفرق الضالة، فهو خارج من السلفية، بل خارج عليها[٣].

وقد أنكر بعضهم[٤] الانتساب إلى السلف الصالح، واعتبر تلك الحقبة فترة

---

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، أبو العباس، ابن تيمية الحراني، الإمام الفقيه، المجتهد، المحدث، الحافظ، المفسر، الأصولي، الزاهد، ابن تيمية، وعلم الأعلام، أفتى ودرس وهو دون العشرين، وله مئات التصانيف، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧)، الدرر الكامنة (١/ ١٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٩).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠)، والأسئلة والأجوبة الأصولية ص: ١١، ١٢.

(٤) ذهب أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية) ص١٨٧ ومصطفى الشكعة في كتابه (إسلام بلا مذاهب) ص٤٩٩ إلى أن السلفيين هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم في القرن الرابع، ثم تجدد ظهوره على يد الشيخ ابن تيمية في القرن السابع الهجري، ثم جدده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر للهجرة، وكذلك ذهب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي) ص: ١٣حيث رد وبعنف على القول بأن السلفية لقب لفئة من الناس واعتبره خطأً وبدعة طارئة على المسلمين بزعمه، وقد ذهب إلى أن الاقتداء بالسلف ليس معناه اتباع آرائهم وأقوالهم ومواقفهم التي اتخذوها وسلوك طريقتهم وإنما يكون بالرجوع إلى ما احتكموا =

زمنية انتهت بموت أهلها، فكل من جاء بعدهم وانتسب إلى السلفية فتعدّ هذه النسبة منهم بدعة محدثة، وطريقة مخترعة في الدين، تدل على شذوذ فكر صاحبها.

وهذا الإنكار منهم باطل، فمن اقتدى بالسلف الصالح في الالتزام بالكتاب والسنة قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً استحق أن ينتسب إلى السلفية.

أقوال أهل العلم في صحة الانتساب والتسمي بالسلفية

قال الإمام الذهبي[(١)]: «فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيا ذكيا نحويا لغويا زكيا حييا سلفيا»[(٢)]، وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز: ما تقول فيمن تسمى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية؟ فأجاب: «إذا كان صادقاً أنه أثري أو أنه سلفي لا بأس، مثل ما كان السلف يقولون: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لا بد منها، تزكية واجبة»[(٣)].

وقال الشيخ الألباني[(٤)]: «لا يجوز لمسلم أن يتبرأ من الانتساب إلى السلف

=

إليه من قواعد تفسير النصوص وتأويلها وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام. وللدكتور صالح الفوزان تعقيبات قوية في الرد على أبي زهرة والبوطي فيما زعماه عن السلف في كتابه (البيان لأخطاء بعض الكتاب) انظر ص: ١٢٧ و١٨٧، وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ص: ١١٢-١١٣ لمحمد با كريم.

(١) هو: محمد بن أحمد الذهبي، الإمام، المؤرخ ولد سنة ٦٧٣ هـ بدمشق، له رحلات في طلب العلم، وصاحب مؤلفات كثيرة، وتوفي بدمشق سنة ٧٤٨هـ. انظر: طبقات الشافعية (٩/ ١٠٠)، والبدر الطالع (٢/ ١١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٠).

(٣) التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية ص: ٣٥، وهي من محاضرة مسجلة بعنوان: (حق المسلم)، في ١٦/ ١/ ١٤١٣هـ بالطائف.

(٤) هو: محمد ناصر الدين أبو عبد الرحمن يلقب بالألباني، نشأ في أسرة محافظة يغلب عليها =

الصالح، بينما لو تبرأ من أية نسبة أخرى لم يمكن لأحد من أهل العلم أن ينسبه إلى كفر أو فسوق، ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميزة البينة هي أن نقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح، وهي أن تقول باختصار: أنا سلفي»[(١)].

وهذا ما صنعه الإمام الذهبي في وصفه جمعاً من علماء السنة بالسَّلفي لسلامة معتقدهم، قال الإمام الذهبي في ترجمة يعقوب الفسَوي[(٢)]: «وما علمت يعقوبَ الفسوي إلا سلفيّاً»[(٣)].

وقال في ترجمة الدارقطني[(٤)]: «وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إليَّ من علم الكلام. قلتُ: -أي الذهبي- لم يدخل الرجلُ أبداً في علم

=

الاشتغال بالعلوم الدينية، هاجر مع أبيه من ألبانية إلى سورية، اشتغل في التصنيف وخاصة ما يتصل بالحديث، من تمييز صحيحها من ضعيفها، درس في الجامعة الإسلامية في أواخر القرن الثالث عشر، توفي سنة ١٤٢٠هـ. انظر: إتمام الأعلام ص: ٤١٦، وعلماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب (١/ ٢٨٧).

(١) مجلة الأصالة العدد التاسع ص: ٨٦-٩٠.

(٢) هو: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، من أهل مدينة فسا، له تاريخ كبير، وقد صنف كتابا صغيرا في السنة، مات عام: ٢٧٧هـ. انظر: السير (١٣/ ١٨٠)، وتذهيب التهذيب (٤/ ١٨٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٣).

(٤) هو: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي المقرئ المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد، وكان من بحور العلم، ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله، مع التقدم في القراءات وطرقها، وقوة المشاركة في الفقه، والاختلاف، والمغازي، وأيام الناس، وغير ذلك، توفي عام: ٣٨٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤-٤٠)، والسير (١٦/ ٤٤٩).

الكلام ولا الجدال ولا خاض في ذلك بل كان سلفيّاً»[١].

فتبين من نصوص العلماء السابقين صحة الانتساب إلى السلف بعد العصور الثلاثة المفضلة إذا كانوا على طريقتهم، وأنه ليس أمراً محدثاً في هذا الزمن، ومن هنا نعلم عدم صحة دعوى أَن (السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إِسلامي) لأَن مذهب السلف مشتمل على أَساسين عظيمين: القدوة الحسنة، والمنهج الصحيح المتبع، فالقدوة هُم أصحاب العصور الثلاثة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإِحسان، والمنهج هو الطريقة المتبعة في هذه العصور، في الفهم العقدي، والاستدلال والتقرير، والعلم، والإيمان، وجميع جوانب الشريعة.

وبهذا يتضح جليا أَن الاتصاف بالسلفية مدح وثناء لكل من اتخذها قدوة ومنهجا لأَن له فيها سلفا صالحا، وهم خيرة هذه الأمة بشهادة نبيها ﷺ وأَما الاتصاف بها دون تحقيق ما دلت عليه من الاعتقاد والعمل ظاهرا وباطنا فليس فيه مدح وثناء؛ لأَن العبرة بالمعاني لا بالأَلفاظ والمصطلحات[٢].

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٧)، وكذلك قال في ترجمة ابن هبيرة. انظر: السير(٢٠/ ٤٢٦).
(٢) انظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة لعبدالله عبد الحميد ص: ٣٤.

المبحث الثالث: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد ﷺ

تعني السلفية الإسلام الصافي الصحيح الذي اختاره الله تعالى وأنزله على أولهم وهو آدم عليه السلام وختمه بآخرهم وهو محمد ﷺ، وأنه لم ينتهِ بموته ﷺ بل حمله الصحابة رضي الله عنهم، وتناقله من جاء بعدهم جيلاً بعد جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قال الشيخ الألباني: «إن من نافلة القول أن نبين أن الدعوة السلفية إنما هي دعوة الإسلام الحق كما أنزل الله تعالى على خاتم رسله وأنبيائه محمد ﷺ، فالله وحده سبحانه هو مؤسسها ومشرعها، وليس لأحد من البشر كائنا من كان أن يدعي تأسيسها وتشريعها، وحتى النبي الأكرم محمد صلوات الله وسلامه عليه إنما كان دوره فيها التلقي الواعي الأمين، والتبليغ الكامل الدقيق، ولم يكن مسموحا له التصرف في شيء من شرع الله تعالى ووحيه، ولهذا فادعاء إنسان مهما علا وسما تأسيس هذه الدعوة الإلهية المباركة إنما هو في الحقيقة خطأ جسيم وجرح بليغ، هذا إن لم يكن شركا أكبر والعياذ بالله تعالى»[1].

والسلفية في مدلولها اقتداء بالنبي ﷺ، والذي كانت سيرته هي المنهج الذي يتطلع إليه سلفنا الصالح، وحولوه إلى منهج حياة، وهذا المنهج نزل به جبريل عليه السلام على صدر رسولنا ﷺ من عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣-٤].

فالسلفية إذن ليست من تأسيس البشر، إنما هي الإسلام نفسه بالفهم

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص: ٩٩-١٠٠.

الصحيح علمًا وعملاً وهي تمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لا تخرج عما كانوا عليه[١]، «وإذا كان المسلمون يلتمسون اليوم طريقًا للنهوض؛ فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[٢].

(١) انظر: المكتبة الشاملة: كتاب الدعوة السلفية لمحمود عبد الحميد العسقلاني ص: ٤، الناشر: الموقع الرسمي للشيخ د. محمد بن إسماعيل المقدم، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد.

(٢) قواعد المنهج السلفي لمصطفى حلمي ص: ٢٨.

المبحث الرابع: وجوب اتباع السلفية

سبق في المبحث السابق أن السلفية تعني الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي ﷺ، وهذا هو الدين الذي أمرنا باتباعه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥]، وينبني على هذا المبحث مبحث آخر وهو وجوب اعتماد فهم الصحابة رضي الله عنهم الذين صاحبوا رسول الله ﷺ، وشهدوا التنزيل ومات النبي ﷺ وهو عنهم راض.

وقد وردت الأدلة على وجوب الاعتماد على فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة، ولاسيما في مسائل الاعتقاد من وجوه كثيرة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء: ١١٥].

قال الشيخ ابن سعدي[(١)]: «وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، و﴿ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم»[(٢)].

---

(١) هو: عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي، من كبار علماء نجد المعاصرين، ولد بعنيزة عام ١٣٠٧ هـ، له مؤلفات كثيرة، واشتغل بالتدريس، توفي عام ١٣٧٦ هـ. انظر: علماء نجد (٢/ ٤٢٢)، والأعلام (٣/ ٣٤٠).

(٢) تفسير السعدي ص: ٢٠٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وهذا المدح يتضمن صحة ما كانوا عليه من العقيدة والعمل، فمن أراد أن يكون له حظ من هذا المدح والثناء فليتفق معهم في فهمهم المفضي إلى صحة الاعتقاد والعمل.

وقوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(١)] قال ابن القيم[(٢)]: «فأخبر النبي ﷺ أن خير القرون قرنه مطلقا، وذلك يقتضى تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، وإلا لو كانوا خيرا من بعض الوجوه فلا يكونون خير القرون مطلقا»[(٣)].

وقول ابن مسعود[(٤)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كان منكم متأسيا فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهَدْي المستقيم»[(٥)]،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرعي، برع في علوم متعددة، كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف، ومذهب السلف، له تصانيف كثيرة، توفي بدمشق سنة ٧٥١ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤)، والدرر الكامنة (٤/ ٢١).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٣٦).

(٤) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، حليف بني زهرة، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، شهد المشاهد كلها، ولازم النبي ﷺ، كان صاحب نعليه، ت سنة ٣٢هـ. انظر: الاستيعاب (٢/ ٣١٦)، الإصابة (٢/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩٨).

قال ابن القيم: «ومن المحال أن يحرم الله أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا الصواب في أحكامه ويوفق له من بعدهم»[١].

وقد شدد السلف على وجوب اتباع طريقة السلف وبيان فضلها على كل طريقة، وأنه لا نجاة إلا باتباعها:

قال أبو العالية[٢]: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا»[٣].

وقال الأوزاعي[٤]: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»[٥].

وقال الإمام مالك[٦]: «ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»[٧].

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٣٩).

(٢) هو: رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المجود، أبو العالية الرياحي، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر، توفي سنة (٩٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٦)، والسير (٤/ ٢٠٧).

(٣) تلبيس إبليس ص: ١٠.

(٤) هو: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، الفقيه، ثقة جليل، وإليه فتوى الفقه لأهل الشام؛ لفضله فيهم، روى عن خلق كثير من التابعين، توفي سنة(١٥٨هـ). انظر: السير (٧/ ١٠٧)، والعبر (١/ ٢٢٦).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٤).

(٦) هو: مالك بن أنس الأصبحي، المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين وكبير المثبتين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة (١٧٩هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٧)، والسير (٨/ ٤٨).

أولها»[١].

وقال الإمام أحمد[٢]: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة»[٣].

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٨٨).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ناصر السنة وقامع البدعة، أحد أئمة المذاهب الأربعة، الإمام المحدث الفقيه الزاهد الورع، ابتلي في مسألة خلق القرآن فصبر فكان إمام أهل السنة، توفي سنة (٢٤١هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٣٣١-٣٣٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧)، وتاريخ بغداد (٤/ ٤١٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٦).

المبحث الخامس: بطلان تقسيم السلفية:

تدعو السلفية إلى الإسلام الصافي بشموله النقي من أدران الشرك والخرافات والبدع والمنكرات، وعدم الاقتصار على بعض أجزائه، أو التعصب للأشخاص والأسماء واللافتات، فكيف يقال عنها سلفية جهادية، وعلمية، وتربوية، والسلف الصالح لم ينحصر نشاطهم في الجهاد أو العلم أو التربية، أو في غيرها من جوانب الدين المهمة، التي لا نقصد التقليل من شأنها، وإنما نقصد أن الدين لا ينحصر فيها.

ثم إن هذه المسميات تدعو إلى الاختلاف والفرقة والنزاعات التي نهانا الله تعالى عنها، وأمرنا بما يجمعنا صفا واحداً وهو التسمي بالإسلام الذي يعني الدين كله.

الفصل الثاني

نشأة الدولة السعودية وتأثرها بالسلفية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب

المبحث الثاني: بدء نهضة الشيخ في الإصلاح الديني

المبحث الثالث: أثر الدعوة السلفية على أدوار الدولة السعودية الثلاثة

المبحث الرابع: أسباب انتشار الدعوة السلفية وأثرها على العالم الإسلامي

المبحث الأول: سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب

أولا: نبذة مختصرة عن الإمام محمد بن عبد الوهاب[١]:

لا يمكن الحديث عن الدولة السعودية إلا ويتحتم الحديث عن الإمام محمد بن عبد الوهاب، الذي كان له الأثر البالغ في تبني حكام الدولة السعودية للمذهب السلفي، ونشره في الجزيرة العربية.

نسب الإمام محمد بن عبد الوهاب:

هو الشيخ المجدد[٢] محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من آل

---

(١) للمزيد عن حياة الشيخ و سيرته انظر الكتب التالية: (محمد بن عبد الوهاب) لأحمد بن عبد الغفور عطار، و(داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب) لعبد العزيز سيد الأهل، و(سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب) لأمين سعيد، و(الشيخ محمد بن عبد الوهاب) للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، و(الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره) للدكتور عبد الله الصالح العثيمين، و(الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ) لعبد الله بن سعد الرويشد، و(الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته) للدكتور عبد الله يوسف الشبل... هذا عدا المصادر الأصلية مثل: تاريخ ابن غنام، وتاريخ ابن بشر و تاريخ ابن عيسى....
أما الرسائل الجامعية فقد كتب فيه على سبيل المثال: (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي)، رسالة دكتوراه للدكتور أحمد بن عطية الزهراني من قسم العقيدة في جامعة أم القرى، و(عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي)، رسالة دكتوراه للدكتور صالح بن عبد الله العبود من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، و(دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد) للأستاذ عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف رسالة ماجستير.

(٢) نقل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في كتابه: (مصباح الظلام) (ص: ٣٥): أن ابن غنام ذكر في تاريخه عن أكابر أهل عصره أنهم شهدوا له بالعلم والدين، وأنه من جملة المجددين لما جاء به سيد المرسلين. وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين =

مشرف من بني تميم، ولد في العيينة عام (١١١٥هـ)، ونشأ بها وتلقى العلم فيها عن والده، ثم ارتحل لطلبه، نهض بالدعوة السلفية وأبلى فيها بلاءً حسناً حتى استقام عودها، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١٢٠٦هـ)[١].

ثانياً: عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب:

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، التي عمل بها وتعامل على أساسها، مع المؤيدين والمعارضين، وكل ذلك فعله بالدليل والبرهان.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره»[٢].

وقال أيضاً: «عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة»[٣].

=

تواتر عن فضلائهم وأذكيائهم مدحه والثناء عليه والشهادة له أنه جدد هذا الدين.ا هـ قلت: والمراد بالتجديد هو: إحياء ما اندرس من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإماتة ما ظهر من البدع، وهو الوارد في حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود ح: ٤٢٩٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح: ٢٧٥٥.

(١) علماء الدعوة ص: ٦.

(٢) الدرر السنية لمجموعة من علماء نجد (١/ ١٨).

(٣) الدرر السنية لمجموعة من علماء نجد (١/ ٥٣) من رسالته إلى السويدي من علماء العراق، جواباً لما سأله عما يقول الناس فيه.

وقال أيضاً: «ولست -ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير[١]، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أنّي لا أرد الحق إذا أتاني، بل أُشهد الله وملائكته وجميع خلقه: إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنّها على الرأس والعين؛ ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق»[٢].

فهذه النصوص عن الإمام محمد تبين لمن كان منصفاً أنه كان من أكبر دعاة الإصلاح وإعادة المجتمعات الإسلامية إلى منهج السلف الصالح، وتصفية المجتمعات من كل ما شابها من خلافات، وأوهام، وبدع، وانحرافات، فكان ابن عبد الوهاب بحق زعيم النهضة الدينية الإصلاحية، الذي أظهر موازين العقيدة الشرعية الناصعة، ودعا الناس إلى العمل الكامل بالقرآن والسنة بفهم السلف الصالح ودعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله ونبذ الشرك والخرافات والبدع التي تعلق بها كثير من الناس.

---

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن درع، القرشي، الدمشقي، أبو الفداء، طلب العلم من صغره، ورحل من أجله، أخذ عن ابن تيمية، والمزي، وله تصانيف كثيرة منها: البداية والنهاية، وتفسير القرآن، توفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ). انظر: البدر الطالع (١/ ١٥٣)، والأعلام (١/ ٣٢٠).

(٢) الدرر السنية لمجموعة من علماء نجد (١/ ٣٧-٣٨).

المبحث الثاني: بدء نهضة الشيخ في الإصلاح الديني:

أولاً: بـواعث دعوة الإصلاح في نجد وحال الناس في الجزيرة عند بداية الدعوة السلفية:

كان الباعث الحقيقي للشيخ محمد بن عبد الوهاب وسبب جهاده وإظهاره للعقيدة السلفية هو: ما وصل إليه حال العالم الإسلامي في عصره من تدهور وانحطاط على كافة المستويات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومما لا شك فيه أن التدهور الديني والسياسي هما العاملان القويان لدفع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لقيامه بدعوته الإصلاحية، فقد رأى ما حل بنجد والأقطار التي رحل إليها من العقائد الضالة، والعادات الفاسدة، والتدهور السياسي، فصمم على القيام بالدعوة إلى الله، فقد كانت حالة نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة، فقد كان فيها كثير من القبور تنسب إلى بعض الصحابة يحج الناس إليها ويطلبون منها حاجاتهم، ويستغيثون بها لدفع كروبهم.

ويصور لنا حسين بن غنام[1] الحالة التي وصلت إليها نجد قبل دعوة الشيخ محمد بقوله: «فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم وهول مقيم،

(١) هو: حسين بن غنام النجدي الأحسائي: مؤرخ. مالكي المذهب، شاعر فحل كان عالم الأحساء في عصره، له مصنفات، منها (العقد الثمين في شرح أصول الدين- خ)، و (روضة الأفكار والإفهام) يقف في حوادث سنة ١٢١٣، ويسمى أيضا (تاريخ نجد) توفي عام: ١٢٢٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥١).

كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب[١] في الجبيلة ويدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وقضاء الحاجات، وكانوا يزعمون أن في قرية الدرعية قبور بعض الصحابة فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة فتقربوا إليهم، وهم يعنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله، وكان هناك شجرة تدعى شجرة الذئب يؤمها النساء اللاتي يرزقن بمواليد ذكور ويعلقن عليها الخرق البالية لعل أولادهن يسلمون من الموت والحسد، وكان في الخرج رجل يدعى (تاج) نهج الناس فيه سبيل الطواغيت فانهالت عليه النذر واعتقدوا فيه النفع والضرر، وكانوا يذهبون للحج إليه أفواجا وينسجون حوله كثيراً من الأساطير والخرافات»[٢].

كل هذه الأمور جعلت الإمام المجدد يعلن ضيقه وتبرمه بالأمور الشركية التي رآها تعم إقليم نجد، ومعظم بلدان العالم الإسلامي، وجعلته يبدأ بمرحلة الإصلاح والدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، وآثار السلف الصالح، ومقاومة البدع والخرافات التي ألصقت بالإسلام، وكان أكثر ما شغل جهود الإمام المجدد هو بيان مسألة: أن العبادة لا تصلح كلها

(١) هو: زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي، أخو أمير المؤمنين عمر، السيد الشهيد المجاهد التقي، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله، شهد بدرا والمشاهد، استشهد في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة. انظر: العبر (١/ ١٤)، والسير (١/ ٢٩٧).

(٢) تاريخ نجد ص: ١٤، وقد وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب الواقع الذي يعيشه كثير من المسلمين في نجد وغيرها في الدرر السنية (١/ ٥٣، ٥٤)، وانظر كلام الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن في الدرر السنية (١/ ٣٧٨، ٣٨٧، ٣/ ٣٨١)، وانظر أيضاً: تاريخ نجد (١/ ١٣)، وكتاب: حاضر العالم الإسلامي (١/ ٢٩٥).

إلا لله وحده، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن العبادة إذا صرفت لغيره صارت شركاً، وهذا ما دعا إليه من قبله الشيخ ابن تيمية، الذي أعجب الشيخ بدعوته، واقتنع بها، ولذا فإن دعوته تعتبر تطوراً تاريخياً لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد انبثقت هذه الدعوة من نجد قلب الجزيرة العربية، ونشأت عربية المنبت إسلامية المقصد، فلم يكن في نشأتها وظهورها عامل أجنبي، كالتأثر بحضارة الغرب فكرياً وثقافياً.

ثانياً: بدء دعوة الشيخ في الإصلاح الديني:

ابتدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دعوته لقومه في بلدة (حريملاء) وأخذ يجهر بدعوته وينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال، وبين لهم أنه لا يدعا إلا الله، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، وأن عقيدتهم في تلك القبور والأحجار والأشجار، من الاستغاثة بها، وصرف النذور إليها، واعتقاد النفع والضر منها، ضلال وزور، وبأنهم في حالة لا ترضي، فلا بد من نبذ ذلك.

فوقع بينه وبين الناس نزاع وجدال، لما ألفوه واعتادوا عليه من فعل تلك الأفعال المنكرة في قوالب حب الصالحين، وقد بين الشيخ محمد[1] سبب خلاف الناس له عندما بدأ دعوته، وأنهم نقموا عليه ما أنكره من أمور ألفوها وتلقوها عن آبائهم، لكنه لم يلبث أن قرر أن (حريملاء) لا تصلح لنشر الدعوة لعدم استتباب الأمن فيها نتيجة لانقسام أهلها وانقسام الحكم فيها، مما جعل الشيخ يتعرض لخطر عبيدها، الذين ضاقوا ذرعا بزجر الشيخ لهم

(١) انظر كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرر السنية (١/ ٥٣).

وحدّه من تماديهم وفسقهم حتى إنهم قرروا قتل الشيخ[١] مما جعل الشيخ يعزم على العودة إلى (العيينة) - مسقط رأسه -، فآزره في بداية الدعوة أمير (العيينة) عثمان[٢] بن حمد بن معمر، فمهد ذلك لانتقال دعوته من مرحلة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة إلى المرحلة العملية في تطبيق مبادئ الدعوة، وتمثل ذلك في أمور ثلاثة[٣]:

١ - هدم القباب المقامة على القبور مثل قبر (زيد بن الخطاب) في الجبيلة، وقد بدأ الشيخ بنفسه في هدم القبة، ثم تبعه أصحابه فهدموها.

٢ - قطع الأشجار التي يتبرك بها العامة مثل شجرة (الذيب) في العيينة قطعها الشيخ بنفسه وشجرة (قريوه) في الدرعية.

٣ - رجم الزانية التي جاءت إلى الشيخ وأقرت بالزنا، وطلبت إقامة حد الله عليها، وأقرت عند الشيخ أربع مرات في أربعة أيام، فلما تيقن الشيخ من توفر شروط إقامة الحد عليها أمر بها فرجمت لأنها محصنة، وكان (عثمان بن معمر) أول من بدأ برجمها.

فاشتهر أمر الشيخ، وذاع صيته في البلدان، فبلغ خبره حاكم الإحساء، فبعث إلى عثمان بن معمر كتاباً جاء فيه: إن المطوع الذي عندك، قد فعل ما

---

(١) تاريخ نجد (١/ ٣٠).

(٢) هو: عثمان بن حمد بن معمر، رئيس (العيينة) من بلاد نجد، في بدء أيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب قصده الشيخ، فوعده بمساعدته، ثم تلكأ وفارقه الشيخ إلى محمد بن سعود بالدرعية سنة ١١٥٨ هـ فندم عثمان ولحق به، فلم يجد منه اطمئنانا إليه، فعاد إلى العيينة، وناصره في مواطن عدة، ثم نقض العهد فقتل عام: ١١٦٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٠٥).

(٣) انظر: تاريخ نجد ص: ٨٥-٨٦، وعنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٣٩).

فعل، وقال ما قال، فإذا وصلك كتابي فاقتله، فإن لم تقتله، قطعنا خراجك الذي عندنا في الإحساء، فعظم على عثمان بن معمر الأمر، وكبر عليه مخالفة ابن عريعر، فأمر بإخراج الشيخ من بلده[١].

ثالثاً: البيعة المباركة بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وبين الإمام محمد ابن سعود:

خرج الشيخ من بلدته (العيينة) ونزل إلى (الدرعية) التي كان يحكمها الأمير محمد بن سعود، فدعاه الشيخ إلى التوحيد، وأن التوحيد هو ما بعثت من أجله الرسل، فشرح الله صدر محمد بن سعود وأحبه، وتم اللقاء التاريخي بما يسمى بـ (اتفاق الدرعية) المشهور سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤٤م)، وحصلت البيعة المباركة على ذلك، واقتنع بما دعاه إليه الشيخ وبشر الأمير الشيخ بالنصرة وبالوقوف معه على من خالفه وقال له: «أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعزة والمنعة»، فرد عليه الشيخ قائلا: «وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها العباد والبلاد، وأنت ترى نجدا كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم بعضا، فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك»[٢].

---

(١) انظر: تاريخ نجد ص: ٨٦، وعنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٤٠).

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٤٢)، وتاريخ نجد ص: ٨٧.

المبحث الثالث: أثر الدعوة السلفية على أدوار الدولة السعودية الثلاثة

اعتاد من تناولوا التاريخ السعودي بالكتابة أن يقسموه إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول: يبدأ بالمبايعة التي تمت بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ، وينتهي باستسلام الإمام عبد الله بن سعود لإبراهيم باشا[١] سنة ١٢٣٣هـ.

الدور الثاني: يبدأ عند أكثر الباحثين -بنجاح الإمام تركي[٢] بن عبد الله في إخراج بقية جنود الحاميات العسكرية التابعة لمحمد علي[٣] من نجد - سنة ١٢٤٠هـ، وينتهي بانتصار الأمير محمد[٤] بن رشيد على الإمام عبد الرحمن[٥]

---

(١) هو: إبراهيم (باشا) بن محمد علي (باشا): قائد، بعيد المطامح، من ولاة مصر. ولد في (نصرتلي) بالقرب من قولة (بالروملي) وقدم مصر مع طوسون بن محمد علي، سنة ١٢٢٠ هـ فتعلم بها، وأرسله أبوه محمد علي سنة ١٢٣١هـ بحملة إلى الحجاز ونجد، وسيطر على بلاد الشام ثم أخرج منها وعاد إلى مصر وحكمها ومات عام١٢٦٤ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١ / ٧٠).

(٢) هو: الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، مكنه الله من إعادة الدولة السعودية بعد انقطاع دام سبع سنوات حيث ولي عام ١٢٤٠هـ، وكان له جهوده في إحياء الدعوة السلفية، توفي عام (١٢٤٩هـ). انظر: ملوك آل سعود (١/ ١٩).

(٣) هو: محمد علي (باشا) ابن إبراهيم أغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير، ألباني الأصل، مستعرب، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، انتدبته الدولة العثمانية للقضاء على الدولة السعودية، اعتزل الأمور لابنه إبراهيم (باشا) سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) ومات ١٢٦٥ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٤) هو: محمد بن عبد الله بن علي بن رشيد، أكبر أمراء آل رشيد، حكمهم في (حائل)، توطدت له الإمارة. وامتد حكمه إلى أطراف العراق ومشارف الشام ونواحي المدينة واليمامة وما يلي اليمن. وغلب على نجد، وانتهز فرصة الخلاف بين أمراء آل سعود، فأدخل بلادهم في طاعته، توفي بحائل: ١٣١٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٤٤).

(٥) هو: عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله، من آل سعود: إمام سعودي، ولي الحكم =

ابن فيصل سنة ١٣٠٩هـ.

الدور الثالث: يبدأ باسترجاع الملك عبد العزيز[١] بن عبد الرحمن آل سعود الرياض سنة ١٣١٩هـ، واعتاد من كتبوا عن تلك الأدوار أن يسموا كل دور منها دولة[٢].

=

بعد موت أخيه سعود، ثم نزل عن الحكم لأخيه عبد الله، ثم رحل إلى الكويت لما سقطت الرياض بيد ابن رشيد، وعاد إلى الرياض لما أعادها ولده الملك عبد العزيز عام: ١٣١٩هـ توفي عام: ١٣٤٦هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٢).

(١) هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشئها، وأحد رجالات الدهر. ولد في الرياض عام: ١٢٩٣، واسترد إمارة آل سعود سنة ١٣١٩ هـ، توفي بالطائف١٣٧٣ هـ، ودفن في الرياض. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٩).

(٢) انظر: تاريخ المملكة لابن عثيمين ص: ٧.

المطلب الأول: أثر الدعوة السلفية في الدور الأول من الدولة السعودية

قام الإمام محمد بن عبد الوهاب داعياً إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ في الأقوال والأفعال، وسعى إلى نشر ذلك بقلمه ولسانه، لكنه جوبه بأعداء الدعوة، فعزموا على القضاء عليه وعلى دعوته الإصلاحية، مما اضطرَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أن يلجأ إلى الدرعية، وهناك تلقاه الإمام محمد بن سعود[١] -أمير الدرعية- بالقبول والترحيب.

ويعد المؤرخون[٢] لقاء الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود، والبيعة المباركة التي تمت بينهما في الدرعية نقطة الانطلاقة العملية للدولة السعودية في أول أدوارها، وهي كذلك الانطلاقة الفعلية للدعوة السلفية بنجد، وتحولت الدرعية منذ ذلك الحين إلى عاصمة دينية وسياسية وحربية في الوقت نفسه، وذلك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب حين قدم إلى (الدرعية) مكث فيها سنتين يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان يرسل برسائله ومناظراته إلى أهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وعلمائهم، فكان منهم من استجاب له واتبعه، وكان منهم من أبى وعاداه، وصد عن دعوته بلسانه وسنانه.

ولما ازدادت حركة المعارضة عنفاً ما كان من الإمام محمد بن عبد الوهاب

---

(١) هو: الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، الأمير المجاهد، قام بنصر دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، توفي عام ١١٧٩هـ في الدرعية. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (التراجم) (١٢ / ٢٥).

(٢) انظر: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ص(٣٠)، وتاريخ المملكة لابن عثيمين ص: ٨٦.

بعد ذلك إلا أن بدأ مرحلة أخرى من مراحل الدعوة وهي الدعوة بالجهاد والسنان فأمر الشيخ حينئذ أتباعه بالجهاد[١] لهدفين:

أولهما: الدفاع عن النفس أمام أولئك المعارضين من ناحية.

وثانيهما: نشر الدعوة، والدفاع عنها ضد خصومها، وكان لابد من الانتقال إلى مرحلة جديدة ينال فيها بالقوة ما لم ينل بطريقة الحجة والإقناع، قال الشيخ محمد: «وأما القتال، فلم نقاتل أحدا إلى اليوم؛ إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنا ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ﷺ بعدما عرفه، والسلام»[٢].

وقد لبى الإمام محمد بن سعود دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب فقام بنشر دعوة التوحيد ومحاربة الشرك، ورفع راية الجهاد على من وقف في طريق الدعوة، فتوافقت بذلك الإمامة الشرعية والسياسية الحكيمة في هذا الكيان السياسي الجديد.

وسار بقية أئمة الدور السعودي الأول على النهج السلفي الذي سلكه الإمام محمد بن سعود، والإمام محمد بن عبد الوهاب في نصرة الدين وبيان العقيدة الصحيحة للناس، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وإقامة الجهاد على أعداء الإسلام، وأعداء الدعوة، وأمَّنوا البلاد التي ملكوها.

وقد اتسعت رقعة الدولة السعودية الأولى اتساعاً هائلاً، وخاصة في عهد

(١) تاريخ نجد (١/ ٣٣).

(٢) عنوان المجد (١/ ١٥٤).

الإمام عبد العزيز[١] بن محمد بن سعود، وسعود[٢] بن عبد العزيز، ثم ابنه: عبد الله[٣]، حتى عمت غالب أجزاء الجزيرة العربية، وانتشرت بذلك العقيدة السلفية وتفقه الناس في دينهم على أيدي علماء كان لهم دورهم البارز في نشر مبادئ الدعوة وأفكارها التي تمثل مبادئ الإسلام وأسسه، كما كان لهم دورهم الفاعل في القيام بواجب الحماية الفكرية لتلك المبادئ العظيمة التي تمثل حقيقة الإسلام، وكان من أبرزهم في الدور الأول: المجدد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، والشيخ عبد العزيز الحصين[٤]، وحمد[٥] بن ناصر بن معمر، والشيخ عبد الله[٦] بن محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم.

---

(١) هو: الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولي الإمارة بعد والده عام ١١٧٩ هـ، وجمع الله له بين العلم والإمارة، توفي عام ١٢١٨هـ في الدرعية. الدرر السنية في الأجوبة النجدية (التراجم) (١٢/ ٣٠).

(٢) هو: الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولي الأمر بعد والده عام ١٢١٨ هـ، وكان من طلبة العلم، وله رسائل علمية متميزة، توفي عام ١٢٢٩ هـ. الدرر السنية في الأجوبة النجدية (التراجم) (١٢/ ٣٧).

(٣) هو: الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولي الأمر بعد والده عام ١٢٢٩ هـ، في ظل أزمة الحصار وقبض عليه وقتل في تركيا عام ١٢٣٣هـ. الدرر السنية في الأجوبة النجدية (التراجم) (١٢/ ٤٩).

(٤) هو: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين، تلقى العلم عن جمع من العلماء على رأسهم مجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب، كان له دور بارز في الدعوة والتعليم، توفي (١٢٣٧هـ). علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٤٥٤).

(٥) هو: الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، كان فقيهًا محدثًا، ولي قضاء الدرعية وغيرها، ثم ولي القضاء والتعليم في مكة وبها توفي عام ١٢٢٥ هـ. الدرر السنية في الأجوبة النجدية (التراجم) (١٢/ ٤٧).

(٦) هو: الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ولد عام ١١٦٥هـ في الدرعية، وتلقى العلم =

وقد استتب الأمن بين أهل الحاضرة والبادية بسبب تعاون الحكام والعلماء حتى اعترف بذلك الأعداء فقالوا: «بأنهم -أي آل سعود- قد أمنوا البلاد التي ملكوها، وصار كلُّ ما كان تحت حكمهم، حتى البراري والقِفار، يسلكها الرجل وحده على حماره بلا خفر، وخصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم البعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان، أو أولاد رجل واحد، وهذا بسبب تأديبهم للقاتل والنّاهب والسارق، إلى أن انعدم هذا الشر في زمان ابن سعود»[(١)].

أبرز آثار الدعوة السلفية في الدور الأول من الدولة السعودية:

أولا: تمسك الناس بالدين والمعتقد الصحيح:

فقد انتشر العلم بين الناس، الصغير منهم والكبير، الأمي والقارئ، وتمسكوا بالتوحيد وحاربوا الشرك، وهدمت جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة والإحساء ونجد وغير ذلك، وأقيمت شعائر الإسلام.

ويمكننا أن نبين مجمل إصلاحات الدعوة السلفية وأثرها على الدور الأول من ناحية التمسك بالدين ببيان أثر الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي

=

عن جمع من العلماء على رأسهم والده المجدد، خلف والده في القيام بالدعوة، فكان عالم نجد ومفتيها، نفي إلى مصر عام ١٢٣٣هـ، وبها توفي عام ١٢٤٢ هـ. علماء الدعوة لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص: ١٨.

(١) الأمن الذي نعيشه (١/ ٢٥- ٢٦) وصاحب المقولة هو: عثمان بن سندي البصري الفيلكاوي -الذي عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب- وكان من المؤرخين الموالين لخصوم الدعوة.

عاش في الدور الأول من الدولة السعودية مما ذكره الشيخ عبد اللطيف[١] بن عبد الرحمن بن حسن عن ذلك؛ فقال: «فأتاح الله بمنه في هذه البلاد النجدية والجهات العربية من أحبار الإسلام وعلمائه الأعلام من يكشف الشبهة، ويجلو الغمة، وينصح الأمة...فنافح عن دين الله، ودعا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وصنف الكتب والرسائل، وانتصب للرد على كل مبطل ومماحل، وعلم من لديه كيف يطلب العلم، وأين يطلب، وبأي شيء يقهر المشبه المجادل ويغلب.

واجتمع له من عصابة الإسلام والإيمان طائفة يأخذون عنه، وينتفعون بعلمه، وينصرون الله ورسوله، حتى ظهر واستنار ما دعا إليه، وأشرقت شموس ما عنده من العلم وما لديه، وعلت كلمة الله...

فزال بحمد الله ما كان بنجد وما يليها من القباب والمشاهد والمزارات والمغارات، وقطع الأشجار التي يتبرك بها العامة، وبعث السعاة لمحو آثار البدع الجاهلية من الأوتار والتعاليق والشركيات، وألزم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت وبسائر الواجبات، وحث من لديه من القضاة والمفتين على تجريد المتابعة لما صح وثبت عن سيد المرسلين، مع الاقتداء في ذلك بأئمة الدين والسلف الصالح المهديين، ونهاهم عن ابتداع

(١) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة (١٢٢٥هـ) في الدرعية، وانتقل بعد سنة (١٢٣٣هـ) إلى مصر مع والده الذي نفي إلى هناك، وفيها تلقى العلم على والده وعاد إلى نجد سنة (١٢٦٤هـ)، وكان خليفة والدهه في الرئاسة الدينية، توفي سنة (١٢٩٣هـ) في الدرعية. علماء الدعوة، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص: ٤٧.

قول لم يسبقهم إليه إمام يقتدى به، أو علم يهتدى به، وأنكر ما كان الناس عليه في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان، ولم يرد به حجة شرعية ولا برهان؛ لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين في أعيادهم الزمانية والمكانية، وما هو باطل مردود في شرع سيد المرسلين»[(١)].

ثانيا: توحيد نجد والجزيرة العربية، وبداية نهضة مشرقة لها:

كانت الدعوة السلفية سبباً لتوحيد نجد والجزيرة العربية، وبداية تاريخ حديث مشرق انتشلها من ظلام الجهل والتخلف.

ويرى الدكتور منير العجلاني[(٢)] أن مبدأ تاريخ نجد الحديث والجزيرة العربية والشرق الأدنى هو من السنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية؛ قال: «ففيها بدأت نجد تكتشف نفسها، وتعي رسالتها، وتصنع وحدتها، وتبني نهضتها، وقبل ذلك، وحتى القرن الثاني عشر كانت نجد تعبيرا تاريخيا أو جغرافيا في الكتب القديمة، وأما في الواقع؛ فما كان شيء يذكر بوحدتها أو وجودها... وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من الإمارات والمشيخات، تنفرد كل واحدة منها بسلطانها، وتعتز باسمها، ولا ترى شيئا

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ٤٥٩-٤٦٠).

(٢) هو: مُنير محمد علي العجلاني، سياسي سوري، خرج هاربا إلى الدولة السعودية، وخدم بها وتفرغ للتأليف والكتابة والتحقيق، وصدر له أكثر من ٢٠ كتاباً مطبوعاً، من أبرزها موسوعته التاريخية التي تناول فيها تاريخ الدولة السعودية، والمسمّاة (تاريخ البلاد العربية السعودية)، تناول فيها تاريخ الدولة السعودية بطوريها الأول والثاني، مات عام: ٢٠٠٦م. انظر: http://forum.stop55.com/66866.html

فوقه، وقد تتحالف أحيانا لقتال الآخرين، واستباحة ديارهم وأموالهم، ولكنها متى فرغت من قتال عدوها؛ عادت تتقاتل فيما بينها ولما يجف مداد عهدها ودم جندها»، إلى أن قال: «فلما تأسست دولة الإسلام في الدرعية؛ أخذت الصفوف تتجمع، والبلدان تتوحد، فنشأت وحدة في العارض، ثم وحدة في نجد، ثم توسع مدلول نجد نفسه، فنشأت دولة نجد الكبرى؛ إن صح هذا التعبير»[(١)].

ثالثا: استخلاف الدولة السعودية في الأرض وبقاء حكمهم وشيوع ذكرهم:

لما قام آل سعود بدين الله على منهج السلف الصالح، ونصروا دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ووفوا بما عاهدوا عليه الله؛ آتاهم الله الملك، واستخلفهم في الأرض، ودان لهم الناس وأذعنوا لهم بالسمع والطاعة، بسبب تبني هذه الدعوة المباركة، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[(٢)] في نصيحته للإمام عبد الله بن فيصل[(٣)]: «تفهم أن أول ما قام به جداك محمد وعبد الله وعمك عبد العزيز أنها خلافة نبوة؛ يطلبون الحق، ويعملون به،

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية (ص: ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٢).

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية سنة (١١٩٣هـ)، تلقى عن جده وعن جمع من العلماء، جدد الدعوة السلفية مع الإمام تركي بن عبد الله عام (١٢٤٠هـ)، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرعية سنة (١٢٨٥هـ). علماء الدعوة ص: ٤٠، وعنوان المجد (٢/ ٤١).

(٣) هو: عبد الله بن فيصل بن تركي، من آل سعود: إمام، من أهل نجد. بويع بالرياض بعد وفاة والده سنة ١٢٨٢ هـ وخالفه أخوه (سعود) فاستولى على الحكم، ثم استرد الحكم بعد موت أخيه عام: ١٢٩١هـ، ثم ظفر به أبناء أخيه سعود فسجنوه حتى أخرجه ابن رشيد ومات عام: ١٣٠٧هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١١٣).

ويقومون ويغضبون له ويرضون ويجاهدون، وكفاهم الله أعداءهم على قوتهم، إذا مشى العدو كسره الله قبل أن يصل؛ لأنها خلافة نبوة، ولا قاموا على الناس إلا بالقرآن والعمل به؛ كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾[النور: ٥٥]، وأخذ عمك في الإسلام، حتى جاوز الثمانين في العمر، والإسلام في عز وظهور، وأهله يزيدون، وحصل لهم مضمون قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وصار أهل الأمصار يخافونهم»[(١)] .

ولشيوع ذكر الدولة السعودية اهتم المؤرخون بتدوين تاريخ حكام أسرة آل سعود، وكان من أول من قام بتدوين تاريخهم الشيخ حسين بن غنام، فسجل حوادث ما يزيد على نصف قرن من الزمان، وجاء بعده عثمان بن بشر[(٢)]، فسجل أهم حوادث أكثر من قرن كامل من الزمان بطريق التسلسل (من سنة ١١٥٨ إلى سنة ١٢٦٨ هـ)، ثم كثرت المؤلفات بعد ذلك.

---

(١) الدرر السنية (١١/ ٤٧)، وانظر: عنوان المجد ص: ١٢٤-١٢٨.

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر الحرقوصي من بني زيد، ولد سنة ١٢١٠هـ في جلاجل، ونشأ فيها وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الدرعية، فتلقى العلم عن علمائها، وله مؤلفات من أشهرها: (عنوان المجد في تاريخ نجد)، توفي عام ١٢٩٠هـ. انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ١١٥- ١٢٠).

المطلب الثاني: أثر الدعوة السلفية في الدور الثاني من الدولة السعودية:

الحقيقة التاريخية أن الدولة السعودية الأولى سقطت عام (١٢٣٣هـ) في زمن الإمام عبد الله بن سعود، لكن الحقيقة التاريخية الأخرى أن الدعوة السلفية لم تسقط بسقوط الدولة السعودية، بل كانت عامرة في قلوب الناس، بدليل أن الإمام تركي بن عبد الله ما كاد يدعو لقيام دولة آل سعود حتى هب الناس معه من كل حدب وصوب فعادت الدولة بعد عدة سنين كأشد ما يكون في عام (١٢٤٠هـ)، وما كان سبب ذلك إلا حبهم لهذه الأسرة التي تبنت الدعوة السلفية ونصرتها.

قال الشيخ أحمد[١] بن علي بن مشرف في قصيدة له:

وأقسم قوم أنها دولة مضت ... وليس لما قد فات عود ولا رد
وقلنا لهم نصر الإله لحزبه ... به جاء في القرآن والسنة الوعد
فعادت كما كانت بفضل ورحمة ... من الله مولانا له الشكر والحمد
فهذا إمام المسلمين مؤيدا ... له النصر والإقبال والحل والعقد[٢]

ولا يعني ذلك أنه لم يوجد من الناس من فرح بسقوط هذه الدولة المباركة فإنه لا يخلو مجتمع من هؤلاء الفاسدين، ولذلك لما سقطت الدولة سارع هؤلاء إلى العودة إلى مخالفة تعاليم الدين، لكن الله تعالى بحوله وقوته لما أعاد

(١) هو: أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي: فقيه مالكي، كثير النظم، سلفي العقيدة، من أهل الأحساء، تعلم ودرس وتوفي بها. له منظومات في التوحيد والرد على المعطلة، ومدائح، جمعت في مجلد باسم (ديوان ابن مشرف) و (اختصار صحيح مسلم)، توفي عام: ١٢٨٥ هـ انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٨٣).

(٢) ديوان ابن مشرف ص: ٤٧.

الدولة السعودية الثانية بعد تمكّن الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود سنة ١٢٤٠هـ سارع إلى إعادة الدين ونشر العقيدة السلفية مرة أخرى.

يقول ابن بشر عن الإمام تركي: «أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها، وهان على كثير من الناس دينها وإسلامها، كأنهم لم يكونوا حدثاً بإسلام، ولم يجتمعوا على إمام، وتهاون كثير منهم بالصلاة وأفطروا في البلدان في شهر رمضان، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان، وتعذّرت بين البلدان الأسفار، واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعار، فحارب البلدان، وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة، والسمع والطاعة، حتى ضرب الإسلام بجرانه، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه»[(١)].

وقد ولي الحكم من آل سعود في الدور الثاني: الإمام تركي بن عبد الله، وفيصل[(٢)] بن تركي، وعبد الله بن فيصل، وسعود بن فيصل، وعبد الرحمن بن فيصل، وقد هيأ الله تعالى لهم علماء يقومون بنشر عقيدة السلف ويدافعون عنها أتم قيام، فمن ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وقد قام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بالعناية في نشر عقيدة السلف ونصح الناس في بلاد نجد وغيرها، قال ابن بشر عنه: «فانظر إلى سعة علومه واطلاعاته ومفهومه، وما لديه من التحقيق والتدقيق، وكان كثيرا ما يتعاهد أهل بلدان نجد بالمراسلات والنصائح؛ يعلمهم ما يجب عليهم من أمر دينهم،

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر (٢/ ٨).

(٢) هو: الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ولي الحكم بعد مقتل والده أواخر عام (١٢٤٩هـ)، واستمر حكمه مدة طويلة انتشر خلالها العلم والأمن، وكان له جهود مباركة في ذلك، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام (١٢٨٢هـ). ملوك آل سعود لسعود بن هذلول (١ / ٢٠).

ويذكرهم نعمة هذا الدين، واجتماع شمل أهل الإسلام عليه، وما منّ الله به على أهل نجد في آخر هذا الزمان»[١].

وقد بارك الله في عمر الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما بارك في عمله، فقد عاصر ستة من ملوك آل سعود، كان يتعاون معهم في إرساء عقيدة السلف ومحاربة كل من يخالفها.

ومن شيوخ الدعوة وعلمائها في هذه الفترة أيضاً: الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، والشيخ عبد الله[٢] أبا بطين، والشيخ حمد[٣] بن علي بن عتيق، وغيرهم من العلماء، ونستطيع القول بأن الدعوة السلفية ظلت قوية منصورة طوال حكم الدولة السعودية الثانية، واستمر حكام آل سعود في نصرتها حتى سقطت دولتهم عام (١٣٠٩هـ).

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر (٢/ ٢٢-٢٣).

(٢) هو: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين، تلقى العلم عن جمع من العلماء، له جهود بارزة في الدعوة والتعليم، وله عدد من الرسائل العلمية، توفي سنة (١٢٨٢هـ) في شقراء. الدرر السنية (١٢ / ٧٥).

(٣) هو: الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق، تلقى العلم عن كبار أئمة الدعوة، وسلك نهجهم، كان لا يخشى في الله لومة لائم، توفي عام (١٢٨١هـ). الدرر السنية في الأجوبة النجدية (التراجم) (١٢/ ٧٧).

المطلب الثالث: أثر الدعوة السلفية في الدور الثالث من الدولة السعودية:

بعد سقوط الدولة السعودية للمرة الثانية واجه آل سعود في تلك الفترة ظروفاً قاسية، ومواقف مختلفة، حتى هيأ الله قيام دولتهم مرة ثالثة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عام (١٣١٩هـ)، الذي سار على سنة آبائه في نصرة عقيدة السلف الصالح، وإعزاز أهل الدين الحق وإقامة دولة إسلامية دستورها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فعادت للدعوة السلفية قوتها ومكانتها، وسار أبناؤه البررة من بعده على نهجه إلى هذا اليوم.

وقد بيّن علماء السلف[(١)] المعاصرون للملك عبد العزيز تأثره بالدعوة السلفية وإصلاحاته السلفية فقالوا: «مَنَّ الله في آخر هذا الزمان بظهور الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وما منَّ الله به في ولايته من انتشار هذه الدعوة الإسلامية، والملة الحنيفية، وقمع من خالفها، وإقبال كثير من البادية والحاضرة على هذا الدين، وترك عوائدهم الباطلة، وكذلك ما حصل بسببه من هدم القباب، ومحو معاهد الشرك والبدع، وردع أهل المعاصي والمخالفات، وإقامة دين الله»[(٢)].

وقد كان أثر الدعوة السلفية واضحاً في الدور الثالث من أدوار الدولة السعودية ويمكن بيانه من خلال النقاط التالية:

---

(١) وهم: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، والشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، وغيرهم.

(٢) الدرر السنية (٧/ ٢٨٥).

أولاً: تقريب علماء الدعوة السلفية واستشارتهم:

وهذا واضح في جميع أدوار الدولة السعودية، ومنها هذا الدور الثالث، فمنذ أن تمكن الملك عبد العزيز من فتح الرياض قام بتقريب العلماء، وتكريم أسرة آل الشيخ من أجل جدهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعهده مع جده الأول محمد بن سعود، ولأجل ما اتصفوا به من علم راسخ وعمل صالح، وكان الملك عبد العزيز يستشير العلماء في أمور الدين، وينفذ أحكامهم، ويعمل بنصائحهم وفتاويهم[(١)].

ثانياً: تأثر الملك عبد العزيز بالدعوة السلفية في أقواله وأعماله:

فقد كان الملك يشارك العلماء في البيان والنصيحة وبيان منهج السلف الصالح ونشره، ومن ذلك قوله: «على أنه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ونفع بهم الإسلام والمسلمين، وخصوصا محمد بن عبد الوهاب، عندما اندرست أعلام الإسلام، وكثرت الشبهات والبدع، فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوا ذلك، وقاموا بما أظهره الله على أيديهم، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحيينا على ذلك، ويميتنا عليه، وقد عرّفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد، والعمدة على ما ذكروه»[(٢)].

---

(١) وكان من أبرز هؤلاء المشايخ الذين استعان بهم هو الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ ابن قاسم والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن حميد والشيخ عبد العزيز بن باز.

(٢) تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص: ٣٩٧.

وقال في خطبة له بمكة أيضا: «يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي؛ باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد؛ فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح»[(١)].

ثالثاً: تحضير البادية في الهجر والقرى، وتشجيعهم على تعلم عقيدة السلف والعلوم النافعة:

سعى الملك عبد العزيز إلى رفع الجهل عن قبائل الجزيرة وتعليمهم أصول دينهم ورفع الجهل عنهم وذلك بتحضيرهم في القرى والهجر التي انتشرت في جميع البلاد، وأخذ يشجعهم على التعلم، وتلقي علوم دينهم، وأصول عقيدة السلف الصالح، ومختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك على أيدي المشايخ وأئمة المساجد وطلبة العلم، وصار يبعث إليهم من يعلمهم ويرشدهم ويبث فيهم عقيدة السلف الصالح بكل عناية وحزم، وذلك ابتداء من سنة ١٣٣٠هـ تقريبا، حيث كانت هجرة الأرطاوية[(٢)] أول

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص: ٢١٧.

(٢) الأرطاوية مدينة سعودية تتبع محافظة المجمعة في منطقة الرياض، سميت بهذا الاسم نسبة إلى شجر الأرطى الذي يكثر بها وهي تبعد عن الرياض ٢٧٠ كم شمالا.
انظر موقع: ويكيبيديا على الرابط التالي:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%B7%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9
وكتاب: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، لعبد الله بن محمد البسام ص: ٤٠٩.

هجرة بنيت سنة: ١٣٣٠هـ[١].

رابعاً: تبني الدولة للعقيدة السلفية ونشرها في المجالات الرسمية من خلال هيئة كبار العلماء والأنظمة والجامعات والمقررات الدراسية في التعليم العام للبنين والبنات:

لقد مثل علماء الدعوة السلفية الواجهة الرسمية للعلماء وأصحاب الفتوى في عهد الملك عبد العزيز وأولاده، فأنشئت هيئة كبار العلماء، وإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ولجان توعية الحج، وغيرها من اللجان العلمية التي كان علماء الدعوة السلفية هم الممثلين لها.

وكذلك تبنت جامعات المملكة في كلياتها الشرعية، ووزارة المعارف تدريس العقيدة السلفية فتخرج آلاف الطلاب ممن قبلوا العقيدة السلفية ونشروها في جميع المحافل.

خامساً: نشر العقيدة السلفية عن طريق المؤتمرات الإسلامية:

كان للدعوة السلفية أثر على العالم الإسلامي عن طريق تولي حكام الدولة السعودية رعاية المؤتمرات الإسلامية التي تجمع علماء ودعاة العالم الإسلامي، ويترأس هذه المؤتمرات علماء الدعوة السلفية من علماء المملكة.

سادساً: نشر كتب السلف الصالح وطباعتها:

لقد اعتنى الملك عبد العزيز وأولاده وغيرهم بنشر كتب السلف الصالح، وطباعتها، وبذل الأموال الطائلة على التعليم، ونشر الإسلام في الآفاق، فمنذ

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ص: ٢٨٥.

عهد الملك عبد العزيز وكتب السلف تطبع وتنشر وتوزع مجانا، فمن ذلك: مجموعة (الرسائل والمسائل النجدية) و(الدرر السنية) و(مجموعة فتاوى ابن تيمية) وكتب ابن القيم، وكتب الفقه والتفسير والحديث مما كان له أعظم سبب في نشر عقيدة السلف الصالح.

المبحث الرابع: أسباب انتشار الدعوة السلفية وأثرها على العالم الإسلامي

بدأ تجديد الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده، وكان غريبا مستضعفا يتنقل من قرية إلى قرية، فما هي إلا سنوات قليلة حتى انتشرت هذه الدعوة وتحولت من جهد فردي إلى كيان سياسي وشعبي يقوم به حكام الدولة السعودية وعلماؤها ودعاتها في نجد والحجاز وسائر البلاد المحيطة بها، ولما تفاجأ الناس بهذا الفتح الرباني لهذه الدعوة وانتشارها السريع وقف الناس حيالها فريقين:

الفريق الأول: رأى فيها الحق فاتبعها، ودافع عنها وعن أتباعها.

الفريق الثاني: عاداها وعادى أهلها وسلط قلمه ولسانه وسلاحه لإخمادها وتشويه صورتها وأهلها.

وقامت حروب طويلة بالقلم والسلاح بين أتباع هذه الدعوة وخصومها كما هي سنة الله تعالى في أتباع الحق وأعدائهم على مر التاريخ، غير أن هذا التشويه المتعمد من خصوم الدعوة لم يكتب له الفلاح، ولم يصمد في وجه نور الدعوة السلفية وبراهينها اليقينية التي كلما تأملها المنصف وجد فيها الحق والنور، ولا يطول به الزمان حتى يجد في مضامينها وآثارها الموافقة التامة لما كان عليه أهل الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي ﷺ وسار عليه السلف الصالح في القرون الثلاثة المفضلة، فيثمر ذلك في المتأمل فيها اتباع هذه الدعوة المباركة، ولذلك انتشرت هذه الدعوة في البلاد النجدية وسائر بلاد العالم الإسلامي.

والحق أنه إذا كان مقياس نجاح الدعوات هو تلمس نتائجها وثمارها فنستطيع القول بأن هذه الدعوة السلفية قد نجحت نجاحا كبيراً وآتت ثمارا

أكثر مما ينتظر منها قبل ذلك، وحقق الله لأصحابها ما كانوا يأملون من عزة ومنعة ونصر وتمكين، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وبعد بيان نجاح هذه الدعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن جاء بعده من أنصارها إلى هذا اليوم يسوقنا هذا إلى البحث عن أسباب انتشارها وتأثر الناس بها، وهي كثيرة جدا لكن يمكن إدراجها تحت أربعة أسباب رئيسية تتعلق: بالمجدد، والناصر، والمضمون، ثم الورثة لذلك المنهج، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: سلامة منهج مجدد الدعوة السلفية وصدق عزيمته وشجاعته في نشرها:

فقد كان الإمام محمد بن عبد الوهاب سائراً على طريقة السلف الصالح في العلم والبصيرة وسلامة المنهج، وكان صادقاً في إيمانه بعقيدته السلفية، بعيداً عن الحزبية الضيقة، والعصبية المفرقة.

ومع هذه البصيرة في العلم والعمل كان ذا عزيمة واحتساب واجتهاد في نصرة دعوته والتضحية بكل غال ونفيس، مما هيَّأ له قبولا عظيما، ونصراً واسعاً في زمن قليل.

ثانياً: ارتباطها بإمارة راشدة وسلطان قوي مناصر لها:

فقد نهض الإمام محمد بن سعود وذريته من بعده في نصرة الدعوة السلفية

بعزم وجد، فراسل حكام المسلمين ودعاهم، وأرسل المبعوثين لهم، فانتشرت الدعوة في سائر البلاد، وانتشر العلم، وأظهر شعائر الدين، وأقام دولة مسلمة ومجتمعاً مسلماً، فتحققت الجماعة الشرعية والطاعة، وثبت الأمن، وحكمت الشريعة، وألغيت مظاهر الجاهلية وأعمالها حتى رجع بالإسلام إلى معينه الأول.

قال الشيخ ابن باز: «وكان من أقوى أسباب نجاح هذه الدعوة أن هيأ الله لها حكاما آمنوا بها ونصروها وآزروا دعاتها، ذلكم هم الحكام من آل سعود بدءاً من الإمام المجاهد محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤسس الدولة السعودية ثم أبناؤه وأحفاده من بعده»(١).

ثالثاً: صحة مضمون الدعوة السلفية:

فهي تعنى الإسلام الصحيح الذي دعا إليه النبي ﷺ وسار عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأتباعهم إلى يوم الدين، فلم تكن الدعوة السلفية عقيدة فقط، بل كانت دعوة شاملة إلى الإسلام كله عقيدة وشريعة، علماً وعملاً وسلوكاً، فكانت ملتزمة بنهج السلف الصالح في الانتساب إلى الإسلام والسنة، وتركها للألقاب والمسميات الأخرى، ولزومها للجماعة ونهيها عن الفرقة، وتحريرها لمصادر الدين، ومنهج الاستدلال.

وكذلك التزمت في العقيدة بنشر التوحيد والاهتمام به، والتمسك بالسنة والحرص على الاتباع ومحاربة البدع، ونشر عقيدة السلف الصالح في سائر أبواب الاعتقاد، وفي مجال الشريعة اهتمت بإبراز شعائر الملة الحنيفية وإحيائها

(١) انظر: كلمة في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز على الرابط التالي: *http://www.binbaz.org.sa/mat/8163*

وإفهامها للناس بتوازن وسطي في الطرح والأخذ.

وكانت في دعوتها ومضمونها واضحة لا سرية فيها، تهتم بالعلم الشرعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبتعدة عن التأثر بالثقافات الأجنبية والمناهج الكلامية المبتدعة.

رابعاً: استمرار نشر الدعوة السلفية على أيدي ورثتها من عالم وسلطان:

فقد كان لعلماء الدعوة جهودهم المخلصة، وأعمالهم المباركة في مجال العلم والتعليم، والتوجيه والإصلاح والإرشاد، يعلمون الناس الخير، ويدلونهم على المعروف ويأمرونهم به، ويبينون لهم ما يحرم عليهم من الشرك، والبدع والمنكرات ويحذرونهم منها.

وكان لهم أثر كبير في نشر الدين الصحيح بتأليف الكتب النافعة القيمة، وفي إقامة مدارس في مختلف مناطق البلاد في المساجد والكتاتيب، ثم في الجامعات والمعاهد العلمية، التي ساهمت في تعليم الناس القراءة والكتابة، والقرآن الكريم، والتوحيد، والتفسير، والفقه، كما قام العلماء المتخرجون في هذه المدارس بالوظائف الشرعية كالإمامة والخطابة، والقضاء، والإفتاء، والدعوة والإرشاد.

وأما حكام آل سعود فقد حرصوا على نشر الدين أكثر من حرصهم على بقاء ملكهم، ولذلك لم يكن همهم الألقاب والمسميات بل كان همهم نشر التوحيد، يقول الملك عبد العزيز: «إني أفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض، أعبد الله وحده، على أن أكون ملكاً على سائر الدنيا وهي على حالتها من الكفر والضلال، اللهم إنك تعلم أني أحب من تحب وأبغض من تبغض، إننا لا

تهمنا الأسماء ولا الألقاب وإنما يهمنا القيام بحق واجب كلمة التوحيد»[(١)].

وقد كان حكام آل سعود يستغلون كل اجتماع لنشر عقيدة السلف، ولذلك صور:

الصورة الأولى: عقد الدروس العلمية في بلاط الحكم:

فقد كانت تقرأ كتب السلف في جميع العلوم، قال الأستاذ عبد الرحمن الرويشد[(٢)]: «أحيا الملك عبد العزيز تقليداً قديماً في بلاط آل سعود، وهو حلقة الدرس التي تقام بحضور الملك، ذلك التقليد يقوم على قراءة بعض الكتب في تفسير القرآن الكريم، وشرح السنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ، وكتب التاريخ والأخبار أمام الملك وحاشيته في المجلس العام.

ومن الكتب التي عرفت واستمع الناس إليها في مجالس الملك عبد العزيز: تفسير ابن كثير، وسيرة ابن هشام[(٣)]، والبداية والنهاية في

(١) منهج الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره في العلاقات السعودية المصرية ص: ٣٨.

(٢) مؤرخ وباحث اهتم بتاريخ الدولة السعودية حتى لقب: مؤرخ الدولة السعودية، ويعد الآن مؤرخ العائلة الحاكمة، ولد في الرياض في عام ١٣٤٧ ودرس اللغة العربية منتظماً وكلية الشريعة منتسباً ونال شهادتيها معاً عام ١٣٧٧ه، تولى مناصب كثيرة في الدولة، وهو مؤسس مجلة الشبل مجلة الطفل العربي المسلم. انظر: جريدة الرياضية العدد: ٧٧٩٩ *http://www.arriyadiyah.com/news/%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%86-*

(٣) هو: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه (السيرة النبوية) المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. توفي عام: ٢١٣هـ. انظر: ووفيات الأعيان (١/ ٢٩٠)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٦٦).

التاريخ لابن كثير، وسيرة الخلفاء للسيوطي[١]، وسراج الملوك، ومقدمة ابن خلدون[٢]، وفتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، وكتاب الترغيب والترهيب، وكتاب الكبائر للذهبي»[٣].

واستطرد الأستاذ عبد الرحمن الرويشد قائلاً: «وقد أشار الزركلي: إلى أنه سمع في مجلس الملك عبد العزيز ثلاثة كتب من التراث وهي: تفسير القرطبي[٤]، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب الآداب الشرعية لابن مفلح[٥]، وقد سأل الزركلي الأمير عبد الله بن عبد الرحمن[٦] -وهو أحد علماء

---

(١) هو: عبد الرحمن بن محمد المصري الشافعي، جلال الدين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، نشأ بالقاهرة، وألف كتباً كثيرة في مختلف الفنون، توفي سنة ٩١١ هـ. انظر: شذرات الذهب (٨/ ٥١)، والبدر الطالع (١/ ٣٢٨).

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الإشبيلي التونسي، ثم القاهري، المالكي، المعروف بابن خلدون، عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم، ولي في مصر قضاء المالكية، من أشهر كتبه: (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، توفي فجأة في القاهرة سنة (٨٠٨هـ). انظر: الأعلام (٣/ ٣٣٠)، ومعجم المؤلفين (٥/ ١٨٨).

(٣) قصر الحكم في الرياض لعبد الرحمن الرويشد، ص: ٣٨.

(٤) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، وكان ورعاً متعبداً، توفي بمصر سنة (٦٧١هـ).انظر: شذرات الذهب (٥/ ٣٣٥)، والأعلام (٦/ ٢١٧- ٢١٨).

(٥) هو: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد، ولد ونشأ في بيت المقدس، من مؤلفاته كتاب الفروع والنكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية وغيرها، توفي: ٧٦٣هـ. انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ٤٤)، والإعلام (٧/ ٣٢٧).

(٦) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي، ولد في الكويت سنة ١٨٩٤ م وعاد إلى الرياض مع أبيه سنة: ١٩٠٤م بعد استعادة أخيه عبد العزيز لعاصمتهم الرياض وشغف بالعلم والدراسة حتى لقبه الملك عبد العزيز بـ(فقيه آل سعود وعالمهم) توفي في ١٩٧٦.
=

آل سعود المعدودين- عن عادة الدروس هذه، فقال الأمير عبد الله: إنها عادة قديمة تناقلناها عن أسلافنا»[(١)].

الصورة الثانية: مخاطبة وفود الدولة الزائرة للحج وغيره:

فمن ذلك قول الملك سعود[(٢)] بن عبد العزيز في خطابه الذي ألقاه للحجاج عام ١٣٧٨هـ: «إخواني أول ما أدعو نفسي وأدعوكم إليه هو: إخلاص العبادة لله وحده، دعوة إبراهيم ودعوة النبيين من بعده، والدعوة التي جاء بها نبينا ﷺ، تلك كلمة التوحيد (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) بها تميز الحق من الباطل، ومنها تميز الإيمان من الكفر، وبها ارتفعت نفوسنا من مذلة الشرك»[(٣)].

الصورة الثالثة: مراسلة حكام الدول الإسلامية ودعوتهم وإرسال المبعوثين لهم:

والأمثلة على ذلك كثيرة، فمن ذلك رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز التي بعثها بعد ما دخل مكة في عام ١٢١٩ هـ إلى بلاد شمال أفريقيا يشرح فيها حقيقة التوحيد وأصول الدين الذي جاء به الرسول ﷺ[(٤)].

=

انظر موقع ويكيبيديا: *http://ar.wikipedia.org/wiki*

(١) قصر الحكم في الرياض لعبد الرحمن الرويشد، ص: ٣٨.

(٢) هو: سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود: من ملوك الدولة السعودية، ولد في الكويت ونشأ في الرياض، وقاد المعارك في حروب أبيه. وتولى العرش السعودي ١٣٧٣ هـ فور وفاة أبيه، حصل اضطراب في عهده فولي الـمُلك الملك فيصل، توفي بأثينا ونقل للرياض ودفن بها عام: ١٣٨٨هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٩٠).

(٣) مختارات من الخطب الملكية (١/ ٢٤٢).

(٤) وهي رسالة من ثلاث صفحات حسبما نشرتها مجلة ألمانية اسمها إسلاميكا «*islamiga*» مع دراسة باللغة الألمانية لما تعنيه الدعوة التي قاموا بها من أحد المستشرقين، تراجع هذه المجلة

=

=

المجلد ٧ عام ١٩٣٥ م، وانظر هذه الرسالة أيضا في كتاب البيان والإشهار للشيخ فوزان الشابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ ط الأولى عام ١٣٧٢ هـ ص: ٨٢-٨٤ ورسائل الشيخ طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة أسبوع الشيخ ابن عبد الوهاب مجلد الرسائل الخامس.

الفصل الثالث

مفهوم السلفية عند ولاة الدولة السعودية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: هدي حكام آل سعود في حكمهم

المبحث الثاني: مفهوم السلفية عند حكام آل سعود

المبحث الأول: هدي حكام آل سعود في حكمهم

كان من هدي حكام آل سعود إظهار التعلق بالله تعالى أمام خاصتهم وعامتهم، وقوة الصلة به، والتوكل عليه في شؤونهم كلها، وبذل النصيحة للدين والرعية، وكانوا يعلنون على رؤوس الأشهاد أن ذلك هو سبب نصرهم وتمكينهم في الأرض، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر طرفا منها:

قال المؤرخ النجدي ابن بشر عن الإمام سعود بن عبد العزيز: «شهدت سعوداً، وهو راكب مطيته محرماً بالحج، ونحن مجتمعون في نمرة لصلاة الظهر والعصر خطب فوق ظهرها خطبة بليغة وعظ الناس فيها وعلمهم المناسك، وذكرهم ما أنعم الله عليهم من الاعتصام بكلمة لا إله إلا الله، وما أعطى الناس في ضمنها من الاجتماع بعد التفرق، وأمان السبل، وكثرة الأموال، وانقياد عصاة الرجال، وأن أضعف ضعيف يأخذ حقه كاملاً من أكبر كبير من مشايخ البوادي، وأعظم عظيم من رؤساء البلدان، ونادى وهو على ظهرها: لا يحمل في مكة سلاح، ولا تتبرج امرأة بزينة، وتوعد من فعل ذلك من جميع رعيته، وجعل في الأسواق وقت الصلاة رجالاً يحضون الناس عليها فلا تجد فيها وقت الصلاة متخلفاً إلا نادراً، ولا تجد في الأسواق من يشرب التنباك ولا غيره من المحظورات إلا ما لا يرى ظاهراً»[1].

وقال المؤرخ الزركلي عن أحد مرافقي الملك عبد العزيز أنه سمعه في الهزيع الأخير من الليل يدعو الله قائلا: «اللّهم إن كان هذا الملك خيراً لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي، وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني

(١) انظر: عنوان المجد (١/ ٣١٤).

ومن أولادي»[١].

وقال الملك عبد العزيز أيضاً في إحدى خطبه في عام ١٣٤٧ هـ: «أسست هذه المملكة، وكان الله القدير وحده هو معيني وسندي، وهو الذي أنجح أعمالي»[٢]، وفي برقية للملك عبد العزيز لولي عهده الملك سعود عند مبايعته قال: «تفهم أننا والناس جميعاً ما نعز أحداً ولا نذل أحداً، وإنما المعز المذل هو الله سبحانه، من التجأ إليه نجا، ومن اغتر بغيره -والعياذ بالله- هلك، ينبغي أن تعقد نيتك على نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه...وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر وصدق في العزيمة، ولا يصلح مع الله إلا الصدق»[٣].

ولم يكن حكام آل سعود حكاما فقط بل كانوا حكاما وعلماء وطلاب علم ودعاة للمذهب السلفي، وكانوا متأثرين بالمذهب السلفي تأثراً كبيراً، وكانوا يدعون إليه بحكمة وموعظة حسنة، والشواهد الدالة على ذلك كثيرة، فمن ذلك:

تأثر الإمام عبد العزيز بن محمد بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية منذ صغره فقد كتب للشيخ والشيخ إذ ذاك في العيينة عند ابن معمر

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص: ٣٣٤.

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص: ١٤١.

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص: ١٥٨-١٥٩.

يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ ذلك، وقد ضمن تفسير سورة الفاتحة عقيدة السلف الصالح، وأرسلها إلى الأمير عبد العزيز وقد ناهز الاحتلام[١]، وكان لذلك أثر كبير على الإمام عبد العزيز، فقد ألف رسالة جليلة القدر، لها أثر كبير وواسع في نشر عقيدة السلف الصالح، أخذ يشرح فيها عقيدة السلف الصالح، فتكلم عن الحكمة من إيجاد الله الخلق، ومعنى كلمة التوحيد والشفاعة والوساطة، وحق الله وحق رسوله ﷺ وأوليائه، وعن خصوم أنصار العقيدة السلفية، وإنكار عبادة القبور بالدعاء وغيره، وبيان كونها شركاً، وأن حقيقة التوحيد تقتضي الإيمان بالله وعبادته وحده، وعدم الشرك به، ووصف دين المشركين، وبيان الشرك الأصغر والأكبر، وبيان التوسل الصحيح، وغير ذلك من مسائل العقيدة، ثم ختم هذه الرسالة بالتوجيه إلى القرآن الكريم، وإلى حديث رسول الله ﷺ والعمل بهما، والاستغناء بالسنة النبوية عن البدع والشرك والتخرصات والشطحات التي هي وساوس الشيطان والنفوس المتبعة للهوى، وقد استغرقت هذه الرسالة ما يقارب من (٣٤) صفحة كبيرة[٢]، وله رسائل أخرى ونصائح رَحِمَهُ ٱللَّهُ موزعة في (الدرر السنية) وغيرها[٣].

وقال الملك عبد العزيز: «والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا، فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل

(١) انظر: تاريخ نجد (١/ ٢٢٢) وما بعدها.

(٢) الهدية السنية ص: ٤-٤٠.

(٣) الدرر السنية (١/ ٢٥٨-٢٨٤).

بصفة خادم»[١].

وقال الملك سعود بن عبد العزيز: «نحن نعلن على رؤوس الأشهاد أننا لسنا ملوكاً فحسب، بل نحن دعاة لهذا الدين، ونعاهد الله أن نعز دعوة الدين، بأموالنا وسيوفنا وأنفسنا»[٢]، وقال أيضاً: «لقد كان همنا، منذ تولينا مقاليد الأمور، أن نعتصم بكتاب الله ونهتدي بهدي رسول الله، وسنة خلفه من السلف الصالحين»[٣].

(١) انظر المصحف والسيف ص: ٥٤.

(٢) مختارات من الخطب الملكية (١/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٣) انظر موقع الملك سعود على الإنترنت:

http://www.kingsaud.net/art/insidelib/seminars/index9.html

المبحث الثاني: مفهوم السلفية عند حكام آل سعود

إن الدعوة الإصلاحية السلفية التي سارت عليها الدولة السعودية في أدوارها الثلاث، وكانت تدعو إليها، وتحارب من أجلها، هي السلفية التي كان عليها السلف الصالح، لا خلاف بينهما، «فهي امتداد للمنهج الذي كان عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة على امتداد التاريخ الإسلامي، وهو منهج الإسلام الحق الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام والتابعين وأئمة الدين من الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل الحديث والفقه وغيرهم...إذن فهذه الحركة المباركة لم تكن في حقيقتها ومضامينها ومنهجها العقدي والعلمي والعملي إلا معبرة عن الإسلام نفسه، مستهدفة إحياء ما اعترى تطبيقه من قِبَل كثير من المسلمين من غشاوة وجهل وإعراض، بتصحيح العقيدة، وإخلاص العبادة، وإحياء السنة، ومحاربة الشركيات والبدع والمحدثات في الدين»[(١)].

وقد نص الإمام محمد بن عبد الوهاب على أن العقيدة التي كان يدعو لها والتي التزمها حكام آل سعود على مر أدوار دولتهم هي عقيدة السلف الصالح، فقد قال الإمام مخاطبًا كل المسلمين: «من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: أخبركم أني -ولله الحمد- عقيدتي وديني الذين أدين الله به، مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة»[(٢)].

---

(١) إسلامية لا وهابية ص: ٤.

(٢) الدرر السنية (١/ ٦٤).

وكذلك نص على سلامة عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأنها مطابقة لعقيدة السلف الصالح كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، ومن ذلك قول إسحاق[١] بن عبد الرحمن بن حسن، مبينًا أن منهج الشيخ ما كان عليه السلف الصالح: «قد عرف واشتهر، واستفاض من تقارير الشيخ، ومراسلاته، ومصنفاته، المسموعة المقروءة عليه، وما ثبت بخطه، وعرف واشتهر من أمره، ودعوته، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته، أنه على ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين، أهل الفقه، والفتوى، في باب معرفة الله، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، التي نطق بها الكتاب العزيز، وصحت بها الأخبار النبوية، وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم، يثبتونها، ويؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»[٢].

وقال الشيخ ابن باز عن ابن عبد الوهاب: «وقد علم كل من له أدنى بصيرة بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوته أنه قام بنشر دعوة التوحيد الخالص، والتحذير من الشرك بسائر أنواعه، كالتعلق بالأموات، وغيرهم كالأشجار والأحجار ونحو ذلك، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة على مذهب السلف الصالح، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[٣].

---

(١) هو: إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: المحدث الفقيه، الواعظ، سافر إلى مصر وجاور بالأزهر، ورحل إلى الهند في طلب الحديث (سنة ١٣٠٩). وعاد إلى مكة. وجلس للتدريس والإفادة في الرياض (١٣١٥)إلى أن توفي عام: ١٣١٩هـ. انظر: الدرر السنية في الكتب النجدية (٢٣/ ٤٣٠).

(٢) الدرر السنية (١/ ٥١٦- ٥١٧).

(٣) فتاوى ابن باز (١/ ٣٧٤).

ولم تكن هذه الدعوة السلفية دعوة سرية بل كانت دعوة علنية علمية جماهيرية واضحة المعالم، قائمة على أسس واضحة ومبادئ قويمة، وكانت تدرس في المساجد وحلقات الدروس، وكانت معلنة أصولها في أول يوم من تاريخها على يد الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبد الوهاب، فقد ذكر المؤرخون نص البيعة بين الإمامين وأنها كانت (على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1].

فهذا النص القصير في فقراته الأربع قد تضمن الأصول الكلية التي قامت عليها الدولة السعودية من أول يوم في تاريخها ويدخل تحت كل أصل من هذه الأصول ما تضمنه الشرع من تفاصيل وجزئيات وتنظيمات وضوابط، ولهذا فإن الأئمة من آل سعود في مختلف أدوار الدولة السعودية إذا سئلوا عن دستور دولتهم قالوا: (دستورنا القرآن والسنة).

وكان حكام آل سعود في عهودهم المتعاقبة يفهمون السلفية فهما سليما خالياً من كل بدعة، على وفق ما كان عليه الرعيل الأول، ويمكن ذكر مضامين هذه الدعوة التي فهموها على وجه الإجمال فيما يأتي:

١- الدعوة إلى الله على بصيرة ونشر العلم الصحيح والعقيدة الصافية وإحياء الشريعة.

٢-تحقيق المتابعة لرسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله من غير زيادة عليه أو نقص منه.

٣- محاربة الشرك بأنواعه والبراء منه وأهله والعمل على تحقيق التوحيد

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ١٣).

بأنواعه الثلاثة.

٤-محاربة البدع والخرافات وما يفعل عند قبور الأولياء والصالحين والتحذير من المعاصي والآثام على مختلف صنوفها وأشكالها.

٥- هدم القباب وإزالتها والمشاهد التي تقام على الأضرحة والمزارات ومنع الناس من العكوف عندها أو التبرك بأصحابها.

٦- تعظيم الدليل الشرعي كتاباً كان أو سنة، والاقتداء بسيرة السلف الصالح في القرون المفضلة الثلاثة، وتقديمها على أي رأي مهما كان مصدره، واحترام الأئمة المجتهدين في الدين الذين شهدت لهم الأمة بالعدالة والثقة والأمانة ورسوخ القدم في العلم كالأئمة الأربعة المتبوعة مذاهبهم اليوم وأمثالهم من معاصريهم أو طلابهم وأئمة الهدى في كل العصور.

٧- إحياء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع مراعاة الشروط في الأمر والنهي التي قررها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته إلى أهل حوطة سدير وغيرها، وتربية الأمة على عدم السكوت على الباطل أو التخاذل في نصرة الحق وأهله.

٨- تعظيم فرائض الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم والحج وإقامة الجمع والجماعات والأعياد وغيرها من شرائع الدين، وحثّ الناس على التمسك بها وأدائها كما أمرنا الله بها وعلمنا رسول الله ﷺ من غير زيادة عليها أو نقص منها مع النية الصادقة والإخلاص في العمل.

٩- إقامة العدل بين الناس ونصب القضاة وتحري العدل في الأحكام على ضوء الكتاب والسنة ورعاية المصالح العامة والمقاصد الشرعية وتوفير السلطة التنفيذية التي تزع الناس وتنفذ الأحكام الشرعية.

١٠- إقامة دولة إسلامية تقوم على الكتاب والسنة تجمع شتات الأمة وتوحد كلمتها ويخضع الجميع لسلطانها، ويعطون لها السمع والطاعة في المعروف مع القضاء على أسباب الفرقة والاختلاف وتعدد الإمارات التي كانت سائدة قبل قيام هذه الدعوة المباركة، وحقن الدماء التي كانت تنـزف في غير هدف صحيح ولا غاية شريفة.

١١- إحياء روح الجهاد والتضحية في سبيل الله لنشر الدعوة إلى الله وتصحيح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات وإزالة كل عائق يحول بين هذه الدعوة وجمهور المسلمين أو يشق عصا الطاعة.

تلك أهم مضامين الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمامان، الإمام المجاهد الصالح محمد بن سعود والإمام الداعية المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله[(١)].

وفيما يلي نعرض نصوصا لبعض حكام آل سعود تبين صحة فهمهم للعقيدة السلفية:

١- الافتخار بالدعوة السلفية والعمل بمقتضاها:

لم ينتسب حكام آل سعود إلا إلى الإسلام والسنة التي تعنيها السلفية، ولم ينتسبوا إلى مسميات أخرى، لعل هذا السبب يعدّ من أهم الأسباب التي تميزت بها هذه الدعوة، وهو سبب رئيس من أسباب نجاحها وانتشارها،

(١) انظر: نشأة الدولة السعودية لمحمد بن سعد الشويعر: ، وهو بحث مقدم في مؤتمر (المملكة العربية السعودية في مائة عام: بحوث ودراسات، وقد عقد في الرياض في المدة من: ٧-١١/ ١٠/ ١٤١٩هـ، انظر: رابط البحث:

.http://www.darah.org.sa/bohos/Data/2/4-1.htm

وهذا أصل الدين الحنيف والملة الحنفية التي دعا إليها الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن بعده من أنبياء الله ورسله إلى خاتمهم نبينا ورسولنا ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، فهذه النسبة هي التي تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تشتت.

قال الملك عبد العزيز: «إنني رجلٌ سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة»(١)، وقال في الخطاب نفسه: «يقولون إننا (وهابية) والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»(٢).

وقال الملك عبد الله(٣): «أمران لا نقبل المساس بهما عقيدتنا ووطننا... فنحن دولة سلفية ونعتز بهذا... ودولتنا دولة السلف الصالح منذ أن قامت من مؤسس الدولة الأولى محمد بن سعود حين وضع يده في يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقامت الدولة السعودية الأولى، وبعد الدولة الثانية التي أسسها تركي بن عبد الله حوربت حتى انتهت وجاءت الدولة الثالثة التي أسسها الملك عبد العزيز»(٤).

---

(١) المصحف والسيف ص: ١٣٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) هو: عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ولد في الرياض عام: ١٣٤٣هـ، عين رئيسا للحرس الوطني عام: ١٣٨٢هـ، وهو الملك السادس للمملكة العربية السعودية، يلقب بخادم الحرمين الشريفين، تولى عام: ٢٠٠٥م، صنفته مجلة فوربس الأمريكية في عام ٢٠١١ كسادس أقوى الشخصيات تأثيرًا في العالم انظر: انظر: موقع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله على الإنترنت: http: //www.kingabdullah.name.

(٤) نقل ذلك الأمير نايف في اللقاء الذي أجري معه في الجامعة الإسلامية في ليلة الخميس الموافق ٢٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ، ونقلته جريدة المدينة في عددها بتاريخ: ٢٩/ ١١/ ١٤٢٩هـ.

وقال الأمير نايف بن عبد العزيز: «إن هذه الأمة قيادة وشعبا دولة إسلامية تعمل بكتاب الله وسنة نبيه ودولة تتبع السلف الصالح ويشرفنا أن يقال بأننا سلفيون وهذا أمر نعتز به»(١).

٢- السلفية تعني اتباع الكتاب والسنة:

من أصول عقيدة السلف الصالح التي يصدرون عنها، ويرجعون إليها عند الاختلاف، ويعتمدون عليها في العلم والدين الاعتماد على كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وقد كان حكام آل سعود يكررون التزامهم بالكتاب والسنة في شؤونهم كلها:

قال الإمام عبد العزيز بن محمد: «ونأمر جميع رعيتنا: باتباع كتاب الله، وسنة رسوله»(٢).

وقال الملك عبد العزيز: «فحقيقة التمسك بالدين: هي اتباع ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح، وهذا هو الذي أدعو إليه، وما كان مخالفاً لهذا القول فهو كذب وافتراء علينا»(٣).

وقال الملك سعود: «إن كتاب الله تعالى هو ديننا ومرجعنا، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام هي دليلنا، وفيهما كل ما نحتاجه من تبصر وخير ورشاد، ونحن من جانبنا سنحرص إن شاء الله كل الحرص على إقامته واتباعه وتحكيمه في كل أمر من الأمور، وسنهتدي به على توفيق من الله إلى

(١) المرجع السابق في نفس عدد جريدة المدينة.

(٢) الدرر السنية (١/ ٢٦٣).

(٣) ضمن خطاب الملك عبد العزيز في موسم حج عام ١٣٥٢هـ ١٩٣٤م، مجلة الحرس الوطني، ذو الحجة ١٤٠٤ هـ، ص: ١٠.

توفير أسباب الخير لأفراد الشعب جميعاً»[١].

وقال الملك فهد[٢]: «أما بالنسبة لهذا البلد فهو -إن شاء الله- بحوله وقوته سوف يبقى دائمًا وأبدًا متمسكًا بكتاب الله وسنة نبيه في جميع أموره كلها العامة والخاصة، وما خالف هذه العقيدة من أي أمر كان فسوف لا يعمل به أبدًا»[٣].

وقال الأمير نايف[٤] بن عبد العزيز: «إن هذه الأمة قيادة وشعبا دولة

---

(١) انظر: موقع الملك سعود بن عبد العزيز، خطاب الملك سعود في العلماء ورجال القضاء والأمر بالمعروف بمنطقة الظهران عام: ١٩٥٣م، الملك سعود أحاديثه وخطبه، بقلم فؤاد شاكر: *http://www.kingsaud.net/art/insidelib/speech/index64.html*

(٢) هو: فهد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود: خامس ملوك الدولة السعودية وأولهم اتخاذاً للقب خادم الحرمين الشريفين رسميًا، ولد في الرياض عام: ١٣٤٠هـ، تولى مقاليد الحكم في ١٤٠٢هـ واستطاع خلال فترة حكمة تجنيب بلاده العديد من المصاعب الداخلية والخارجية، توفي عام: ١٤٢٦هـ. انظر: موقع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد على الإنترنت: *http: //www.kingfahad.ws*.

(٣) من كلمة خادم الحرمين الشريفين لدى استقباله العلماء والمشايخ والمواطنين الذين توافدوا لتهنئته بتحرير الكويت (١٩/ ٨/ ١٤١١هـ ٥/ ٣/ ١٩٩١م)

http://www.kingfahad.ws/templet/spe04.htm

(٤) هو: نايف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ولد عام: ١٣٥٣هـ، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية في المملكة العربية السعودية، تولى مناصب كثيرة في خدمة الدولة خارجيا وداخليا، وتولى زمام مكافحة الإرهاب والتصدي له، تقلد منصب ولي العهد السعودي بعد وفاة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، وقبل ذلك كان يشغل منصب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء منذ ٢٠٠٩م، ووزير الداخلية منذ عام: ١٩٧٥م. توفي يوم السبت ٢٦ رجب ١٤٣٣ هـ عن عمر يناهز ٧٩ عاما. انظر: موقع ويكيبيديا *http://ar.wikipedia.org/wiki* .

إسلامية تعمل بكتاب الله وسنة نبيه ودولة تتبع السلف الصالح»[١]، وقال أيضا: «نحن في هذه البلاد شرفنا الله ﷻ بتحكيم كتاب الله وسنة نبيه وتمسكنا بما عليه السلف الصالح»[٢].

٣- مذهب السلف يعني اتباع الدليل دون التعصب لقول أحد:

قال الملك عبد العزيز: «قد جعلنا الله أنا وآبائي وأجدادي مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، لا نتقيد بمذهب دون آخر، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه وتمسكنا به، وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً أخذنا بقول الإمام أحمد، فهذا كتاب الطحاوية في العقيدة الذي نقرؤه وشرحه الأحناف، وهذا تفسير ابن كثير وهو شافعي، ولكن بعض المسلمين تركوا سنة الرسول والسلف الصالح، واتبعوا أهواءهم»[٣].

وقال أيضاً في الخطاب الذي ألقاه في حفل تكريم الحجاج: «والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح...وليس من مذهب سوى مذهب السلف الصالح، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها، فأبو حنيفة والشافعي[٤]

---

(١) نقل ذلك الأمير نايف في اللقاء الذي أجري معه في الجامعة الإسلامية في ليلة الخميس الموافق ٢٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ، ونقلته جريدة المدينة في عددها بتاريخ: ٢٩/ ١١/ ١٤٢٩هـ.

(٢) خطاب لسموه لمنسوبي الهيئات في ٢٥/ ٨/ ١٤٢٧ه

(٣) المصحف والسيف ص: ٨٦.

(٤) هو: محمد بن إدريس المطلبي، من مشاهير الأئمة الكبار ولد في غزة سنة ١٥٠هـ، وبرع في فنون كثيرة، وله عدة مؤلفات، توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ. انظر: طبقات الشافعية، الجزء الأول، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥).

ومالك وابن حنبل أئمتنا»[١]، ويدخل في ذلك توقيرهم للمذاهب الأربعة: قال الملك عبد العزيز: «ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وكلهم محترمون في نظرنا ونحن في الفقه نأخذ بالمذهب الحنبلي»[٢].

٤ - العناية بتوحيد الله تعالى ودعوتهم إليه:

إن الدعوة السلفية الإصلاحية التي ناصرها آل سعود اعتنت بالتوحيد وجعلته محور أمرها، ونقطة انطلاقتها، وما ذاك إلا لأنه هو أساس دعوة الرسل، وأول ما يدعون إليه.

وفي ذلك يقول الإمام عبد العزيز بن محمد: «أما الذي نحن عليه، وهو الذي ندعو إليه من خالفنا: أنا نعتقد أن العبادة حق لله على عبيده، وليس لأحد من عبيده في ذلك شيء، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل فلا يجوز لأحد: أن يدعو غير الله، لجلب نفع، أو دفع ضر، وإن كان نبياً أو رسولاً، أو ملكاً، أو ولياً»[٣].

وقال الملك عبد العزيز: «هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها وهذه هي عقيدتنا وهي عقيدة مبنية على توحيد الله ﷻ خالصة من كل شائبة منزهة عن كل بدعة فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب»[٤].

وقال أيضاً في بيان شدة اعتزازه بكلمة التوحيد، واستعداده للتضحية من

(١) المصحف والسيف ص: ١١٧.

(٢) تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ص: ١٢٠.

(٣) الدرر السنية في الكتب النجدية (١/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٤) المصحف والسيف ص: ٥٣.

أجلها: «عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما، ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منها، ولو بشعرة: **الأول**: كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) -اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه- إني والله وبالله وتالله أقدِّم دمي، ودم أولادي، وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة ولا أضن بها»[١].

وقال أيضاً: «يعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شخصية أو لجر مغنم وإنما تمسكاً به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي ولتجعل كلمة الله هي العليا»[٢].

وقال أيضاً -مبيناً أن سبب تمكينهم في البلاد إنما هو بسبب كلمة التوحيد-: «واعلم أننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا وقوتنا وإنما منَّ به الله علينا بسبب كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله»[٣].

٥- أحكام وتشريعات المملكة العربية السعودية تنطلق من اتباع الكتاب والسنة:

قال الملك عبد العزيز: «إن خطتي التي سرت ولا أزال أسير عليها هي إقامة الشريعة السمحة، إنني خادم في هذه البلاد لنصرة الدين...يهمنا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد والنظر في الأمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا»[٤]، وقال في خطبته عند سفره إلى مكة لأول مرة: «إني

(١) الملك الراشد ص: ٣٦٢.

(٢) المصحف والسيف ص: ٥٧.

(٣) الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم ص: ٢٣.

(٤) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص: ٢١٥.

مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع»[(١)].

وقال الملك فهد: «إن دستورنا في المملكة العربية السعودية هو كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، ما اختلفنا فيها من شيء رددناه إليهما، وهما الحاكمان على كل ما تصدره الدولة من أنظمة»[(٢)].

وقال الملك عبد الله بن عبد العزيز: «إن هناك شيئين مهمين لا مساومة فيهما أو عليهما: هما العقيدة والوطن، ليس فيهما أخذ ولا رد، ويجب أن يعي القريب والبعيد هذا الأمر إن سبب حقد الحاقدين على بلادنا هو كونها تحكم الشريعة المحمدية، وأعتقد جازماً أنه ليس في العالم دولة تحكم الشريعة المحمدية إلا بلادكم، وهذا فخر وعز لكم، وإن شاء الله تعالى نموت ونحيا على هذه العقيدة وعلى تحكيم الشريعة المحمدية»[(٣)].

وقد ورد في النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية الصادر في عام ١٤١٢هـ ما يأتي: (المادة السابعة: يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة).

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص: ٨٦.

(٢) من كلمة الملك فهد بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق (الرياض ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ - ١١/ ٣/ ١٩٩٢م). انظر: جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٦٥١، في: ١١/ ٩/ ١٤٢٢هـ.

(٣)انظر: جريدة الجزيرة، العدد: ١٠٦٥١، في: ١١/ ٩/ ١٤٢٢هـ.

٦- السعي لوحدة المسلمين وجمع كلمتهم:

حرص حكام آل سعود على الحث على لزوم جماعة المسلمين، وتوثيق عرى الألفة، والدعوة إلى ذلك، والتحذير من الفرقة، قال الملك فهد: «لقد علّمنا التاريخ أن أي أمة من الأمم لا تستطيع بناء قوتها الذاتية ونشر حضارتها، ما لم يسدها التآلف، ويظللها التعاطف، وتغمرها المحبة والتعاون»[(١)].

وقال الملك عبد العزيز في الوحدة: «إني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخا، وصغيركم ابنا، فكونوا يدا واحدة، وألفوا بين قلوبكم لتساعدوني على المهمة الملقاة على عاتقنا»[(٢)]، وقال أيضاً: «يجب أن تحرصوا على العمل، والعمل لا يكون إلا بالتساند والتعاضد»[(٣)]، وقال أيضاً: «أنا مسلم، وأحب جمع الكلمة، وتوحيد الصف، وليس هناك ما هو أحب إليَّ من تحقيق الوحدة»[(٤)].

وبعد هذا العرض الموجز لمبحث السلفية وصلتها بالدولة السعودية يتبين أن حكام آل سعود قد أسهموا إسهاما كبيراً في تصحيح عقيدة المسلمين التي سارت على خلاف عقيدة السلف الصالح بسبب تتابع كثير من الدول على نصرة مذاهب مخالفة لمذهب السلف، فإنه من أواخر الدولة العباسية إلى زمن

---

(١) من كلمة وجهها خادم الحرمين إلى مؤتمر وحدة الأمة المنظم من قبل المجلس الإسلامي في لندن، والذي انعقد في إسلام أباد في باكستان (٢٨/ ٦/ ١٤٠٨هـ):

http://www.kingfahad.ws/templet/spe09.htm

(٢) من شيم الملك عبد العزيز (٣/ ١٣٠).

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص: ٢٠٧.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢١٦.

قريب والدول الإسلامية على العقيدة الأشعرية أو عقيدة المعتزلة، ولهذا فإن الدولة السعودية نشرت العقيدة السلفية عقيدة السلف بعد مدة من الانقطاع، والبعد عنها إلا عند ثلة من الناس[١].

(١) انظر كلام الشيخ حماد الأنصاري في المجموع في ترجمة العلامة حماد الأنصاري (٢/ ٤٩٥).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث، ومن خلال هذه الدراسة في حقيقة السلفية وصلتها بالدولة السعودية فقد استفدت منها فائدة عظيمة، ويمكن أن أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

١- أهمية البحث في هذا الموضوع ترجع للمكانة العظيمة للسلفية من جهة، فهي تعدّ الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، ومن أراد النجاة في الدنيا والآخرة فعليه لزوم طريقها، ومن جهة أخرى ترجع لخطورة الاختلاف فيها والآثار المترتبة عليها.

٢- الافتراءات على الدعوة السلفية، والسعي لإبطالها وتشويهها من ديدن أهل البدع، وهو مستمر منذ قيام الدعوة إلى اليوم، إلا أن الله تعالى لا يزيد هذه الدعوة إلا نجاحا ونصراً، وذلك بسبب تأييده سبحانه، ثم بسبب حماس أتباعها في العمل بها ونصرتها والذب عنها.

٣- تبين أن السلفية تعني لغة: التقدم والسبق، وفي الشرع تعني: أحد معنيين: الأول: أهل القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، من التمسّك بالكتاب والسنة، علمًا وعملاً، وفهمًا وتطبيقًا، وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم السلف الصالح.

٤- السلفية كمعتقد لم يؤسسها أحد من البشر، بل هي العقيدة التي

ارتضاها الله تعالى وأنزلها على أنبيائه ورسله، وأما عن نشأة مصطلح (السلفية) فإنه لما ظهرت الفرق المبتدعة وخالفت هدي الصحابة وأتباعهم، اشتهر هذا الاصطلاح.

٥- يصح الانتساب إلى السلفية ما دام أنهم قد التزموا بما كان عليه سلفهم من الاعتقاد الصحيح بالنص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة والتمسّك بموجبها من الأقوال والأعمال.

٦- السلفية تعني الإسلام الصافي الصحيح الذي اختاره الله تعالى وأنزله على أنبيائه ورسله، والذي أمرنا باتباعه، وهي سلفية واحدة وليست متعددة.

٧- كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب على عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

٨- الباعث الحقيقي للدعوة الإصلاحية هو ما وصل إليه حال العالم الإسلامي من تدهور وانحطاط على كافة المستويات وخاصة الدينية والسياسية.

٩- انتقلت الدعوة السلفية بسبب البيعة المباركة بين الإمام محمد بن عبد الوهاب وبين محمد بن سعود من حال الضعف إلى حال القوة والانتشار.

١٠- أثّرت الدعوة السلفية تأثيرا كبيراً على أدوار الدولة السعودية الثلاثة في جميع المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فتمسك الناس بالدين وانتشر التوحيد وحورب الشرك، ورفعت راية الجهاد، ووحّدت نجد والجزيرة العربية، وعم الأمن والرخاء والألفة بين المسلمين.

١١- أسهم حكام آل سعود إسهاماً عظيماً في نصرة الدعوة السلفية وانتشارها داخلياً وخارجياً، فانتقلت الدعوة من مرحلة الدعوة باللسان إلى

مرحلة الدعوة بالجهاد والسنان، وانتشرت بذلك العقيدة السلفية، وهدمت جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور، وأقيمت شعائر الإسلام، وتفقّه الناس في دينهم، وأقيمت دولة إسلامية دستورها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وتبنّت الدولة العقيدة السلفية ونشرتها في جميع المجالات الرسمية.

١٢- تَمَثّل حكّامُ آل سعود الدينَ في حكمهم، وحكموه فيهم، فقويت صلتهم بالله تعالى، وبذلوا النصيحة للدين والرعية.

١٣- فهم حكّام آل سعود من الدعوة الإصلاحية السلفية ما فهمه السلف الصالح من الإسلام، ولذلك افتخروا بانتسابهم إلى السلفية، واتّبعوا الكتاب والسنة بفهم السلف دون التعصب لقول أحد، وسعوا إلى وحدة المسلمين وجمع كلمتهم.

وأخيراً أحمد الله تعالى وأشكره الذي أعانني على إخراج هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أكون وفقت في عرضها وبيان أهم جوانبها، ولا شك أن الإنسان يتعرض للخطأ في عمله والكمال لله وحده.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يرزقنا اتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ كما كان عليه سلف هذه الأمة، وأن يجنبنا الزلل، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي ولجميع المسلمين إنه سميع مجيب.

أهم توصيات البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فيما يلي ذكر بعض التوصيات التي تسهم في الاستفادة الكبيرة من هذا البحث المتعلق بالسلفية وصلتها بالدولة السعودية:

١- بيان أن العقيدة السلفية تعني أن أصحابها هم الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، ومن أراد النجاة في الدنيا والآخرة فعليه بلزوم طريقها.

٢- بيان خطورة الخلاف في هذه المسألة الكبيرة، فمن لم يلتزم العقيدة السلفية لم يكن من أهل النجاة في الدنيا والآخرة.

٣- حثّ الباحثين في جميع وسائل الإعلام لنشر الصورة الحقيقية للعقيدة السلفية، وتجريدها مما ألصق بها من عقائد وأعمال إرهابية وتخريبية هي من أعمال الخوارج.

٤- الاهتمام بنشر العقيدة السلفية عن طريق ترجمة أعلام السلفية في العصور الثلاثة المفضلة، ومن تبعهم، فبذكر سيرهم وعقائدهم وأقوالهم وكتبهم تتبين هذه العقيدة بصورتها الحقيقة.

٥- نشر الوعي بين الناس بوجوب التفريق بين العقيدة السلفية التي تعني الإسلام الصحيح وبين بعض المخالفات ممن ينتسب إليها، فهم بشر ليسوا بمعصومين.

٦- نشر البحوث العلمية والمقالات الصحفية التي تبين أن الشيخ محمد بن

عبد الوهاب كان على عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، وأنه كان مصلحاً ومجددا ساهمت دعوته بتصحيح كثير من الخرافات والمعتقدات الضالة.

٧- بيان تأثر الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة بالعقيدة السلفية في جميع المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فتمسك الناس بالدين وانتشر التوحيد وحورب الشرك، ورفعت راية الجهاد، ووحدت نجد والجزيرة العربية، وعم الأمن والرخاء والألفة بين المسلمين.

٨- بيان إسهام حكام آل سعود إسهاماً عظيماً في نصرة الدعوة السلفية وانتشارها داخلياً وخارجياً.

وأخيراً أحمد الله تعالى وأشكره على نعمة إتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن يسهم في خدمة الإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب.

فهرس المراجع

١) إتمام الأعلام، لنزار أباظة، ومحمد المالح، ط: دار الفكر، ط:٢، ١٤٢٤هـ.

٢) الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز السلمان، ط: ٨، ١٣٩٩هـ.

٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب،لابن عبد البر،تحقيق: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

٤) إسلام بلا مذاهب، لمصطفى الشكعة، ط: مصطفى الحلبي، ١٣٩٦.

٥) إسلامية لا وهابية، ملخص كتاب: دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب - حقيقتها ورد الشبهات حولها، بحث علمي توثيقي أعده: أد/ ناصر عبد الكريم العقل.

٦) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار الجيل بيروت.

٧) الأعلام، للزركلي، ط: دار العلم للملايين، ط: ٨، ١٩٨٩م.

٨) إعلام الموقعين لابن القيم، دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

٩) إلجام العوام عن علم الكلام، للغزالي، تحقيق:محمد المعتصم، ط:الكتاب العربي، ط:١، ١٤٠٦.

١٠) الإمام محمد بن عبد الوهاب في التاريخ، لعبد الله بن سعد الرويشد، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

١١) الأمن الذي نعيشه، لحسين عبد الحي قزاز، ط:١، ١٤٠٩.

١٢) البداية و النهاية، لابن كثير، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر،

الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

١٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة .

١٤) البيان لأخطاء بعض الكتاب، للشيخ صالح الفوزان، ط:ابن الجوزي، ط:١، ١٤١١.

١٥) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية .

١٦) تاريخ البلاد العربية السعودية، لمنير العجلاني، دار الكتاب العربي، مطابع دار الغد، بيروت.

١٧) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ط: دار الفكر.

١٨) تاريخ المملكة العربية السعودية ، لعبد الله بن الصالح العثيمين، ط:٥- ١٤١٤هـ.

١٩) تاريخ نجد المسمى: روضة الأفكار والأفهام، لحسين بن غنام، تحقيق: الأسد، ط: دار الشروق، ط:٤، ١٤١٥هـ

٢٠) التبصير في الدين، لأبي المظفر الاسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، الطبعة الأولى: ١٤٠٣

٢١) تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، لعبد الله بن محمد البسام، ت: إبراهيم الخالدي، ط:١، ط: شركة المختلف، الكويت، ٢٠٠٠م.

٢٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط ٤، ١٣٨٨، دائرة المعارف العثمانية.

٢٣) تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، المؤلف محمد الشويعر، ط: رئاسة إدارة البحوث العلمية، ط:١، ١٤٢٢.

٢٤) تعليق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري على العقيدة الحموية

٢٥) تفسير السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ط١ - ١٤٢٠

٢٦) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ط: دار الفكر، ط:١، ١٤٢١هـ

٢٧) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

٢٨) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - ٢٠٠١م

٢٩) التوسل أنواعه وأحكامه، للألباني، ط: المكتب الإسلامي، ط:٥، ١٤٠٦هـ.

٣٠) جامع بيان العلم وفضله، للقرطبي، تحقيق: فواز زمرلي، ط: مؤسسة الريان، ط:١، ١٤٢٤هـ

٣١) جزيرة العرب في القرن العشرين، لحافظ وهبة، ط: دار الأفاق العربية، القاهرة، ط:٣، ١٣٧٥هـ

٣٢) الدرر السنية في الكتب النجدية، لعلماء نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ.

٣٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، مجلس دائرة المعارف، الهند، ١٣٩٢، ط ٢.

٣٤) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دائرة المعارف الإسلامية لخالد القاسم في مجلة البحوث الإسلامية العدد:٦١، ص:٣٢٥، تصدر عن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ١٤٢١هـ

٣٥) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس

الرسائل الشخصية، جمع عبد العزيز بن زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٦) السلفية مرحلة زمنية مباركة، للبوطي، ط: دار الفكر، ط:١، ١٤٠٨ هـ.

٣٧) سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ط:٩، ١٤١٣هـ

٣٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، وشعيب الأرنؤوط.

٣٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: أحمد الغامدي، دار طيبة، ط:١، ١٤١٥هـ.

٤٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ط: دار الفكر، ١٤٠٩ هـ.

٤١) الصحاح للجوهري، ط:دار العلم للملايين، ط:٤، ١٤٠٧هـ.

٤٢) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

٤٣) صحيح الجامع الصغير و زيادته، لمحمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، ط:١٤٠٦،٢هـ .

٤٤) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ .

٤٥) الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي، ط: مطابع الجامعة الإسلامية، ط:١، ١٤٠٨هـ

٤٦) طبقات الحنابلة، لأبي يعلي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،

١٩٧٨م .

٤٧) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧، ط ١، تحقيق: الحافظ عبد العليم.

٤٨) العبر للذهبي، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٥.

٤٩) علماء الدعوة، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط ١٣٨٦هـ

٥٠) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط: دار العاصمة.ط٢ ، ١٤١٩ هـ .

٥١) علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ط: دار الاعتصام، ط:٣، ١٩٨٦م.

٥٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر، تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ، ط: دار الملك عبد العزيز، ط: ٤، ١٤٠٢هـ.

٥٣) العين، للخليل الفراهيدي، ط:دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٥٤) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، جمع الشويعر، ط: رئاسة إدارة البحوث، ط: ٣، ١٤٢١ هـ.

٥٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية الفتوى، المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ط: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٥٦) فتاوى نور على الدرب النصية، لابن عثيمين، ط: مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية، ط: ١، ١٤٢٧هـ.

٥٧) فتح الباري لابن حجر، ط: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٥٨) الفرق بين الفِرق، لعبد القاهر البغدادي، تعليق:إبراهيم رمضان، ط:دار المعرفة، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ .

٥٩) الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم، للقصيمي، ط: ٢، ١٩٨٩م

٦٠) قصر الحكم في الرياض، لعبدالرحمن بن سليمان الرويشد، ط: مطابع دار الشبل، ط:١٤١٢،١هـ .

٦١) قواعد المنهج السلفي، لمصطفى حلمي، ط: دار الدعوة، ط:٣، ١٤١٦هـ.

٦٢) لسان العرب، لأبي الفضل المصري، دار الفكر، الطبعة الأولى:١٤١٠ هـ.

٦٣) لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: أحمد مصطفى، ط: مطابع بيبلوس، ط:١٩٦٧ .

٦٤) لوامع الأنوار للسفاريني، ط: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط:٢، ١٤٠٢ هـ

٦٥) مجلة الأصالة، رئيس التحرير: محمد موسى، تصدر عن جمعية النور ببيروت.

٦٦) مجموع الرسائل والمسائل، دار الباز مكة.

٦٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٦٨) المجموع في ترجمة العلامة حماد الأنصاري، تأليف عبد الإله بن حماد الأنصاري، ط: المؤلف، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٦٩) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود

الندوي،طبع ونشر جامعة الإمام بالرياض١٤٠٤ هـ

٧٠) مختارات من الخطب الملكية (١/ ٢٣٥-٢٣٦)، الملك عبد العزيز والملك سعود والملك فيصل، جمع دار الملك عبد العزيز، ط: دار الملك عبد العزيز ١٤١٩ هـ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة.

٧١) المصحف والسيف، جمع مجد الدين القابسي، ط: دار الناصر، ط: ٣.

٧٢) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٧٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، المحقق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر،الطبعة: ١٣٩٩هـ

٧٤) مفردات غريب القرآن، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٧٥) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين، ط: المكتبة المصرية، بيروت، ١٤١٦هـ.

٧٦) الملك الراشد، لعبد المنعم الغلامي، ط: دار اللواء، الرياض، ط:٢، ١٩٨٠.

٧٧) الملل و النحل، للشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي، دار الكتب، الطبعة الأولى: ١٤٠١ هـ.

٧٨) ملوك آل سعود ، سعود بن هذلول، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ.

٧٩) من شيم الملك عبد العزيز، لفهد المارك، ط:٢، الرياض،١٤٠٠هـ.

٨٠) منهج الملك عبد العزيز في السياسة الدولية وأثره على العلاقات السعودية المصرية: لعبد الله التركي، بحث مقدم في ندوة العلاقات المصرية

السعودية بجامعة الزقازيق، ١٤٠٧ هـ، وانظر:مجلة الجامعة الإسلامية العدد ١١٠ (٤١/ ٤٣٨).

٨١) تاريخ نجد الحديث وملحقاته، لأمين الريحاني، ط:المطبعة العلمية ليوسف صادر، ط:١، ١٩٢٨م.

٨٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ط:دار الفكر، تحقيق:محمود الطناحي، ١٣٩٩هـ.

٨٣) الهدية السنية، سليمان بن سحمان، ط: المنار بمصر، ط:١، ١٣٤٢هـ.

٨٤) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز. للزركلي، ط: دار العلم للملايين، ط:٥، ١٩٨٨م .

٨٥) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، لعبدالله عبد الحميد، ط: وزارة الشؤون الإسلامية، ط:١، ١٤٢٢ هـ.

٨٦) وسطية أهل السنة بين الفرق، لمحمد با كريم، ط:دار الراية، ط:١، ١٤١٥ هـ.

٨٧) وفيات الأعيان، لابن خلكان، دار الثقافة لبنان، تحقيق إحسان عباس.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٣٢١
المقدمة	٣٢٧
أهمية الموضوع:	٣٢٨
أسباب الكتابة في هذا الموضوع:	٣٢٩
الأمور التي راعيتها في البحث:	٣٣٠
خطة البحث:	٣٣١
التمهيد	٣٣٣
افتراءات خصوم الدعوة وتصدي علماء الدعوة لهم	٣٣٣
الفصل الأول: حقيقة السلفية	٣٣٨
المبحث الأول: معنى السلفية لغة واصطلاحا	٣٣٩
المطلب الأول: معنى السلفية في اللغة:	٣٣٩
المطلب الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح العرفي:	٣٤١
معاني السلفية:	٣٤١
نقولات العلماء في بيان معنى السلفية:	٣٤٣
المبحث الثاني: نشأة السلفية واستمراريتها وصحة الانتساب إليها	٣٤٦
نشأة السلفية:	٣٤٦
أقوال أهل العلم في صحة الانتساب والتسمي بالسلفية	٣٤٨
المبحث الثالث: صلة السلفية بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد ﷺ	٣٥١
المبحث الرابع: وجوب اتباع السلفية	٣٥٣

المبحث الخامس: بطلان تقسيم السلفية: ٣٥٧
الفصل الثاني: نشأة الدولة السعودية وتأثرها بالسلفية ٣٦٠
المبحث الأول: سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب ٣٦١
المبحث الثاني: بدء نهضة الشيخ في الإصلاح الديني: ٣٦٤
المبحث الثالث: أثر الدعوة السلفية على أدوار الدولة السعودية الثلاثة ٣٦٩
المطلب الأول: أثر الدعوة السلفية في الدور الأول من الدولة السعودية ٣٧١
المطلب الثاني: أثر الدعوة السلفية في الدور الثاني من الدولة السعودية: ٣٧٩
المطلب الثالث: أثر الدعوة السلفية في الدور الثالث من الدولة السعودية: ...٣٨٢
المبحث الرابع: أسباب انتشار الدعوة السلفية وأثرها على العالم الإسلامي ...٣٨٧
الفصل الثالث: مفهوم السلفية عند ولاة الدولة السعودية ٣٩٦
المبحث الأول: هدي حكام آل سعود في حكمهم ٣٩٧
المبحث الثاني: مفهوم السلفية عند حكام آل سعود ٤٠١
الخاتمة ٤١٥
أهم توصيات البحث.....٤١٨
فهرس المراجع ٤٢٠
فهرس الموضوعات ٤٢٨

مفهوم البدعة
وأثره في اختلاف الفتوى

د. طارق بن سعيد القحطاني

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

ملخص البحث

عنوان البحث: (مفهوم البدعة وأثره في اختلاف الفتوى).

اسم الباحث: د. طارق بن سعيد القحطاني.

فكرة البحث وموضوعه:

١) تقرير معنى البدعة وأقوال العلماء فيها وتحليلها وترجيح القول الصحيح.

٢) توضيح الفرق بين المصالح المرسلة وبين ما يسمى البدعة الحسنة.

٣) توضيح الفرق بين الضابط والمفهوم للبدعة وعلاقة ذلك بالخطأ أو الاختلاف في الحكم على البدعة.

هدف البحث:

- المساهمة في توعية المجتمع بخطورة البدعة وأثرها السيئ .

- إبراز المفهوم الصحيح للبدعة الذي لا يقسمها إلى حسنه وسيئة من خلال عمل مقارنة بينه وبين المفهوم الخاطئ.

- عمل تطبيق عملي لما تم تقريره في البحث على مسألة (المولد النبوي).

أهم النتائج :

١- لا أثر لمفهوم البدعة الصحيح في اختلاف الفتوى ـ الحكم التطبيقي ـ .

٢- أن الخلاف في القرون المفضلة في معنى البدعة لفظي، وأما ما بعدها فقد يكون حقيقياً أو لفظياً .

٣- أن من ذهب إلى تقسيم البدعة، وقع في الاضطراب من جانبي

التطبيق والمفهوم .

٤- عدم صحة الادعاء القاضي ببطلان مفهوم (كل بدعة ضلالة) بحجة وقوع خطأ في التطبيق؛ وذلك من ثلاثة أوجه هي:

الأول : من جهة عدم التفريق بين الضابط والمفهوم.

والثاني: من جهة عدم التفريق بين علاقة المفهوم وبين إنزال الحكم العملي الاجتهادي.

والثالث: من جهة عدم مراعاة العوامل التي قد تعتري المجتهد.

٥- تبين بعد تطبيق عملي لما تقرر في ضابط البدعة، وعقد بين المجيزين والمحرمين لمسألة المولد النبوي، واستخدام ذلك في جدول، أن الصواب مع الاتجاه المحرم والرافض لتحسين بدعة المولد النبوي.

Abstract

Title of treatise: (The concept of Innovation and its impact on variation of fatwa).

Name of auther: Dr. Tariq bin Saeed Al-Qahtani.

The thought of the treatise:

1 – fixing the meaning of innovation, and mentioning the views of the scholars on it, analysing them, and favouring the correct one.

2- to clarify the difference between general welfares and between the so-called fair innovation.

3- to clarify the difference between the standard and the concept of Innovation, and its relation to the error or the difference in judgment on Innovation.

The object of the treatise:

- To contribute to the community awareness of the seriousness of innovation and its bad effect.

- To Highlight the true concept of the innovation, that does not divide it into fair and bad, through the comparison between it and the misconception about innovation.

- To make a practical application of what has been clarified in this research on the issue of (the Prophet's birthday).

The most important results:

1- There is no effect of the right concept of the innovation in varying of fatwas - verdict applied-.

2- That in the centuries - favourited the difference of views about the meaning of innovation is verbal, and what after that may be real or verbal.

3- That whosoever divided the innovation, fell down in the turmoil from both sides, application and concept.

4- Incorrectness of the claim judging the invalidation of the concept (every innovation is a going astray), under the pretext of an error in the application, and that comes from three aspects: the first: from not differentiating between the standard and the concept, the second: from not differentiating between the relevance of the concept, and between the

applying the practical discretionary judgment, the third: from not observance of the factors which may occur to the Mujtahid.

5- After a practical application of what has been decided about the standard of innovation, and after making a comparison between the views of the scholars who allow or ban the issue of the Prophet's birthday, and putting it in a table, it appeared that the Right is with the direction forbidding and refusing to improve the innovation of the Prophet's birthday.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فمن المعلوم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أكمل دينه، وشرع لنا كل الأحكام، وأمر نبيه ﷺ بالاتباع، فقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الأنعام: ١٠٦].

وجعل طريق النجاة في الاتباع، وطريق الهلاك في الابتداع، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ﴾[الأنعام: ١٥٥].

ومحبة الله تتحقق بالاتباع، لا بالابتداع، حيث قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ

﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١].

ولذلك أدرك الصحابة مُبكرًا بعد وفاة النبي ﷺ خطر البدعة، إذ كان في أول خطبة لأول خليفة بعد رسول الله ﷺ وهو: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تحذيرٌ من البدعة فقال: (... وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَسَنَّ النَّبِيُّ ﷺ، وَعَلَّمَنَا فَعَمِلْنَا، وَاعْلَمُنَّ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ الْهُدَى- أَوْ قَالَ-: التُّقَى... وَأَنَّ أَعْجَزَ الْعَجْزِ الْفُجُورُ، إِنَّمَا **أَنَا مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ**)[(١)].

وعلماء السلف المتبعون للكتاب والسنة، أدركوا خطر البدعة، وكثر كلامهم فيها تحذيرًا من شأنها، واجتهدوا في تحقيق معنى السنة والبدعة، وصنفوا المصنفات فيها. فكانت خصيصتهم العُظمى، وحسنتهم الكُبرى: تعظيم نصوص الشريعة، والاستسلام لأوامرها، والوقوف عند حدودها، مع إعمال الفهم في محله، وهو ما امتازوا به من بين الفرق... فمن حق الدين علينا أن نسعى ونجتهد ونشارك بما نستطيع في بيان ما شرعه الله، ونهى عنه. ورجائي بالله الكريم أن يجعل في بحثي هذا إسهامًا في نصرة الدين، والدفاع عنه.

فمسألة البدعة من أهم المسائل التي زلت فيها الأقدام والأقلام، والأسباب في ذلك كثيرة، وما يعنينا هنا تحرير بعضٍ منها في تعريف البدعة، والخلط بين تعريفها في اللغة وتعريفها في الشرع، وعدم التفريق بين الحكم بالبدعة، وتبديع فاعلها، أو القائل بجوازها.

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال بَابُ حَقِّ الإِمَامِ عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقِّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الإِمَامِ. برقم: (٨)، والخطبة أصلها مخرجة عند عبد الرزاق في مصنفه برقم (٢٠٧٠٢). وذكرها الطبري في تاريخه: (٢/٢٣٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٦٩)، حيث قال: (وهذا إسناد صحيح).

الدراسات السابقة:

نشير بعد الاستعانة بالله إلى أنه قد صنّف في تقرير البدعة، وحقيقتها، وأحكامها، وأنواعها كثيرٌ من العلماء قديمًا وحديثًا، ولا يسعنا في هذا المقام ذكرها كلها[(١)]، ولكن حسبنا أن نذكر أهمها. ولعل الإمام الشاطبي من أشهر من تكلم عن البدع في كتابيه: الاعتصام، والموافقات؛ لجلالة قدره وعلمه، ولتأخره بعد أن نضجت مقالات الفرق فيها.

وحتى يسير بحثنا هذا في مساره الصحيح، مكملاً للجهود المبذولة المسبوقة؛ نقف على أهم الدراسات المعاصرة التي تكلمت عن تعريف ومفهوم البدعة في اللغة والاصطلاح، وذلك بشيء من التفصيل على النحو التالي:

١) **حقيقة البدعة وأحكامها**، المؤلف: سعيد بن ناصر الغامدي.

يعد هذا البحث من المراجع المهمة المعاصرة في هذا الموضوع؛ فقد أسهب فيه صاحبه وأجاد، وجاء مناسباً، وخاصة في ردوده على البحوث التي تكلمت عن هذا الموضوع، وخلطت بين بعض المفاهيم الخاطئة. وأما الجانب المتعلق بالبحث الحالي هذا فقد تطرق له في كلامه عن انقسام البدع وأسباب تفاوت أحكامها، بيد أن كلام الباحث كان عاماً يتعلق بتقسيم البدعة على الأحكام الخمسة التكليفية[(٢)]، وعن تفاوت البدعة في حكمها، في حين أن هذا البحث يتعلق بمسألة دقيقة مفادها: مفهوم البدعة، وأثره في اختلاف الفتوى.

---

(١) ينظر في بيان هذه المؤلفات إلى كتاب: حقيقة البدعة وأحكامها، المؤلف: سعيد بن ناصر الغامدي، (١/ ١٨٧-٢٣٧).

(٢) ينظر: (١/ ١٩٣-١٩٤).

٢) **موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع**. المؤلف: الدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي.

يختلف موضوع هذا البحث عن موضوع الكتاب الذي قبله، فكان أقل تفصيلا منه، إلا أنه تطرق لمفهوم البدعة، ولم يغفل عنها. كما يختلف موضوع هذا البحث عن موضوع البحث الحالي في كونه اقتصر على مسألة: **موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع**. في حين أن البحث الحالي متعلق بمسألة أخرى، وهي: مفهوم البدعة وأثره في الاختلاف الإفتائي التطبيقي بالحكم عليها من قبل المجتهدين المتفقين على مفهوم واحد.

٣) **قواعد معرفة البدع**، المؤلف: محمد بن حسين الجيزاني.

إن الذي يهُمنا في هذا البحث - على صغر حجمه- تكلمه عن حدّ البدعة، ووزنه بين معناها في الشرع، ومعناها في اللغة، وجعله معرفة البدعة ثلاثاً وعشرين قاعدة، ومن ثم وضعها تحت أصول ثلاثة:

الأول: التقرب إلى الله بما لم يشرع.

الأصل الثاني: الخروج على نظام الدين.

الأصل الثالث: الذرائع المفضية إلى البدعة.

ويعد هذا البحث من هذا المنطلق فريداً من نوعه في هذا الباب.

٤) **معيار البدعة - ضوابط** البدعة على طريقة القواعد الفقهية-، المؤلف: محمد بن حسين الجيزاني.

لقد أدرج الباحث في بداية الكتاب؛ القواعد التي في البحث السابق، وأضاف إليها خصائص البدعة، وأربع قواعد كلية على طريقة القواعد

الفقهية، وذلك على النحو التالي:

الأولى: كل بدعة في الشرع ضلالة.

الثانية: لا تبديع في مسائل الاجتهاد.

الثالثة: قيّد العبادات واحذر الآفات.

الرابعة: العادات المجردة لا بدعة فيها.

تتفرع من كل قاعدة قواعد أخرى، جعل لكل قاعدة؛ ملخصًا لها أو معنى إجمالياً. وفي نظري أن هذا البحث وسابقه قد أضافا أموراً جديدةً مبتكرةً للمكتبة الإسلامية، من حيث الأسلوب، وطريقة القواعد، وإن كانت مقررة من السابق؛ إلا أن الباحث أجاد في جمعها وترتيبها.

وحريّ بالذكر أن هذا البحث وسابقه؛ بحثان تقريريان لا يناقشان شبهاً أو مفاهيم خاطئة حول مفهوم البدعة، وعلاقتها بالفتوى والحكم، وهذا هو الفارق بينهما وبين البحث الحالي، بالإضافة إلى غيرها من الفوارق الأخرى المذكورة في محلّها.

٥) **البدعة والمصالح المرسلة، بيانها وتأصيلها، وأقوال العلماء فيها**، تأليف الدكتور: توفيق الواعي.

لقد تناول هذا البحث تعريف البدعة، وأقوال العلماء فيها، والأسباب المؤدية إليها، وحكمها، ومفهوم المصالح المرسلة، وصلتها بالبدعة، ولكنه لم يتناول الضابط في معرفة البدعة. كما أنه لم يتناول فكرة البحث الحالي المتعلقة بمفهوم البدعة وأثره في اختلاف الفتوى.

٦) **دراسات في البدعة والمبتدعة**، محمد بن سعيد رسلان، وعلاقة هذه الدراسة ببحثنا أنها اهتمت بتعريف البدعة وتحليل الأقوال فيها.

وتعدّ الدراسات السابقة سالفة الذكر ممثلة للاتجاه الذي ذم البدعة، وقرّروا أن كلها ضلالة – كما سيأتي الكلام عن ذلك في التعريف الاصطلاحي لها –.

٧) **ضابط البدعة وما تدخله**، للدكتور سليمان بن عبد الله الماجد. ويحدّد هذا البحث الضابط، ويناقش ما تدخله البدعة وما لا تدخله، كما أنه يناقش الاتجاهات في هذه المسألة.

وعلى الرغم من أهمية هذا البحث المفيد للبحث الحالي؛ فإنه يختلف عنه في اقتصاره على الحديث عن الضابط، في حين يركز البحث الحالي على بيان حقيقة اختلاف الفتوى في حكمها، وأثر مفهوم البدعة في ذلك.

٨) **كل بدعة ضلالة–قراءة ناقدة وهادئة لكتاب مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة**. المؤلف: علوي بن عبد القادر السقاف. وهذه الدراسة مختصرة في الرد على كتاب (مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة) لمؤلفه عبد الإله العرفج. وسيأتي الكلام عن هذه الدراسة، وعلاقتها بالبحث الحالي في عرض بحث الدكتور العرفج قريباً.

وأما الدراسات المقُسمة للبدعة في مفهومها، والمقتضية تحسين بعض البدع؛ فنذكر منها ما يلي:

١ – **الإبداع في مضار الابتداع**، المؤلف: علي محفوظ.

يمتاز هذا الكتاب بذكره تعريفات البدعة، ومحاولة التوفيق بين تعريفات العلماء للبدعة، وبين جعلها من باب الخلاف اللفظي، مع ترجيحه للتعريف المُقسّم للبدعة، ثم تكلمه عن مضار البدع وذمها. وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها الكاتب إلا أنه يعدّ كتابه من المراجع المعاصرة المهمة في هذا الباب.

٢- **البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها**، تأليف الدكتور/ عزت علي عطية. وقد وقع هذا الكتاب في بعض الأخطاء المتعلقة بفهم معنى البدعة؛ إذ قادته مع أسباب أخرى إلى:

- تجويز التوسل إلى الله بذوات أحد المخلوقين الصالحين[١].

-قوله باستحباب الاحتفال بالمولد النبوي[٢][٣]، وهناك بعض الملاحظات الأخرى التي لا مجال لذكرها[٤].

-وعلى الرغم من ذلك فإن الكتاب لا يخلو من الأهمية والفائدة[٥].

٣- **مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة -دراسة تأصيلية وتطبيقية-**، المؤلف: الدكتور عبد الإله بن حسين العرفج، تناول الباحث في هذه الدراسة مفهوم البدعة مسايراً ومؤيداً للقول: إن البدعة تقبل التقسيم إلى: واجب، ومستحب، وجائز، ومكروه، ومحرم.

ونسب لبعض العلماء القول بتقسيمها إلى حسنة وقبيحة، والحقيقة أنها

---

(١)ص٣٧٣-٣٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص٤١١-٤١٩.

(٣) مع العلم أنه قد أقر في بداية كلامه عن الاحتفال بالمولد النبوي، اتفاق العلماء بأن الاحتفال بالمولد النبوي عمل محدث، وأنه حدث في زمن الدولة الباطنية على وجه العموم، وعلى وجه الخصوص في زمن المعز لدين الله سنة٣٦٢، وذلك بعد القرون الثلاثة. ولكنه ــ عفا الله عنه ـ بسبب عدم الانضباط بقواعد وأصول أهل السنة وقع فيما وقع فيه غيره من تحسين بعض البدع.

(٤) ينظر في حصرها وبيانها إلى: حقيقة البدعة وأحكامها، (١/ ٢٢٩-٢٣٧).

(٥) ينظر في ذلك مثلا إلى: ص ٤٢١، وما بعدها.

مغالطة؛ لأنهم قسموها: إلى بدعة لغوية وشرعية[١] فقرروا عدم وجود بدعة في الشرع؛ فلم يفرق بين التقسيمين.

وجاءت الدراسة؛ لإثبات اضطراب فتاوى المعاصرة للقائلين بعدم تقسيم البدعة، واستشهد بأقوالهم، وفتاواهم وقارن بينها.

والدافع في قيامه بذلك كما ذكره يكمن في: إنكار بعض الخطباء المتبعين لمنهج تضييق معنى بدعة المولد النبوي[٢].

وتعدّ هذه الدراسة؛ المحرك والدافع الذي جعلني أقدم على إعداد هذا البحث؛ لما رأيته من مغالطات، وأخطاء في تحرير، ومعرفة علاقة مفهوم البدعة بالفتوى، والحكم عليها.

ويكمن الفرق بين كتاب الشيخ علوي السقاف، وبين البحث الحالي في مناقشة الأول الأخطاء والمغالطات التي وقع فيها الدكتور عبد الإله العرفج[٣]، وهي ردّ تفصيلي على ما استشهد به الدكتور عبد الإله العرفج من مسائل وفتاوى، حيث فند الأمثلة -التي ذكرها لإثبات ما قرره بشأن تأثير مفهوم البدعة القائل بعدم تقسيمها إلى حسنة وقبيحة -في اضطراب الفتاوى المعاصرة؛ وأثبت عدم صحة ذلك، بل إنها في الحقيقة متفقة.

في حين أن البحث الحالي يختلف عما ورد في الكتاب في تناوله التعريفات، وتحليله الأقوال في مفهوم البدعة، وبيانه الفرق بين البدعة وبين المصالح المرسلة،

---

(١)ينظر: من ص٧٠-٧٤.

(٢)ينظر: ص٢١

(٣) ينظر: كل بدعة ضلالة-قراءة ناقدة وهادئة لكتاب لمفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة، ص٥-٩.

وبيانه كذلك الفرق بين الضابط والمفهوم، وعلاقتهما بخطأ الحكم على البدعة. وبناء على ذلك تتضح أوجه الاختلاف والاتفاق بين الكتاب والبحث الحالي.

وعلى الرغم من اشتراكهما في النتائج؛ فإنهما يختلفان في المنهج، والطريقة، والموضوعات التي أثبتت تلك النتائج. وسيأتي الحديث عن أوجه الاختلاف في سياق حديثنا عن أهمية هذا البحث وأسباب اختياره.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تبرز -في نظري -جِدةُ هذا البحث، وأهميته في مجيئه لبيان علاقة مفهوم البدعة بالخطأ في الحكم، والتطبيق تقريرًا؛ وذلك رداً على دعوى[1] مفادها: **أن أصحاب الاتجاه الرافض لتقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة**، قد وقع في فتاواهم اضطراب؛ بسبب الخطأ في إدراك معنى البدعة. ومن هذا المنطلق ركز البحث على تحرير مفهوم البدعة، ثم بيان حقيقة علاقة الخطأ التطبيقي بالمفهوم العام للبدعة. وقد وجد الباحث عبر اطلاعه على الجهود السابقة، أن الموضوع بالمنهج الذي يسير عليه لم يطرق؛ والسبب في ذلك يرجع إلى أن هذه الدعوى جاءت حديثاً، ولأسباب مرتبطة بالواقع. مما يجعلها: **نازلة علمية**.

موضوعات البحث:

ولكي يحقق البحث الأهداف المرجوة منه فقد قسم إلى سبعة مباحث:

الأول: تعريف معنى البدعة لغةً.

الثاني: تعريف معنى البدعة شرعًا.

الثالث: تعريف معنى البدعة اصطلاحًا، وذكر الأقوال فيها.

---

(١) وهي: دعوى الدكتور عبد الإله العرفج، وفقه الله للخير، وجمعنا وإياه عليه.

الرابع: العلاقة بين معنى البدعة لغةً ومعناها شرعًا.

الخامس: الفرق بين البدعة والمصالح المرسلة.

السادس: ضابط البدعة.

السابع: علاقة الضابط والمفهوم باختلاف الفتوى في الحكم على البدعة.

وقد تجنبت ذكر تفصيلات كثيرة، وحرصت على أن يكون البحث مركزًا على موضوعه. ووضعت له منهجًا يمكن بيانه على النحو التالي:

منهج البحث:

اجتهدت أن يكون هذا البحث وفق المنهج التالي:

١-منهجي في تقسيم البحث.

راعيت في تقسيم هذا البحث المعتمد في الخطة، أن يناقش فكرة اختلاف الفتوى، وعلاقتها بمفهوم البدعة؛ وذلك من ثلاثة محاور، حيث تناول **المحور الأول** تحرير معنى البدعة، ولم يكتف بجمع الأقوال بل تحليلها، وبيان العلاقة بين المعنيين: اللغوي والشرعي. ولا يمكن تحرير محل النزاع في مسألة علاقة اختلاف الفتوى في حكمها بمفهوم البدعة إلا بعد هذا التفصيل الذي يخدم مقاصد البحث ونتائجه. ولم أقتصر على ذلك، بل قارنت بين الاتجاهين في تعريف البدعة من حيث المفاسد؛ لتأكيد حقيقة ما توصلت إليه في ترجيحي لأحد الاتجاهين.

وأمّا المحور الثاني فقد وضع لبيان الفرق بين البدعة والمصالح المرسلة؛ لأن الخطأ يقع كثيرًا في تقرير الفتوى والحكم من جانب عدم التفريق بينهما. ثم إنني وضعت جدولاً يوضح ذلك الفرق في نهاية البحث.

في حين أن المحور الثالث يتناول ضابط البدعة، ومفهومها، ومناقشة العلاقة بينها وبين الخطأ في الفتوى. وقد وضعت في نهاية هذا القسم جدولاً تطبيقيًّا لمسألة واقعية، تكون بين الاتجاهين القائل بتقسيم البدع وتحسينها، والقائل بعدم تقسيمها وتحسينها. أجريت فيه ضوابط معرفة البدعة؛ لمعرفة سلامة فتوى الاتجاهين حول هذه المسألة، وفق ما تقرر في البحث.

٢-منهجي في عرض الأقوال ومسألة البحث.

نقلت الأقوال في تعريف البدعة عن العلماء من مصادر كتبهم في كلا الاتجاهين: القائل بالتقسيم، والقائل بعدمه، محاولاً تصحيح ما وقع فيه بعض من سبقني من الباحثين من أخطاء؛ وذلك عبر جمع أقوالهم، وتحليلها من حيث النظر إلى أقوالهم عمومًا، ومعتقدهم خصوصًا، كم أنني أحاول البحث في سند تلك الرواية المنقولة عنهم إن أمكن ذلك.

وأما ما يتعلق بمسألة البحث الحالي، فيمكن القول: إنه بعد عرضي اتجاهات مفهوم البدعة والموافق منها للأدلة؛ رأيت أن تكون مناقشة هذه المسألة في المبحثين الأخيرين، وذلك بالحجج العقلية المسلم بها، والموافقة للأدلة الشرعية.

٣-منهجي العام في البحث:

- أعزو الآيات في النص نفسه بين قوسين [اسم السورة: الرقم]، وأضع الآية بين قوسين ﴿ ﴾ .

-أخرج الأحاديث النبوية وإذا كان الحديث في أحد الصحيحين اكتفي بتخريجه منهما، واذكر الكتاب، والباب، ورقم الحديث إن كان في البخاري،

والباب ورقم الحديث إن كان في مسلم. وأما إن لم يكن في الصحيحين فاكتفي بأكثر من مصدر، واذكر رقم الحديث فقط، ثم أنقل أقوال العلماء قديمًا أو حديثًا في الحكم عليه، وأضع الحديث أو الأثر بين قوسين ( ).

-لا أُترجم للأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا البحث نظراً، لشهرتهم وسعيًا إلى تركيز الجهد بما يخدم البحث.

-إذا نقلت كلامًا بالمعنى أو تصرفت فيه؛ فإنّني أقول: ينظر، ثم أذكر المصادر التي نقل منها الكلام.

- أضع ما أنقله من نصوص بين قوسين كبيرين ( )، وأذكر اسم المصدر دون ذكر كلمة مصدر.

-وضعت نتائج للبحث، و فهارس للموضوعات والمصادر والمراجع.

وأخيرًا؛ الله نسأل ألا نقول في شرعه بغير علم، وهو الموفق لكل خير ونعمة، الهادي إلى سواء السبيل، والمنجي من كل بدعة وضلالة، إذ به نستعين، وبه نخاصم، وإليه المصير، وهو سبحانه وتعالى الذي تقدست أسماءه، ولا إله غيره. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول: تعريف معنى البدعة لغة.

إن مصدر كلمة البدعة قد جاء من: (بَدَعَ)، وهي اسم هيئة من الابتداع، وقد ذكر أهل اللغة أن استعمال هذه الكلمة يرجع إلى أصلين اثنين هما:

الأول: الشيء المخترع من غير مثال سابق.

الثاني: العطب والانقطاع[١].

وجاء في معجم مقاييس اللغة أن (بدع الباء، والدال، والعين: أصلان أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال. والآخر: الانقطاع و الكلال)[٢].

وأمّا في لسان العرب فقد ذكر فيه أن بدع من(بدع الشيء يبدعه بدعا. وابتدعه: أنشأه وبدأه...والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولاً.وفي التنزيل: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير. **والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال**... إلخ)[٣].

اشتقاقات لفظة بدع:

يشتق من لفظة (بدع) معان عدة منها:

- رجل بدع، وامرأة بدعة: وذلِكَ إِذا كَانَ عَالِمًا، أَوْ شُجَاعًا، أَوْ شَرِيفًا.
- البديع، أي: الخالق المخترع، كما في الآية: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧].

---

(١) ينظر: كتاب العين للخليل (٢ / ٥٤-٥٥)، تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ١٤٢)، الصحاح للجوهري (١/ ٣٥)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٢٠٩)، إكمال الأعلام بتثليث الكلام لابن مالك الطائي (١/ ٦٠-٦٢)، لسان العرب لابن منظور(٨ / ٦).

(٢)(١ / ٢٠٩).

(٣)(٨ / ٦).

- وهو: صفة من صفات الله ﷻ.
- والبديع من الحَبل: الذي ابتدئ فتله، ولم يكن حبلاً، فنقض، ثم غزل، وأعيد فتله.
- والبديع: السقاء الجديد.
- وبدع الرَّكيَّة[1]: استنبطها وأحدثها. وركي بديع: حديثة الحفر.
- وأبدع يمينًا: أي أوجبها.
- وأبدعوا بفلان: ضربوه.
- وأبدع بالسفر والحج: عزم عليه.
- وأُبدع: أُبطل.
- وأبدع بفلان: عطبت ركابه، وبقي منقطعًا به. ففي الحديث: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: إني أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي)[2].

ويمكن تلخيص مفهوم البدعة اللغوي على النحو التالي:

١) أن التعريف اللغوي للبدعة الذي ذكره أهل اللغة مأخوذ من **الشيء المخترع من غير مثال سابق.**

٢) أن الأدلة الشرعية التي استشهد بها أهل اللغة في تعريفهم البدعة كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ [الحديد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧].

---

(١) وهي البئر التي لم تطو. ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٧١).

(٢) رواه مسلم، باب (فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَرْكُوب وَغَيْرِهِ، وَخِلاَفَتِهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ)برقم(٥٠٠٧) (٦/ ٤٢).

٣) أن البدعة في اللغة تستعمل في الخير والشر، إلا أن استعمالها عرفًا في الغالب يكثر في الذم، فهي: إذن أعم من البدعة شرعًا، كما سيأتي ذلك في التعريف الشرعي لها.

المبحث الثاني: تعريف معنى البدعة شرعًا

من المهم جدًا في معرفة معنى البدعة شرعًا، والموازنة بين هذا المعنى ومعناها لغةً، **استعراض** الأحاديث التي وردت فيها لفظة البدعة، وهي:

١) حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: (... أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ... إلخ)[١].

٢) حديث العرباض بن سارية الذي قال: صلى بِنَا رسول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا، فقال: **(أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بها، وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فإن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)**[٢].

ويتبين في هذين الحديثين أن البدعة هي: المحدثة، وهذا يستدعى البحث في معنى الإحداث في السنة[٣].

---

(١)أخرجه مسلم باب (تخفيف الصلاة والخطبة)، برقم(٨٦٧).

(٢)أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٠٧)، والترمذي برقم(٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد برقم (١٧١٨٢، ١٧١٨٤، ١٧١٨٧)، والحاكم في المستدرك (٣٢٩)و(٣٣١)و(٣٣٣)، (١/ ١٧٤،١٧٥) وصححه و وافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى برقم(٢٠١٢٥)، والدارمي رقم(٩٥)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٣٥).

(٣) ينظر: قواعد معرفة البدع، لمحمد بن حسين الجيزاني، ص ١٨.

فنقول: إن الإحداث ورد عمومًا في السنة على معنيين:

الأول: بمعنى الانقطاع، وهو: متعلق بالشعائر التعبدية في الغالب، كمعنى الإحداث في عبادةٍ ما، نحو نقض الوضوء كما في قول النبي ﷺ: **(لاَ تُقْبَلُ صَلاَةَ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ)**[(١)]. وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة، وكلها تدور حول معنى التغيّر من حال إلى حال، أي: انقطاع تحقق معنى الطهارة على المكلف، وليس المعنى إتيانه بشيء على غير مثال سابق؛ لأن الإحداث في مسألة الوضوء مثلاً يقع من الإنسان من جرّاء خلقته وطبعه، وبذلك يكون هذا المعنى قريبًا للأصل الثاني في معنى **البدعة** لغة حيث تقدم معنا، وهو: العطب والانقطاع.

أما المعنى الثاني للإحداث فهو متّصلٌ بمعنى البدعة، ويدور على معنى اختراع الشيء على هيئة جديدة، ويرجع أصله إلى المعنى اللغوي للبدعة، وهو: الشيء المخترع على غير مثال سابق.

ومما جاء في هذا المعنى: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي قالت فيه: **قال رسول الله** ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس** فيه فهو ردّ**)**[(٢)].

ويمكننا من هذا الحديث معرفة أن للبدعة ثلاثة قيود؛ تُعرف بها، وتُميز عن غيرها، وبيان ذلك على النحو التالي:

---

(١)أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب (لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طهُورٍ) برقم (١٣٥) ومسلم، باب [٢] وجوب الطهارة للصلاة (٥٥٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب (الصلح)، بَابٌ: (إذا اصْطَلَحُوا على صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ) برقم(٢٦٩٧)، ومسلم، بَابُ (نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ)، برقم: (١٧١٨).

القيد الأول: الإحداث؛ والدليل عليه قوله ﷺ: (من أحدث)، وقوله: (كل محدثة بدعة). ويدخل في ذلك كل محدث سواء أمذموماً كان أم ممدوحًا في الدين أو في غيره. وهذا القيد لا ينفك عن القيدين التاليين، إذ يتبين معهما المعنى بجلاء.

القيد الثاني: أن يُنسب هذا الإحداث إلى الدين. والدليل عليه قوله ﷺ: **(في أمرنا هذا)، أي: في دين الله وشرعه**، وهذا يكون بأي وجه من الوجوه، سواء أكان تقربًا إلى الله بما لم يشرع، **أم** بالخروج على نظام الدين، **أم** كان ذريعة مفضية إلى بدعة.

ومن هذا القيد تخرج:

- المعاصي والمنكرات التي استحدثت، ولم تكن من قبل.

- المخترعات المادية أو المحدثات الدنيوية، مما لا صلة لها بأمر الدين. إلا إن فُعلت قربة لله ﷻ، أو كانت ذريعة مفضية الظن بأنها من الدين[(١)].

القيد الثالث: (ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي، لا بطريق خاص أو عام، والدليل عليه قوله ﷺ: **(ما ليس منه، فهو ردّ)**[(٢)].

ويخرج من هذا القيد ما أحدث في الدين مستندًا إلى دليل عام، مثل: المصالح المرسلة، **أو** دليل شرعي خاص، مثل: صلاة التراويح في عهد عمر. ومثله أيضًا إحياء الشرائع بعد هجرها، ومن الأمثلة على ذلك ذكر الله ﷻ في مواطن الغفلة[(٣)]، وغيرها كثير لا مجال لحصرها.

---

(١) ينظر: قواعد معرفة البدع، ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢١.

المبحث الثالث: تعريف معنى البدعة اصطلاحًا

جرت العادةُ أن العلماء لا يتفقون في تعبيرٍ أو تعريف كلمةٍ ما تعريفًا مطابقًا، وإنما قد يتفق كثير منهم في المعنى العام، والمراد منه، إذا أُعمل فيه المعنى الشرعي.

ومن لاحظ الاختلاف في تعريف المسميات والمصطلحات الشرعية بين العلماء، يجد أنه يرجع إلى أسباب من أهمها تقديم المعنى اللغوي على المعنى الشرعي، أو تخصيص المعنى الشرعي العام بمعنى متوهم يظنّ أنه موجب للتخصيص، والحقيقة أن هذا ما وقع في معنى البدعة، ولا شك أن إعمال المعنى الشرعي أكثر انضباطًا؛ لأنه هو المتعين، والجميع متفق على ذلك، ولكن كما ذكرنا أن الإشكال قد وقع في تخصيص المعنى العام لقول النبي ﷺ: (وكل بدعة ضلالة)[1] وهذا لا يصح؛ لأنه يرجع إما إلى قول الصحابي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(نعمت البدعة هذه)**[2]، على فرض أن قصده متوجه إلى المعنى الشرعي، أو إلى نص شرعي لكن لا ينهض أن يكون دليلاً على التخصيص: فمن ذلك ما رواه مسلم من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ، حيث قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ، قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِي ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ - قَالَ - ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا**

---

(١)سبق تخريجه قريبًا.

(٢)رواه البخاري، كتاب(صلاة التراويح) باب (فَضْلِ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ)، برقم(٢/ ٨٥).

بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ»[(١)]. فسياق الحديث، وقصته تؤكد عدم تحقق التخصيص؛ لأن الصدقة مقررة في الشرع، وهذا ينطبق على الأدلة الأخرى المُستدل بها، والتي لا يتحقق التخصيص فيها، وقد ناقشها العلماء كثيرًا.

وبناء على ذلك وقع الخلاف في تعريف البدعة، وبرز ذلك مؤخرًا، وقد انقسم أهل العلم تجاهها إلى قسمين: قسمٌ يقول: إن البدعة تنقسم إلى بدعة حسنة، وأخرى سيئة، وقسمٌ آخر يقول: إنها لا تنقسم.

أولاً: تعريفات القائلين بالتقسيم:

تعريف الإمام النووي: (البِدعة بكسر الباء، في الشرع هي: إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي: منقسمة إلى: حسنة وقبيحة)[(٢)].

تعريف العز بن عبد السلام: (الْبِدْعَةُ فِعْلُ مَا لَمْ يُعْهَدْ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إلَى: بِدْعَة وَاجِبَة، وَبِدْعَة مُحَرَّمَة، وَبِدْعَة مَنْدُوبَة، وَبِدْعَة مَكْرُوهَة، وَبِدْعَة مُبَاحَة)[(٣)].

تعريف الزركشي، قال: (فَأَمَّا فِي الشَّرْعِ فَمَوْضُوعَةٌ لِلْحَادِثِ الْمَذْمُومِ، وَإِذَا أُرِيدَ الْمَمْدُوحُ قُيِّدَتْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَجَازًا شَرْعِيًّا حَقِيقَةً لُغَوِيَّةً)[(٤)(٥)].

---

(١) رواه مسلم، باب (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلاَلَةٍ). برقم(٦٩٧٥).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٠).

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١١).

(٤) المنثور في القواعد (١/ ٢١٧).

(٥) ينظر المزيد من التعريفات مع تحليلها ونقاشها: حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٥٢-٣٦٤).

ثانياً: تعريفات القائلين بعدم التقسيم:

تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية: (البدعة في الدين هي: ما لم يشرعه الله، ولا رسوله)[١]، ثم شرح مراده قائلاً: (وهو: ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من دين الإسلام، ولا يسمى الذي شرعه الله بدعة، وإن تنازع أولوا الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا الأمر معروفاً في عهد النبي ﷺ أو لم يكن معروفاً)[٢].

وجاء الشاطبي متأخرًا عن العلماء السابقين، فاستفاد من أقوال الطرفين، وتتبع أقوال الصحابة والسلف، فوجدها متفقة على أن البدعة مذمومة، وبذلك أصبح هو: العمدة في هذه المسألة لمن جاء بعده، وأكثر من يكتب عنها من بعده: عالة عليه؛ لذلك تجده يقرر كلام الشاطبي أو يناقشه.

من أجل ذلك؛ كان من الضروري والمناسب أن أذكر تعريف الشاطبي للبدعة في هذا البحث، حيث عرّفها بتعريفين.

الأول: أن البدعة: **(عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى)**[٣].

وهذا التعريف على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧-١٠٨)

(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٠٧-١٠٨)

(٣) الاعتصام (١/ ٤٧).

وأما التعريف الثاني فهو على رأي من أدخل العادات في معنى البدعة، فيقول: (البدعة طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية)[١].

ويمكن التفصيل في تعريف الشاطبي على النحو التالي:

قوله: (**طريقة**)، (مرادفة لمعنى السبيل، والسنن، وهو ما رسم للسلوك عليه)[٢].

وقوله: (**في الدين**)؛ يخرج بذلك ما أُحدث في الأمور المتعلقة بالأمور الدنيوية، مثل: الأجهزة، أو المخترعات الحديثة، التي لا تتعلق بالدين، وهي من أمور مصالح الدنيا.

وقوله: (**مخترعة**)، أي: ابتدعت على غير مثال سابق، وهي: خارجة عن مسار الشرع، أي: ليس لها أصل في الدين، وبهذا يخرج كل ما هو متعلق بالدين، مثل: علم النحو، والصرف، وأصول الفقه... فهي غير موجودة في زمن النبيﷺ والصحابة – رضوان الله عليهم–، لكن أصولها موجودة؛ لأنها علوم خادمة للشريعة.

وقوله: (**تضاهي الشرعية**) (يعني أنها: تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي: مضادّة، و بيان مشابهتها لها من أوجه متعددة:

فمنها: وضع الحدود، كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد، أو قائمًا في الشمس لا يستظل، والاختصاء في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل أو الملبس على

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٤٧).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٧).

صنف دون صنف من غير علة.

ومنها: التزام كيفية وهيئة معينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً، وما أشبه ذلك.

ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان، وقيام ليلته.

وهناك أوجه أخر تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة، فلو كانت لا تضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة؛ لأنها تصير من باب الأفعال العادية)[1].

ثم إن من وسائل تلبيس صاحب البدعة إلصاقها بالسنة، أو كون البدعة مما يلتبس عليه بالسنة؛ ولذلك تجد المبتدع يتأول، ويتكلف من أجل نصرة بدعته؛ حتى يلقى ذلك قبولاً، وإلا فإن بدعته تلك ستلقى نفورًا وإعراضًا من الفاهمين لحقيقتها.

وقوله: (يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه و تعالى)(هو: تمام معنى البدعة، إذ هو المقصود بتشريعها؛ وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة، والترغيب في ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦])[2].

وقصد الشاطبي من هذا الكلام: أن المُبتدع فهِم هذا المعنى على الإطلاق دون النظر في ما وضعه الشارع من تفاصيل تبين السبيل في هذه العبادة. كما ذكر الشاطبي بعد ذلك أن المبتدع بطبيعته البشرية – بالإضافة إلى جهله وهواه –

(١) المصدر السابق (١/ ٥٠).

(٢)المصدر السابق (١/ ٥١).

يمل من الدوام على العبادة المرتبة؛ فيبحث عن التجديد؛ ليحصل له النشاط. وأخيرًا ذكر أن هذا التعريف تخرج منه العادات.

في حين أن التعريف الذي يدخل فيه العادات (**يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية**).

(ومعناه أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم؛ لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها، فهو: الذي يقصده المبتدع ببدعته؛ لأن البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو بالعبادات، فإن تعلقت بالعبادات فإنما أراد بها أن يأتي تعبده على أبلغ ما يكون في زعمه؛ ليفوز بأتمّ المراتب في الآخرة في ظنّه، وإن تعلقت بالعادات فكذلك؛ لأنه إنما وضعها؛ لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها)[1].

ولكن ما موقف الإمام الشاطبي من هذين التعريفين، وأيهما اختاره ورجحه؟

الجواب: أنه عقد بابًا في الابتداع؛ لبيان دخوله في الأمور العادية أو اختصاصه بالأمور العبادية[2].

وذكر فيه حوادث أخبر النبي ﷺ عن وقوعها، وظهورها، وانتشار أمور مبتدعة تضاهي التشريع، لكن من جهة التعبد لا من جهة كونها عادية. وهذا هو: الفرق بين المعصية المبتدعة، والمعصية غير المبتدعة، وخلص بذلك إلى أن العادات من حيث كونها عادية لا بدعة فيها، في حين تدخلها البدعة من حيث التعبّد، وبناء على ذلك اتفق القولان، وصار المذهبان مذهبًا واحدًا، أي: صار

(١) المصدر السابق(١/ ٥٥).

(٢) ينظر: المصدر نفسه (٢/ ٧٣).

التعريفان تعريفًا واحدًا[١].

واحتج الشاطبي أيضًا على دخول العادات في مفهوم البدعة، إذ بيّن أن المباح أحدُ أقسام الحكم التكليفي؛ لأنه داخل في المعنى العام للبدعة، وضمن الخطاب الشرعي، واستدل بنصوص شرعية[٢]. ودخول العادات في الابتداع مقيّدٌ باتخاذها واجبات أو مستحبات[٣].

التعريف الشرعي للبدعة:

بعد استقراء كلام العلماء الذين تكلموا عن البدعة، وذكروا القيود والشروط في قبول العمل؛ يمكن أن يجتهد الباحث في تعريف البدعة بأنها: (كل ما أحدث في الدين بقصد التعبد من غير دليل صريح، أو أصلٍ عام يدل عليه، تقتضي المصلحة والضرورة إليه).

شرح التعريف:

وقول الباحث: (كل ما أحدث في الدين بقصد التعبد) عام يشمل كل ما في ظاهره ذمٌّ أو مدحٌ سواء أكان ذلك في العبادات أم في المعاملات، أم في **العادات المُتعبد بها.**

وأمّا قوله: (من غير دليل صريح)، أي: خاص، فيقصد بذلك: موافقة التعريف ترتيب آلية وأدوات الاجتهاد أو النظر في الحكم ببدعية عمل ما؛ لأنه قد يقع الخطأ إما جهلاً، أو اتباع هوى، فَيجرُّ ذلك العمل المحُدث تحت

(١) ينظر: المصدر نفسه(٢/ ٩٨).

(٢) ينظر: المصدر نفسه (١/ ٣٠٧).

(٣) ينظر: المزيد من الكلام في ذكر الأدلة حول هذه المسألة: المصدر نفسه (١/ ٤٣)، (٢/ ٥٢).

أصل عام، ويترك الأصل الخاص، ولا يُعمل به[١].

وأمّا قوله: (**أو أصلٍ عام يدل عليه، وتقتضيه المصلحة والضرورة إليه**)، فيقصد به أن هذه خطوة تاليه في معرفة البدعة، فإذا لم يوجد الدليل الخاص، واقتضت المصلحة ذلك، فإنه يصبح من باب الوسائل، فيُرجع إلى الأصل العام.

وبهذا التوضيح يظهر للباحث أن التعريف السابق: جامع مانع، وموافق للأدلة والقواعد الشرعية المعتبرة، والله أعلم، وأحكم، والموفق لكل صواب.

وخلاصة ما سبق تكمن في:

أن للعلماء في مفهوم البدعة اتجاهين:

الاتجاه الأول: جعلوا البدعة في عمومها تشمل كل ما حدث بعد عصر الرسول ﷺ ولا يستند على دليل من الكتاب والسنة، وفرّقوا بين تعريف البدعة لغة، وبين تعريفها شرعًا، وقالوا: (إن البدعة مذمومة بإطلاق، وليسَ هناك بدع حسنة).

وهذا قال به: من الصحابة عمر، وابن مسعود، ومعاذ، وابن عمر -رضي الله عنهم أجمعين[٢]. وأما من قال به من العلماء فكثيرون، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، والحافظ الذهبي[٤]، والحافظ ابن كثير[٥]، والشاطبي[٦]،

(١) سيأتي التفصيل -بإذن الله -في مبحث ضابط البدعة.

(٢) سيأتي الحديث عن أقوالهم لاحقًا، وتخريجه، في ص٣٥-٣٧.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧-١٠٨)

(٤) ينظر: التمسك بالسنن، ص ٢٦-٢٧.

(٥) ينظر: التفسير (١/ ٣٩٨).

(٦) ينظر: الاعتصام (١/ ٣٢١-٣٣٢).

والحافظ ابن رجب[١]، والحافظ ابن حجر[٢][٣]، وغيرهم.

في حين لاحظ الاتجاه الثاني في تعريف البدعة المعنى اللغوي للكلمة، فسمّوا كل ما أحدث في الدين بعد عهد الرسول ﷺ بدعة؛ فإن وافق السنة فهو محمود، وإن خالفها فهو مذموم.

وينسب هذا القول إلى الإمام الشافعي[٤][٥]، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر[٦]، والعز بن عبد السلام[٧]، وأبي شامه[٨]، والنووي[٩]، وبعضهم يقسم البدعة كتقسيم الأحكام الشرعية، فتكون، واجبة، أو محرمة، أو مندوبة، أو مكروهة، أو مباحة.

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم(٢/ ١٢٨).

(٢) ينظر: فتح الباري (١٣/ ٢٥٤).

(٣) **نسب الدكتور عبد الإله العرفج في بحثه: مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة، ص٧٠، لا بن رجب، وابن كثير، وابن حجر؛ القول بالتقسيم!؟ والحقيقة أن هذا الأمر غير صحيح، حيث يتضح من النصوص نفسها التي نقلها عنهم أنهم لا =يقسمون البدعة في الشرع، وإنما ذكروا التقسيم في سياق حديثهم عن المعنى اللغوي لها، وهذا لا يختلف فيه أحد، ونكتفي بنقل جزء من النصوص التي نقلها الدكتور على سبيل المثال فقط، وهو في قول ابن حجر: (فالبدعة في عرف الشرع مذمومة، بخلاف اللغة... إلخ)، فهذا النص يثبت أن ابن حجر فرق بين معنى البدعة شرعا وبين معناها لغة.**

(٤) ينظر: مشارق الأنوار على الصحاح الآثار للقاضي عياض (١/ ٨١). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٩/ ١١٣). فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٥٣)

(٥) سيأتي الحديث عن حقيقة إضافة هذا القول إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قريبًا.

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر) ١/ ١٠٦).

(٧) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام(١/ ١١).

(٨)ينظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص٩٣.

(٩) ينظر: شرح مسلم (٣/ ٢٤٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٩٤).

التحليل والتقويم لأقوال الاتجاهين:

هناك مسألة مهمة في تحليل الأقوال السابقة، وهي: أن أصحاب الرأي القائل بالتقسيم، وبالبدعة الحسنة، في أول الأمر، أي: عند العلماء المتقدمين منهم، كانت ذكرًا لمعنى البدعة، ولم تكن تعريفات علمية تخرج المحترزات، وتميّز المقصود، وتوضّح المراد، من غير تفصيل[(١)]، هذا على فرض ثبوت ذلك ذلك عنهم؛ كأمثال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن جاء العز بن عبد السلام ففصّل في التعريف والمسألة.

ثم إن العلماء المتقدمين في حقيقتهم يقسمون البدعة إلى بدعة شرعية، وأخرى لغوية، أي: أن المعنى اللغوي عندهم شامل للذم والمدح، في حين أن المعنى الشرعي مختص بالذم فقط.

ويمكن ملاحظة عبر تلك الفترة المتقدمة أن أصحاب القولين علماء كبار، وأن الاتجاهين يتفقان على مواضع عدة؛ مما يدفعنا إلى هذا التساؤل:

هل هذا خلافٌ حقيقي أم أنه لفظي؟

والجواب في نظر الباحث يكمن في حاجة ذلك إلى تفصيل من جهتين:

الأولى: أنه لفظي من جهة **كونهم متفقين جميعًا** على:

١) أن كل ما وافق الكتاب والسنة والإجماع ليس بدعة.

٢) أن كل ما خالف الكتاب والسنة بدعة.

٣) عدم التذرع بهذا القول إلى جواز الابتداع في الدين، وخاصة الأئمة

(١) ينظر: البدعة والمصالح المرسلة، بيانها وتأصيلها، وأقوال العلماء فيها، لتوفيق الواعي، ص٩٥.

الكبار أمثال الإمام الشافعي، والنووي، وغيرهم.

فهم متفقون في الحكم قبولاً أو رفضًا[١]، ولذلك يعود المعنى- لمن قال بالبدعة الحسنة-إلى السنة الحسنة، أي: إحياء سنة قد ماتت، وليس المعنى إحياء بدعة ظاهرة الاختراع، لا أصل لها في السنة.

أما الجهة ثانية: فمفادها أنه خلافٌ حقيقي؛ لأن أصحاب الاتجاه الثاني خالفوا في مسائل يمكن ذكرها باختصار على النحو التالي:

١- عدم حمل المعنى الاصطلاحي على المعنى الشرعي.

٢- تعطيل قول النبي ﷺ: (كل بدعة ضلالة).

٣- مخالفة أقوال الصحابة في البدعة.[٢]

٤- تقسيم البدعة على الأحكام الخمسة.

ويرى الباحث بعد هذا الإجمال أن الضرورة مستوجبةٌ للبيان والتفصيل في إيضاح الخلاف الحقيقي على النحو التالي:

---

(١) ينظر: الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ، ص٨٢،

(٢) وأقصد من هذه الفقرة والتي قبلها: أن هذا من لازم قولهم بعد تحقيق الصواب: وإلا هذا ليس من إقرارهم فهم علماء كبار مجتهدون.

المسألة الأولى: في المعنى الاصطلاحي:

إن المعول عليه في التعريف الاصطلاحي هو: الشرع؛ فمن المتفق عليه عند الأصوليين: (حمل اللفظ على الحقيقة الشرعية يقدم على حمله على الحقيقة اللغوية)[١].

وأصحاب الاتجاه المقسم للبدعة في حقيقة قولهم -وإن استدلوا بأدلة شرعية على التخصيص على ما يوافق المعنى اللغوي-لم يعولوا عليه؛ لأن أدلتهم لا تنهض لذلك.

المسألة الثانية: تعطيل معنى قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة»

وهذه المسألة تبعٌ لسابقتها؛ ولكنها تختلف في تعطيل أصحاب الاتجاه الثاني[٢] دليلاً صريحاً عمل به الاتجاه الأول، ولم يخصصه، وكونه لم يرد مخصصًا، حيث قال الإمام الذهبي: (فلازم قولهم: تعطيل معنى قوله: «كل بدعة ضلالة» حيث قابلوا التعميم بالتقسيم، والإثبات بالنفي، ولم يبق فائدة لقوله: «كل محدثة بدعة»، بل يبقى بمنزلة قوله: كُلُّ ما نهيتكم عنه ضلالة.

لكن عمدتهم ما يقوم من الأدلة على حُسْنِ بعض ما سَمَّوْه بدعة، من إجماع، أو قياس. وهذه طريقة مَنْ لم يتقيَّد بالأثر إذا رأى حقًا ومَصلحةً، مِنْ مُتَكَلِّمٍ وفقيهٍ وصُوفي، فتراهم قد يَخْرُجُونَ إلى ما يخالف النَّصَّ، ويتركون واجبًا ومُستحبًّا، وقد لا يَعرفون بالنَّص، فلا بد من العلم بالسُّنَن.

---

(١) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد(١/ ٢٨٤)، شرح النووي(٥/ ٢١٣)، فتح الباري(٩/ ٣٥٣).

(٢) أي من لازم قولهم.

أمّا ما صحّ فيه النهيُ فلا نزاع في أنّه منهيٌّ عنه، وأنه سيّئ، كما أن ما صَحّ فيه الأمر فهو: شرع وسُنة. وأما من خالف باجتهاد، أو تأويل، فهذا مازالَ في الأعصار)[1].

المسألة الثالثة: تقسيم البدع حسب الأحكام الخمسة:

وهي: الحرام، والمكروه، والمستحب، والواجب، والمباح، وقولهم: بذلك؛ يعد تناقضًا؛ لأنه تقسيم غير مستقيم؛ إذ إن من حقيقة البدعة الشرعية المتفق عليها، ألا يدل عليها من الشرع دليلٌ، فكيف يقال: إن البدعة تقسم على اعتبار الأحكام، فيلزم من ذلك انتفاء وجود البدعة من الأصل[2]؛ لأن الحكم الشرعي بالوجوب والاستحباب لا يثبت، ولا يكون إلا بدليل ونص شرعي.

أما إن وجد الدليل بالوجوب فلا تسمى بدعة، وإنما هي عملٌ مأمورٌ به، وإلا ما الفائدة في كون الشريعة أتت بأحكام شرعية؟! إذ لا نستطيع بذلك أن نفرق بين الأحكام والبدع؛ لأن كليهما أصبح من الأعمال المأمور بها. وهذا

---

(١)التمسك بالسنن، ص٢٧.

(٢) والحقيقة: أن هذا مآل ينتج عن هذا الاتجاه يلتزم به من ضعف علمه، وكثر أخذه بالرأي؛ لأنه يلتزم انتفاء وجود بدعة أصلاً، فمثلاً أحد المعاصرين التزم بهذا القول من باب آخر، وذلك حين استدل بعدم وجود بدعة من جهة أن النبي ﷺ أخبر بكل شيء؛ ولذلك يزعم أن أي عمل أذن به النبي ﷺ قطعاً، يصبح مشروعًا لا بدعة. **ينظر**: البدعة الحسنة أصل من أصول التشريع، لعيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري، موقع المولد النبوي: *http: //www.sufia.org*.

وهذا مجرد مثال وإلا أضف إلى ذلك أن أصحاب الفرق الضالة والغلاة قد ولجوا من هذا الباب، فوقعوا في شركيات، وانحرافات خطيرة لا تخفى على أحد .

جمع بين المتنافيين!، ولازم لا مفر منه؛ لأنه أمام أمرين اثنين هما:

إما انتفاء وجود البدعة من الأصل، فلدخولها يكون في الأعمال المأمور بها، وهذا لا يقول به أحد من العلماء.

وإما أن يقر بالتفريق بين البدع والأحكام، وحينئذ تبطل الحجة، وتسقط الدعوى.

أما حكما المكروه[(١)]، والمحرم، فصحيحان؛ حيث إن البدعة في ذاتها قد تكون من جنس المعاصي فتتفاوت بذلك بين الكبيرة والصغيرة واللمم، وحينها تشترك مع المعصية من هذا الجانب؛ لأنه ورد النهي عن البدع؛ وهذا النهي لا يخرج من كونه محرمًا أو مكروهًا[(٢)]. فكل بدعة معصية، و ليست كل معصية بدعة؛ لأن البدعة تضاهي الدين بخلاف المعصية.

ولكن وجه الخطأ في هذا التقسيم في نظري يكمن في ورود نص خاص ينهى عن المعصية[(٣)]**، في حين أن البدعة لم يرد نص فيها خاص ينهى عنها، وإنما مستند النهي فيها يرجع إلى دليل عام، وإلى عموم قول النبي ﷺ: (كل بدعة ضلالة)، وإلى مقاصد الشريعة... فتسمية البدعة أو تقسيمها إلى مكروهة و محرمة، يؤدي إلى الخلط بينها وبين المعصية من هذا الجانب.**

---

(١)أي كراهة تحريم وليست كراهة تنزيه. يقول الشاطبي: (وأَما تَعْيِينُ الْكَرَاهَةِ الَّتِي مَعْنَاهَا نَفْيُ إِثم فَاعِلِهَا، وَارْتِفَاعُ الْحَرَجِ عنه البتَّةَ، فَهَذَا مِمَّا لَا يَكَادُ يُوجَدُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الشَّرْعِ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الأَئمة عَلَى الْخُصُوصِ). الاعتصام(٢/ ٣٨٠).

(٢)ينظر: الاعتصام (٢/ ٣٥٣)، حقيقة البدعة وأحكامها (٢/ ١٩٣).

(٣)فمثلاً: **يعدّ أكل البصل، وتخطي المصلين عند الجمهور من المعاصي المكروهة؛ لأنه وردت في كراهتها أدلة خاصة.**

المسألة الرابعة: فهم قول الصحابة والسلف:

وذلك أن الأتباع الذين جاؤوا بعد القرون المفضلة، وقالوا بأن البدعة منقسمة؛ احتجوا بقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والإمام الشافعي وغيرهما وهذا يُعارض بأمرين:

الأول: من الدليل نفسه، والكلام الذي نقلوه، واحتجوا به، فمثلاً: في قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نعمت البدعة هذه)، أنه أصل في عمل مشروع، وقد عمل به النبي ﷺ وهو الاجتماع على صلاة التراويح، فهي فعلت بعد الترك؛ لزوال السبب، ولم تبتدع من غير أصل.

الثاني: أنه ورد عن الذين احتجوا بكلامهم في تحسين بعض البدع، حيث إنهم قالوا بأن البدعة كلها مذمومة، فمثلاً عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: (إن أصدق القيل قيل الله، ألا وإن أحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة ضلالة، ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، ولم يقم الصغير على الكبير، فإذا قام الصغير على الكبير فقد... إلخ)[(١)]، وهذا الكلام يؤكد أن مراده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله(نعمت البدعة هذه) هو: المعنى اللغوي، بالإضافة إلى الأدلة الأخرى.

وأما الإمام الشافعي فقد ورد عنه أنه قال: (وإنما الاستحسان تلذذ)[(٢)].

وقال: (من استحسن فقد شرع)[(٣)].

---

(١)رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، برقم (٦٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، برقم(١٠٠) وصحح الأثر محقق كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

(٢)الرسالة، ص٥٠٧.

(٣)نقلها أئمة مذهبه منهم: الغزالي في المستصفى، ص٤٠٩.

وقال كذلك: (والاجتهاد لا يكون إلا على مطلوب، والمطلوب: لا يكون أبدا إلا على عين قائمة؛ تطلب بدلالة يقصد بها إليها، أو تشبيه على عين قائمة. وهذا: **يبين أن حرامًا على أحدٍ أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبرَ**، والخبرُ من -الكتاب والسنة- عين يتأخّى معناها المجتهد؛ ليصيبه كما البيت يتوخاه من غاب عنه؛ ليصيبه، أو قَصَدَه بالقياس، وأن ليس لأحد أن يقول إلا من جهة الاجتهاد، والاجتهاد ما وصفتَ من طلب الحق...إلخ)[١].

ومن هذه النصوص يتضح أن الإمام الشافعي لا يقبل الاجتهاد إلا بدليل واضح، وشبه ذلك بالبيت الذي يقصد إليه، وكل هذا يؤكد أنه لا يرى توسيع معنى البدعة؛ لأن من أسباب اعتراض الإمام الشافعي على الاستحسان، كونه إحداثًا لشيء على غير مثال سابق[٢]. وإذا كان الأمر كذلك، فإن كلام الإمام الشافعي يحمل على ما يوافق الأدلة، ويصرف ما يعارضه بأن يقال: إن مراده هو: المعنى اللغوي، وإلا كان تعارضاً بين أقواله.

يستنتج مما سبق أن البدعة في الشرع مذمومة، وهذا ما فهمه الصحابة، فقد روي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله - أنه كان يقول في خطبته كل عشية خميس: (إنما هو القول والعمل، فأصدق القول قول الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[٣].

---

(١)الرسالة، ص٥٠٣-٥٠٤.

(٢)ينظر: الاستدلال وأثره في الخلاف الفقهي، أ. د هشام قريشة، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٣)رواه ابن وضاح برقم (٦١)، و**عبد الرزاق** في مصنفه برقم(٢٠٠٧٦)و(٢٠١٩٨)، ورواه =

فكونه يكرر هذا في كل خطبه يدل أن المعنى متقرر عنده وأن البدعة كلها ضلالة ويؤكد ذلك عمله وقوله ناصحًا لغيره: (اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم)[١].

كما روي كذلك عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (... وإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة)[٢].

وكذلك ما روي عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: (**كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة**)[٣].

وهذا الكلام يدل على ذم البدعة مطلقًا، وهو ما فهمه الأئمة من بعدهم، كأصحاب المذاهب الأربعة:

فقد قال أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ حين سُئل عمّا أحدثه أهل الكلام: (عليك بالأثر، وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة)[٤].

= **ابن بطة** في الإبانة برقم(١١٨)، **والطبراني** في الأوسط، (٧٨٧١)، **والبغوي** في شرح السنة برقم (٣٥٧٥) ، **والبيهقي** في الشعب برقم (٤٤٥٢). وقال محقق كتاب البدع هو: صحيح موقوفًا.

(١)رواه ابن وضاح برقم (١٨)، والطبراني في الكبير برقم(٨٧٧٠) و(٧٨٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ورجاله رجال الصحيح.).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم(١١٦) و(١١٧).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، برقم(١٢٦)، وابن بطة في الإبانة (٢٠٥)وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده صحيح (١٢١). ورواه الهروى في ذم الكلام وأهله مرفوعًا برقم (٢٧٦).

(٤) ذكره الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة، (١/ ١١٦)، والهروي في ذم الكلام وأهله برقم (١٠٠٦) وابن قدامة في ذم التأويل برقم(٦٦).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا)[(١)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة...إلخ)[(٢)].

وكلام العلماء المتقدمين كثير، ولا أريد الإطالة في ذلك.

فالنتيجة أن القائلين بالتقسيم صنفان، حيث رأى الصنف الأول: تقسيم البدعة إلى حسنة وقبيحة عمومًا.

في حين رأى الصنف الثاني تقسيم البدعة على الأحكام التكليفية.

وبذلك يكون الصنفان مشتركين في تقسيم البدعة إلا أن الصنف الثاني أضاف الأحكام التكليفية.

---

(١) رواه ابن حزم في الإحكام، (٦/ ٢٢٥)، وينظر: الاعتصام (١/ ٦٦).

(٢) رواه اللالكائي، برقم(٣١٧)، (١/ ١٧٥)، و نقله ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٤١).

ولكن يمكن أن يقال: إنهم قسموا البدعة إلى حسنة وقبيحة إذا جعلنا المباح، والواجب، والمندوب في قسم البدع الحسنة، وجعلنا البدع المحرمة والمكروهة في قسم البدع القبيحة.

وبذلك صار الصنفان في اتجاه واحد، يتمثل بتقسيم البدع، واستحسان بعضها.

ويقابله اتجاه آخر، يذم البدع جميعها، ويرفض تقسيمها البتة.

فتبين أن بين الاتجاهين خلافًا واتفاقًا في آن واحد، والله أعلم.

مقارنة بين المفهومين (التقسيم، وعدمه) من حيث المفاسد:

تقرر سابقًا أن الصواب في الاتجاه القائل بذم البدع وتؤكد هذه الحقيقة المقارنة التالية:

١-أن من حسّن البدعة، يفتح باب الذرائع المفضية إليها؛ ومن ثم يصبح الطريق معبّدًا سهلاً ورائجًا للبدعة، ولا ننسى أنه من باب التوسيع قد ولج الزنادقة، والطوائف المنحرفة وأظهروا أعمالهم الشركية، (**حتى الحداثيون فتحوا هذا الباب بدعوى مسايرة الواقع والجديد**)[1].

٢-وأما من جعل البدعة كلها مذمومة فقد سدّ الطريق عليهم، ووافق الأدلة في المفهوم، وسلِمَ الأصلُ من أي خلل. وحتى في حالة وجود اختلاف

---

(١) حول هذا الموضوع ينظر: بحث مختصر في مجلة البيان بعنوان: التوظيف الحداثي للاجتهادات العمرية(قراءة نقدية)، للباحث: سلطان العميري، العدد(٢٨٥) جمادى الأولى ١٤٣٢هـ -أبريل ٢٠١١م. **وينظر ما تقدم من هذا البحث** في الحديث عن المسألة الثالثة المتعلقة بتقسيم البدعة حسب الأحكام الخمسة في الحاشية رقم (١).

بينهم في بعض الأحكام الاجتهادية؛ فإنهم لا يُبدّعون بعضهم بعضًا، ما دام الموطن يحتمل الاجتهاد، كأن يكون:

- مستندًا إلى حديث فيه نظر، ومختلف فيه.

-أو محتملاً لأكثر من دلالة.

-أو من قبيل اختلاف التنوع في صفات العبادات.

-أو في الذرائع المفضية إلى البدعة، وهذا المحل يكثر فيه الاختلاف؛ لأنه ظنِّيّ في الغالب، ويدخله الاجتهاد[١].

فمتى تحقق ذلك، وكان السبب في وقوع الخطأ الاجتهادي بعيدًا عن الهوى، والجهل، وحظوظ النفس، وعن الأصول الفاسدة، يكون اجتهادًا يُقبل، ويثاب عليه فاعله.

(١) ينظر للتوسع: حكم التبديع في مسائل الاجتهاد للجيزاني، ص٢٨-٤٢، وإعمال قاعدة سد الذرائع في باب البدعة للجيزاني، ص٢٨.

المبحث الرابع: العلاقة بين معنى البدعة لغةً ومعناها شرعًا.

نلاحظ وجود علاقة بين المعنيين، وذلك من وجهين اثنين هما:

١) إذا نظرنا إلى الأصلين اللذين ذكرهما أهل اللغة، وهما:

- الشيء المخترع من غير مثال سابق.

- والعطب والانقطاع؛ لوجدنا أن الأصل الأول ينطبق على البدعة الشرعية؛ لأنه إحداث في دين الله بأشياء جديدة مضاهية للمشرع.

وأما الأصل الثاني الذي أُخذ من إبداع الناقة، أي: مرضها الذي يُصيبها، ويمنعها من المسير، فهو أيضًا ينطبق على معنى البدعة شرعًا، وهو داخل في معنى الأصل الأول؛ لكون انقطاع الناقة عما كانت عليه من سير إبداعًا، أي: إنشاء أمر جديد خارج مما اعتيد منها[(١)]، في حين قد يأتي بمعنى الإحداث في أثناء العبادة كنقض الوضوء في الصلاة، أي: بمعنى التغيّر من حال إلى حال فهنا يختلف عن الأصل الأول اللغوي ويقترب من معنى الإحداث شرعًا في قولهﷺ: (لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ)[(٢)]؛ لأن الإحداث في الصلاة بنقض الوضوء يقع من الإنسان من جرّاء خِلقته وطبعه.

٢) أن بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقًا؛ لأن المعنى اللغوي أعم من المعنى الشرعي، فكل بدعة في الشرع تدخل تحت مسمى البدعة في اللغة، ولا عكس. ومثال ذلك: المخترعات المادية، فإنّها داخلة في معنى البدعة لغةً، وغير داخلة في معناها شرعًا.

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٦٧)، موقف أهل السنة والجماعة للرحيلي(١/ ٨٩-٩٠) وحقيقة البدعة وأحكامها للغامدي(١/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٢) سبق تخريجه، ص١٨.

٣) أن معنى البدعة في الاصطلاح قد بين حده الشرع وذلك في قوله ﷺ: (كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) إذن هي موصوفة بالضلالة، وهو وصف عام مطلق؛ إذ لم يرد في شأنها استثناء يقتضي أن منها ما هو هدى، ولا جاء فيها كل بدعة ضلالة إلا كذا وكذا[١]، وكل من ألفاظ العموم التي تفيد الإحاطة بكل فرد من الجزئيات أو الأجزاء[٢]. وأما البدعة في اللغة فهي غير مقصودة بهذا الوصف، أو لا يلزمها هذا الوصف[٣]. ومما عُرف في ألفاظ الشرع والدين أن المعتبر في تحديد المعنى هو ما ورد في الشرع، ويبقى المعنى اللغوي كما هو لا يغيّر من المعنى الشرعي شيئًا؛ والأمثال على ذلك كثيرة ولا مجال هنا لحصرها، وعلى هذا الأساس لا يُسقط المعنى اللغوي على المعنى الشرعي مع وجود النص.

(١) ينظر: الاعتصام (١/ ٢٤٥).

(٢) ينظر حول هذه القاعدة لفظة (كل): الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للسبكي (٢/ ٩٤)، أصول السرخسي (١/ ١٥٧)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي (١ / ٢٩٨، ٣٠٢)، الاعتصام (١/ ٢٤٥).

(٣) ينظر: قواعد معرفة البدع، ص٢٣.

المبحث الخامس: الفرق بين البدع والمصالح المرسلة

يدرك من بحث في مسائل البدع وحررها، أن المصالح المرسلة تمثل عتبة الدخول في البدع، والوقوع فيها؛ لأنها (ادعاء عام، وكلٌّ يدعيه لبحثه فيما يذهب إليه)[١] فأصحاب الهوى والبدع يحتجون في بدعهم بتحقيق المصلحة، وبالفتاوى التي جاءت من باب المصالح المرسلة في عهد الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة الأربعة، وغيرهم[٢].

والخطورة في ذلك أن المصالح أمر نسبي[٣]، والدين الحق لابد أن يكون في حصن الشرع المنيع بضوابطه، ومُتماشٍ معه في عمومه وإطلاقه، وإلا تطاول عليه من في نفسه جهل أو هوىً من هذا الباب؛ ولذلك كان من المهم الوقوف على الفروق بين البدع وبين المصالح المرسلة فنذكر منها ما يلي:

١) أن البدعة تكون في الأمور التعبدية، وإن جاءت في العادات والمعاملات فتكون بدعة من جهة ما فيها من تعبد، وليس ذلك على سبيل الإطلاق، وأما المصالح المرسلة فموضوعها ما عقل معناه على التفصيل، وذلك في العادات والمعاملات. أما العبادات المحضة فلا يعقل معناها على التفصيل، وهي حق خاص للشارع[٤]، لذا لا مجال فيها للرأي، وقد يقع

---

(١) المصالح المرسلة، لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص١٢، وينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ١٦٢)

(٢) ينظر: حقيقة البدعة وأحكامها، للغامدي (٢/ ١٨٦).

(٣) ينظر: المصالح المرسلة، ص١٢.

(٤) ينظر: الاعتصام (٣/ ٣٥، ٤١-٤٢)، حقيقة البدعة وأحكامها، للغامدي (٢/ ١٨٥، ١٨٧)، قواعد معرفة البدع، ص٣٣-٣٤، كشف البدع، لشحاتة صقر ص٥٥.

الاستصلاح في العبادات، ولكن ليس في ذاتها وأصلها، وإنما يقع ذلك في وسائلها المطلقة، وليس في وسائلها التوقيفية التي ورد النص فيها.

٢) أن المصالح المرسلة يكون غرضها في حفظ أمر ضروري، ورفع حرج لازم في الدين، وهي من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب - **أي: من الوسائل الموصلة إلى تحقيق المقاصد لا من المقاصد نفسها** -.

في حين أن البدعة مضادة للمصلحة المرسلة، وتعود على صاحبها بالمفاسد العظيمة[١].

٣) أن المصالح المرسلة لا تعارض نصًّا في خصوص أو عموم، أو في منطوق أو مفهوم، قطعيٍّ أو ظنيّ، جليّ أو غير جليّ، في حين أن البدعة على العكس، حيث إنها تخالف، وتعارض النصوص الشرعية[٢].

٤) أن السبب في عدم وقوع المصالح المرسلة في زمن النبي ﷺ يرجع إلى:

- انتفاء المقتضي لفعلها.
- قيام المقتضي، ووجود مانع يمنع منه.

أما البدعة فعلى نقيض ما سبق إذ إن عدم وقوعها في عهد النبوة كان مع قيام المقتضي لفعلها، وتوفر الداعي، وانتفاء المانع[٣].

٥) أن التيسير والتخفيف ظاهر في المصالح المرسلة، على عكس شأن البدعة، حيث إنها تؤول إلى التشديد على المكلفين، وزيادة الحرج[٤].

---

(١) ينظر: الاعتصام (٣/ ٤٠-٤١)

(٢) ينظر: الاعتصام (٣/ ٣٥)، حقيقة البدعة وأحكامها (٢/ ١٨٧).

(٣) ينظر: قواعد معرفة البدع، ص٣٥.

(٤) ينظر: الاعتصام (٣/ ٤٢-٤٣)، قواعد معرفة البدع، ص٣٤.

و بعد هذا البيان المختصر؛ نقدم جدولاً يوضح الفرق بينهما:

الموضوع	المصلحة المرسلة	البدعة
محلها	في العادات، والمعاملات المعقول معناها. وأما العبادات فلا يعقل التفصيل في معناها، وتكون في وسائلها، لا في العبادة ذاتها.	في الأمور التعبدية، وإن جاءت في العادات والمعاملات فهي من جهة التعبد، وليس ذلك على سبيل الإطلاق.
الغاية منها	حفظ أمر ضروري، ورفع حرج ما.	ليست من الضرورات.
حالها مع الدليل	لا تعارضه .	تعارضه .
سبب عدم وقوعها في الزمن النبوي	انتفاء المقتضي لفعلها، أو قيام المقتضي، ووجود مانع يمنع منه.	تكون مع قيام المقتضي لفعلها، وتوفر الداعي، وانتفاء المانع
أثرها في المكلف	التيسير والتخفيف	التشديد، وزيادة الحرج .

المبحث السادس: ضابط البدعة.

قد يطول الكلام في تحرير الضابط بتفصيلاته، وربما يؤدي ذلك إلى إخراج البحث عن غايته المنشودة في بيان علاقة الضابط بالمفهوم العام للبدعة، وأثره في اختلاف الفتوى؛ لأن المقام لا يستوجب نقاش الأقوال والاتجاهات، وإنما أكتفي بتحديد المحل الذي يكون عُرضة لإنزال الحكم؛ وذلك لمعرفة الضابط، وهذا المحل يستند إلى (عملٍ وضعت له الشريعة حدوداً إما: بمكان. أو زمان، أو عدد، أو صفة، أو حال، أو اتجاه، وكانت هذه الحدود مما لا يعقل لها معنى على التفصيل)[1]. بمعنى: أن يسير العبد في تصرفاته على مقتضى الأصل وهو: الإباحة في تصرفه بالأشياء، فإذا وجد أن الشريعة وضعت حدودًا لهذا التصرف؛ فعليه العمل به، وإلا وقع في البدعة؛ سواء غير، أم بدل، أم أنقص، أم زاد.

ويمكن اختصار الضابط بمعنى عام بعيد عن التفصيلات بأنه: (التعبد لله تعالى بما ليس عليه النبي ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون)[2].

وقصدتُ من ذكر التنويع في بيان الضابط الإلماح إلى أن مسائل البدعة مختلفة، فبعضها يُدرك بضابط سهل، وأخرى بضابط يحتاج إلى نظر، وإن كان دأبها التسهيل، لكن في كون المسألة ذاتها قابلة للاجتهاد.

و يتحقق الحكم بالبدعة بأمور منها:

أولاً: فيما حددته الشريعة، أي: إذا حصل تغيير، أو تبديل، أو زيادة، أو

---

(١) ضابط البدعة وما تدخله، لسليمان الماجد، **ص١١، بتصرف**.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، (٢/ ٢٩٢).

نقص في عمل لم تأذن به.

ثانيًا: في إدخال نية التّعبد المحض في الأمور العادية: كالتعبد في لبس ثوب معين من الثياب، أوترك شرب الماء البارد تعبّدًا.

ثالثًا: في مضاهاة العبادات المحضة، ويكون ذلك إما:

- بتخصيصها أو تقييدها بمكان أو زمان أو حال أو صفة، سواء أوقع ذلك على وجه المشروع، أم بمحض العادة والمداومة.

-أو بتخصيص العادات بمحدودات زمنية، أو مكانية، أو حالية، أو صفة ما لا يعقل لها معنى على التفصيل، مثل تنكيس العلم أو الأعياد القومية[١].

ويلتبسُ الأمر في معرفة ضابط البدعة، حين يُقال: إن هذا العمل له أصل في الشرع، ثم يؤتى به على أنه: ليس من مصافي البدع ولا محلا لها، في حين أن ذلك ليس على سبيل الإطلاق؛ إذ يجب أن يكون في ما حُدد، وخُصص له من الشرع أو قُيّد؛ لأن طلب الدليل الخاص في الشيء المخصوص أصح من إدراجه تحت شيء عام[٢]، فتعد هذه القاعدة أصلاً في وقوع خطأ عدم معرفة المناط.

فمثلاً: احتج من أجاز المولد النبوي[٣]بقول النبي ﷺ حين سئل عن صوم يوم الإثنين: (ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو نزل عليّ فيه)[٤].

فهنا: أدرج شيئاً مخصوصاً، (وهو: الاحتفال بالمولد في تاريخ الثاني عشر

(١)ينظر: ضابط البدعة وما تدخله لسليمان الماجد، ص١٦.

(٢) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد(١/ ١٢٢).

(٣) ينظر: الحاوي، للسيوطي (١/ ١٨٦).

(٤) رواه مسلم باب(اسْتِحْبَابِ صِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَعَاشُورَاءَ وَالِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ)، برقم (٢٨٠٤).

من ربيع الأول)، في شيء عام (وهو: صيام يوم الاثنين، على الرغم من الاختلاف بينهما أيضاً في العبادة، فذلك صيام، والمولد احتفال وذبح، وإنشاد، ومدارسة للسيرة). فبدلاً أن يكون دليلاً أصبح استدراكاً على الشرع؛ لما حصل فيه من إضافة ما استدلوا به. ناهيك عن الأسباب الأخرى المبطلة له من وجوه عدة: كعدم فعل الصحابة له مع قيام المقتضى لفعلها، وتوافر الدّاعي، وانتفاء المانع، وغيرها من الأدلة.

فهم لم يعدوا أن في الشريعة بدعاً إضافية، بل جعلوها بدعًا حسنة، وهذا القول يلزم منه انتفاء وجود بدع في كل العبادات التي ورد فيها دليل عام[1]، إذ يمكن أن يضاف لها بهذه الحجة نفسها، أي: أن يقال: لها أصل، كأن يأتي على أي لفظ عام، ويقال: إن له أصلاً، ويأتي بوجه خاص لم يشرع له.

ويستنتج من ذلك أن هذا القول يفتح باب الإحداث في الدين؛ لأنه لا ضابط له.

(١) ينظر: معيار البدعة، للجيزاني، ص٩٠.

المبحث السابع: علاقة الضابط والمفهوم باختلاف الفتوى في الحكم على البدعة

بدايةً يجب التفريق بين الضابط وبين المفهوم العام، حيث بيّنا المقصود بالضابط في المبحث السابق، وأما المفهوم فقد أوضحنا المقصود منه في سياق حديثنا عن التعريفات، وبينا أن الصواب مع أصحاب الاتجاه الذي لا يقبل تقسيم البدعة موافقة للأدلة، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: تعيين الضابط، وعلاقته بالخطأ والاختلاف في الحكم على البدعة

إن العلاقة بين ضابط البدعة وبين اختلاف الفتوى في إنزال الحكم تتمثل في كون المجتهد يعتمد على ضابط معيّن فيسير عليه في تطبيق الحكم بما يستجد، وهذا يخضع لأدوات الاجتهاد في المسائل التي **تحتمل النظر... وإذا كان كذلك، فإن الخطأ وارد**، والاختلاف بين أكثر من مجتهد عملاً بهذا الضابط مقبول، وهذا لا يعدّ قدحاً في المفهوم العام للبدعة الذي يقضي بقبحها، ولا يمكن أن يكون حجة على بطلانه... **وتفصيل ذلك وإيضاحه على النحو التالي:**

إننا نُقر بأن الخطأ قد يقع في الضابط، ولكن من حيث فهم المجتهد، ووجهة تطبيقه على الواقع، وإلا فالضابط مستقيم في ذاته، يعلمه المجتهد، وذلك إن جعله في مسار الأدلة موافقاً لها على القواعد والضوابط المعتبرة، وهذا يكون كما قلنا في المسائل المحتملة للنظر، وأما شأنه مع المسائل الظاهرة فمستقيمٌ سهلُ المنال والتطبيق، يدركُ بالنظر القليل؛ لأن الدين جاء بالتيسير والتخفيف.

واختلاف المجتهدين من السنن التي يستحيل فيها الاتفاق بينهم في كل المسائل الاجتهادية؛ لأن الأفهام تختلف، والأنظار تتفاوت، ما دام المأخذ في ذلك قويًا، والمجتهد بعيد عن الهوى والتعصب.

وتستلزم هذه الضرورة في الاختلاف؛ **ضرورة التفريق بين الحكم على العمل بالبدعة، وبين التبديع نفسه.**

أي: إذا حكم أحد المجتهدين بالبدعة على عمل ما، ثم أتى آخر واجتهد بخلافه، فليس معنى ذلك: أن الأول بدّع الثاني، وإنما فقط حكم على بدعية ذلك العمل. فإذا كان المخطئ أخطأ في بعض المسائل- وهو معروف بمنهجه وعلمه الشرعي- فإن ذلك لا يحط من شأنه[1]، ولا يعني الخلل في أصل الضابط؛ لأن النظر في البدعة له **تصوران:**

الأول: تصوّر كلّي نظريً.

الثاني: تصوّر تطبيقي يتعلق بتطبيق الضابط.

فالجميع يتفق على التصور الأول.

وأما الثاني: فلا يلزم أن يتصوره الجميع بتفاصيله؛ لأنه متعلق بتحقيق مناط الأدلة بأمور أخرى.

فتكون النتيجة بالفتوى:

إما اتفاقاً مطابقاً، وهذا لا إشكال فيه.

وإما أن يظهر فيها التعارض، وحينئذ يعمل بقواعد الجمع إن أمكن، وإلا فالترجيح بالأصح منها، وذلك موافقة للأدلة.

---

(١) ينظر: البدعة وضوابطها وأثرها السيئ في الأمة للدكتور: علي بن محمد الفقهي، ص ٢٤.

ثانياً: علاقة مفهوم: (كل بدعة ضلالة) بالخطأ في الفتوى.

إن وقوع الخطأ في الحكم على بدعية عمل ما، ليس له علاقة بالمفهوم الكلي للبدعة؛ بدليل أننا لو فرضنا أن شخصاً زاد ركعة في إحدى الصلوات المفروضة، مع كونه مُدرِكاً لذلك، فهنا المجتهد لا يحتاج إلى الرجوع إلى المفهوم الكلي؛ لتحقيق الحكم الشرعي، وهو: كون البدعة لا تقبل التحسين، وإنما يكفي إرجاعه إلى ضابط موافق للأدلة، وهو: كونه عارضَ دليلاً مجمعاً عليه، وضع حداً لتلك العبادة في زمنها، وعددها، ومكانها. وهذا الأمر أيضاً يكون في غير العبادات المحضة.

إذن لا يحتاج المجتهد من جهة التطبيق، وإنزال الحكم في كل محل، الرجوع إلى الأصل والمفهوم الكلي للبدعة. وإنما يكفي تصوره، والاعتقاد به، وهذا دليلٌ على عدم علاقته مباشرةً بوقوع الخطأ، وهذا التصور مشابه للاجتهاد في الأحكام العامة، إذ لا يلزم أن يتصور المجتهد في كل نازلة مفهوما عاماً، بل يلتفت إلى تحقيق مناط الأدلة.

وإذا ثبت ذلك، فقد بطل الادعاء القاضي ببطلان المفهوم الكلِّيِّ، وهو: في كون البدع كلها ضلالة، بحجة أنه وقع خطأ في التطبيق[1]؛ لأنه كما بينا لا توجد علاقة مباشرة بين المفهوم وبين إنزال الحكم العملي أو الفتوى.

إذن يمكن القول: إن هذا الادعاء قد وقع في أخطاء عدة منها:

الأول: عدم التفريق بين الضابط والمفهوم.

---

(١) ينظر لهذه الدعوى: مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة للدكتور. عبد الإله ابن حسين العرفج، ص٢٢٧-٢٢٨.

الثاني: عدم التفريق بين علاقة المفهوم وبين إنزال الحكم العملي.

الثالث: عدم مراعاة العوامل التي قد تعتري المجتهد، فيقع منه الخطأ، وهذه العوامل منفكة الارتباط عن المفهوم الكلي.

ونستطيع عبر هذه الدعوى نفسها الاستدلال على ضدها، أي: على سلامة مفهوم (كل بدعة ضلالة).

فنقول: إن ما يقع من الاختلاف في الأحكام التطبيقية الاجتهادية لأصحاب المفهوم الذي لا يقبل التحسين والتقسيم؛ علامة وإشارة إلى سلامة المنهج والمفهوم؛ لأنه يرجع إلى حقيقة مسلمة، وهي: **أن الدين شامل وثابت يخضع لسنة التدافع بين الحق والباطل، وسنة ابتلاء العباد في اتباع الدليل، والثبات على الحق، وهذه كلها تقتضي بقاء الاجتهاد بين العلماء، وإعمال العلم؛ لأنه على الرغم من كونهم على رؤية واحدة، فإنه لا يتصور أن تكون أحكامهم في جميع المسائل المحتملة للاجتهاد متفقة ساكنة وراكنة، فأين معنى الاجتهاد، وتوابعه إذن؟**

فالقدح في هذا المفهوم سدٌّ لباب الاجتهاد، ومصادمة لطبيعة البشر، والسنن الكونية. وعلى هذا الأساس تتضح حقيقة اختلاف الفتوى في الحكم التطبيقي، بمعنى: كيف يقع الاختلاف بينهم وهم متفقون على المفهوم؟

وإجابة عن هذا السؤال يمكن القول: إن مرجع ذلك توهم بعضهم أنه ممسك قادح في سلامة المفهوم[(١)].

---

(١) فمثلاً: يطرح الدكتور. عبد الإله العرفج، أنموذجاً لاختلاف بعض العلماء المعاصرين المضيقين للبدعة (حسب تعبيره)، ويستدل بها على عدم سلامة مفهوم البدعة عندهم!
=

والحقيقة: أنه يجب لمن أراد التمحيص في اختلاف فتاوى العلماء التطبيقية، أو من أراد الربط بين الخطأ فيها وبين المفهوم الكلي للبدعة؛ معرفة **أن البدع أصناف، وليست على مرتبة واحدة في التحريم، فمنها ما يؤدي إلى الكفر الصُراح، ومنها ما هو دون ذلك في القبح؛ أي: أن هذا الخلاف الملتمس قد وقع في تقرير فتوى تتعلق ببدعة كفرية أو ما دونها.**

فالبدع تتفاوت في الحكم عليها، وذلك بحسب متعلقاتها، فقد تتعلق بما يلي:

١-مسائل أصولية اعتقادية معلومة من الدين بالضرورة فمن أحدث فيها، فلا شك أنه يقع في بدعة مكفرة.

٢- قواعد وأصول اعتقادية وعملية وهذه كسابقتها، حيث الابتداع فيها خطير إذا عارض الشريعة، مثل بدع الفرق الباطنية، وغلاة الصوفية. وأما إذا كان دون ذلك ففيه خلاف، بيد أنه في حال بلوغها دون المنزلتين السابقتين، فلا خلاف في عدم التكفير.

٣-مسائل اجتهادية وهي التي لا تبديع فيها، فما كان منها سائغاً؛ لكون الدليل محتملاً القولين، فلا يطلق على أي منهما اسم البدعة. ولكن قد تكون فيها مسائل اجتهادية تتعلق بالفروع الاعتقادية والعملية، بحيث لا يسوغ فيها الاجتهاد، فيقع فيها التبديع، فتكون مفسقة لا مكفرة مثل بدعة المولد، والبدع

=

وحين النظر إلى تلك النماذج التي طرحها -على فرض وقوع الخلاف-؛ **نجد أنها ليست من البدعة المغلظة**، أو المكفرة، كاتخاذ سبحة للتسبيح، والاحتفال بحفّاظ القرآن، وبدء المحافل الخطابية بقراءة القرآن، وقبض اليدين بعد الركوع، وغيرها، وقد ذكر عشرين مسألة كلها قريبة مما ذكرت. ينظر إليها: في مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة، ص(٢٣٥-٢٤١).

العملية في الأعمال المشروعة كالتلفظ بالنية في الصلاة.

٤-الضرورات والحاجات والتحسينات. فيدخلها البدع بأشكال مختلفة، ولكن تختلف باختلاف الأمر الواقع فيه الابتداع، وهذا يؤكد أن من البدع صغائر، وكبائر، فإن كانت في الضرورات فقد ضل في أعظم الكبائر، وإن وقعت في التحسينات فهي أدنى رتبة بلا شك من غيرها، وأما إن وقعت في الحاجات فمتوسطة ما بين الرتبتين[١].

وهناك متعلقات أخرى يطول الحديث فيها، ولكن القصد منها يكمن في أن البدعة تختلف كما ذكرنا سابقًا من حيث التكفير والتفسيق.

ولكن الحديث عن المتعلقات المتعلقة بالحكم على المبتدع الذي وقع فيها يختلف عن مرادنا، ولذلك هناك فرقٌ بين الوقوع في البدعة وبين الخطأ في الحكم عليها، فما يعنينا هنا مسألة الخطأ في تكييف الحكم عليها من حيث علاقته بمفهوم البدعة العام، أو كيفية النظر إلى حالة الخطأ في فتوى الحكم على البدعة، وخاصة إذا وقع بين مجتهدين كثيرين وكلهم متفقون في مفهوم البدعة العام.

ومن هذا المنطلق يمكن تناول هذه الحالة عبر تصورين هما:

الأول: خطأ في مسائل اجتهادية ظنية.

والثاني: خطأ في مسائل كفرية قطعية.

فالتصور الأول: إذا وقع الخطأ الإفتائي في حكمها، وتبعه اختلاف بين

---

(١) ينظر: الاعتصام(٢/ ٣٥٥).

أصحاب الاتجاه الواحد القائل بعدم التقسيم فهو إذن اختلاف واجتهاد مقبول؛ لأن البدعة تختلف في مراتبها، وخاصة إذا كانت في الذرائع المفضية إلى بدعة؛ لكونها مسائل ظنية، والأصل فيها الإباحة؛ و البدعة لا تخلو من شبهة أو دليل ظني، فلا تثريب إذن على من أخطأ هنا.

وأما التصور الثاني فإذا وقع الاختلاف الإفتائي في حكمها وتبعه اختلاف بين أصحاب الاتجاه الواحد -على فرض وقوعه-، ففي هذه الحالة لا ينظر إلى المفهوم العام للبدعة- إذا كان منضبطاً بالأدلة الشرعية -، وإنما ينظر إلى حال المجتهد الذي خالف الأدلة، لأن من المفترض في هذه الحالة أن يكون الاتفاق من الجميع، فإن حصل فهو: شذوذ عارض؛ لا علاقة له بالمفهوم، و ينسب الخطأ إلى الشخص ذاته، وقد يقع الخطأ من المجتهد في بدعة أقل وأخف من البدع الكفرية، فيطلق عليها: فلتة أو زلة؛ إذا لم يقصد صاحبها اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل الكتاب[1]، ومثل هذا الخطأ وقع من علماء كبار يحتج بقولهم وبروايتهم كالقول: بالإرجاء، أو القول بمعتقد الخوارج، أو القدرية [2]، ومع ذلك لم نجد أن أحداً من العلماء أرجع الخطأ الذي وقعوا فيه إلى المفهوم الكلي للبدعة أو المعتقد -إن كان صحيحاً

(١) ينظر: دراسات في البدعة والمبتدعين، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٢) فمثلاً: وقع بعض العلماء في القول بالإرجاء كسالم الأفطس، وطلق بن حبيب، وذر بن عبد الله الكوفي، وغيرهم، وأما في قول الخوارج: فيزيد بن صهيب -وقد رجع عن قوله حين ظهر له الحق-، وأما في قول القدرية، فنهم: قتادة بن دعامة السدوسي، وثور بن يزيد، وغيرهم. ينظر: الإبانة لابن بطة: (٢/ ٤٥٢)، والسنة للخلال، (٣/ ٥٦٤)، صحيح مسلم باب (أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا) برقم (٤٩٣)، تذكرة الحفاظ(١/ ٩٣)، القدرية والمرجئة، للعقل، ص١٠٥-١١٦، ٥١-٥٥، دراسات في البدعة والمبتدعين، ص٢٤٤-٢٤٥.

موافقاً للشرع-، بمجرد وقوعهم في أخطاء عارضة في آحاد وأفراد المسائل، وإنما بنسبة الخطأ لذات الشخص.

أما إذا كان هذا الخطأ في مسألة خفية على المجتهد وإن كانت تقتضي التكفير إما لجهل أو تأويل خاطئ فهذا من باب أولى ألا يكون للمفهوم العام للبدعة علاقة وأثر؛ بدليل أنه وقع الخطأ في مثل هذه الحالة من الصحابة كمعاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين اشتكاه أحد الصحابة بسبب إطالته للصلاة فبلغ ذلك معاذاً فقال: (إنه منافق)[١] .

وقد حصل لغيره من الصحابة كعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأمام النبي ﷺ في قصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين حكم عليه بالنفاق فقال: (دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ)[٢].

فهل يقال: إن الصحابة أخطؤوا في التبديع، والتكفير، بسبب اعتقادهم بالمفهوم العام للبدعة؟!

الحقيقة أنه لا علاقة بين اعتقاد المجتهد مفهوماً عاماً للبدعة صحيحاً موافقاً للأدلة، وبين وقوع الخطأ منه في فتوى تطبيقية.

وبهذا نقول: إن من منع حصول الاجتهاد والاختلاف في الفتوى إذا كان في مسائل تحتمل الاجتهاد هو أمام أمرين:

-إما أن يلغي شرعية الاختلاف المأخوذة من حتميته، وفطرية البشر،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب (الأدب) باب(بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَوْ جَاهِلًا) برقم(٦١٠٦) من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) أخرجه البخاري كِتَابُ (الجِهَادِ وَالسِّيَرِ) بَابُ (إِذَا اضْطَرَّ الرَّجُلُ إِلَى النَّظَرِ فِي شُعُورِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَالْمُؤْمِنَاتِ إِذَا عَصَيْنَ اللهَّ، وَتَجْرِيدِهِنَّ) برقم: (٣٠٨١).

وتجويز النصوص الشرعية له، وإجماع العلماء على قبوله[١].

-وإما أن يقبل تحقق الاختلاف.

فمن مال إلى الأمر الأول -ولا أظن أن أحدًا يميل إليه -؛ فهو ناقض نفسه، وأتى بشيء ممتنع، وأما إن مال إلى الأمر الثاني، وقبِل الخلاف فقد سقطت حجته.

فالقصد مما سبق بيان عدم وجود علاقة للخطأ في الفتوى بالمفهوم العام للبدعة، بشرط أن يكون المفهوم العام موافقًا للأدلة. وأما إذا لم يكن موافقًا لها فيكون أثره ليس في تحقيق الحكم على البدعة فحسب، وإنما يمتد إلى الانسلاخ من الدين؛ لرجوعه إلى أصول فاسدة مفارقة للأدلة.

ويمكن أن يستخلص مما سبق، أن الاحتجاج بعدم سلامة مفهوم البدعة من واقع ما يحدث من اختلافات واضطرابات للفتوى التطبيقية في المسألة الواحدة؛ **خطأ** لم يراع الاسباب والأمور التالية:

١-أن الخطأ يقع من جهة فهم المجتهد وليس من جهة الضابط إذا كان سليماً.

٢-أن الاختلاف السائغ من السنن الكونية التي تقر طبيعة الاختلاف، ولا يمكن الاستدلال به على فساد المفهوم العام للبدعة.

٣-التفريق بين الحكم على العمل بالبدعة وبين التبديع.

٤-إقرار أن البدعة لها تصوران: كلِّيّ نظري، وتطبيقي.

٥-التفريق بين المفهوم العام والضابط.

---

(١) ينظر للاستزادة: اختلاف المفتين والموقف المطلوب تجاهه من عموم المسلمين، للشريف حاتم بن عارف العوني، ص١١-٢٤.

٦-معرفة حقيقة العلاقة بين المفهوم وبين إنزال الحكم العملي التطبيقي.

٧-مراعاة العوامل التي قد تعتري المجتهد.

٨- التفريق بين أصناف البدع الكفرية وبين ما دونها.

وبهذا لا عبرة لمن تتبع المسائل والجزئيات عند بعض العلماء؛ بقصد إظهار الاضطراب في فتاواهم؛ كي يصل إلى حقيقة أن مفهوم البدعة واسع، وأن تضييقه لا يحقق الاطراد في الحكم.

واتضح بالأمثلة والنقاش عدم صحة ذلك، ومخالفتها لحقائق الشرع وسنن الكون. فضلاً عن مجيئها في مسائل اجتهادية تتعلق بباب سد الذرائع.

ثالثًا: مقارنة تطبيقية عملية بين الاتجاهين في مسألة المولد النبوي.

لقد ظهر للباحث بعدما تقدم بيانه، أن يعمل مقارنة عملية في الحكم على بدعة المولد النبوي، بين من أجازه واعتمد على الاتجاه المحسن للبدع، وبين من حرّمه، واعتمد على الاتجاه الرافض لتقسيمها.

محاولاً اختصار وتطبيق ما تقرّر في ضابط البدعة؛ لكي نصل إلى نتائج في ترجيح القول الصواب.

واخترت مسألة الاحتفال بالمولد؛ لكونها من أكثر المسائل نقاشاً في هذا الباب[(١)]، وجعلت المقارنة بين فريقين: مجيزين، ومانعين. واستندت إلى التعريف المشهور للمولد النبوي، ومفاده(اجتماع بعض الناس في ليلة مولده ﷺ أي: ليلة الثاني عشر أو ما يقاربها من شهر ربيع الأول، من غير اعتقاد بوجوب أو استحباب التخصيص، وقراءتهم شيئاً من سيرته، وحثهم على إتباعه، ومحبته، وانشادهم المدائح اللائقة بمكانته، بحيث لا يصل المدح إلى المنهي عنه شرعًا، وإظهارهم المنة العظمى على المسلمين ببعثه، ورسالته ﷺ)[(٢)].

---

(١) وبسبب جعل الدكتور عبد الإله العرفج في بحثه هذه المسألة مشتركة مع مسألتين أخريين، وهما: صلاة التراويح، وعشاء الوالدين في كونها محدثة، ولها أصل؛ وكان هدفه أن يثبت اختلاف واضطراب فتوى المضيقين للبدعة في المحدثات المشتركة. ويقصد بعشاء الوالدين حسب ما حرره: أن الميت إذا مضى على موته شهر أو شهران صنع أحد أولاده طعامًا يدعو إليه بعض أقاربه، والجيران، والفقراء، وربما جعلها بعضهم طعام إفطار في رمضان. ينظر: مفهوم البدعة، ص٣٦٠. وينظر في الرد على كلامه: كل بدعة ضلالة، علوي سقاف، ص٦٢-٦٤، ص٨٧-٨٩.

(٢) وهو الذي حرره الدكتور عبد الإله العرفج؛ كي نكون منصفين معه، ص٣٥٩. بتصرف.

وقد وضعت جدولاً يوضح الفرق بين القولين السابقين على النحو التالي:

الموضوع	المجيزون للمولد النبوي	المحرمون للمولد النبوي
الدليل	له أصل عام	لا أصل له، وعلى فرض وجوده فإنهم يطالبون المجيزين بالدليل على التخصيص، والكيفية التى أتوا بها.
عمل النبي والقرون المفضلة	لم يُعمل به ، ولكن لا يرون أن الترك يفيد التحريم.	لم يُعمل به، على الرغم من وجود المقتضى، وانتفاء المانع.
التعليل	أنه سبب للاجتماع على الطاعة.	أن العلة تقابل عللاً أخرى في عبادات أخرى: كالصلاة عليه في اليوم عشر مرات، وفي الصلاة، ودخول المسجد، والخروج منه، وفي الصلاة عليه في كل وقت، وغيرها، وبذلك تحقق فيه مضاهاة لعبادة محضة، وذلك بتقييدها بزمان، وإن وقع بمحض العادة والمداومة.
وجه الدلالة	أن النبي ﷺ أمر بصيام يوم الإثنين، وقال: «ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو نزل عليّ فيه»(١).	أن النبي ﷺ لم يخصص يوم مولده، وإنما خصص يوم الاثنين مطلقاً، وأضاف في أحاديث يوم الخميس؛ لكون الأعمال ترفع فيهما
الاختلاف في التطبيق عند الاتجاهين المقسم، والرافض للتقسيم	أولاً: لم يلتزموا بالدليل القاضي بالصيام، بل أضافوا عبادات أخرى. ثانيًا: حصل خلاف بينهم في تحريمه وتجوزيه.	متفقون على تحريمه.

(١) سبق تخريجه، ص ٥٠.

وكانت النتيجة على النحو التالي:

	المجيزون للمولد النبوي	المحرمون للمولد النبوي
النتيجة	-خصصوا الدليل العام بزمان وكيفية. **أضف إلى ذلك أنه لا يعرف على وجه التحديد تاريخ ولادته**[1]. -لم يعمله النبي ﷺ ولا الصحابة ولا القرون المفضلة. -نتج عن هذا العمل مفاسد: كحصول الغلو، الاختلاط، وشرب الخمر، والإسراف، وغيرها. -عدم صحة الحكم.	-لم يقبلوا هذا العمل، وعملوا بما ثبت في أدلة أخرى تؤدي إلى العلة والغاية نفسها: كالصلاة عليه، وجميع الأدلة التي تعظم جناب النبي ﷺ. -وسعهم ما وسع الصحابة رضي الله عنهم، والقرون المفضلة. -لم تنتج عن ذات حكم المنع مفاسد، وإنما حصلت مصالح، منها: تجريد الاتباع. -الحكم صحيح.

وأخيرًا، الله نسأل أن يجمع الشمل، ويهدي الجميع إلى سواء السبيل، وأن يعفو عن زلاتنا، وصلى الله وسلم على نبيّنا، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

(١) وذلك حسب اقرار الدكتور العرفج في التعريف المختار الذي نقلته في الصفحة السابقة في قوله: (ليلة الثاني عشر أو ما يقاربها من شهر ربيع الأول)، ص٣٥٩.

نتائج البحث

لقد توصل البحث عبر المناقشة والتحليل إلى النتائج التالية:

١-أن تعاريف أهل اللغة للبدعة مأخوذة من الشيء المخترع من غير مثال سابق، ومن الانقطاع والكلال.

٢- استشهاد أهل اللغة في تعريفهم للبدعة بالأدلة الشرعية.

٣- أن البدعة في اللغة؛ تستعمل في الخير والشر، إلا أنها أكثر ما تستعمل عرفاً في الذم فهي إذن أعم من البدعة شرعاً.

٤- عرّفتُ البدعة بأنها: (كل ما أحدث في الدين بقصد التعبد من غير دليل صريح، أو أصلٍ عام يدل عليه، تقتضي المصلحة والضرورة).

٥- أن هناك فرقاً بين البدعة وبين المصلحة المرسلة.

٦- أن تحقق المناط في الحكم على البدعة؛ راجع إلى ميزان الشرع، والأصل انضباطه.

٧-لا أثر لمفهوم البدعة الصحيح في اختلاف الفتوى -الحكم التطبيقي-.

٨-أن الخلاف في القرون المفضلة في معنى البدعة لفظي، وأما ما بعدها فقد يكون حقيقياً أو لفظياً.

٩-أن من ذهب إلى تقسيم البدعة، وقع في الاضطراب من جانبي التطبيق، والمفهوم.

١٠- أن من ذهب إلى عدم التقسيم، فقد وافق أدلة المفهوم؛ فسلم الأصل من أي خلل، واجتهد في الضابط - المسائل المحتملة-، فعمل بالسنن، ووافق

طبيعة البشر المنتفية للعصمة.

١١-أن الحكم على البدعة متحقق ومرهون بما حددته الشريعة، وفي إدخال نية التعبد المحض في الأمور العادية، كالتعبد في لبس ثوب معين من الثياب، وترك شرب الماء البارد تعبداً، وفي مضاهاة العبادات المحضة، وتكون إما: بتخصيصها أو تقييدها بمكان، أو زمان، أو حال، أو صفة، سواء أوقع ذلك على وجه المشروعية أو بمحض العادة والمداومة. وإما بتخصيص العادات بحدود زمنية، أو مكانية، حالية، أو صفة ما، لا يعقل لها معنى على التفصيل.

١٢-عدم صحة الادعاء القاضي ببطلان مفهوم (كل بدعة ضلالة)، بحجة وقوع خطأ في التطبيق؛ وذلك من ثلاثة أوجه هي: الأول: من جهة عدم التفريق بين الضابط والمفهوم. والثاني: من جهة عدم التفريق بين علاقة المفهوم وبين إنزال الحكم العملي الاجتهادي، والثالث: من جهة عدم مراعاة العوامل التي قد تعتري المجتهد.

١٣- أن الاحتجاج بعدم سلامة مفهوم البدعة من واقع ما يحدث من اختلافات واضطرابات للفتوى التطبيقية في المسألة الواحدة؛ **خطأ** لم يراع الأسباب والأمور التالية:

-أن الخطأ يقع من جهة فهم المجتهد وليس من جهة الضابط إذا كان سليماً.

-أن الاختلاف السائغ من السنن الكونية التي تقر طبيعة الاختلاف، ولا يمكن الاستدلال به على فساد المفهوم العام للبدعة.

-التفريق بين الحكم على العمل بالبدعة وبين التبديع.

-إقرار أن البدعة لها تصوران: كلِّيّ نظري، وتطبيقي.

-التفريق بين المفهوم العام والضابط.

-معرفة حقيقة العلاقة بين المفهوم وبين إنزال الحكم العملي التطبيقي.

-مراعاة العوامل التي قد تعتري المجتهد.

- التفريق بين أصناف البدع الكفرية وبين ما دونها.

١٤-تبين بعد تطبيق عملي لما تقرر في ضابط البدعة، وعقد بين المجيزين والمحرمين لمسألة المولد النبوي، واستخدام ذلك في جدول، أن الصواب مع الاتجاه المحرم والرافض لتحسين بدعة المولد النبوي.

والله الموفق إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، و على آله، وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

١) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: علي بن عبد الكافي السبكي الوفاة: ٧٥٦ هـ، تحقيق: جماعة من العلماء. دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.

٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، شهرته: ابن بطة، المحقق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، رضا بن نعسان معطي، يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، حمد بن عبد الله التويجري، دار النشر: دار الراية، المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة: الثانية: ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٣) اختلاف المفتين والموقف المطلوب تجاهه من عموم المسلمين، المؤلف الشريف حاتم بن عارف العوني، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤) الاعتصام ـ المؤلف: أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، ود. سعد بن عبد الله آل حميد، ود. هشام بن إسماعيل الصيني، دار النشر: دار ابن الجوزي، ط الأولى: ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

٥) الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، المؤلف: أبو بكر جابر الجزائري. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى: ١٤٠٥هـ.

٦) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس، مؤسسة الرسالة.

الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٧) الاستدلال وأثره في الخلاف الفقهي، المؤلف: أ. د هشام قريشة، دار ابن حزم-بيروت-لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٨) الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث - القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤٠٤ هـ.

٩) أصول السرخسي، اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر، الوفاة: ٤٩٠هـ، دار النشر: دار المعرفة، لبنان-بيروت.

١٠) إعمال قاعدة سد الذرائع في باب البدعة، المؤلف: د. محمد بن حسين الجيزاني، مكتبة دار المنهاج، المملكة العربية السعودية-الرياض. ط الأولى: ١٤٢٨هـ.

١١) إكمال الأعلام بتثليث الكلام، المؤلف: محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٢) البدعة والمصالح المرسلة، بيانها وتأصيلها، وأقوال العلماء فيها، المؤلف: الدكتور: توفيق الواعي، دار التراث. الكويت-الروانية الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٣) البدعة وضوابطها وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: الدكتور: علي بن محمد الفقهي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، مركز شئون الدعوة. المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ.

١٤) البدع والنهي عنها، المؤلف: محمد بن وضاح القرطبي شهرته: ابن

وضاح، تحقق: محمد أحمد دهمان، دار الصفا، جمهورية مصر العربية-القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٥) البدع والنهي عنها، المؤلف: محمد بن وضاح القرطبي تحقق: عمرو عبد المنعم سليم، دار النشر: مكتبة ابن تيمية -القاهرة. توزيع مكتبة الخراز. الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

١٦) البدعة الحسنة أصل من أصول التشريع، المؤلف: عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري، من موقع المولد النبوي: http: //www.sufia.org

١٧) البدع والمحدثات وما لا أصل له، سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن باز، وفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وإعداد: حمود بن عبد الله المطر، دار ابن خزيمة - المملكة العربية السعودية - الرياض. الطبعة الثاني: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٨) الباعث على إنكار البدع والحوادث، وفيه الانصاف لما وقع في صلاة الرغائب من اختلاف، المؤلف: عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، ت: (٥٩٩ هـ -٦٦٥هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٩) تذكرة الحفاظ، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٠) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]، تحقق: سامي بن محمد سلامة، دار

طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢١) التمسك بالسنن، المؤلف:: عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي دراسة وتحقيق: محمد با كريم محمد با عبدالله، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تاريخ الطبع: ١٤١٦ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م/ ١٩٩٧م.

٢٢) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي أبو محمد، الوفاة: ٧٧٢ هـ، تحقيق: د. محمد حسن هيتو. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ، ط الأولى: ١٤٠٠ هـ.

٢٣) تهذيب الأسماء واللغات المؤلف: العلامة أبى زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ)، بإشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت-لبنان. الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٤) تهذيب اللغة، المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

٢٥) الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٢٦) الحاوي للفتاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، تاريخ الطبع: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٧) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، المؤلف: أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الوفاة ٥٣٥هـ، تحقيق: محمد ابن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، المملكة العربية السعودية – الرياض، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٨) حكم التبديع في مسائل الاجتهاد، المؤلف الدكتور: محمد بن حسين الجيزاني. من اصدار مجلة البيان – الرياض، طبعة: ١٤٣١هـ.

٢٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠)، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ.

٣٠) الجامع الصحيح المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المؤلف: الإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الدمشقي الشهير بابن رجب(٧٣٦هـ -٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة. بيروت-لبنان. الطبعة السابعة: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٢) دراسات في البدعة والمبتدعين، المؤلف: الشيخ: أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، دار المعارج، جمهورية مصر العربية-القاهرة. ط الأولى: ١٤٣٠هـ.

٣٣) ذم الكلام وأهله، المؤلف:: شيخ الإسلام، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، سنة الوفاة ٤٨١هـ، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٤) الرسالة، المؤلف: الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعي، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، الطبعة: غير متوفر.

٣٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة: الأولى: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، والجزء السادس: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، والجزء السابع: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٦) سنن أبي داود، اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الوفاة: ٢٧٥، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. بدون تاريخ.

٣٧) السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، المتوفى: ٣١١ هـ، تحقق: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية - الرياض. الطبعة الثانية: ١٩٩٤ م.

٣٨) سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار الفكر ـ بيروت. بدون تاريخ.

٣٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، المؤلف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، أبو القاسم، تحقيق: د. أحمد بن سعد حمدان. دار طيبة - الرياض، تاريخ الطبع: ١٤٠٢هـ.

٤٠) الشامل في حدود وتعريفات مصطلحات علم أصول الفقه وشرح صحيحها وبيان ضعيفها والفروق بين المتشابه منها (دراسة تأصيلية استقرائية نقدية)، المؤلف:: عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد، المملكة

العربية السعودية ـ الرياض. الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٤١) صحيح مسلم، اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري الوفاة: ٢٦١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار النشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. بدون تاريخ.

٤٢) صحيح ابن خزيمة، اسم المؤلف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي. دار النشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٣٩٠ ــ ١٩٧٠ م.

٤٣) طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت. بدون تاريخ.

٤٤) فتح البار ي شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٥) فتاوى اللجنة الدائمة، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

٤٦) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ، المؤلف: سَماحة الشيخ محمَّد بن إبراهيم بن عَبداللطِيف آل الشيخ، مفتي المملكة ورَئيس القضاة والشؤون الإسلامية ـ طيَّبَ اللهُ ثراه، جَمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ـ وفقه الله، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة. الطبعة الأولى: ١٣٩٩ هـ

٤٧) فرقة الأحباش ـ نشأتها، عقائدها، آثارهاـ للدكتور: سعد بن علي الشهراني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.ـ الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

٤٨) القدرية والمرجئة–نشأتها –وأصولها–وموقف السلف منها–، المؤلف: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن الرياض– المملكة العربية السعودية.

ط الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٩) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (ت: ٦٦٠هـ) تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي. دار المعارف بيروت ـــ لبنان.

٥٠) قواعد معرفة البدع، المؤلف: محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي ـ المملكة العربية السعودية ـ الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ.

٥١) القول المفيد على كتاب التوحيد المؤلف: العلامة محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: محرم ١٤٢٤هـ.

٥٢) كتاب العين، اسم المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

٥٣) كشف البدع والرد على اللمع، المؤلف: شحاتة صقر، تقديم وتعليق: د. علاء بكر، والشيخ. عبد المنعم الشحات، ، دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي ـ مصر ـ الإسكندرية. بدون تاريخ طبعة.

٥٤) كل بدعة ضلالة-قراءة ناقدة وهادئة لكتاب لمفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة- المؤلف: علوي بن عبد القادر السقاف، مؤسسة الدرر السنية - المملكة العربية السعودية-الظهران. الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٥٥) لسان العرب، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر ـ بيروت، الطبعة: الأولى.

٥٦) معجم مقاييس اللغة، اسم المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار النشر: دار الجيل، بيروت، لبنان

ـ الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٧) المجتبى من السنن، اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ الطبعة: الثانية: ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م.

٥٨) المحصول في علم الأصول، اسم المؤلف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الوفاة: ٦٠٦ هـ، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ.

٥٩) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، تحقيق: فتاوى العقيدة جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا. الطبعة الأخيرة: ١٤١٣ هـ.

٦٠) المستصفى في علم الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦١) مسند أبي يعلى، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتب العتيقة ودار التراث.

٦٣) المصالح المرسلة، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

٦٤) معجم البدع، المؤلف: رائد بن صبري بن أبي علفة، دار العاصمة-

المملكة العربية السعودية. ط: الثانية: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٦٥) مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة) دراسة تأصيلية تطبيقية، للدكتور. عبد الإله بن حسين العرفج، دار الفتح للدراسات والنشر. عمان-الأردن. الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٦٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.

٦٧) المنثور في القواعد الفقهية، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية. الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٦٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ــ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع ..... الصفحة
ملخص البحث ٤٣٣
المقدمة.....٤٣٧
الدراسات السابقة:.....٤٣٩
أهمية البحث وأسباب اختياره: ٤٤٥
موضوعات البحث: ٤٤٥
منهج البحث:.....٤٤٦
المبحث الأول: تعريف معنى البدعة لغة. ٤٤٩
اشتقاقات لفظة بدع:.....٤٤٩
المبحث الثاني: تعريف معنى البدعة شرعًا.....٤٥٢
المبحث الثالث: تعريف معنى البدعة اصطلاحًا.....٤٥٥
أولاً: تعريفات القائلين بالتقسيم:.....٤٥٦
ثانياً: تعريفات القائلين بعدم التقسيم: ٤٥٧
التعريف الشرعي للبدعة:.....٤٦١
المسألة الأولى: في المعنى الاصطلاحي:.....٤٦٦
المسألة الثانية: تعطيل معنى قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة».....٤٦٦
المسألة الثالثة: تقسيم البدع حسب الأحكام الخمسة:.....٤٦٧
المسألة الرابعة: فهم قول الصحابة والسلف:.....٤٦٩
مقارنة بين المفهومين (التقسيم، وعدمه) من حيث المفاسد: ٤٧٣
المبحث الخامس: الفرق بين البدع والمصالح المرسلة.....٤٧٧

المبحث السادس: ضابط البدعة ٤٨٠
المبحث السابع: علاقة الضابط والمفهوم باختلاف الفتوى في الحكم على البدعة .. ٤٨٣
أولاً: تعيين الضابط، وعلاقته بالخطأ والاختلاف في الحكم على البدعة.....٤٨٣
ثانياً: علاقة مفهوم: (كل بدعة ضلالة) بالخطأ في الفتوى.....٤٨٥
ثالثًا: مقارنة تطبيقية عملية بين الاتجاهين في مسألة المولد النبوي ٤٩٣
نتائج البحث.....٤٩٦
قائمة المصادر والمراجع.....٤٩٩
فهرس الموضوعات ٥٠٩

رسالة في الفرق

للشيخ موفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم الطرابلسي
ت ٨٨٤هـ

دراسة وتحقيق

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري

أكاديمي سعودي، أستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

هذا البحث عبارة عن تحقيق لرسالة في الفرق لأبي ذر ، أحمد بن إبراهيم بن محمد، الذي عاش في القرن التاسع، يتكلم فيها المؤلف عن أصول الفرق الإسلامية ، وقد ضمّن كتابه الحديث عن أكثر من ثمانين فرقة.

وكان منهجه العام الاختصار والإيجاز.

فرأيت أن أسهم في إخراج هذه الرسالة إلى عالم النور لتنتظم في عقد ما كتب في هذا المجال – الفرق والمذاهب – .

وقد حاولت أن أسير على منهج المؤلف في تحقيقي للرسالة والتعليق عليها وذلك أن أسلك مسلك الاختصار والإيجاز قدر الإمكان، وفق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الأعمال العلمية، وأحلت في الهامش مع بداية كل فرقة إلى جملة من كتب الفرق والمقالات لمن أراد التوسع، وعلقت على المسائل التي خالف فيها المؤلف منهج أهل السنة في بعض الآراء، وعلقت أيضاً على جملة من المسائل التي أرى أنها تحتاج إلى تعليق متوخياً في هذا كله الإيجاز والاختصار.

Abstract

of the treatise entitled:

A Treatise on the Sects

This research consists in a verification of a treatise about the sects written by Abu Dhar Ahmad bin Ibrahim bin Muhammad, who lived in the ninth century. Where the author speaks about the origins of Islamic sects. The auther has talked about more than eighty sects in his book. The auther has generaliy a method of breifness and conciseness. I thought to share in the bringing out of this treatise to the world of light to be organized into the chain of what is written in this area, i.e sects and methodologies. I have tried to walk on the method of the author in the verification of the treatise and commenting on it. That I will take the method of briefness and conciseness as possible, according to the scientific method used in such scientific works. And I referred, in the margin, at the beginning of each sect, to a number of books written on sects and views for those who wanted further information about it. I have commented on the issues in which the auther goes against the method of Ahl Al Sunnah in some opinions. And also commented on a number of issues that, I think, need to comment, aiming in this whole at the conciseness and briefness.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فإن من سنن الله الكونية أن يجري على هذه الأمة ما جرى على الأمم التي قبلها من التفرق والاختلاف، كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، كما في حديث الافتراق المشهور [(١)].

وقدر الله واقع لا محالة، وخبر نبيه عليه الصلاة والسلام متحقق بلا شك ولا ريبة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[يونس: ١٩]، ووقوع هذا الأمر - أعني التفرق والاختلاف - والإخبار عنه لا يدل على الاستسلام لهذه الحتمية القدرية الكونية.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[هود: ١١٨، ١١٩]، ولهذا كان سبيل الله وصراطه واحداً، وسبل الشيطان متعددة: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[الأنعام: ١٥٣].

---

(١) سيأتي تخريج الحديث في قسم الدراسة في مبحث مستقل.

ونبتت نابتة التفرق وأطلت برأسها في وقت مبكر، حيث بدأت بوادرها في عصر الصحابة، وبالتحديد في أواخر عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم لا زال الخرق يتسع شيئاً فشيئاً حتى كثرت هذه الفرق، وتفرقت فرقها إلى فرق وأحزاب.

وقد كتب أهل العلم قديماً وحديثاً في أمر هذه الفرق وعقائدها، وما تفرع عنها، وفي أصولها وفروعها، واختلفت مناهج أهل العلم في التأليف في أمر هذه الفرق، فاقتصر بعضهم على الجانب الوصفي، وتوسع الآخر فضمن الكتابة عنها التحليل والرد والمناقشة، كما جاءت بعض المؤلفات مختصرة وموجزة، والبعض الآخر سلك مسلك التوسع والإسهاب.

وقد تفضل علي بعض المشايخ - جزاه الله خيراً - وهو زميلي الشيخ الأستاذ الدكتور / يوسف بن محمد السعيد بنسخة خطية لأبي ذر، أحمد بن إبراهيم بن محمد، الذي عاش في القرن التاسع، يتكلم فيها المؤلف عن أصول الفرق الإسلامية، وكان منهجه العام الاختصار والإيجاز، فرأيت أن أسهم في إخراج هذه الرسالة إلى عالم النور لتنتظم في عقد ما كتب في هذا المجال -الفرق والمذاهب -، وقد حاولت أن أسير على منهج المؤلف في تحقيقي للرسالة والتعليق عليها وذلك أن أسلك مسلك الاختصار والإيجاز قدر الإمكان، وفق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الأعمال العلمية بعزو الآيات إلى سورها وأرقامها، وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا خرّجته من المصادر الأخرى مع نقل كلام أهل العلم عليها من حيث الصحّة والضعف، وأحلت في الهامش مع بداية كل فرقة إلى جملة من كتب الفرق والمقالات لمن

أراد التوسع، وعلّقت على المسائل التي خالف فيها المؤلف منهج أهل السنة في بعض الآراء، وعلّقت أيضاً على جملة من المسائل التي أرى أنها تحتاج إلى تعليق متوخياً في هذا كله الإيجاز والاختصار.

وبما أن النسخة وحيدة وبخط مؤلفها فقد التزمت نصها.

كما قسمت البحث إلى قسمين: قسم الدراسة، وتكلمت فيها عن ترجمة المؤلف باختصار، ووصف النسخة الخطية، والكلام على أهم مسائل حديث الافتراق المشهور.

وأما القسم الثاني فيتعلق بالتحقيق.

وأخيراً هذا هو جهدي المقل، حسبي فيه أني اجتهدت لخدمة القارئ، وتقريب هذه النسخة إليه، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك، وهو حسبي ونعم الوكيل.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله أولاً وأخراً.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والرسالة المحققة

أولا: ترجمة المؤلف [١]

اسمه ومولده:

أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، الشيخ موفق الدين، أبو ذر، أصله من طرابلس الشام.

ولد في حلب سنة ٨١٨ هـ.

مكانته العلمية وشيوخه:

أخذ العلم عن والده الإمام الحافظ، برهان الدين أبي الوفاء سبط بن العجمي، والحافظ ابن ناصر الدين، والحافظ ابن حجر.

حفظ القرآن في مقتبل عمره، إضافة إلى بعض المتون، واشتغل بطلب العلم، وخلف والده في القراءة بالجامع بحلب واستمر على ذلك إلى أن توفي.

قال عنه ابن العماد: «الإمام العالم».

وقال عنه صاحب نظم العقيان: «الإمام البارع الأديب محدث حلب... هو المشار إليه في الحديث بحلب».

---

(١) مصادر الترجمة:

شذرات الذهب (٧/ ٣٣٩)، الضوء اللامع (٥/ ٢٢٢)، الأعلام (١/ ٨٨)، معجم المؤلفين (١/ ١٤٢)، نظم العقيان في أعيان الأعيان (١/ ٣٠)، مجلة المجمع العلمي العراقي (٢/ ١٠٦)، كشف الظنون (٢٤٩، ٢٩٢، ٥٥٣، ١٠١٢، ١٠٥٤، ١١٤٣، ١١٥١، ١٣٢٥، ١٥٢٠، ١٥٨٣).

شافعي المذهب، له عناية بالأدب والتاريخ، وألّف فيهما.

اختلط قليلاً في آخر أيامه وعمي، ثم عوفي.

وفاته:

توفي بحلب في ذي القعدة سنة ٨٨٤ هـ بالطاعون، وكانت جنازته حافلة جداً.

مؤلفاته:

ترك هذا الإمام مؤلفات كثيرة نظماً ونثراً، منها:

١- عروس الأفراح فيما يقال في الراح.

٢- عقد الدرر واللآل فيما يقال في السلسال.

٣- التوضيح للأوهام الواقعة في الصحيح.

٤- شرح الشفاء والمصابيح.

٥- ذيل على بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم سماه: كنوز الذهب.

٦- قرة العين في فضل الشيخين والصهرين والسبطين.

٧- التوضيح لمبهمات الجامع الصحيح.

٨- مبهمات مسلم.

٩- رسالة في الفرق - وهي التي بين أيدينا -.

وأكثر هذه المؤلفات لا تزال في عداد المفقود أو المخطوط.

ثانيا: النسخة الخطية:

النسخة الخطية الوحيدة مكونة من خمس لوحات، في كل لوحة صفحتان، وفي كل صفحة اثنان وعشرون سطراً، بخط المؤلف نفسه، خطها جيد ومقروء، لم يذكر فيها تاريخ نسخها، عليها مجموعة من الهوامش والتعليقات والتصحيحات. وبعض هذه التعليقات بخط مغاير للأصل، فلّعلها من بعض من وقعت النسخة بيده. ولم يظهر لي أن في النسخة سقطا، لا من أولها ولا في موضع آخر، وإنما يلاحظ أن المؤلف بدأ بذكر الفرق مباشرة بدون مقدمة، كما لا توجد عليها أي تملكات.

النسخة محفوظة في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٧٩٤٧/ ١٠ فيلم ج ٣٤٣/ ١٩.

وقد اجتهدت وسعي لعلي أجد نسخة أخرى فلم أقف على شيء من ذلك، لكن مما يطمئنني في هذا أن النسخة بخط المؤلف نفسه، وهذا ما لا يتطلب حاجة إلى نسخة أخرى.

ثالثا: اسم الرسالة ونسبتها للمؤلف:

العنوان الذي وضع على جلد الرسالة (رسالة في الفرق) وكذا كل من ذكرها ممن ترجم له يذكر أن له رسالة في الفرق فقط.

أما نسبتها لمؤلفها، فإن الرسالة بخطه، وكل من ذكر مؤلفاته ممن ترجم له يذكر أن له رسالة في الفرق، إضافة إلى أنه لم يشكك أحد فيمن وقفت عليه في نسبتها إليه، أو نسبها لغيره. وهذا مما يطمئن النفس في صحة الرسالة إليه، إذ تمس الحاجة في بذل الوسع لتحقيق النسبة لو وجد من انتحل الرسالة، أو شكك فيها. وكل هذا منتف ولله الحمد والمنة.

المبحث الثاني: دراسة لبعض المسائل المهمة المتعلقة بحديث الافتراق

المطلب الأول: حديث الافتراق:

لقد أخبر النبي ﷺ أن أمته سيأتي عليها ما أتى على الأمم قبلها من التفرق والاختلاف، وهو خبر متحتم الوقوع، لأنه خبر الصادق المصدوق.

وحديث الافتراق ورد بروايات متعددة عن جمع من الصحابة، وبألفاظ متقاربة، منها:

ما رواه معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قام فينا النبي ﷺ فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»[(١)].

---

(١) رواه أبو داود (٥/ ٥) رقم ٤٥٩٧، كتاب السنة، باب شرح السنة، والإمام أحمد (٤/ ١٠٢)، والدارمي في سننه (٢/ ١٥٨) رقم ٢٥٢١، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٣) رقم ٦٥، ٦٩، وابن نصر في السنة (ص ٢٠) رقم ٥٠، ٥١، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٦) رقم ٨٨٤، ٨٨٥، وفي مسند الشاميين (٢/ ١٠٨) رقم ١٠٠٥، ١٠٠٦، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٧٠) رقم ٢٦٦، ٢٦٨، والآجري في الشريعة (ص ١٨)، الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٢) رقم ١٥٠، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥٤١-٥٤٢)، والأصبهاني في الحجة (١/ ٢٥٣) رقم ١٠٧.
وقد صححه الحاكم - كما في الإحالة السابقة - وشيخ الإسلام في الاقتضاء (١/ ١١٨)، وابن كثير في النهاية (١/ ٢٣)، وابن حجر في تخريج الكشاف (ص ٦٣)، والعراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢٣٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»(١).

وممن رواه من الصحابة إضافة إلى ما سبق:

عوف بن مالك الأشجعي، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، وابن عباس، وابن عمر، وعلي، وعمرو بن عوف، وأبو الدرداء – رضي الله عنهم أجمعين –(٢).

قال شيخ الإسلام عن هذا الحديث: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٥/ ٤) رقم ٤٥٩٦، كتاب السنة، باب شرح السنة، والترمذي (٥/ ٢٥) رقم ٢٦٤٠، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حسن صحيح. اهـ، وابن ماجة (٢/ ١٣٢١) رقم ٣٩٩١ كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، والإمام أحمد (٢/ ٣٣٢)، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣١٧) رقم ٥٩١٠، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٣) رقم ٦٦، ٦٧، وابن نصر في السنة (ص ٢٣) رقم ٥٨، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٧٥) رقم ٢٧٣، وابن حبان في صحيحه – الإحسان – (١٤/ ١٤٠) رقم ٦٢٤٧، والآجري في الشريعة (ص ١٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦، ١٢٨)، والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٠٨)، وعبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٥).
وصححه الشاطبي كما في الاعتصام (٢/ ١٨٩)، والسيوطي في فيض القدير (٢/ ٢٠).

(٢) وقد ألف بعض أهل العلم في طرق هذا الحديث، كما فعل الحافظ أبو نعيم، فقد ذكر ذلك في الحلية (٣/ ٢٢٧)، وذكره أيضاً السمعاني في التحبير إلى المعجم الكبير (١/ ١٨١)، وألف فيه السخاوي كما في المقاصد الحسنة (ص ١٩٩)، وكتاب حديث افتراق الأمة للصنعاني، ورسالة المباحث العقدية في حديث الافتراق للأخ د. أحمد سردار.

(٣) الفتاوى (٣/ ٣٤٥)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١١٦)، منهاج السنة (٥/ ٢٤٩).

وقال ابن كثير: «وحديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة» [١].

وقال صالح المقبلي: «رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً، بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها» [٢].

وعده الكتاني من الأحاديث المتواترة [٣].

ومن أهل العلم من طعن في صحة الحديث منهم: الإمام ابن حزم، حيث قال بعد أن ذكر حديث (القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة) وحديث الافتراق: «هذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الإسناد..» [٤].

وتبعه على هذا العلامة ابن الوزير وطعن في سند الحديث [٥].

وكلا الإمامين – رحمهما الله – لم يذكرا سببا صريحا في تضعيفهما للحديث، وغاية ما هنالك أن ضعّفا الحديث من بعض الطرق التي ورد منها الحديث، لكن للحديث طرق أخرى ثبت بها.

ولذا قال الشيخ الألباني: «الحديث ثابت لا شك فيه، ولذلك تتابع العلماء خلفا عن سلف على الاحتجاج به، حتى قال الحاكم في أول كتابه المستدرك: إنه حديث كبير الأصول» [٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).
(٢) العلم الشامخ (ص ٥١٢).
(٣) نظم المتناثر (ص ٣٢).
(٤) الفصل (٣/ ٢٩٣)
(٥) انظر: العواصم والقواصم (٣/ ١٧٠)
(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٥٧).

أما الإمام الشوكاني فإنه طعن في زيادة «كلها في النار إلا واحدة»[(١)].

وهذه الزيادة ثابتة من طرق نص أهل العلم عليها كما سبق.[(٢)].

(١) انظر فتح القدير (٢/ ٨٤).

(٢) وانظر: رسالة المباحث العقدية في حديث الافتراق (ص٢٤٥ وما بعدها).

المطلب الثاني: منهج أهل العلم في تعيين الفرق المشار إليها في الحديث وتحديدها:

من المسائل التي جرى الخلاف فيها بين أهل العلم وممن كتب في الفرق: هذه المسألة - أعني: تحديد وتعيين الفرق التي ذكرها النبي ﷺ في حديث الافتراق -.

قال الطرطوشي: «واعلم أن هذا الحديث قد طاشت فيه أحلام الخلق في معرفة هذه الفرق، وهل كملوا بعد أم لا؟» [(١)].

وقد رام بعض أهل العلم تحديد هذه الفرق وتعيينها، حيث ذكروا أصول هذه الفرق وما تشعب عنها حتى أوصلوها إلى العدد المذكور، وهؤلاء يرون أن العدد في الحديث مراد لذاته.

وممن ذهب إلى هذا القول:

عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط، وابن بطة العكبري، وأبو حاتم، وأبو الحسين الملطي الشافعي والقاضي عبد الجبار، وابن حزم، وعبد القاهر البغدادي، وابن الجوزي، والشهرستاني، وعبد القادر الجيلاني، والفخر الرازي، والمقريزي، والجرجاني، والمناوي، واليافعي، وأبو الفضل السكسكي، وأبو محمد عثمان بن عبد الله العراقي، وغيرهم[(٢)].

---

(١) كتاب البدع والحوادث (ص ٣١).

(٢) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٦٣)، الشريعة (ص ١٥)، الإبانة (ق ١/ ٣٧٦)، التنبيه والرد (ص ١٢-١٣) الفرق بين الفرق (ص ١٢)، فضل الاعتزال للقاضي عبد الجبار (ص ١٦٤)، الفصل لابن حزم (٢/ ٢٦٥)، تلبيس إبليس (ص ١٤٥)، الملل والنحل (١/ ١٤-١٥)، الغنية للجيلي (١/ ٣٨٦، ٣٩٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص =

لكن الذي يظهر - والله أعلم - أن حديث الافتراق خبر محض، وتحديد هذه الفرق وتعيينها أمر غيبي وخبر مطلق من الشارع الحكيم، لم يقيد بزمان ولا مكان، فتحديدها يفتقر إلى دليل، خاصة أن الاحتمال بظهور فرق جديدة باق إلى يوم القيامة.

يقول الطرطوشي: «فإن كان أراد رسول الله بتفرق أمته، أصول هذه البدع التي تجري مجرى الأجناس للأنواع، والمعاقد للفروع، فلعلهم - والعلم عند الله - ما بلغوا هذا العدد إلى الآن، غير أن هذا الزمان باق والتكليف قائم، والخطوات متوقعة، وكل قرن وعصر لا يخلو إلا وتحدث فيه البدع. اهـ»[١].

وقد ذكر الشاطبي قوله هذا، وذكر أنه أصح في النظر، وقال: «لأن ذلك التعيين ليس عليه دليل والعقل لا يقتضيه... فالأولى ما قاله من عدم التعيين»[٢].

قال شيخ الإسلام: «وأما تعيين هذه الفرق، فقد صنف الناس فيه مصنفات، وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل، فإن الله حرم القول بلا علم عموماً»[٣].

وقال العلامة المقبلي: «تعيين الفرق وتعدادها فرقة فرقة، وأنها هي التي أراد رسول الله ﷺ مما لا سبيل إليه البتة»[٤].

=

١١٧)، الخطط (٢/ ٣٤٥)، ذكر المذاهب الفرق الثنتين وسبعين (ص ٣٢)، البرهان (ص ١٤) الفرق وأصناف الكفرة (ص ٢٢).

(١) كتاب البدع والحوادث (ص ٣٤).

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٣) الفتاوى (٣/ ٣٤٦).

(٤) العلم الشامخ (ص ٢٧١).

إذًا فالأولى حمل الحديث على عمومه وإطلاقه، فهذا الذي يظهر من النص، فإن النبي ﷺ لما أراد تعيين الخوارج بعينهم أشار إليهم بالوصف الدقيق الذي لا يحتمل التأويل.

ولهذا فإن بعض العلماء نص على أن من خالف الفرقة الناجية في الأصول الكلية والقواعد العامة فهو داخل تحت هذه الفرق، وعليه فيمكن جعل دلالة الحديث مطلقة لتعم فرقاً ظهرت، أو ستظهر مستقبلاً.

يقول الشاطبي: «الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالف يقع بسببها التفرق شيعاً وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية..»[١].

وقال: «لا يعد من الفرق إلا المخالف في أمر كلي وقاعدة عامة»[٢].

---

(١) الاعتصام (٢/ ٢٠٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٥٦).

المطلب الثالث: حكم هذه الفرق:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن دلالة الحديث تقتضي القول بتكفير هذه الفرق الثنتين والسبعين، وممن قال بهذا القول: ابن الوزير[١].

لكن القول الراجح هو القول بعدم تكفير هؤلاء، وأنهم من أمة محمد ﷺ، وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل العلم، وقد حكى بعض أهل العلم الإجماع على ذلك.

نقل البيهقي عن أبي سليمان الخطابي قوله: «(ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجين من الدين، إذ النبي ﷺ جعلهم كلهم من أمته، وفيه أن المُتَأَوِّلَ لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله»[٢].

وقال شيخ الإسلام: «ومن قال إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - بل إجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة»[٣].

وقال أيضاً: «فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[٤].

---

(١) انظر: العواصم من القواصم (١/ ١٥٨-١٨٧).

(٢) السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٨).

(٣) الفتاوى (٧/ ٢١٨).

(٤) منهاج السنة (٥/ ٢٤٨).

وقال أيضاً: «والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة، وقتالاً للأمة، وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب، ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكم المسلمين الظالمين المعتدين»[١].

عن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي حين فرغ من قتال أهل النهروان، فقيل له: أمشركون هم؟ قال: «من الشرك فروا» فقيل: منافقون؟ فقال: «المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً» قيل: فما هم؟ قال: «قوم بغوا علينا فقاتلناهم».

وفي رواية: «قوم حاربونا، فحاربناهم، وقاتلونا، فقاتلناهم»[٢].

قال الشاطبي: «وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء الفرق، أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر بحسب الأثر عدم القطع بتكفيرهم، والدليل عليه عمل السلف الصالح فيهم».

وذكر أمثلة على ذلك من فعل الصحابة مع الخوارج، ومع أصحاب البدع الكبرى[٣].

وأما ما ينقل عن بعض السلف من تكفير بعض مقولات هذه الفرق، فلا يلزم منه تكفير الفرقة أو أفرادها بعينها، فإنه من باب التكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق تماماً، وهذا المنهج من الأمور التي تميز بها أهل السنة عن غيرهم،

---

(١) كتاب الإيمان (ص ٢٠٥).

(٢) رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٤٣) رقم ٥٩٣، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ١٥٠) رقم ١٨٦٥٦، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٥٦) رقم ١٩٦٠٩، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٧).

(٣) الاعتصام (٢/ ١٨٥-١٨٦).

فإن المقولة وإن كانت كفراً، فلا يلزم منها تكفير صاحبها، إذ الحكم إذا تعلق بمن صدرت عنه هذه المقولة أو الفعل بعينه، فإنه يختلف تماماً، إذ يرد عليه مجموعة من الاحتمالات: فربما يكون جاهلاً، أو مُتأوِّلاً، أو مقلداً، ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام: «وإن كان يطلق القول بأن هذا الكلام كفر، كما أطلق السلف الكفر على من قال ببعض مقالات الجهمية، مثل: القول بخلق القرآن، أو إنكار الرؤية، أو نحو ذلك... فإن تكفير صاحب هذه المقالة كان عندهم من أظهر الأمور، فإن التكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[(١)].

ويقول أيضاً: «القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يُرى في الآخرة، لكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر فيطلق القول بتكفير القائل، كما قال السلف: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة»[(٢)].

ويقول أيضاً: «ولا يلزم إذا كان القول كفراً أن يكفر من قاله، مع الجهل والتأويل، فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين، كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه، وذلك له شروط وموانع»[(٣)].

وعلى هذا فإن الفرق الاثنتين والسبعين لا يحكم عليهم بالخروج عن

---

(١)الاستقامة (١/ ١٦٤).

(٢) الفتاوى (٧/ ٦١٩).

(٣)منهاج السنة (٥/ ٢٤٠).

دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، فإن النبي ﷺ مع أنه ذكر أنها في النار[١]، فقد جعلهم من أمته، ولم يحكم بكفرهم[٢].

إضافة إلى أن هذا النص - حديث الافتراق - يعد من نصوص الوعيد المطلق كغيره من نصوص الوعيد تجرى على ظاهرها، ولا يلزم من دخول النار الخلود فيها، وقد يحجب عنها لوجود مانع، أو فوات شرط - والله أعلم -.

---

(١) تقدم تخريج الحديث قريباً في حديث الافتراق.

(٢) انظر: منهاج السنة (٥/ ٢٤١).

المطلب الرابع: أسباب التفرق:

حديث الافتراق خبر من الصادق الصدوق، لابد أن يتحقق، وتحققه كبقية سنن الله التي تقتضي وجود الأسباب والمسببات، وإذا كان التفرق مذموماً لما يترتب عليه من مفاسد وآثار سيئة، فإن هذا التفرق له أسباب كثيرة، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الجهل:

إذ هو أصل البلاء، ومنه صدرت بقية الأسباب وإليه تردّ، ولهذا قال الشاطبي بعد ذكر الأسباب: «هذه الأسباب راجعة في التحصيل إلى وجه واحد، وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت»(١).

والجهل نقيض العلم، وهو عدم العلم عمّا من شأنه أن يُعلم(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «بل سوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ، أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولاسيما إن أضيف إليه سوء القصد»(٣).

ولهذا جاءت الأحاديث الكثيرة التي تبين أن الجهل أمارة من أمارات الساعة، وبسببه تفرقت الأمة إلى فرق وأحزاب.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض

---

(١) الاعتصام (٢/ ١٨٠-١٨٢).

(٢) انظر: لسان العرب (١١/ ١٢٩)، الكليات (ص ٣٥٠).

(٣) شرح الطحاوية (ص ٣٩٢).

العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[(١)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا»[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «قد تخفى آثار الرسالة في بعض الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول ﷺ إما أن لا يعرفوا اللفظ، وإما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه، فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة، ومن ها هنا يقع الشرك وتفريق الدين شيعاً»[(٣)].

ثانياً: إتباع الهوى:

من الأسباب التي أوقعت الأمة في شباك التفرق والاختلاف: اتباع الهوى وتحكيم الرأي في مقابل النص، ولهذا سُمِّي أهل البدع الذين بسببهم صارت الأمة إلى شيع وأحزاب: أهل الأهواء، وصار هذا الوصف علماً عليهم، وسمة من سماتهم.

يقول الشاطبي: «ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا

(١) رواه البخاري (١/ ١٩٤) رقم ١٠٠، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ومسلم (٤/ ٢٠٥٨) رقم ٢٦٧٣، كتاب العلم، باب رفع العلم.

(٢) رواه البخاري (١/ ١٧٨) رقم ٧٠٦١، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ومسلم (٤/ ٢٠٥٧) رقم ٢٠٥٧، كتاب العلم، باب رفع العلم.

(٣) الفتاوى (١٧/ ٣٠٧).

الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك»[١].

وقال ابن القيم: «وكان السلف يسمون أهل الأهواء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول ﷺ في مسائل العلم الخبرية، وأهل مسائل الأحكام العملية، يسمونهم: أهل الشبهات والأهواء، لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة»[٢].

وأشار شيخ الإسلام أن التفرق والضلال نابع من اتباع الظن والهوى[٣].

ولهذا ذم الله الهوى في آيات متعددة، بل ما ذكره الله في كتابه إلا في معرض الذم، كما نقل عن طاووس[٤].

قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[القصص: ٥٠].

وقال جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[محمد: ١٦].

قال أبو العالية: «إياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»[٥].

---

(١) الاعتصام (٢/ ١٧٦).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٩).

(٣) انظر: الفتاوى (٣/ ٣٨٤).

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٧) رقم ٢٢٨.

(٥) رواه المروزي في السنة (ص ١٣).

ثالثاً: البغي والحسد:

إذا كان اتباع الهوى نابعاً من الجهل، فإن البغي والحسد نتيجة حتمية لاتباع الهوى، وهما سبب رئيس للفرقة والاختلاف.

يقول سبحانه: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ [الشورى: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾[آل عمران: ١٩].

ويوضح شيخ الإسلام وجه كون البغي والحسد سبباً في التفرق والاختلاف، فيقول: «فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات، فاختلفوا للبغي والظلم، لا لأجل اشتباه الحق بالباطل عليهم، وهذه حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم، لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق، ويجيئهم العلم..»[(١)] .

ويقول أيضاً: «يكون سبب الاختلاف المذموم: تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد، وإرادة العلو في الأرض ونحو ذلك..» [(٢)].

رابعاً: التعصب والتقليد الأعمى:

إن مما ساعد على وقوع التفرق والاختلاف في هذه الأمة، ما جرى على الأمم السابقة كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾[الزخرف: ٢٣].

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٦٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٧).

فبسبب التعصب والتقليد الأعمى عطل بعض الناس عقولهم، وأعموا بصائرهم عن نصوص الوحي واستسلموا لمشايخهم ومعظميهم وأئمة مذاهبهم وطوائفهم، وقبلوا ما أدلوا به دون تمحيص، ووالوا على هذه الأقوال وعادوا عليها، وأحبوا وأبغضوا لأجلها.

يقول ابن القيم: «لم ينحرف مع المنحرفين الذين كان سبب انحرافهم عدم قبول العهد، أو قبلوه بكره، ولم يأخذوه بقوة ولا عزيمة، ولا حدثوا أنفسهم بفهمه وتدبره والعمل بما فيه، وتنفيذ وصاياه، بل عرض عليهم العهد ومعهم ضراوة الصبا، ودين العادة وما ألفوا عليه الآباء والأمهات، فتلقوا العهد تلقي من هو مكتف بما وجد عليه آباءه وسلفه وعاداتهم..»[(١)].

وقال الشاطبي: «والثالث من أسباب الخلاف: التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق، وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ، وهو التقليد المذموم..»[(٢)].

ويبين شيخ الإسلام خطورة التقليد وما ينتج عنه بقوله: «ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ ﴾[الروم: ٣٢]»[(٣)].

وهناك أسباب أخرى، مثل: اتباع المتشابه، والتحاكم إلى غير الوحي، والخروج عن منهج السلف وغيرها

---

(١) الفوائد (ص ١٦٥).

(٢) الاعتصام (٢/ ١٨٠).

(٣) الفتاوى (٢٠/ ٨).

الكتاب محققًا

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

المعتزلة القائلون: إن المعارف عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده[2].

وبعضهم يرى أن الإمامة بالاختيار[3] وسموا بذلك لاعتزالهم الحسن البصري[4] [5].

---

(١) تقدم الكلام أن المؤلف بدأ بذكر الفرق مباشرة دون مقدمة.

(٢) أي أن المعارف تكتسب بالعقل، وليس هناك ثمة شيء متوقف على الشرع أوغيره.ولا شك أن هذا باطل، إذ العقل ليس أصل المعارف ولا أساسها، بل هو أداة وسبب، فمن المعارف ما يدرك بالحس، وبعضها لا يمكن إلا بطريق السمع.انظر: الفتاوى (١٩/ ٢٣٠)، (الملل والنحل (١/ ٥٨)، أصول الدين (ص ١٥). وانظر: كتاب (المعرفة في الإسلام) للقرني.

(٣) مسألة: هل الإمامة بالاختيار أم بالنص والتعيين؟ من المسائل التي جرى الخلاف فيها في وقت مبكر، وأبرز من خالف فيها الرافضة حيث ذهبوا إلى أنها بالنص والتعيين، وذهب جمهورهم إلى تكفير من لم يقل بذلك.
انظر: أوائل المقالات للمفيد (ص٤١)، نهج البلاغة (ص ١٣٦).
وانظر أيضاً: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥٦)، نهاية الإقدام (١/ ١٦٨)، السيل الجرار للشوكاني (٤/ ٥١١-٥١٣).

(٤) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري الأنصاري، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، توفي سنة عشر ومائة. انظر: السير (٤/ ٥٦٣)، التهذيب (٢/ ٢٦٣).

(٥) المعتزلة: إحدى الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة وأول من تكلم بأصولها: واصل بن عطاء. سموا بذلك - على القول الصحيح كما ذكر المؤلف - أن واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، وخالف الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، وزعم أنه في منزلة بين المنزلتين، واعتزل حلقة الحسن، فأطلق عليه وعلى أتباعه: معتزلة.
وقيل: سموا بذلك لاعتزالهم أقوال المسلمين ومفارقة ما يعتقدون، وزعم المعتزلة أن تسميتهم بذلك لانتسابهم للصحابة الذين اعتزلوا الفتنة. وقيل غير ذلك من الأقوال الضعيفة.
ولهم أصول خمسة - يتفقون عليها في الجملة على اختلاف فرقهم - جعلوها بمنزلة أركان =

وهم طوائف:

الواصلية: أصحاب واصل بن عطاء[(١)].

=

الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وستروا تحت هذه الأصول معاني باطلة: فقد ستروا تحت مسمى التوحيد: نفي الصفات، ويريدون بالعدل: القول بنفي القدر، والمنزلة بين المنزلتين أرادوا بها: أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين الكفر والإيمان، فقد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، أما الوعد والوعيد فقصدوا به أن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب فهو خالد مخلد في النار، لأن الله يجب عليه إنفاذ وعده ووعيده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ستروا تحته وجوب الخروج على الأئمة إذا جاروا وظلموا.

ومن أسمائهم: أصحاب العدل، ويلقبون بالقدرية، والعدلية.

انظر: الملل والنحل (١/ ٥٦)، الفرق بين الفرق (ص ٩٣)، التبصير في الدين (ص ٣٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٣٨)، التنبيه والرد (ص ٣٥)، وانظر: كتاب (شرح الأصول الخمسة) للقاضي عبد الجبار.

(١) واصل بن عطاء: أبو حذيفة، واصل بن عطاء البصري المعتزلي، المعروف بالغزال مولى بني حنيفة، كان من تلاميذ الحسن البصري، واختلف معه في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل مجلس الحسن فسمي وأصحابه (معتزلة)، توفي سنة ١٣١ هـ.

انظر: وفيات الأعيان (٦/ ٧)، شذرات الذهب (١/ ١٨٢)، الملل والنحل (١/ ٥٩).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الواصلية)، ومن شناعات هذه الفرقة:

قولهم في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين أن أحدهما مخطئ لا بعينه، وكذلك قولهم في عثمان والخارجين عليه، زعموا أن أحد الفريقين فاسق لا محالة، لكن لا بعينه.

ووافقهم على ذلك العمروية أتباع عمرو بن عبيد.

انظر: الملل (١/ ٦١)، الفرق بين الفرق (ص ١١٧).

الهذيلية: أصحاب أبي الهذيل العلاف[١] .

النظامية: أصحاب النظام [٢] .

الخابطية: أصحاب أحمد بن خابط [٣].

الحدثية: أصحاب الفضل الحدثي [٤].

---

(١) أبو الهذيل العلاف: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول، المعروف بالعلاف، من أئمة المعتزلة، توفي سنة ٢٣٥ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦)، الملل (١/ ٦٤).

- أما الفرقة المنسوبة إليه فهي (الهذيلية) ومما ذهب إليه هؤلاء:

أن الله خلق الأجسام دون الأعراض، وأثبتوا إرادات لا محل لها، وزعم شيخهم أبو الهذيل أن حركات أهل الجنة وأهل النار تفنى ويصيرون إلى سكون دائم، وغير ذلك من الأقوال الفاسدة.

انظر: الملل (١/ ٦٤)، مقالات الإسلاميين (ص ٣٤٥)، الفرق بين الفرق (ص ١٢١).

(٢) النظام: أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، مولى آل الحارث من شيوخ المعتزلة، اطلع كثيراً على كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام الفلاسفة. توفي سنة ٢٣١ هـ.

انظر: الملل (١/ ٦٧)، السير (١٠/ ٥٤١).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (النظامية) فمما انفردت به عن سائر المعتزلة: زعمهم أن الله غير قادر على الخير والشر، وذهبوا إلى أن الله لا يقال له: شيء، ولا لا شيء، والقول بالطفرة، وغير ذلك من الأقوال الباطلة.

انظر: الملل (١/ ٦٧)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٣٣).

(٣) أحمد بن خابط: وقيل: أحمد بن حابط، تلميذ النظام، له مقالات شنيعة، توفي سنة ٢٣٢ هـ.

انظر: لسان الميزان (١/ ٦١)، الوافي بالوفيات (٧/ ٤٤٢).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الخابطية) فمن الشناعات التي انفردت بها: أن للخلق خالقين: أحدهما: قديم، وهو الله، والثاني: محدث، وهو المسيح، ووافقوا النصارى في بعض عقائدهم في المسيح.

انظر: الملل والنحل (١/ ٥٢)، خبيئة الأكوان (ص ١٩).

(٤) الفضل الحدثي: منسوب إلى الحدثية، بلد على شاطئ الفرات، رمي بالإلحاد والزندقة، كان من أصحاب النظام ثم هجره وطرده.

=

المعمرية: أصحاب معمر بن عباد [١].

الثمامية: أصحاب ثمامة بن أشرس [٢].

الهشامية: أصحاب هشام بن عمر [٣].

=

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢٧٧).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الحدثية) فمذهبهم مذهب الخابطية، إلا أنهم زادوا التناسخ، وزعموا أن كل حيوان مكلف.

انظر: الملل (١/ ٥٩)، الفصل (٥/ ٦٤)، المواقف (٣/ ٦٥٥، ٦٦٦).

(١) معمر بن عباد السلمي، أبو عمرو، كان بشر بن المعتمر، وهشام بن عمر من تلامذته، يقال إن ملك السند دس له السم فمات سنة ٢١٥ هـ.

انظر: لسان الميزان (٦/ ٧١).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (المعمرية) فزعموا أن الله لا يخلد شيئاً غير الأجسام، ولا يوصف بالقدم، ولا يعلم نفسه، والإنسان لا فعل له إلا الإرادة.

انظر: التبصير في الدين (١/ ١٢٧)، المواقف (٣/ ٦٥٦)، خبيئة الأكوان (ص ٢٠).

(٢) ثمامة بن أشرس أبو معن النميري البصري، من كبار المعتزلة وغلاتهم، تروى عنه بعض الأقوال الشنيعة، توفي سنة ٢١٣ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (٧/ ١٤٥)، السير (١٠/ ٢٠٣)، لسان الميزان (٢/ ٨٣).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الثمامية) فزعموا أن الأفعال المتولدة لا فاعل لها، والمعرفة متولدة من النظر، واليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون تراباً لا يدخلون جنة ولا ناراً، وكذا البهائم والأطفال.

انظر: الفَرق بين الفِرق للبغدادي (١٧٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٤٤)، المواقف (٣/ ٦٥٦).

(٣) هشام بن عمرو الغوطي الشيباني، من أئمة المعتزلة، توفي سنة ٢٢٦ هـ.

انظر: طبقات المعتزلة (ص ٦١)، الملل (١/ ٨٥).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الهشامية) فمما انفردوا به زعمهم: أنه لا يجوز أن يقول أحد من المسلمين: حسبنا الله ونعم الوكيل.

=

الجاحظية: أصحاب الجاحظ [١].

الخياطية: أصحاب أبي الحسن الخياط [٢].

الجبائية: أصحاب أبي علي الجبائي [٣].

الهاشمية: أصحاب أبي هاشم ابنه[٤].

=

انظر: التبصير في الدين (١/ ٧٥)، الفرق بين الفرق (١/ ١٤٥)، الملل (١/ ٨٥).

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، صحب النظام وقرأ عليه، مات سنة ٢٥٥ هـ.

انظر: الفرق بين الفرق (ص ١٧٥)، الأعلام (٥/ ٧٤)، البرهان (ص ٥٦).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الجاحظية) فمن شناعاتهم: أن الله لا يدخل النار أحداً، لكن النار بطبيعتها تجذب إلى نفسها أهلها ثم تمسكهم في جوفها خالدين مخلدين، وأنهم يصيرون من طبيعتها، وذهب إلى استحالة الجواهر من الأجسام.

انظر: البرهان (ص ٥٦)، خبيئة الأكوان (ص ٢١).

(٢) الخياط: عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، شيخ أبي القاسم الكعبي من المعتزلة، توفي سنة ٣٠٠ هـ.

انظر: طبقات المعتزلة (ص ٨٥)، الملل (١/ ٨٩).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الخياطية)، زعموا أن المعدوم شيء، وأنه في العدم جسم.

انظر: الملل (١/ ٨٩)، خبيئة الأكوان (ص ٢١).

(٣) الجبائي: محمد بن عبد الوهاب، أبو علي الجبائي، من معتزلة البصرة، تلقى الاعتزال عن أبي يعقوب الشحام، توفي سنة ٣٠٣ هـ.

انظر: الفصل (١/ ٩٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٣٩).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الجبائية)، فمما انفردوا به: إثبات إرادات حادثة لا في محل، ويكون الباري بها موصوفاً مريداً، وتعظيماً لا في محل، وجوزوا كون العرض موجوداً معدوماً في آن واحد.

انظر: الفصل (١/ ٩٠)، الفرق بين الفرق (ص ١٨٣)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين (ص ٥٠).

(٤) أبو هاشم: عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، تلقى الاعتزال عن والده، توفي

=

الكعبية: أصحاب أبي القاسم الكعبي[(١)].

وكل طائفة من هـذه انفـردت بمسـائل قليلـة مـع اشـتراكها في الأصـل المذكور[(٢)].

=

سنة ٣٢١ هـ.

انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٥٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٤٠)، الأعلام (٤/ ٧).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الهاشمية)، وذهبوا إلى أن الصفات أحوال، وجوزوا أن يعذب الله العبد من غير ذنب صدر عنه.

انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٤٠)، خبيئة الأكوان (ص ٢٢).

(١) أبو القاسم الكعبي: عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي، من أئمة المعتزلة، توفي سنة ٣١٩ هـ، كان الجبائي يفضله على شيخه الحسين الخياط. =

= انظر: العبر (٢/ ١٧٦)، شذرات الذهب (٢/ ٢٨١).

- أما الفرقة المنسوبة إليه (الكعبية)، فقد ذهبوا إلى أن جميع الصفات ترجع إلى العلم، وزعموا أن الله لا يرى نفسه ولا يرى غيره.

انظر: التبصير في الدين (ص ٥١)، الملل (١/ ٨٩)، الفرق بين الفرق (ص ١٨١).

(٢) تقدم ذكر شيء مما انفردت به كل طائفة، أما الأصل الذي اشتركوا فيه وأشار إليه المؤلف هو: أن المعارف عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده.

ومما اتفقوا عليه أيضاً في الجملة مما حكاه أصحاب المقالات:

نفي الصفات عن الله جل وعلا، والقول بأن الله لا يُرى، وأن كلام الله مخلوق له، يخلق لنفسه كلاماً في جسم من الأجسام، وأن أفعال العباد مخلوقة لهم، وليس الباري خالقاً لأفعالهم، وأن الفاسق الملّي في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا كافر، وأنه إن خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار، ولا يجوز لله أن يغفر له أو يرحمه، وأن الله لم يرد أن يكون الزنا، والقتل ومعصية العصاة، وكفر الكافرين، وأن أصول المعرفة، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، ونحو ذلك.

انظر: التبصير في الدين (ص ٣٧)، الملل (١/ ٥٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٢٧).

الجبرية [١].

الجبر: هو نفي الفعل وإنكار التعلق ورفع فعل العبد بالجملة، وإضافة كل شيء يظهر عنه لله تعالى [٢]، والخالصة منهم لا يثبتون للعبد فعلاً ولا قدرة[٣]، ويرون الكسب[٤] منزلة بين المنزلتين، والمتوسطة ترى أن للعبد قدرة غير مؤثرة[٥]، وغيرهم يقولون بتعلقها في إثبات حال المقدور وقت التعلق[٦].

---

(١) الجبرية: سموا بذلك لأنهم يزعمون أن العبد مجبور على فعل نفسه، وليس له اختيار البتة، بل هو كريشة في مهب الريح. وهو مأخوذ من الجبر على ما ذكره المؤلف، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب.

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٣٣٩)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٠٣)، مدارج السالكين (١/ ٣٠٤)، البرهان (ص ٤٣).

(٢) هكذا عرفه الشهرستاني وغيره.

انظر: الملل (١/ ٩٧)، الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة (ص ٢٨).

ويقول شيخ الإسلام: «والجبر المعقول الذي أنكره سلف الأمة وعلماء السنة هو أن يكون الفعل صادراً على الشيء من غير إرادة ولا مشيئة ولا اختيار». مجموع الفتاوى (٨/ ٣٩٣).

(٣) انظر: الملل (١/ ٩٧).

(٤) الكسب: قيل ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به، وقيل ما يقع به المقدور في محل قدرته. وعلى كل حال فإن كسب الأشعري من الأشياء التي قيل فيها: لا حقيقة لها. وكونه في منزلة بين المنزلتين: أي بين الجبر والاختيار.

انظر: المعتمد في أصول الدين (ص ١٢٨)، شرح جوهرة التوحيد (ص٢١٩)، الفتاوى (٨/ ١٢٨).

(٥) وهؤلاء هم الأشاعرة.

انظر: نهاية الأقدام (ص ٧٣)، المواقف (ص ٤٢٨)، مذاهب الإسلاميين (١/ ٧٣٩).

ويذهب شيخ الإسلام إلى أن مؤدَّى قولهم الجبر، وهو قول الجهم.

انظر: الفتاوى (٨/ ٣٨٧).

(٦) وهذا رأي بعض الأشاعرة.

انظر: الملل (١/ ١٠٩ وما بعدها).

القدرية[(١)]

يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف[(٢)]، وظهروا في زمان ابن عمر، وتبرأ منهم[(٣)].

---

(١) هؤلاء هم قدماء القدرية، الذين نفوا القدر، وجحدوا علم الله ومشيئته، على ما سيأتي في الأسطر التالية.

أما القدرية على وجه العموم، فهم نفاة القدر، وهم المعتزلة وسبق التعريف بهم.

(٢) أي مستأنف، لا علم لله به.يستأنف استئنافا من غير أن يسبق به قضاء أو تقدير.

انظر: غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٩٤)، النهاية لابن الأثير (١/ ٧٥)، القاموس المحيط (٣/ ١١٩).

(٣) كما ثبت في صحيح مسلم (١/ ٣٦-٣٧) رقم ٨، كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة: معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحداً عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم - أي يطلبون العلم ويتتبعونه -، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ، قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر..».

وممن تبرأ منهم أيضاً من الصحابة: ابن عباس، وجابر، وأنس، وأبو هريرة، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

انظر: الإبانة لابن بطة-كتاب القدر-(٢/ ٦٩-١٦٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (م٢/ج٤/ ٧٠١-٧٠٧)

وقد كفرهم على هذا القول بعض الأئمة: كمالك، والشافعي، وأحمد.

انظر: الفرق بين الفرق (ص ١٤-١٥)، التبصير في الدين (ص ١٣-١٤)، الملل والنحل =

الجهمية [١].

أصحاب الجهم بن صفوان[٢]، وافق المعتزلة[٣] في نفي الصفات الأزلية[٤]،

=

(١/ ٤٠)، الفتاوى (٢/ ١٥٢) (٨/ ٢٢٨، ٤٥٠) (١٣/ ٣٦)، والإيمان لشيخ الإسلام (ص ٣٦٨)، التنبيه والرد (ص ١٧٥).

وقد ذكر شيخ الإسلام أن القائلين بنفي العلم قد اندثروا في وقت مبكر، ولم يعد لهم وجود في الجملة، وعلى فرض وجود بقايا لهذا المذهب، فهم نزر يسير.

انظر: الفتاوى (٣/ ١٤٩).

(١) نسبة إلى الجهم بن صفوان، وهذه الفرقة من غلاة المعطلة. يقولون بنفي الأسماء والصفات، وفناء الجنة والنار، والجبر وأن الإيمان هو المعرفة فقط.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٢٧٩)، التنبيه والرد (ص ٩٦)، الفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، التبصير في الدين (ص ٦٣)، الملل (١/ ٨٦)، البرهان (ص ٣٤).

(٢) الجهم بن صفوان الراسبي، أبو محرز مولاهم السمرقندي، رأس الجهمية، ضال مبتدع، يقول بنفي الأسماء والصفات، ويزعم أن القرآن مخلوق، ويقول بالجبر، ويذهب إلى القول بفناء الجنة والنار، قتل سنة ١٢٨ هـ، على يد سلم بن أحوز نائب مرو. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١٩٧)، السير (٦/ ٢٦)، لسان الميزان (٢/ ١٤٢)، البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، الأعلام (٢/ ١٤١).

(٣) المعتزلة: تقدم التعريف بها قريباً. وكون الجهمية وافقوا المعتزلة في نفي الصفات، لأن المعتزلة أسبق في النشأة.

وسلسلة التعطيل ذكرها شيخ الإسلام وابن كثير (الجهم، عن الجعد بن درهم، عن بيان ابن سمعان...).

انظر: الحموية (ص ٢٤٣) البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)

(٤) الأزلية: من الأزل، وهو ما ليس له أول. قال شيخ الإسلام: «الأزلي هو الذي لم يزل كائناً». درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٢٥). وقال أيضاً: «الأزل عبارة عن عدم الابتداء، وما لا ابتداء له فهو أزلي». المصدر السابق (٣/ ٣٧)

وانظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٤٧) (١٦/ ٣٣٠) (١٨/ ٣٩، ٢٣٩)، الجواب الصحيح

=

وانفرد عنهم بأشياء منها:

منع وصف الخالق بصفة المخلوق[١]، ومنها: إثبات علوم حادثة لا في محل[٢].

ومنها: تناهي أحوال الآخرة[٣].

ومنهم **النجارية** أصحاب الحسين النجار[٤]، ووافقوا المعتزلة في نفي

=

(٤/ ٤٨٣)، الصفدية (١/ ٢٨٣)، مدارج السالكين (٢/ ٧٤)، الحجة في بيان المحجة (١/ ١٢٨).

(١) فقد أدى بهم الغلو في التعطيل أن نفوا عن الله أي شيء اتصف به المخلوق، ذكر البغدادي أن جهماً امتنع من وصف الله – تعالى – بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد ونحو ذلك، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود وحي وعالم أو مريد ونحو ذلك....

وذكر شيخ الإسلام أن جهماً ينكر أن يسمى الله شيئاً.

وقال الشهرستاني في بيان ما ذهب إليه الجهم في صفات الله، وذكر منها قوله: «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقتضي تشبيهاً، فنفى كونه حياً عالماً..». الملل (١/ ٩٧).

وانظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١١)، الفتاوى (٦/ ١٣٥)، التدمرية (ص ٣٦، ١٢٦).

(٢) أي إثبات علوم حادثة لله في غير محل.

يقول الجويني: «ذهب الجهم إلى إثبات علوم حادثة للرب تعالى، وزعم أن المعلومات إذا تجددت أحدث للباري علوماً متجددة بها يعلم المعلومات الحادثة، ثم العلوم تتعاقب حسب المعلومات في مرفوعها متقدمة عليها». الإرشاد (ص ١٠٣). وانظر: الملل والنحل (١/ ٩٨).

(٣) من الضلالات التي انفرد بها الجهم بن صفوان: تناهي أحوال الآخرة، أي: فناء الجنة والنار، إذ على زعمه لا يمكن أن تتصور حركات لا تتناهى آخراً، كما لا يتصور حركات لا تتناهى أولاً.

انظر: التنبيه والرد (ص ١٤٠)، الفرق بين الفرق (ص ٢١١)، التبصير في الدين (ص ٦٤)، الملل والنحل (١/ ٩٩)، الأصول والفروع لابن حزم (ص ٤٣)، مقالات الإسلاميين (ص ٢٧٩)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٣٨)، الفصل (٤/ ٨٣)، منهاج السنة (١/ ١٤٦).

(٤) الحسين النجار: الحسين بن محمد بن النجار، أبو عبد الله البصري، جرت بينه وبين =

الصفات، وخالفوا الصفاتية في خلق الأعمال[١] .

ومنهم **الحفصية** أصحاب حفص بن عمرو يرون رأيهم[٢] .

= النظام مناظرات عدة، توفي سنة ٢٢٠ هـ. انظر: السير (١٠/ ٥٥٤)، الفهرست لابن النديم (ص ٢٢٩).

- أما الفرقة المنسوبة إليه «النجارية» فيذهبون إلى القول بنفي الصفات، فوافقوا المعتزلة بذلك، وزعموا أن الإيمان عبارة عن التصديق فقط. انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢٠٧)، التبصير في الدين (ص ٦١)، الملل (١/ ١٠٠).

(١) هكذا العبارة في الأصل، ولعله خطأ، إذ الصحيح ما ذكره الشهرستاني من أنهم وافقوا الصفاتية - سيأتي التعريف بهم - في خلق الأعمال، إذ ذهبوا إلى أن الله خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، والعبد مكتسب لها، وأثبت تأثيراً للقدرة الحادثة وسمي ذلك كسباً على حسب ما يثبته الأشاعرة.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٠).

(٢) حفص بن عمرو: هو حفص الفرد، كان على مذهب ضرار بن عمرو الكوفي، يعد من نفاة الصفات من المعتزلة القائلين بأن الله لا تقوم به صفة، وإن خالفهم في أفعال العباد.
انظر: الفهرست لابن النديم (ص٢٥٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٠)، تاريخ الإسلام (١٤/ ٣٢١) درء تعارض العقل (٤/ ٤، ٥)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٦٤)

الصفاتية[(١)] .

هم السلف، يثبتون لله تعالى صفات أزلية كالعلم والقدرة والحياة والإرادة وصفات يسمونها خبرية كالوجه واليد[(٢)]، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الأفعال[(٣)]

(١) الصفاتية: هذا الاسم يطلق على كل من يثبت الصفات أو بعضها، في مقابل المعتزلة والجهمية ومن نحى نحوهم ممن لا يثبت شيئاً منها.
وغالباً ما يطلقه شيخ الإسلام على الأشاعرة والكُلاّبية، ويقيده أحياناً بقوله «متكلمة الصفاتية» أو «أهل الكلام الصفاتية».
انظر: الفتاوى (٦/ ٤٠) (٥/ ٢٩٥، ٣١٧) (٣/ ٣٣٦)، التدمرية (ص ٤٧)، نقض التأسيس (٢/ ٣٥، ٣٦، ١٦٩)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٦، ٣٠٢، ٣٣٤) (٢/ ٢٧١) (٣/ ٣٨٢) (٤/ ٣١)، الملل والنحل (١/ ٢٠، ٤٢)، الفرق بين الفرق (ص ٩٦)، الخطط (٢/ ٣٥٧)، جلاء العينين (ص ٢٥٢).

(٢) الصفات الخبرية: هي الصفات التي تثبت عن طريق الوحي - الكتاب والسنة - فقط، وليس للعقل مجال في إثباتها، كاليدين والقدمين والوجه ونحو ذلك.وهي في مقابل ما يسمى بالصفات العقلية: الثابتة بالسمع والعقل معاً، كالعلم والقدرة والإرادة....
انظر: التدمرية (ص ١٤٩)، نقض التأسيس (١/ ٧٦)، الملل والنحل (١/ ١٠٤).

(٣) الصفات الذاتية: هي اللازمة لذات الله أزلاً وأبداً لا تنفك عنه بحال من الأحوال. مثل الحياة، والقدرة، والعلم، والوجه، واليدين.
أما الصفات الفعلية: فهي تأتي في مقابل الصفات الذاتية، وهي المتعلقة بالإرادة والمشيئة، كالخلق، والرزق، والمجيء، والنزول.
انظر: الفتاوى (١٦/ ٢١٩)، شرح الطحاوية (١/ ٩٦)، التمهيد للباقلاني (ص ٢٩٨)، الاعتقاد للبيهقي (ص ٢١)، الأسماء والصفات له (١/ ١٨٨)، الملل والنحل (١/ ١٠٤)، شرح الفقه الأكبر لملا القاري (ص ٢٥-٣٦).
أما قول المؤلف: «ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الأفعال»: فلا شك أن السلف لم يكونوا يفرقون بين ما ثبت من الصفات بالعقل والسمع معاً، وبين ما ثبت بالسمع فقط، وما =

ولا يتأولونها[١]، ويجرونها على ظاهرها، بل يتعبدون بتصديقها فقط.

وقالت المعتزلة بالنفي، والأشاعرة بالتأويل، والظاهرية بإجرائها على ظاهرها مع المحافظة على نفي التشبيه[٢].

=

كانوا يطلقون على هذه خبرية وعلى تلك عقلية أو معنوية - كما هي الحال عند المتكلمين -، ولم يقسموا الصفات إلى ذاتية وفعلية، بل كانوا يثبتون ما ثبت بالشرع، ويؤمنون بذلك بلا حرج ولا تحرج، وما نفي في الكتاب والسنة نفوه، وما سكت الله ورسوله عنه أمسكوا عن الخوض فيه.لكن لما ظهرت بعض الفرق والطوائف، وفرقت بين ما ثبت بالسمع وبين ما ثبت بالعقل، وبين الصفات اللازمة لذات الله، والصفات المتعلقة بالإرادة والمشيئة، وحملهم هذا التقسيم المبتدع على إثبات البعض ونفي البعض الآخر، اقتضى ذلك من أهل السنة أن يقسموا هذا التقسيم للرد عليهم بالأسلوب والطريقة التي سلكوها.

وفي الجملة فهذه التقسيمات لا تعدو أن تكون تقسيمات صورية عند أهل الحق.

يقول المقريزي: «من أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه.... ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة... وساقوا الكلام سوقاً واحداً،..».

الخطط والآثار (٢/ ٣٥٦)، وانظر: الملل والنحل (١/ ١٠٤).

(١) قوله: «ولا يتأولونها» التأويل على المعنى الذي أراده المتأخرون: من صرف الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل.

انظر: التدمرية (ص ٩٠-٩٦)، مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ١٧-٢١)، الفتاوى (١٣/ ٢٧٥، ٢٨٤) (١٦/ ٤٠٧-٤٢٢).

(٢) قول المؤلف: أن السلف كانوا يجرون نصوص الصفات على ظاهرها، ويتعبدون بتصديقها فقط، هذا خطأ نشأ عند أهل الكلام، حيث زعموا أن السلف مفوضة، لا شك أن السلف كانوا يجرون هذه النصوص على ظاهرها على المعنى الحق الذي أراده الشارع الحكيم، ولم يفعلوا ما فعله الخلف من تسليط سيف التأويل الباطل عليها، بل

=

وهـؤلاء - أعنـي الظاهريـة المحضـة -: طوائـف، مـنهم: الحنابلـة[١]، والسفيانية[٢]، والداودية [٣].

=

كانوا يفهمون معانيها ويفسرونها.

قال شيخ الإسلام: «فإن هؤلاء المبتدعة، الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف؛ إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريق السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات...، فقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف، في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف». الحموية (ص ١٨٥-١٨٦).

ويقول ابن القيم: «فالصحابة أخذوا عن الرسول ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ، يأخذون المعاني أولاً، ثم يأخذون الألفاظ». مختصر الصواعق (٢/ ٣٣٩).

وذكر شيخ الإسلام أن مما ترتب على هذا الزعم الباطل: استجهال السابقين الأولين، واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله.الحموية (ص ١٨٧)، وانظر: الفتاوى (٥/ ١٥٦-١٦٣).

(١)نسبة إلى الإمام أحمد.

(٢) نسبة إلى سفيان الثوري.

(٣) نسبة إلى داوود الجواربي. يغلب على مذهبه التشبيه

الأشعرية[١] .

أصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري[٢]، يثبتون لله تعالى حياة وعلماً وقدرة وكلاماً وسمعاً وبصراً قديمة قائمة بذاته[٣]، لا هي هو ولا غيره [٤]،

---

(١)الأشعرية: هم المنتسبون لأبي الحسن الأشعري، يثبت جمهورهم سبع صفات وينفون ما عداها – كما سيذكر المؤلف –.
انظر في هذه الفرقة: الفرق بين الفرق (ص ٣١٥)، الملل (١/ ١٠٦)، المواقف (ص٤٢٩)، مذاهب الإسلاميين (١/ ٤٨٧)، الفوائد المجتمعة (ص ٣٣).

(٢) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن سالم الأشعري، نشأ الأشعري على مذهب المعتزلة، ومضى على ذلك صدراً من حياته، إذ تتلمذ على أبي علي الجبائي، حتى ذكر أنه بقي على مذهب الاعتزال نحواً من أربعين سنة، ثم أعلن رجوعه عن هذا المذهب على الملأ، توفي سنة ٣٢٠ هـ.
واختلف في الأطوار التي مر بها بعد أن ترك مذهب الاعتزال:
فقيل إنه تحول إلى التوسط بين مذهب أهل الإثبات ومذهب المعتزلة، وهو ما تمخض عنه ما يسمى بالمذهب «الأشعري»، وهذا رأي جمهور الأشاعرة.
وقيل مَرَّ بطورين بعد تحوله، واختلف هؤلاء على قولين:
١ – أن الأشعري انتقل أولاً إلى مذهب السلف، ثم تحول إلى التوسط بين السلف والمعتزلة.
٢ – أن الأشعري انتقل أولاً إلى طريقة ابن كلاب، ثم تحول في الأخير إلى مذهب السلف.
يقول شيخ الإسلام: «وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، كما ذكر ذلك في كتبه كلها، كالإبانة، والموجز، والمقالات، وغيرها..». درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٦).
وانظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، السير (١٥/ ٨٥)، الفتاوى (١٦/ ٤٧١).

(٣) هذه الصفات بالإضافة إلى الإرادة، هي التي يتفق عليها جمهور الأشاعرة، ويسمونها الصفات الذاتية، أو العقلية.
انظر: أصول الدين البغدادي(ص٩٠)، الإرشاد للجويني(ص١٣٨–١٤٠)، نهاية الإقدام (١٠٦).

(٤) مسألة: هل الصفة هي الموصوف أو غيره؟ من المسائل التي كان العلماء في غنى عن البحث =

ويجرون ما ورد به السمع من الأمور الغائبة على ظاهره، ويتأولون الصفات الخبرية[١].

ويثبتون الإمامة بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين[٢].

=

فيها، لما في ذلك من إجمال؛ ولأن الإجابة بالنفي أو الإثبات مطلقاً يحتمل حقاً وباطلاً، ولذا لابد من التفصيل.

وذلك أن لفظ «الغير» قد يراد به المباين المنفصل، ويعبر عنه بأن الغيرين ما جاز وجود أحدهما وعدمه، أو ما جاز مفارقة أحدهما الأخر بزمان، أو مكان، أو وجود.

وقد يراد به ما ليس هو عين الشيء، ويعبر عنه: بأنه ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر.

وذكر شيخ الإسلام أن أهل السنة لا يقولون الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره، فيمتنعون عن الإطلاقين، ثم قال: «وهذا سديد، فإن لفظ الغير لما كان فيه إجمال لم يطلق نفيه، حتى يتبين المراد، فإن أريد بأنه غير مباين له، فليس هو غيره، وإن أريد أنه ليس هو إياه، أو أنه يمكن العلم به دونه، فنعم هو غيره، وإذا فصل المقال زال الإشكال».

بغية المرتاد (ص ٤٢٦-٤٢٧)، وانظر: الفتاوى (١٢/ ١٧٠) (٦/ ٢٠٥-٢٠٦) (٣/ ٣٣٦-٣٣٧)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨١)، جواب أهل العلم والإيمان (ص ١١٣)، بدائع الفوائد (١/ ١٧-١٨).

وانظر في مذهب الأشاعرة في هذه المسألة: مقالات الإسلاميين (ص ١٦٩-١٧١، ٤٨٤-٤٨٦، ٥٤٦)، التمهيد للباقلاني (ص ٢٤١)، الإنصاف له (ص ٣٨)، نهاية الأقدام (ص ١٩٩-٢٠٢)، شرح الأصول الخمسة (ص ١٨٢).

(١) الصفات الخبرية: تقدم التعريف بها قريباً.

أما تأولها: فإن التأويل في اصطلاح هؤلاء: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

انظر: الإحكام لابن حزم (١/ ٤٢)، المستصفى (١/ ٣٨٧)، المحصول (١/ ٣/ ٢٣٢)، أساس التقديس (ص ٢٣٥)، الفتاوى (٦/ ٤٠٨)، التدمرية (ص ٩١-٩٣).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠١)، التمهيد للباقلاني (ص ٤٦٧)، أصول الدين للبغدادي (ص ٢٧٩).

المشبهة[١]

التزموا ظاهر الكتاب والسنة، ومنعوا التأويل[٢].

---

(١) المشبهة: مأخوذ من التشبيه، وهو مصدر شبه يشبه تشبيهاً، يقال شبهت الشيء بالشيء، أي مثلته به وقسته عليه، إما بذاته، أو بصفاته، أو بأفعاله. (الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٦).
وذكر ابن حزم أن التشبيه: أن يشبه شيء بشيء في بعض صفاته. (الإحكام ١/ ٤٨).
وعلى هذا فإن التشبيه المنفي عن الله، والمتوجه له الذم: هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق، أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق.
(الصفدية ١/ ١٠٠)، وانظر: منهاج السنة (٣/ ٥٢٦، ٥٩٥) (٨/ ٩)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٢) (٥/ ١٨٣)، الفتاوى (٣/ ١٦٦) (٤/ ١٤٦، ١٥٣) (١٣/ ١٥٤)، وقد انتشر مذهب التشبيه عند بعض الفرق، وعلى رأس هؤلاء: الحكمية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي، وقد زعم أن الله - تعالى عن ذلك - جسم له حد ونهاية، وأنه طويل عريض، طوله مثل عرضه. ومنهم الجواليقية: أتباع هشام بن سالم الجوليقي الرافضي، وذهب إلى أن الله - تعالى عن ذلك - على صورة الآدمي. ومنهم الحوارية: أتباع داود الحواري الذي وصف معبوده بجميع أعضاء الإنسان عدا الفرج واللحية. ومن المشبهة أيضاً: بعض غلاة الصوفية أهل الحلول والاتحاد، وبعض الرافضة، والكرامية الذين يزعمون أن الله جسم.
انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٤-٢١٩)، أصول الدين للبغدادي (ص ٣٣٧)، الملل والنحل (١/ ١١٨-١٣١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٧)، التبصير في الدين (ص ٧٠)، منهاج السنة (٢/ ٥٩٨)، مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ١١٥).

(٢) هذا من التخليط والتلبيس الذي وقع فيه المؤلف، أو تابع فيه غيره، إذ التزام ظاهر الكتاب والسنة هو النجاة من التمثيل والتشبيه المذموم، فمن المستحيل أن يكون ظاهر الوحيين لا يدلان إلا على الكفر والضلال - الذي هو التمثيل - كما زعم أهل الضلال. ولم يكن السلف يسمون هذا ظاهراً. (انظر: التدمرية (ص ٦٩).
قال شيخ الإسلام: «اسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة، ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين، ولكن تكلم طائفة من السلف مثل عبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن =

ومنهم: **الكرامية**[(١)]، أصحاب أبي عبد الله بن كرام[(٢)]، انتهوا إلى التجسيم[(٣)].

=

هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ونعيم بن حماد وغيرهم بذم المشبهة، وبينوا المشبهة الذين ذموهم أنهم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه، فكان ذمهم لما في قولهم من مخالفة الكتاب والسنة إذا دخلوا في التمثيل، إذ لفظ التشبيه فيه إجمال واشتراك وإبهام بخلاف لفظ التمثيل الذي دل عليه القرآن، ونفي موجبه عن الله ﷻ». (نقض التأسيس ١/ ١٠٩).

لكن المؤلف – عفا الله عنا وعنه – تبع في ذلك بعض أهل البدع الذين أطلقوا على أهل السنة هذه الأوصاف والألقاب الشنيعة لينفروا عنهم الناس – بناءً على آرائهم الفاسدة، كما ذكر ذلك الإمام أحمد، وأبو حاتم وابن قتيبة، وأبو القاسم الأصفهاني، وغيرهم.

انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١١٩)، إبطال التأويلات (ص ٤٥)، تأويل مختلف الحديث (ص ٥٥)، عقيدة السلف للصابوني (ص ١٠٥)، طبقات الحنابلة (١/ ٣٥)، درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٨٤)، الفتاوى (٣٣/ ١٧١)، العلو للذهبي (ص ١٣٩)، الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٠).

أما قوله: «ومنعوا التأويل» فهذا أيضاً فيه تلبيس، لأن السلف لم يمنعوا التأويل بإطلاق، بل منعوا التحريف الذي سماه أصحابه تأويلاً، وهو الذي اتخذه أهل الأهواء سلاحاً لرد كثير من دلالات الكتاب والسنة خاصة المتعلقة منها بصفات الله التي لا يثبتها هؤلاء.

انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤)، التدمرية (ص ٩١-٩٣)، مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ١٧-٢١)، الصواعق المرسلة (١/ ١٧٥-٢٠١).

(١) أصحاب أبي عبد الله بن كرام، عدادهم في فرق المشبهة، زعموا أن الله جسم لا كالأجسام، ومحل للحوادث، وأقوال شنيعة أخرى.

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٥)، التبصير في الدين (ص ١١١)، الملل والنحل (١/ ١٢٤)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ١٠١)، البرهان (ص ٣٥).

(٢) أبو عبد الله بن كرام: هو محمد بن كرام السجستاني، أظهر القول بالتجسيم فسجن على ذلك ثمانية أعوام. توفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: لسان الميزان (٥/ ٣٥٣)، البدء والتاريخ (٥/ ١٤١).

(٣) التجسيم: من الألفاظ المجملة المبتدعة لفظ الجسم، وقد بنى عليه كثير من أهل البدع تعطيل الله سبحانه عن أسمائه وصفاته، مع أنهم مختلفون في بيان معنى الجسم. ولهذا القول =

وهم طوائف: **العابدية**[١]، **والإسحاقية**[٢]، **والواحدية**[٣]، **والهيصمية**[٤]، يجوزون قيام الحوادث بذات الله تعالى[٥].

ومنهم: **المعلومية**[٦]، وهم الذين قالوا: من لم يعرف الله سبحانه وتعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل حتى يصير عالماً بجميع ذلك، فيصير مؤمناً.

=

الصواب في ذلك: أن لا يثبت بإطلاق، ولا ينفى بإطلاق، بل لابد من التفصيل والبيان.
انظر: نقض التأسيس (٢/ ٤٩٨)، الفتاوى (٥/ ٤٢٠)، الدرء (٤/ ١٣٤).

(١) العابدية: ذكرها الشهرستاني من فرق الكرامية، وزعموا أن بين الله وبين عرشه من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولاً بالجواهر لاتصلت به.
انظر: الملل (١/ ١٢٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٠١).

(٢) الإسحاقية: ذكرها البغدادي من فرق الكرامية، إضافة إلى الحقائقية، والطرئفية.
انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢١٥)، الملل (١/ ١٢٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٢)، الأوسط في المقالات (ص ٨٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٤٨)، تلخيص البيان (ص ١٣٥)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٥)، المقالات لابن كمال (ص ٩٥).

(٣) الواحدية: ذكرها الشهرستاني ضمن فرق الكرامية. انظر: الملل والنحل (١/ ١٢٤).

(٤) الهيصمية: أتباع محمد بن الهيصم ، زعم أن بين الله وبين عرشه بعداً لا يتناهى.
انظر: المصدر السابق (١/ ١٢٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٠١)، الكشف والبيان (ص ١٥٦).

(٥) مسألة قيام الحوادث: من الألفاظ المبتدعة المجملة التي جاء بها أهل البدع: وبنوا على ذلك كثيراً من المسائل الباطلة، وفي مقدمة ذلك: نفي الصفات الفعلية الاختيارية عن الله الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. وتقدم الكلام عليها.
انظر: كتاب العظمة (٢/ ٥١٢)، الفتاوى (٣/ ٣١٥)، التسعينية (٣/ ٧٧١)، نقض التأسيس (٣/ ٣١٦)، مختصر الصواعق (٢/ ٤٤٣).

(٦) المعلومية: إحدى فرق الثعالبة من الخوارج، وسبب تسميتها بذلك ما ذكره المؤلف.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٩)، الفرق بين الفرق (ص ٩٧)، التبصير في الدين (ص ٥٦)، الملل والنحل (١/ ١٥٦)، البرهان (ص ٢٧)، الفوائد المجتمعة (ص ٣٧).

وقالوا: الاستطاعة مع الفعل[١]، والفعل مخلوق للعبد[٢].

ومنهم: **المجهولية**[٣] ، وهم الذين قالوا: من علم أسماء الله وجهل بعضها فقد عرفه. وقالوا: إن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ.

---

(١) الاستطاعة كما عرفها الجرجاني: عرض يخلقه الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية. أو عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك. (التعريفات (ص ١٢)).

ومن مرادفاتها: القدرة، القوة، الوسع، الطاقة.

واختلف الناس في علاقتها بالفعل: فما ذكره المؤلف من كونها مع الفعل لا يجوز أن تتقدم عليه ولا أن تتأخر عنه، بل هي مقارنة له، هو قول الأشاعرة ومن وافقهم. وذهب الجهمية إلى نفي استطاعة العبد، لا قبل الفعل ولا معه، بل له قدرة شكلية غير مؤثرة في الفعل، وذهب المعتزلة إلى أن استطاعة العبد قبل الفعل، وهي قدرة عليه وعلى ضده غير موجبة للفعل.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٠٠)، الإرشاد (ص ٢١٩)، شرح الأصول الخمسة (ص ٣٩٨)، الفرق بين الفرق (ص ٢١١)، الملل (١/ ٨٥).

أما أهل السنة فذهبوا إلى التفصيل في ذلك:

فهناك استطاعة قبل الفعل غير مقترنة به، وهي التي بمعنى الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات، وهي مناط الأمر والنهي، وهي المصححة للفعل.

أما النوع الثاني فهي المقارنة للفعل، الموجبة له، التي يجب معها وجود الفعل، وهذه الاستطاعة كونية، وهي مناط القضاء والقدر.

انظر: الدرء (١/ ٦١)، الفتاوى (٨/ ١٢٩) (١٠/ ٣٢) (١٨/ ١٧٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٦٣٣).

(٢) هكذا في الأصل، وفي الملل، وفي الفوائد المجتمعة، أما في المقالات، والفرق بين الفرق: «وأفعال العباد ليست مخلوقة».

(٣) المجهولية إحدى فرق الثعالبة من الخوارج، وسبب التسمية ما ذكره المؤلف.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٧٩)، الفرق بين الفرق (ص ٩٧)، التبصير (ص ٥٦)، الملل (١/ ١٥٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٣٨).

ومنهم: **الإباضية**[١] ، أصحاب ابن أباض[٢]، يرون الاستطاعة عرض[٣] يحصل به الفعل، وأفعال العباد مخلوقة ومكتسبة[٤] للعبد.

ومرتكب الكبيرة كافر بنعمه لا مشرك[٥]، وتوقفوا في أطفال المشركين وأجازوا أن يعذبوا انتقاماً ويدخلون الجنة تفضلاً[٦]، ودار المسلمين من

---

(١) الإباضية: أصحاب عبد الله بن إباض، فرقة من فرق الخوارج، وافترقت الإباضية فيما بينهم إلى ثلاث فرق: الحفصية، والحارثية، واليزيدية. وهم مختلفون فيما بينهم.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٣)، الفرق بين الفرق (ص ١٠٣)، الملل (١/ ١٥٦)، الفصل (٥/ ٥١)، التبصير في الدين (ص ٥٨)، البرهان (ص ٢٢)، الفوائد المجتمعة (ص ٣٨).

(٢) ابن إباض: هو عبد الله بن إباض، أحد بني مرة بن عبيد من بني تميم، وهو رأس الإباضية من الخوارج، وقد خرج أيام مروان بن محمد وقتل بتبالة من أرض تهامة.
انظر: الملل (١/ ١٥٦)، لسان الميزان (٣/ ٢٤٨).
والذي يظهر من صنيع المؤلف أنه يعد هذه الفرق من فرق المشبهة.

(٣) العرض: جمعها أعراض، وهي التي لا يصح بقاؤها، وتقوم بغيرها، وتعرض في الجواهر والأجسام، تبطل في ثاني حال وجودها.
انظر: التمهيد للباقلاني (ص ٣٨)، المعجم الفلسفي (ص ١١٨).

(٤) المكتسبة: مأخوذة من الكسب، وتقدم التعريف به.

(٥) في الملل «لا كفر الملة».

(٦) اختلف في أطفال المشركين ومن في حكمهم كأهل الفترة على أقوال:
أشهرها: أنهم يعذبون مع آبائهم، والقول الثاني: أنهم في الجنة، أو خدم أهل الجنة، الثالث: التوقف، والرابع: أنهم يمتحنون يوم القيامة.
يقول شيخ الإسلام: «وأما ثبوت حكم الكفرة في الآخرة للأطفال، فكان أحمد يقف فيه، تارة يقف عن الجواب، وتارة يردهم إلى العلم؛ بقوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، وهذا أحسن جوابيه، كما نقل محمد بن الحكم عنه، وسأله عن أولاد المشركين، فقال: أذهب إلى قول النبي ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين» [رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٨) كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة]،... ثم قال: وهذا التفصيل يذهب الخصومات التي كره =

مخالفيهم دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وتفرقوا فرقاً[١].

ومنهم: **الشيعة**[٢] : وهم الذين شايعوا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية[٣]، وأن الإمامة لا تخرج عن أولاده إلا بظلم من خارج وتقية منهم[٤].

ويرون الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة، ويقولون بعصمة الأئمة، والتبري[٥] إلا في حال التقية.

=

الخوض فيه لأجلها من كرهه، فإن من قطع لهم بالنار كلهم جاءت النصوص تدفع قوله، ومن قطع لهم بالجنة كلهم جاءت النصوص تدفع قوله. ثم إذا قيل هم مع آبائهم لزم تعذيب من لم يذنب، وانفتح باب الخوض في الأمر والنهي.... أما جواب النبي ﷺ الذي أجاب به أحمد آخراً وهو قوله: الله أعلم بما كانوا عاملين: فإنه فصل الخطاب في هذا الباب، وهذا العلم يظهر حكمه في الآخرة، والله تعالى أعلم».

درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٩٧-٤٠٢)، وانظر: منهاج السنة (٢/ ٣٠٦-٣٠٩)، الجواب الصحيح (٢/ ٢٩٦-٣٠٠)، الفتاوى (٤/ ٢٧٧-٢٨١)، طريق الهجرتين (ص ٦٧٧)، أحكام أهل الذمة (٢/ ٦٢٩).

(١) تفرقوا إلى فرق، منها: الحفصية، الحارثية، اليزيدية.

انظر: الملل (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، الفرق بين الفرق (ص ٢٩)، الملل والنحل (١/ ١٦٩)، البرهان (ص ٦٥)، خبيئة الأكوان (ص ٢٩).

(٣) ومعنى نصاً ووصية: أي نص النبي ﷺ على خلافته وإمامته من بعده، وأوصى بذلك قبل موته.

انظر: مجموع عقائد الرافضة والرد عليها (٢٩/ ٢٤٦).

(٤) التقية: أن يقول العبد خلاف ما يعتقده لاتقاء مكروه يقع به لو لم يتكلم بالتقية.

أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٨٠)، وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ٦٩).

(٥) التبري: أي البراءة من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا مذهب الرافضة.

انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٦٤، ١٧٠، ١٨٣)، مقالات الإسلاميين (ص ٢٩٦)، شرح الطحاوية (٢/ ٤٣٦).

ومنهم بعد ذلك فرق عديدة ليس هذا موضع ذكرها، بل نذكر الأشهر منها:

منهم **الإمامية الاثنا عشرية**[١] ، لقبوا بذلك لقولهم بإمامة اثنى عشر إماما، وهم:

علي المرتضى ، ثم ابنه الحسن المجتبى، وكانت الإمامة عنده مستودعة لا مستقرة، ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ، ثم ابنه علي السجاد زين العابدين[٢]، ثم ابنه محمد الباقر[٣]، ثم جعفر الصادق[٤]، ثم ابنه موسى الكاظم [٥]، ثم ابنه علي الرضا[٦]، ثم ابنه محمد التقي[٧]، ثم ابنه علي النقي[٨]، النقي[٨]، ثم ابنه الحسن الزكي المعروف بالعسكري[١]، ثم ابنه محمد الحجة

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٦٢)، اعتقادات المسلمين والمشركين (ص ٥٢)، أصول وتاريخ الفرق (١/ ١٦٤).

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام زين العابدين، توفي سنة ٩٤ هـ.
انظر: الطبقات (٥/ ٢١١)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٦)، السير (٤/ ٣٨٦).

(٣) محمد الباقر: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر، توفي سنة ١١٤ هـ.
انظر: الطبقات (٥/ ٣٢٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ١١٧)، السير (٤/ ٤٠١).

(٤) جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من سادات أهل العلم في زمانه، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر: السير (٦/ ٢٥٥).

(٥) موسى الكاظم: هو موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عرف بالإمامة في العلم، والكرم، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.
انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٧٢).

(٦) علي الرضا: هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، طالب، أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، توفي سنة ٢٠٢ هـ.
انظر: العبر (١/ ٢٤٠)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٩).

(٧) محمد التقي: هو أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن ابن علي بن أبي طالب.

(٨) علي النقي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن =

وهو القائم المنتظر[٢]، والحال في حياته كالحال في الخضر[٣]، ويلقبون **بالموسوية** لقولهم بإمامة موسى الكاظم، والقطعية لقطعهم بموته[٤].

ويقولون: إن هؤلاء الأئمة في بني إسماعيل كالنقباء في بني إسرائيل[٥]، وتمسكوا بإمامته دون إخوته نصاً عليه بقول الصادق: «ألا وهو سمي صاحب التوراة»[٦].

=

الحسين بن علي بن أبي طالب.

(١) الحسن العسكري: هو أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالعسكري، أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، توفي سنة ٢٦٠ هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٩٤).

(٢) محمد الحجة: هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، العلوي الحسيني، خاتمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، يزعمون أنه صاحب السرداب المنتظر، ذكر أن والده توفي من غير أن يعقب، وقيل ولد له بعد موته، فالله أعلم، نسج الرافضة حول شخصيته كثيراً من الأساطير والخرافات.انظر: الوفيات (٤/ ١٧٦)، السير (١٣/ ١١٩)، شذرات الذهب (٢/ ١٥٠).

(٣) الخضر: اسمه على القول المشهور: بليان بن ملكان، ويعرف بالخضر. وهو صاحب موسى، والقول الصحيح أنه متوفى وليس حياً كما يزعم بعض الناس، وجميع الأحاديث المرفوعة والموقوفة، والحكايات الواردة في إثبات حياته جميعها واهية لا تقوم بمثلها حجة.قال شيخ الإسلام: «القول الفصل في الخضر عليه السلام والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام..».
انظر: زيارة القبور (١/ ٧٠)، وللاستزادة ينظر: الزهر النضر في حال الخضر لابن حجر.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٤٦)، الملل والنحل (١/ ١٦١).

(٥) انظر: النبوة والأنبياء في القرآن والسنة (١/ ٨٩).

(٦) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠، ١٦١).

ومنهم: **الإسماعيلية**[١]، يوافقون الإمامية في الصادق ومن قبله، ويخالفونهم في الكاظم ومن بعده، ويقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وإليه ينتسبون، ويلقبون بالسبعية، لقولهم بسبعة أئمة[٢]، ويرون أن في كل دور سبعة أئمة إما ظاهرون وهو دور الكشف، وإما مخفيون وهو دور الستر، ولابد من إمام: إما ظاهر، وإما مستور، لقول أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه -: «لن تخلو الأرض عن قائم لله تعالى حجة»[٣].

ويلقبون أيضاً بالباطنية [٤]، لقولهم: إن لكل ظاهر باطناً.

وبالتعليمية، لقولهم: إن العلم بالتعلم من الأئمة خاصة [٥] .

وربما لقبوا بالملاحدة[٦]، لعدولهم عن ظواهر الكتاب والسنة، لأنهم يتأولون سائر النصوص.

---

(١) سموا بذلك لقولهم بإمامة إسماعيل بن جعفر.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٦٧)، فضائح الباطنية (ص ٣٧)، الفرق بين الفرق (ص ٢٩٤)، البدء والتاريخ (٥/ ١٢٤)، أصول وتاريخ الفرق (٢/ ١٥).

(٢) يزعمون أن الدور التام سبعة، بدليل أن السموات والأرضين سبعة، وأيام الأسبوع سبعة... الخ.
انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٨٠)، الملل والنحل (١/ ١٩٢).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٠)، والمزي في تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٢١)، وانظر: مصباح الظلام (١/ ١٢٨).

(٤) انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٢)، أصول وتاريخ الفرق (٢/ ٥٦).

(٥) وقيل في سبب التسمية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتميزة السائرة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون.
انظر: أصول وتاريخ الفرق (٢/ ٢٣).وقد ذكر الشهرستاني أن هذا الاسم يطلق عليهم بخرسان. انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٠).

(٦) انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٢).

وعندهم من مات ولم يعرف إمام زمانه، أو ليس في عنقه بيعة إمام، مات ميتة جاهلية[١] .

ومنهم: **الزيدية**[٢] ، القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين[٣]، وإمامة من اجتمع فيهم العلم والزهد والشجاعة ظاهراً، وهو من ولد فاطمة – عليها السلام – ويخرج لطلب الإمامة.

ومنهم من زاد: صباحة الوجه، وأن لا يكون مأووفاً[٤]، ويجيزون قيام إمامين معاً بمكانين[٥] .

ومن رفض زيداً هذا فهم الذين أطلق عليهم اسم الرافضة أولاً[٦]،

---

(١) لا يصح حديث بهذا اللفظ. بل الذي ثبت الإطلاق دون تقييد(من مات وليس في عنقه بيعة...).
انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٠)، منهاج السنة (١/ ١١٠)، أحاديث يحتج بها الشيعة (١/ ٤٩٤).

(٢) هم المنتسبون لزيد بن علي بن الحسين وهم فرق شتى المتقدمون منهم خير من المتأخرين، تأثر المتأخرون منهم بالمعتزلة انظر: الملل (١/ ١٧٩)، مقالات الإسلاميين (١/ ٦٨، ٧٥)، التنبيه والرد (ص ٤٥)، الفرق بين الفرق (ص ٤٣، ٥١)، الفصل (٣/ ١٠، ٨٩)، الاعتقادات للرازي (ص ٦٠). الزيدية سيأتي التعريف بهم.

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ذا علم وجلالة وصلاح، قتل سنة ١٢٢هـ.
انظر: الطبقات (٥/ ٣٢٥)، التاريخ الكبير (٣/ ٤٠٣)، وفيات الأعيان (٥/ ١٢٢)، السير (٥/ ٣٨٩).

(٤) مأووفاً: من أوف، أي العاهة، يقال: طعام مؤوف: أصابته آفة.انظر: لسان العرب (١/ ٢٦٣).

(٥) انظر: الملل والنحل (١/ ١٨٠).

(٦) وذلك أن زيد بن علي تولى أبا بكر وعمر، إذ قال له بعض أتباعه أتبرأ من أبي بكر وعمر، قال: معاذ معاذ الله، وزيرا جدي. فرفضوه فسموا رافضة.انظر: الفصل (٣/ ٨٩)، الخطط للمقريزي (٤/ ١٧٩).

وهم من طوائف من الشيعة، أعني الإمامية والإسماعيلية والزيدية، هم رؤوس فرقهم، ولهم كلام في الأصول والفروع، وقام بمقالاتهم رجال نذكر سرداً منهم:

المختارية[١] ، أصحاب المختار بن أبي عبيد[٢]، يقولون بإمامة محمد بن الحنيفة[٣] .

ومنهم: **البيانية**[٤] ، يقولون بإمامة بيان بن سمعان الملقب بالمهدي[٥]، انتقالا إليه من أبي هاشم بن محمد بن الحنيفة[٦]، ونسبوا إليه القول بإلهية علي، علي، وظهوره في بعض الأحايين.

---

(١) انظر: التبصير في الدين (ص ٣٣)، الفرق بين الفرق (ص ٣٨).

(٢) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ادعى النبوة، أخذ بثأر الحسين، وقتل سنة ٧٤ هـ.
انظر: الكامل (٤/ ٢١١)، البداية والنهاية (٨/ ٢٨٩)، السير (٣/ ٥٣٨).

(٣) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، ينسب لأمه الحنفية، خولة بنت جعفر من بني حنيفة، توفي سنة ٨١ هـ.
انظر: الطبقات (٥/ ٩١)، المعرفة والتاريخ (١/ ٥٤٤)، السير (٤/ ١١٠)، شذرات الذهب (١/ ٨٨).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٦)، التنبيه والرد(ص١٦٥)، الفرق بين الفرق(ص٢٥٥، ٢٣٦).
٢٣٦).

(٥) بيان بن سمعان النهدي التميمي، قال بإلهية علي بن أبي طالب، قتله خالد القسري سنة ١١٩ هـ.
هـ.
انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٢٥)، الفرق بين الفرق (ص ٢٢٧).

(٦) أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنيفة، الإمام الهاشمي، توفي سنة ٩٨ هـ.
انظر: الطبقات (٥/ ٣٢٧)، العبر (١/ ١١٦)، السير (٤/ ١٢٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ١٦).

ومنهم: **الرزامية**[١] ، أصحاب رزام بن سابق[٢]، ساقوا الإمامة من أمير المؤمنين إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه أبي هاشم[٣]، ثم إلى علي بن عبد الله بن العباس[٤] بالوصية، ثم إلى محمد بن علي[٥]، ثم إلى أبي عبد الله السفاح[٦] .

ومنهم: **الجارودية**[٧] ، زعموا أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالوصف بالوصف لا بالتعيين [٨]، والناس قصروا حيث لم يجتهدوا في ذلك. واختلفوا

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٦)، الملل والنحل (١/ ١٥٣)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٣)، فرق الشيعة (١/ ٤٧)

(٢) رزام، ذكر الشهرستاني أن اسمه: رزام بن رزم. انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٩).

(٣) تقدمت ترجمته قريباً، أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنيفة.

(٤) علي بن عبد الله بن العباس بن المطلب، الهاشمي أبو محمد السجاد، كان عالماً عاملاً، توفي سنة ١١٨ هـ.
انظر: تاريخ الفسوي (٢/ ٣٨١)، الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣)، السير (٥/ ٢٨٤)، شذرات الذهب (١/ ١٤٨).

(٥) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، أبو عبد الله، توفي سنة ١٢٤ هـ.
انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ١٥٣).

(٦) أبو العباس السفاح، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الخليفة العباسي، توفي توفي سنة ١٣٦ هـ.
انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٥٣)، فوات الوفيات (٢/ ٢١٥)، السير (٦/ ٧٧)، شذرات الذهب (١/ ١٨٣).

(٧) الجارودية: سميت بذلك نسبة إلى الجارود زياد بن أبي زياد المنذر.
انظر: الفرق بين الفرق (ص ٣٠)، الملل والنحل (١/ ١٥٧)، التبصير في الدين (ص ٢٧)، الفصل (٥/ ٣٥).

(٨) أي أن النبي ﷺ لم ينص عليه عيناً، بل أشار إليه بالوصف ولا تنطبق هذه الأوصاف إلا على علي بن أبي طالب. انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٣).

في سوق الإمامة بعده[١].

ومن الفرق: **الكيسانية**[٢]، يرون أن الدين طاعة رجل معصوم[٣].

ومن الفرق: **الكثيرية**[٤]، أصحاب كثير النوىٰ والحسن بن صالح، جوزوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل تواضعاً، وتوقفوا في أمر عثمان فقط.

ومن الفرق: **السليمانية**[٥]، أصحاب سليمان الكوفي[١]، يقولون: إن

---

(١) فمنهم من زعم أن علياً نص على إمامة الحسن، والحسن نص على إمامة الحسين، ثم هي شورى في ولدهما.
ومنهم من ساقها بعد الحسين إلى علي بن الحسين، ثم إلى زيد بن علي بن الحسين، ثم إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين.وذهب فريق منهم إلى أن النبي ﷺ نص على علي والحسن والحسين.
انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢٢)، الملل (١/ ١٥٣)، الفصل (٤/ ٧٧)، الشيعة والتشيع (١٩٧).

(٢) الكيسانية: أصحاب المختار بن عبيد الثقفي، سموا بذلك لأن المختار كان يسمى بكيسان، بكيسان، وقيل: أخذ مقالته عن مولى لعلي كان اسمه كيسان.تزعم هذه الفرقة أن محمد بن الحنيفة حي محبوس بجبل رضوى وأنه سيرجع، ولذا فهم ينتظرونه.
انظر: الفرق بين الفرق (ص ٥٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٥)، التبصير في الدين (ص ٣٠)، الملل والنحل (١/ ١٤٦)، الفصل (٣/ ١١٢)، شرح وبيان الاثنتين والسبعين (ص ١٢٤).

(٣) ذكر الشهرستاني أنهم فرق يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، وترتب على ذلك اعتقادات باطلة.انظر: الملل (١/ ١٧٠).

(٤) الكثيرية، ويقال لهم أيضاً: البترية، أصحاب كثير النوىٰ الأبتر، يقال لهم: الصالحية نسبة إلى إلى أصحاب الحسن بن صالح بن حي. وهما متفقان في المذهب.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٨٧)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٤)، التبصير في الدين (ص ٢٩).

(٥) السليمانية: انظر: الفرق بين الفرق (ص ٣٢)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٣)، الملل =

الإمامة شورى، وتنعقد برجلين من خيار المسلمين، ويطعنون في بعض الصحابة، وينكرون على الشيعة القول بالبدا[٢]، والتقية[٣].

ومن الفرق: **الغالية**[٤] **والغلاة**[٥]، وهم الذين غلوا في أئمتهم، وأخرجوهم عن البشرية، وادعوا فيهم الإلهية، ومن بدعهم: الحلول[٦]، والتناسخ[١]،

=

والنحل (١/ ١٨٦)، التبصير في الدين (ص ٢٨)، أصول وتاريخ الفرق (١/ ١٤٠)، الفوائد المجتمعة (ص ٤٩).

(١) سليمان بن جرير الزيدي الكوفي.

انظر: التبصير في الدين (ص ٢٨)، المواقف (٣/ ٦٧٧).

(٢) البدا: من عقائد الرافضة تجويز البدا على الله، بمعنى أنه يجوز على الله أن يفعل فعلاً ثم يبدو له عدم صلاحيته، فينتقل منه إلى غيره. انظر: أوائل المقالات للمفيد (ص٣٢٧)

وأجمع أهل العلم على كفر من اعتقد جواز البدا على الله؛ لأنه إنكار لعلم الله الشامل.

انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٨)، إتحاف أهل الألباب (ص ١٣٩)، تمام المنة (ص ٤٧).

(٣) التقية عند الشيعة: أن يقول الإنسان بلسانه خلاف ما في قلبه، أو أن يظهر خلاف ما يبطن.

وهي من أصول عقائد الرافضة. انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية للمفيد (ص١٣٧)

وانظر: كتاب (التقية عند الشيعة) للدكتور: مجيد الخليفة، وكتاب (التقية الوجه الآخر) لفيصل نور.

(٤) الغالية: انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٣)، الفرق بين الفرق (ص ٢٣)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٠).

(٥) الغلو: مجاوزة الحد.

انظر: المحكم والمحيط (٦/ ٥٨)، تاج العروس (٣٩/ ١٨٠).

وهو: مجاوزة حدود الشرع سواء في الجوانب العلمية أو العملية وهو في جانب الاعتقاد باب واسع، وله صور شتى، وما ذكره المؤلف لا شك أنها أمثلة على الغلو.

انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٠٤).

(٦) الحلول: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكأس.

انظر: التمهيد للباقلاني (ص ٨٦)، المغني للقاضي عبد الجبار (٥/ ٨٢)، الجواب الصحيح

=

والرجعة[٢]، والبدا، والتشبيه[٣].

وهم طوائف، فمنهم:

الباقرية[٤]، القائلون بإمامة محمد بن علي بن الحسن ورجعته.

ومنهم: **الجعفرية**[٥]، القائلون بمثل هذه المقالة في جعفر الصادق.

=

(٤/ ٧٩)، التعريفات (ص ٩٨)، المفردات (ص ٢٥١).

ويذكر شيخ الإسلام أن الحلول قسمان: الحلول الخاص، وهو كالحلول الذي يقول به النصارى والغالية من هذه الأمة الذين يقولون بالحلول إما في علي وإما في غيره. والحلول العام، كقول من يقول بالحلول في جميع المخلوقات.

انظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ١٥١)، الفتاوى (١٠/ ٥٩).

(١) التناسخ: تعلق الروح بعد المفارقة ببدن آخر.وهي: تكرر الأكوار والأدوار إلى مالا نهاية، والثواب والعقاب في هذه الدار

انظر: الملل والنحل(٢/ ٥٤)، الكليات (١/ ٤٦٨)، نهاية الأرب (٢٢/ ١٧٨).

(٢) الرجعة بعد الموت في الحياة الدنيا: تعني العودة بعد الموت، وهي من أصول المذهب الشيعي الاثني عشري.

يقول ابن بابويه في الاعتقادات (ص ٩٠): «واعتقادنا في الرجعة أنها حق».

وقال المفيد في أوائل المقالات (ص ٥١): «واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة».

(٣) التشبيه: هو تشبيه الخالق بالمخلوق في شيء من خصائصه.

انظر: الفصل (٣/ ١٤٢)، الفتاوى (٤/ ٥٧) (٦/ ٣٦)، منهاج السنة (٢/ ١٠٣، ١٠٥).

(٤) انظر في هذه الفرقة: الكشف والبيان للقلهاني (ص ٢٨٢)، الملل والنحل (١/ ١٦٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٨٠)، مختصر الفرق للرسعني (ص ٥٥)، الفرق بين الفرق (ص ٥٩)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٠).

سموا بذلك نسبة إلى محمد بن علي الباقر.

(٥) نسبة لجعفر الصادق إمامهم السادس. قولهم قريب من قول الإسماعيلية، وهو اسم من =

الواقفية[١] ، وهم المتوقفون في ذلك مع قولهم بالغلو.

ومنهم: **السبئية**[٢] ، أصحاب عبد الله بن سبأ[٣]، قالوا لعلي: أنت أنت، مشيدين بالإلهية، ويزعمون أن علياً حي وأنه في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه، وسينزل إلى الأرض[٤] .

ومن الفرق: **الناووسية**[٥] ، يزعمون أن الأرض تنشق عن علي، فيملأ

=

أسماء الشيعة الاثني عشرية. انظر في هذه الفرقة: الكشف والبيان (ص ٢٨٢)، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب للسمعاني (ص ٢٦)، الملل والنحل (١/ ١٦٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٨٤)، الفرق بين الفرق (ص ١٦٧)، خبيئة الأكوان (ص ١٧، ٣٦).

(١) انظر في هذه الفرقة: المقالات والفرق للقمي (ص ٦٢، ٩٠، ٩٣، ١٠٦)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٣)، الحور العين (ص ٢٢٩)، الملل والنحل (١/ ١٦٥)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٠).

(٢) انظر في هذه الفرقة: الفرق بين الفرق (ص ٢٣٣)، التنبيه والرد (ص ٢٩، ٣٠، ١٦٧)، فرق الشيعة للنوبختي (ص ١٩)، والمقالات والفرق للقمي (ص ٢٠، ٥٥)، الحور العين (ص ٢٠٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٨٦)، عقائد الثلاث والسبعين لأبي محمد اليمني (٢/ ٤٧٢)، البرهان للسكسكي (ص ٨٥)، خبيئة الأكوان (ص ٢٤، ٣٣).

(٣) عبد الله بن سبأ، أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام، كانت له اليد الطولى في فتنة مقتل عثمان، غلا في علي حتى ادعى فيه الألوهية، فطلبه علي ليقتله لكنه هرب واختفى، حتى قيل إنه سعى في إفساد عقيدة المسلمين كما صنع بولس في عقيدة النصارى، جمهور الرافضة يشككون في شخصيته.

انظر: اللباب (٢/ ٩٨)، وكتاب (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة) لسليمان العودة.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، التنبيه والرد (ص ١٨)، الفرق بين الفرق (ص ٢٣٣)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٠).

(٥) من فرق الإمامية، سميت بذلك إما نسبة إلى رجل يقال له عجلان بن ناوس، وإما إلى قرية ناووسة، يزعمون أن جعفر بن محمد لم يمت، وهو المهدي المنتظر.

=

الأرض عدلاً[١].

ومن الفرق: **الخوارج**، والخارجي: كل من خرج على إمام عادل، صحابياً كان أو غيره. والمراد ها هنا: الذين خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهم طوائف، ويجمعون على:

التبري من علي وعثمان، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويوجبون الخروج على الإمام إذا خالف السنة[٢].

ومنهم: **المحكمة**[٣]، وهم الذين حملوا علياً على القتال، والتحكيم لكتاب الله إلى من حكم بكتاب الله، ثم تبرؤا من التحكيم الذي ولّدوه، وقالوا: لا حكم إلا لله، وخطؤوا علياً وجوزوا الخلو عن الإمام وإمامة غير القرشي[٤].

ومنهم: **الأزارقة**[٥]، أصحاب نافع بن الأزرق[١]، يكفرون علياً وجمعاً من

=

انظر: فرق الشيعة للنوبختي (ص ٦٧)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٩)، الفرق بين الفرق (ص ٧٩)، الفصل (٣/ ١١٢)، الملل والنحل (١/ ١٩٥).

(١) انظر: التنبيه والرد (ص ٢٩، ٣٠، ١٦٨)، الخطط للمقريزي (٤/ ١٨٢)، الفوائد المجتمعة (ص ٥١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٤)، التنبيه والرد (ص ٤٧)، التبصير في الدين (ص ٢٦)، الفرق بين الفرق(ص ٥٤)، الفصل (١/ ٣٧٠)، الملل والنحل (١/ ١٣٣)، الخوارج غالب عواجي (ص ٢٥).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١١٥)، التنبيه والرد (ص ٥٢)، التبصير في الدين (ص ٤٩)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٢)، خبيئة الأكوان (ص ٣٧)، الحور العين (ص ٢٥٥).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٥٨٩).

(٥) انظر: الكشف والبيان للقلهاني (ص ٢٣٠)، الفرق للقمي (ص ٨٥)، الملل والنحل (١/ ١١٨)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٤)، التبصير في الدين (ص ٤٩)، الفصل (٥/ ٥٢)، الحور العين (ص ٢٣٢)، خبيئة الأكوان (ص ٣٧)، رسالة في بيان الفرق

=

الصحابة، ويصوبون فعل ابن ملجم[٢]، ويكفرون القعدة عن القتال مع الإمام، ولو قاتل أهل دينه، ويبيحون قتل أطفال المخالفين ونساءهم، ويسقطون [الجلد] عن قاذف المحصن، دون القاذفة، ويرون أن أطفال المشركين في النار[٣]، وأن التقية غير جائزة، ويخرجون أصحاب الكبائر عن الإسلام.

ومن الفرق: **الكاملية**[٤] ، أصحاب أبي كامل[٥]، كفر علياً بتركه حقه.

ومن الفرق: **الغليانية**[٦] ، أصحاب الغليان الأسدي، يزعمون أن علياً

=

الضالة (ص ١٨٣).

(١) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، من رؤوس الخوارج، صحب في البداية ابن عباس، قتل سنة ٦٥هـ.
انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٦١٣)، البداية والنهاية (٨/ ٢٦١).

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي، شهد فتح مصر، قرأ على معاذ القرآن، قتل علي بن أبي طالب، وقتل سنة ٤٠هـ.
انظر: الكامل في التاريخ (٣/ ٣٨٩)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١)، شذرات الذهب (١/ ٤٩).

(٣) والقول الراجح في أطفال المشركين أنهم يمتحنون يوم القيامة، وهذا اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.
وقد تقدم الكلام عليه تفصيلا (ص ٣٣) تعليق (٣).

(٤) من فرق غلاة الرافضة. انظر: المقالات للقمي (ص ١٤)، الملل والنحل (١/ ١٧٤)، الفرق بين الفرق (ص ١٥٤)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٩١)، الحور العين (ص ٢٠٧)، الفرق المفترقة (ص ٣١)، الفوائد المجتمعة لليازجي (ص ٥٣)، رسالة في بيان الفرق لابن كمال باشا (ص ١٨١).

(٥) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٣/ ٧٨).

(٦) ذكرهم الشهرستاني باسم (العلبائية)، وسماهم البغدادي بالذمية، ويسمون بالذميمة.
انظر: الفرق بين الفرق (ص ٢٥١)، التبصير في الدين (ص ٧٥)، الملل والنحل (١/ ٢٠٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٣).

بعث محمدا ﷺ يدعو إليه، فدعا إلى نفسه.

ومن الفرق: **المغيرية**[١] ، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي[٢]، ادعى الإمامة، ثم النبوة، وأصحابه يعتقدون رجعته.

ومن الفرق: **الخطابية**[٣] ، أصحاب أبي الخطاب الأسدي[٤]، عزا نفسه إلى الصادق، فلما غلا فيه تبرأ منه ولعنه، فادعى لنفسه، وأصحابه مختلفون فيه، فقائل بإمامته، وقائل بنبوته، وقائل بإلهيته.

ومن الفرق: **الكيالية**[٥] ، أصحاب الكيال الحصين[٦]، أحد الدعاة إلى نفسه، ويرى أن العوالم ثلاثة: الأعلى، والأدنى، والإنساني، ويقايس بينهما، ويطبق بعضهما على بعض، وله كتب بالفارسية والعربية، وكلامه من السخف

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٩)، التنبيه والرد (ص ١٧٠)، فرق الشيعة للنوبختي (ص ٥٢، ٥٣)، المقالات والفرق للقمي (ص ٥٠)، الملل والنحل (١/ ٢٠٧)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٨٨)، ذكر الفرق الثنتين والسبعين لليافعي (ص ٨٤)، الغنية للجيلاني (ص ١٨٣، ١٨٨).

(٢) المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي أبو عبد الله، دجال مبتدع، قتله خالد القسري سنة ١١٩ هـ. انظر: لسان الميزان (٦/ ٧٥)، المحبر (١/ ٤٨٣)، الأعلام (٧/ ٢٧٦).

(٣) إحدى الفرق الغالية. انظر: فرق الشيعة للنوبختي (ص ٣٧، ٥٨)، المقالات والفرق للقمي (ص ٥٤، ٨١)، مقالات الإسلاميين (١/ ٧٦)، الفرق بين الفرق (ص ٢٤٧)، التنبيه والرد (ص ١٧٢)، الملل والنحل (١/ ٢١٠)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٨٧)، الحور العين (ص ٢٢٠)، الفرق المتفرقة للعراقي (ص ٤١)، خبيئة الأكوان (ص ٣١)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٤).

(٤) أبو الخطاب: محمد بن أبي زينب الأسدي، الأجدع مولى بني أسد، قتل سنة ٣٤٠ هـ. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٧٥)، الفرق بين الفرق (ص ٢٤٧).

(٥) انظر: الملل والنحل (١/ ٢١٢)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٩٢)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٥). ٥٥).

(٦) الكيال الحصين، وذكر الشهرستاني أنه: أحمد الكيال، وكذا الرازي. انظر: الملل والنحل (١/ ٢١٢)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٩٢).

الغريب.

ومن الفرق: **النصيرية**[١] ، ينسبون إلى نصير غلام علي[٢]، ويقولون بإلهية علي، ويخفون مقالتهم وكتبهم.

ومن الفرق: **الإسحاقية**[٣] ، يقولون بمقالة النصيرية في الجملة، وبينهم خلاف لا يظهر عليه غيرهم لإخفائهم كتبهم أيضاً.

ومن الفرق: **النجدات**[٤] ، أصحاب نجدة بن عامر الحنفي[١]، يكفر

---

(١) من الفرق الغالية يعتبرون عقيدتهم سراً من الأسرار، محوطة بالسرية التامة.
انظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٠)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٩١)، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب (ص ٧٩)، تلخيص البيان للفخري (ص ١٣٦)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٤٨)، البرهان للسكسكي (ص ٦٧)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٥).

(٢) وبعض العلماء ينسبون هذه الفرقة إلى أبي شعيب محمد بن نصير مولى بني نمير.
انظر: فرق الشيعة للنوبختي (ص ٩٣)، أصول وتاريخ الفرق (٢/ ٥١)، الشيعة والتشيع فرق وتاريخ (١/ ٢٤٣).

(٣) نسبة إلى إسحاق بن زيد بن الحارث، كان يذهب إلى إسقاط التكاليف، ثم زعم مشاركة علي للنبي ﷺ، ثم قال بمقولة النصيرية بحلول الإله في علي.
انظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٠)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٩٣)، الأوسط في المقالات للناشئ الأكبر (ص ٨٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٤٨)، تلخيص البيان للفخري (ص ١٣٥)، الفرق المفترقة للعراقي (ص ٣٤).
أما الإسحاقية الذين ورد ذكرهم (ص٣١) فهم من فرق الكرامية وليسوا من الغلاة كالإسحاقية هنا.

(٤) النجدات: من الفرق الغالية من الخوارج، وقد خرج زعيمهم نجدة بن عامر الحنفي من اليمامة مع عسكره يريد اللحاق بالأزارقة، فاستقبله أبو فديك وعطية بن الأسود في طائفة خالفوا نافع بن الأزرق، فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف، وبايعوا نجدة، وسموه أمير المؤمنين، ثم اختلفوا على نجدة.
=

بالإصرار على الصغائر دون فعل الكبائر من غير إصرار، ويستحل دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في دار التقية، ويتبرأ ممن حرمها، ويعذر بالجهل في الفروع، ولهذا يعرف أصحابه بالعاذرية[٢].

ومن الفرق: **البيهسية**[٣]، أصحاب أبي بيهس بن خالد[١]، يرى أن الإيمان

=

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٨٧)، الملل والنحل للبغدادي (ص ٦٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٥٥)، الكشف والبيان (ص ٢٣٦)، الغنية للجيلاني (ص ١٦٨)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٦٦)، تلخيص البيان للفخري (ص ٥٢، ٦٣)، عقائد الثلاث والسبعين (٢/ ٣١)، البرهان للسكسكي (ص ٢٥)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٦)، خبيئة الأكوان (ص ٣٧).

(١) نجدة بن عامر الحنفي، كان بادئ أمره من أتباع نافع بن الأزرق ثم خالفه واستقل بمذهبه، استقر أيام عبد الله بن الزبير في البحرين، وتسمى بأمير المؤمنين، وأقام بها خمس سنين إلى أن قتل سنة ٦٩ هـ.

انظر: لسان الميزان (٢/ ١٤٨)، الكامل لابن الأثير (٤/ ٧٨)، شذرات الذهب (١/ ٧٦)، الأعلام (٨/ ٣٢٤).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٤١)، كيد الشيطان لابن الجوزي (ص ١٣٣)، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب (ص ٥١).

(٣) البيهسية: من غلاة الخوارج، من غلوهم أنهم زعموا أن من لم يعرف الحق من الباطل والفريضة من السنة يكون كافراً.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩١)، التنبيه والرد (ص ١٩٠)، الملل والنحل (١/ ١٤٤)، المقالات والفرق للقمي (ص ٨٥)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٦)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٦٣)، الكشف والبيان للقلهاني (ص ٢٤٢)، الحور العين (ص ٢٣)، عقائد الثلاث والسبعين لليمني (٢/ ٢٨)، شرح وبيان وعلامات وآثار الثنتين والسبعين (ص ٢٢٨)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٦)، البرهان للسكسكي (ص ٢٣)، المقالات لابن كمال باشا (ص ١٢٠).

مجموع العلم بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، وأنه لا حرام إلا ما نص عليه لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ... الآية ﴾[٢]، وتكفر الرعية بكفر الإمام.

ومن الفرق: **العجاردة**[٣] ، أصحاب عبد الكريم بن عجرد[٤]، ينكر سورة يوسف[٥]، ويزعم أنها ناقصة، ولا يرى المال فيئاً [١] حتى يقتل صاحبه.

=

(١) وذكر غير واحد: أبو بيهس هيصم بن عامر.

انظر: التبصير في الدين (ص ٦٠)، الفرق بين الفرق (ص ٨٧).

أما الشهرستاني فذكره باسم أبي بيهس هيصم بن جابر، وكذا الإيجي.

انظر: الملل (١/ ١٤٤)، المواقف (٣/ ٦٩٦).

أما ابن الجوزي فذكره باسم بيهس ين الهيصم.

انظر: تلبيس إبليس (ص ٢١).

وكان أبو بيهس هذا في زمن الحجاج، وقتل سنة ٩٤هـ بأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك، وصلب.

انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٤)، رغبة الأمل (٧/ ٢١٩).

(٢) وهي آية الأنعام (١٤٥): ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وانظر في تفسير الآية ومعناها الصحيح: تفسير ابن جرير (٨/ ٥٨)، تفسير الماوردي (٢/ ١٨١)، زاد المسير (٢/ ٤٢٧)، الدر المنثور (٦/ ٢٣٧).

(٣) العجاردة: فرقة من فرق الخوارج، انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٧)، التبصير في الدين (ص ٥٤)، الفرق بين الفرق (ص ٩٣)، الملل والنحل (١/ ١٤٨)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٥٦)، تلخيص البيان للفخري (ص ٥٢)، الغنية للجيلاني (ص ١٦٩)، الحور العين (ص ٢٢٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٧)، البرهان للسكسكي (ص ٢٣)، خبيئة الأكوان (ص ٣٨).

(٤) عبد الكريم بن عجرد، أحد رؤوس الخوارج، كان من أتباع عطية بن الأسود الحنفي.

انظر: الوافي بالوفيات (٦/ ٢٢٠).

(٥) أنكر سورة يوسف على حدّ زعمه لأنها في شرح العشق والعاشق والمعشوق، وهذا لا يجوز بزعمه في كلام الله.

=

ومن الفرق: **الصلتية**[٢]، أصحاب عثمان بن أبي الصلت[٣]، انفرد بأن الرجل إذا أسلم يتولى ويتبرأ من أطفاله حتى يبلغوا الحلم.

ومن الفرق: **الميمونة**[٤]، أصحاب ميمون بن خالد[٥]، يقولون إن الله تعالى أراد الخير دون الشر، ولا مشيئة له في المعاصي، ويجوز نكاح بنات البنات، وبنات أولاد الإخوة والأخوات[٦]، ويوجب قتال السلطان المخالف، ومن رضي بحكمه.

=

انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٥٧)، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٢٠).

(١) الفيء: هو ما أخذ من مال المشركين بغير قتال.

انظر: مختصر الإنصاف والشرح الكبير (١/ ٣٩١)، الاختيارات الفقهية (١/ ٦١٦).

(٢) ذكر الشهرستاني أن العجاردة من الخوارج انقسموا إلى فرق، لكل فرقة مذهب على حياله، وذكر أن الصلتية إحدى هذه الفرق.انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٩)، مقالات الإسلاميين (١/ ٧٩)، الفرق بين الفرق (ص ٩٧)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٧)، الحور العين (ص ٢٢٥)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين لليافعي (ص ٤٦)، البرهان (ص ٢٩)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٧)، رسالة في بيان الفرق الضالة (ص ١٧٧).

(٣) عثمان بن أبي الصلت، وذكر الإيجي أنه قد يقال له: الصلت بن أبي الصلت، أما بقية كتب الفرق فذكروا أن الفرقة تنتسب لهذين الرجلين: عثمان بن أبي الصلت، والصلت بن أبي الصلت.انظر: المواقف (٣/ ٦٩٥).

(٤) الميمونية، فرقة أخرى من فرق العجاردة من الخوارج.انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٧)، الفرق بين الفرق (ص ٢٨٠)، الملل والنحل (١/ ١٤٩)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٧)، الحور العين (ص ٢٢٥)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٢)، الفرق المتفرقة (ص ٢٤)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٨).

(٥) هكذا اسمه في أكثر كتب الفرق، غير أن الرازي سماه: ميمون بن عمران. انظر: اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٧).

(٦) ذكر العراقي أن هذه الأقوال كفر، وأنها تنزع إلى المجوسية، حيث أجاز نكاح بنات الأولاد، وشبهتهم في هذا: أنه لم تثبت حرمتهن بنص القرآن.

انظر: الفرق وأصناف الكفرة للعراقي (ص ٩٣).

ومن الفرق: **الحمزية**[١] ، أصحاب حمزة بن إدريس[٢]، يقولون بالقدر، ويجوز قيام إمامين معاً، ما لم تجتمع الكلمة، ولم تقهر الأعداء.

ومن الفرق: **الخلفية**[٣] ، أصحاب خلف بن عمرو[٤]، وخالف الحمزية في القدر[٥]، ويرى أن أطفال المشركين في النار، ولا عمل لهم ولا ترك[٦] .

ومن الفرق: **الأطرافية**[٧] ، لقبوا بذلك لأنهم عذروا أهل الأطراف في ترك

(١) الحمزية: إحدى فرق العجاردة من الخوارج.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٧)، الفرق بين الفرق (ص ٩٨)، الملل والنحل (١/ ١٥٠)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٨)، الفرق المتفرقة (ص ١٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٨)، خبيئة الأكوان (ص ٣٨).

(٢) حمزة بن إدريس. هكذا في الأصل، وأشار في هامش المخطوط: حمزة بن أدرك، وهكذا عند الشهرستاني والعراقي وغيرهما.
وهو: حمزة بن أدرك الشامي، عاش بمنطقة سجستان، خرج في هذه المنطقة وهزم الجيوش وذلك في أواخر السنة الثانية.
انظر: تاريخ الطبري (٨/ ٢٦١-٢٧٣)، الكامل لابن الأثير (٦/ ١٦٨)، البداية والنهاية (١٠/ ١٨٦)، الخطط (٤/ ١٧٩).

(٣) الخلفية: إحدى فرق العجاردة من الخوارج.
انظر: التبصير في الدين (ص ٥٦)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٥٩)، الملل والنحل (١/ ١٥٠)، الفرق بين الفرق (ص ٩٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٨)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٥).

(٤) هو الذي اختلف مع حمزة بن إدريس وقاتله.
انظر: المواقف (٣/ ٧٠٢)، تلبيس إبليس (١/ ٢٠).

(٥) حيث أضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى.
انظر: الملل (١/ ١٥٠)، المواقف (٣/ ٧٠٢).

(٦) تقدم الكلام عن حكم أطفال المشركين.

(٧) الأطرافية: إحدى فرق العجاردة من الخوارج، رئيسهم غالب بن شاذك من أهل سجستان.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٥)، الفوائد =

ما لم يعرفوا من الشريعة إذا عرفوا ما يلزم بالعقل، وأثبتوا واجبات عقلية[١].

ومن الفرق: **الشعيبية**[٢]، أصحاب شعيب بن محمد[٣]، وهو على بدع الخوارج في الإمامة، والوعيد، وعلى بدع العجاردة، في حكم الأطفال والقعدة، والتولي والتبري.

ومن الفرق: **الحازمية**[٤]، أصحاب حازم بن علي، يقولون بالموافاة[٥]، وأن الله يجزي العباد بما هم صائرون إليه، وأنه تعالى لم يزل محباً لأوليائه مبغضاً

=

المجتمعة (ص ٥٩).

(١) أثبتوا الواجبات العقلية، كما هو مذهب القدرية المعتزلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ١٥١)، المواقف (٣/ ٣٥١)، درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٥٩).

(٢) الشُّعيّبية: إحدى فرق العجاردة من الخوارج.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٨)، الفرق بين الفرق (ص ٩٥)، الملل والنحل (١/ ١٥١)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٦٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٣)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٩)، خبيئة الأكوان (ص ٣٨).

(٣) شعيب بن محمد، كان مع ميمون من جملة العجاردة، إلا أنه برئ منه حيث أظهر القول بالقدر.

انظر: الملل والنحل (١/ ١٥١)، المواقف (٣/ ٦٩٥).

(٤) الحازمية: إحدى فرق العجاردة من الخوارج.

انظر: الملل والنحل للبغدادي (ص ٧٠)، الملل والنحل (١/ ١٥١)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٦٠)، الفرق بين الفرق (ص ٩٤)، الكشف والبيان (ص ٢٤٩)، الفوائد المجتمعة (ص ٥٩)، المقالات في بيان البدع (ص ٨٩)، خبيئة الأكوان (ص ٣٩).

(٥) مسألة الموافاة هي: أن الإيمان والمحبة والبغض إنما يكون ما مات عليه الإنسان، فيكون مؤمناً عند الله محبوباً له، أو كافراً مبغضاً له باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، فمن علم الله أنه يوافيه بالإيمان فإنه لا يزال محبوباً له حتى حال كفره، والعكس بالعكس.

انظر: كتاب الإيمان لشيخ الإسلام (ص ٢٢٧)، الفتاوى (٢/ ٤٢٩).

لأعدائه، ويتوقف في البراءة من علي دون غيره.

ومن الفرق: **الثعالبية**[١]، أصحاب ثعلبة بن عامر[٢]، يرى ولاية الطفل حتى يظهر عليه إنكار الخالق فيتبرأ منه، ويرى أخذ الزكاة من العبيد إذا استغنوا وإعطاءهم منها إذا افتقروا.

ومن الفرق: **الأخنسية**[٣]، أصحاب الأخنس بن قيس[٤]، يحرم الاغتيال[٥]، ولا يبدأ أحداً من أهل القتال بالقتال حتى يدعى إلى الدين، إلا من عرف

(١) كانوا مع عبد الكريم بن عجرد إلى أن وقع الخلاف بينهم في أمر الأطفال.
انظر: التبصير في الدين (ص ٥٧)، الفرق بين الفرق (ص ١٠٠)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٩)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦١)، الملل والنحل (١/ ١٥٢)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٧، ٨١)، الحور العين (ص ٢٢٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٠)، ذكر مذاهب الثنتين والسبعين لليافعي (ص ٤٦)، البرهان للسكسكي (ص ٢٦)، المقالات لابن كمال باشا (ص ٨٩).

(٢) انظر: الوافي بالوفيات (٣/ ٤٩١).

(٣) الأخنسية: فرقة من فرق الثعالبة، هم على أصول الخوارج في سائر المسائل، وانفردوا عنهم في المسائل التي ذكرها المؤلف، إضافة إلى التوقف في جميع من كان في دار التقية من أهل القبلة، إلا من عرف الإيمان فيتولونه عليه، أو كفر فيتبرؤون منه.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٠)، الفرق بين الفرق (ص ١٠١)، الملل والنحل (١/ ١٥٣)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٦٢)، الغنية للجيلاني (ص ١٧١)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٨)، تلخيص البيان للفخري (ص ٣١، ٥٢، ٦٦)، الحور العين (ص ٢٢٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٠)، ذكر مذاهب الثنتين والسبعين لليافعي (ص ٤٣)، رسالة في تفصيل الفرق لابن كمال باشا (ص ٩١)، خبيئة الأكوان (ص ٣٩).

(٤) الأخنس بن قيس، دعا قومه إلى القول بأن الخير والشر لا ينفع صاحبه في الآخرة، كان على مذهب الثعالبة في موالاة الأطفال ثم خنس عنهم. انظر: الخطط للمقريزي (٤/ ١٨٦)

(٥) الاغتيال: الإهلاك في خفية واحتيال. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٧٧)، الصحاح (٢/ ٣١).

بعينه أنه على خلاف دينه، ويرى تزويج المسلمات من كفار قومهم الذين كفرهم بالكبائر.

ومن الفرق: **المعبدية**، أصحاب معبد بن عبد الرحمن[١]، يجوزون كون سهام الصدقة سهماً واحداً في حال التقية.

ومن الفرق: **الرشيدية**[٢]، أصحاب الرشيد الطوسي، ويعرفون بالعشرية لقولهم بالعشر فيما سقي بالأنهار والقنى[٣] [٤]، وكان جبرياً مجسماً[٥].

ومن الفرق: **المكرمية**[٦]، أصحاب المكرم العجلي[١]، يقول

(١) المعبدية: أصحاب معبد بن عبد الرحمن، كان من جملة الثعالبة، خالف الأخنس في مسائل. انظر: الملل والنحل (١/ ١٥٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٦٢)،خبيئة الأكوان لصديق حسن (٣٩).

(٢) الرشيدية: فرقة في الأصل من فرق الثعالبة.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨١)، الفرق بين الفرق (ص ١٠٢)، الملل والنحل (١/ ١٥٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٣)، الفوائد المجتمعة (ص ٦١)، الحور العين (ص ٢٢٦)، مختصر الفرق (ص ٨٦)، البرهان (ص ٢٦).

(٣) القنى: هي القناة التي يجري فيها الماء في باطن الأرض.انظر: المخصص لابن سيده (٢/ ٢٤)، تاج العروس (٣٩/ ٣٥٠).

(٤) والأصل نصف العشر، لحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «وفيما سقي بالسانية نصف العشر» رواه مسلم (٢/ ٦٧٥) رقم ٩٨١، كتاب الزكاة، باب ما فيه العشر أو نصف العشر.

(٥) أي يقول بالجبر والتجسيم.

(٦) المكرمية: فرقة في الأصل من فرق الثعالبة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٢)، التبصير التبصير في الدين (ص ٥٨)، الفرق بين الفرق (ص ١٠٣)، الملل والنحل (١/ ١٥٥)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٦٣)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٢)، الحور العين (ص ٢٢٦)، خبيئة الأكوان (ص ٤٠)، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب للسمعاني (ص =

بالموافاة [٢] كالحازمية [٣]، ويرى أن مرتكب الكبيرة كافر بجهله بالله حال ارتكابه.

ومن الفرق: **الشيبانية** [٤]، أصحاب شيبان ابن سلمة [٥]، وكان جبرياً وخارجياً، ويقول: إن الله إنما علم بعد أن خلق له علماً، وأنه إنما يعلم الأشياء عند حدوثها.

ومن الفرق: **الحفصية** [٦]، أصحاب حفص بن أبي المقدام [٧]، يرى أن

=

٧٥).

(١) ذكره الشهرستاني أنه مكرم بن عبد الله العجلي، وأنه كان من جملة الثعالبة، ثم تفرد عنهم، وفي التبصير ذكره بأبي مكرم.
انظر: الملل (١/ ١٥٥)، التبصير (ص ٥٨).

(٢) الموافاة: تقدم الكلام عنها، وأن المقصود بها بأن الله يتولى عباده أو يعاديهم بناء على ما هم صائرون إليه من موافاة الموت، لا على أعمالهم التي هم فيها.

(٣) الحازمية: تقدم الكلام عنها قريباً.

(٤) الشيبانية: إحدى فرق الثعالبة.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٠)، التبصير في الدين (ص ٥٧)، الفرق بين الفرق (ص ١٠٢)، الملل والنحل (١/ ١٥٤)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٥)، المواقف (ص ٤٢٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٩)، خبيئة الأكوان (ص ٣٩).

(٥) شيبان بن سلمة السدوسي الحروري، أول من أظهر مذهب التشبيه، قتل سنة ١٣٠ هـ.
انظر: تاريخ الطبري (٩/ ١٠٢)، الخطط (١/ ٣٥٥).

(٦) فرقة من فرق الإباضية من الخوارج.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٣)، التبصير في الدين (ص ٥٨٢)، الفرق بين الفرق (ص ١٠٤)، الملل والنحل (١/ ١٥٨)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٦)، الحور العين (ص ٢٢٩)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٢)، خبيئة الأكوان (ص ٤٠).

(٧) في المواقف: أبو حفص بن أبي المقدام، كان ينفي الصفات، ويشكك في سائر عقائد
=

بين الإيمان والشرك منزلة هي معرفة الله فقط، ونقل عنه القول بالمثل الأفلاطونية[١].

ومن الفرق: **اليزيدية** [٢]، أصحاب يزيد بن أنيسة، زعم أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً كتبه في السماء على ملة الصابئة[٣]،

=

المسلمين، ويقول: لا أدري لعل سرائرهم شرك وكفر، ويتأول كثيراً من الآيات القرآنية أن المقصود بها علي بن أبي طالب.

انظر: المواقف (٣/ ٦٩٤)، الفهرست لابن النديم (ص ٢٢٩).

(١) المثل الأفلاطونية: هي الكليات المجردة عن الأعيان، وإثبات هذه الكليات في الخارج، مثل: الإنسان المطلق، والحيوان المطلق.أو هي: الماهيات المجردة، والهيولى المجردة، والمدة المجردة، والخلاء المجرد.

انظر: الملل والنحل (٢/ ٨٧)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨٦) (٥/ ١٧٤)، مدخل إلى الفلسفة لإمام عبد الفتاح (ص ٢٥٤)، الفكر الفلسفي لمحمد نصار (ص ٩٧).

(٢) اليزيدية إحدى فرق الإباضية من الخوارج.

انظر: التبصير في الدين (ص ١٤٠)، مقالات الإسلاميين (١/ ٨٤)، الفرق بين الفرق (ص ٢٧٩)، الملل والنحل (١/ ١٥٨)، المواقف (١/ ١٣٣)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٧٠)، الفرق المتفرقة (ص ٢٨)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (٢/ ٣٨)، تلخيص البيان للفخري (ص ٣١، ٥٢، ٧٠)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٢)، الحور العين (ص ٢٢٩)، رسالة في بيان الفرق الضالة (ص ١٨٤)، خبيئة الأكوان (ص ٤٠).

(٣) الصابئة: الصابئة قسمان: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، وهم الذين ينكرون الخالق ويعبدون الكواكب، ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم، ولعلهم الذين بعث إليهم الخليل عليه الصلاة والسلام، وقد جاء ذكرهم في القرآن مع الأمم التي تنقسم كل أمة منهم إلى مؤمن وكافر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٠٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٠)، البرهان في

=

وتولى من شهد الرسول من أهل الكتاب وإن لم يدخل في دينه، وكل الذنوب عنده شرك، وتولى المحكمة الأولى [١]، وتبرى ممن بعدهم إلا الإباضية.

ومن الفرق: **الصفرية**[٢]، أصحاب زياد ابن الأصفر[٣]، يرى أن كل ما كان من الأعمال عليه حد كالزنا والقذف فيسمى به فاعله لا كافراً ولا مشركاً. وما كان من الكبائر لا حد فيه كترك [الصلاة][٤] فيكفر به، ويرى أن الشرك شركان، عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان.

ويرى أن الكفر كفران: إنكار الربوبية، وإنكار النعمة.

والبراءة براءتان: من أهل الجحود فريضة، ومن أهل الحدود سنة.

ومن الفرق: **المرجئة**[٥] ، القائلون: أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا

=

معرفة عقائد أهل الأديان (ص ٩٢)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٩).

(١) المحكمة الأولى: اسم من أسماء الخوارج الأوائل، وذلك بسبب قولهم بعد قصة التحكيم: لا حكم إلا لله.

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٧٤)، الملل والنحل (١/ ١١٥).

(٢) فرقة من فرق الخوارج.

انظر: التنبيه والرد (ص ٦٧، ١٨٨)، الفرق بين الفرق (ص ٩٠)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٢، ١٩٧)، الملل والنحل (١/ ١٥٩)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٦٨)، الكشف والبيان للقلهاني (ص ٢٤٥)، الأوسط في المقالات للناشئ الأكبر (ص ٦٨)، الحور العين (ص ٢٣١)، تلخيص البيان (ص ٣١، ٥٢، ٦٠)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين (ص ٣٩)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٣)، خبيئة الأكوان (ص ٣٨).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٤/ ٤٩٤)، الأعلام (٤/ ٩٣)، اللباب (٢/ ٥٨).

(٤) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل، وما أثبت من كتاب الملل والنحل، والفوائد المجتمعة.

(٥) المرجئة: من الإرجاء وهو التأخير، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]، سموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل: سموا بذلك =

ينفع مع الكفر طاعة.

وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة فلا يقضى عليه بجنة أو نار.

والوعيدية مقابل هذه الفرقة[١].

ومن الفرق: **النميرية**[٢]، أصحاب يونس النميري، عنده الإيمان: هو

=

لإعطائهم الرجاء، حيث قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية.انظر: التبصير في الدين (ص ٥٩)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢١١)، التنبيه والرد (ص ٥٧، ١٥٥)، الفرق بين الفرق (ص ٢٠٢)، الملل والنحل (١/ ١٦١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٠٧)، الأوسط في المقالات (ص ٢٠، ٢١، ٦٢، ٦٤، ٩١)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٨١، ٨٦)، الحور العين (ص ٢٥٧)، عقائد الثلاث والسبعين (٢/ ٢٧١)، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين (ص ١٣٢)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٤)، المقالات لابن كمال (ص ٨٥، ٨٧، ١٨٨)، خبيئة الأكوان (ص ٢٥).

(١) الوعيدية: هم القائلون بوجوب إنفاذ الله وعيده في أهل الكبائر، وهم الخوارج والمعتزلة، ممن أخرجوا مرتكب الكبيرة عن الإيمان، وسلبوه مطلق الإيمان وحكموا عليه في الآخرة بالخلود في النار. وأنكروا نصوص الشفاعة. وقيل سموا بذلك لأنهم أعملوا نصوص الوعيد، وأهملوا نصوص الوعد.

انظر: رفع الاستار (١/ ١٢١)، شرح الواسطية لهراس (ص ٢٤٨)، نهاية الإقدام (ص ١٦٦)، فرق معاصرة للعواجي (٣/ ٢٠٢).

(٢) النميرية: هذا الاسم غلب على النصيرية، نسبة لمؤسسها «محمد بن نصير النميري»، والغالب أنها تسمى «نصيرية».

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦)، التبصير في الدين (ص ١٢٩)، الفرق بين الفرق (ص ٢٥٢).

أما الفرقة التي أشار إليها المصنف، وهي من فرق المرجئة، فتسمى عند أكثر أصحاب المقالات بـ «اليونسية» نسبة إلى يونس بن عون النميري.

انظر: الفرق بين الفرق (ص ٧٠، ٢٠٢)، الملل والنحل للبغدادي (ص ١٢٩)، الملل والنحل (١/ ١٦٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٩٨، ١٠٧)، الغنية للجيلاني (ص ١٩٨)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٤)، تلخيص البيان (ص ٢٦، ٣٢، ١٨٨)، خبيئة الأكوان (ص ٢٤، ٢٦، ٣٥)، عقائد الثلاث والسبعين (٢/ ٢٨٦).

المعرفة بالله والخضوع له وإخلاص المحبة، وما سوى المعرفة من الطاعة فلا يضر تركه، وزعم أن إبليس إنما كان عارفاً بالله، وإنما كفر باستكباره، ودخول الجنة بالإيمان لا بالعمل والطاعة.

ومن الفرق: **العبيدية**(١) ، أصحاب عبيد الملتهب(٢)، يقول: بالإرجاء والتشبيه(٣).

ومن الفرق: **الغسانية**(٤) ، أصحاب غسان الكوفي(٥)، يرى أن الإيمان: المعرفة بالله وبرسوله، وما أنزل جملة لا تفصيلاً، وأنه يزيد ولا ينقص(٦)،

---

(١) العبيدية: من فرق المرجئة، زعموا أن ما دون الشرك مغفور لا محالة ، وإذا مات العبد على توحيده لا يضره أي ذنب اقترفه.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٦٣)، المواقف (٣/ ٧٠٥، ٧٠٧)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٨٢)، كيد الشيطان لابن الجوزي (ص ٧١، ١٤٧)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٥).

(٢) في الملل: عبيد المكتئب، وفي الانتصار: عبيد المكبت، وفي المواقف: عبيد المكذب، وفي لوامع الأنوار (١/ ٨٩): عبيد المكتب، وكذا في تهذيب التهذيب (٧/ ٧٤)، وفي الفوائد الملتهب ولعله هو الذي يتوافق مع ما ذكره المؤلف.

(٣) حيث زعم أن الله – تعالى – على صورة إنسان.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٦٣).

(٤) الغسانية: فرقة من فرق المرجئة.
انظر: التبصير في الدين (ص ٩٨)، الفرق بين الفرق (ص ٢٠٣)، الملل والنحل للبغدادي (ص ١٤٠)، الملل والنحل (١/ ١٦٣)، المواقف (٣/ ٧٠٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ١٠٧)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٨٣)، كيد الشيطان لابن الجوزي (ص ١٤٨)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٥)، خبيئة الأكوان (ص ٢٦).

(٥) غسان الكوفي المرجئ زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢١).

(٦) وكذا في الفرق بين الفرق، والمواقف، والتبصير في الدين، أما في الملل والنحل، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين فإن العبارة جاءت هكذا «لا يزيد ولا ينقص» =

ونقل عنه إنكار نبوة عيسى – عليه الصلاة والسلام –.

ومن الفرق: **التومنية**[١] ، أصحاب أبي معاذ التومني[٢]، يرى أن الإيمان ما عصم من الكفر، وهو مجموع المعرفة بالله، والتصديق والمحبة والإقرار والإخلاص بما جاء به الرسول.

ونقل أن ابن الراوندي[٣] كان يميل إلى هذا الرأي.

ومن الفرق: **الصالحية**[٤] ، أصحاب صالح بن عمرو، يقول بالإرجاء والتشبيه، ويرى أن الإيمان هو معرفة الله تعالى على الإطلاق، والكفر هو

=

وفق مذهب جمهور المرجئة.

(١) التومنية: من فرق المرجئة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢١)، الفرق بين الفرق (ص ٢٠٣)، الملل والنحل (١/ ١٦٦)، كيد الشيطان(ص ١٥٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٨٥)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٥).

(٢) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة، ينتسب إلى قرية من قرى مصر.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٦)، التبصير في الدين (ص ٩٨)، الأنساب للسمعاني (٣/ ١١١).

(٣) ابن الراوندي: هو أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسن الراوندي، رمي بالإلحاد والزندقة. قال ابن الجوزي: «معتمد الملاحدة والزنادقة». اهـ، وقال الصفدي: «كان من متكلمي المعتزلة، ثم فارقهم، وصار ملحداً زنديقاً، وقد ألف كتاباً في الطعن على الإسلام والأنبياء والقرآن». اهـ. مات سنة ٢٩٨ هـ.

انظر: المنتظم (٦/ ٩٩)، البداية والنهاية (١١/ ١٢٧)، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٣٢).

(٤) الصالحية: إحدى فرق المرجئة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٤)، الفرق بين الفرق (ص ٣٣)، الملل والنحل (١/ ١٦٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٧٨)، كيد الشيطان (ص ١٢٣)، الكشف والبيان للقلهاني (ص ٢٤٠، ٢٨٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٢٣)، تلخيص البيان (ص ٢٥، ٣٢، ١٠٨، ١١٣، ١١٥)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (٢/ ٤٥٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٦).

الجهل به على الإطلاق.

ومن الفرق: **المنصورية**[١]، أصحاب أبي منصور العجلي[٢]، ادعى الإمامة، وأنه عرج به إلى السماء، وأن معبوده مسح على رأسه، وقال له: يا بني انزل فبلغ عني، وأنه الكسف الساقط[٣].

ومن الفرق: **الهشامية**[٤]، أصحاب هشام بن الحكم[١]، صاحب المقالة في

---

(١) المنصورية: إحدى فرق غلاة الشيعة، وإضافة إلى ما ذكره المصنف فقد أباحوا الزنا واللواط، ولهم أقوال شنيعة.
انظر: التنبيه والرد (ص ١٦٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ٧٤)، التبصير في الدين (ص ١٢٥)، الملل والنحل (١/ ٢٠٩)، المقالات والفرق للقمي (ص ٤٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٨٨)، كيد الشيطان لابن الجوزي (ص ٩٧)، الفرق بين الفرق (ص ٢٤٣)، فرق الشيعة للنوبختي (ص ٣٤)، الغنية للجيلاني (ص ١٨٣)، الأوسط لناشئ الأكبر (ص ٤٠)، الفرق الإسلامية للكرماني (ص ٣٩)، تلخيص البيان للفخري (ص ٣٢، ١١٦، ١٢٣)، الحور العين للحميري (ص ٢٢٢)، الفرق المفترقة للعراقي (ص ٤١)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (٢/ ٤٧١)، ذكر مذاهب الثنتين والسبعين لليافعي (ص ٨٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٦)، البرهان للسكسكي (ص ٧٦)، رسالة في بيان الفرق الضالة (ص ١٨١)، خبيئة الأكوان (ص ٣٤).

(٢) أبو منصور العجلي: رجل من عبد القيس، أميّ نشأبالبادية ادعى أنه وصي محمد بن علي بن الحسين، ثم ادعى النبوة، إلى أن صلبه يوسف الثقفي. انظر: الفرق بين الغرق (ص٢٤٣)، الملل والنحل (١/ ٢٠٩).

(٣) ادعى ذلك أولاً لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فزعم أنه الكسف الساقط في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ [الطور: ٤٤]، ثم ادعاها لنفسه كما ذكر المصنف.
انظر: الملل والنحل (٢٠٩-٢١٠).

(٤) الهشامية: إحدى فرق الغلاة من الرافضة، وقد نسبها الشهرستاني إلى ما اسماه بالهشاميين: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي.
انظر: التبصير في الدين (ص ٢٩)، التنبيه والرد (ص ٣٦)، الفرق بين الفرق (ص ١٥٩)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٣٨، ٩٧)، الملل والنحل (١/ ٢١٦)، الفرق الإسلامية =

التشبيه، والرد على أهل التنزيه، وهشام بن سالم[٢] نهج على منواله.

ومن الفرق: **النعمانية**[٣]، أصحاب النعمان بن جعفر، الملقب بشيطان الطاق[٤]، يشبه، ويرى أن الله سبحانه وتعالى إنما يعلم الأشياء بعد كونها،

=

للكرماني (ص ٢١، ٤٤)، الأوسط في المقالات (ص ٥٥، ٥٦)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٧)، البرهان (ص ٦٢)، خبيئة الأكوان (ص ١٨، ٣٣).

أما الهشامية الذين تقدم ذكرهم في (ص١٩) فهم من فرق المعتزلة وليسوا في الغلو كحال هؤلاء.

(١) هشام بن الحكم الرافضي، أبو محمد، كان شيخ الإمامية في وقته، من غلاة المشبهة، زعم أن ربه طوله سبعة أشبار بأشبار نفسه، وأنه لم يعلم شيئاً في الأزل فأحدث لنفسه علماً، ذكر الذهبي أن له مؤلفات كثيرة، توفي نحو سنة ١٩٠ هـ.

انظر: لسان الميزان (٦/ ١٩٤)، السير (١٠/ ٥٤٣)، الفهرست (ص ٢٢٣)، الأعلام (٨/ ٨٥).

(٢) هشام بن سالم الجواليقي، أبو محمد وأبو الحكم، مولى بشر بن مروان، من شيوخ الرافضة، ورأس من رؤوس التشبيه والتجسيم، كان يزعم أن معبوده على صورة إنسان، ولكن نصفه الأسفل مصمت، ونصفه الأعلى مجوف، وله شعر أسود - تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً -، قال عنه البغدادي: «هذا الجواليقي مع رفضه على مذهب الإمامية، مفرط في التجسيم والتشبيه».

انظر: الفرق بين الفرق (ص٥١-٥٢)، مقالات الإسلاميين (ص٢٠٩)، الفهرست (ص ٢٠٥).

(٣) النعمانية: إحدى فرق الرافضة الغلاة، وتسمى الشيطانية.

انظر: التبصير في الدين (ص ٤٠)، الفرق بين الفرق (ص ٧١)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ٩٩)، الملل والنحل (١/ ٢١٨)، كيد الشيطان (ص ١٠٢)، الفوائد المجتمعة (ص ٦٧)، المقالات لابن كمال باشا (ص ١٠٤)، خبيئة الأكوان (ص ٢٢، ٣٥).

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب: أن اسمه، محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي، أبو جعفر الملقب بشيطان الطاق - نسبة إلى سوق الطاق المحامل في الكوفة كان يجلس للصرف بها - يقال إن الرافضة سموه: مؤمن الطاق. كان له مناظرات مع الإمام أبي حنيفة. له أقوال شنيعة في التشبيه.

انظر: لسان الميزان (٥/ ٣٠٠-٣٠١)، الملل والنحل (١/ ٢١٨).

والتقدير عنده الإرادة.

ومن الفرق: **الحلولية**[(١)] **والاتحادية**[(٢)]، ومقالتهم متقاربة إلا أن تصورها عسر، فيقال: إن الحلولية يدعون حلول القدس في قلوبهم عند نهاية العرفان والتجرد، والحسين بن منصور الحلاج[(٣)] يقال عنه هذه

---

(١) الحلولية: هم الذين يزعمون أن الله يحل في بعض العباد، أو كما يقول النصارى: «حلول اللاهوت في الناسوت»، وهذا المذهب قد انتحله بعض الفرق، منهم غلاة الصوفية، واشتهر هذا القول عن الحلاج الذي يروى عنه أنه قال: «من هذب نفسه بالطاعة، وصبر عن الشهوات والملذات، وارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه شيء من البشرية حظ، حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم، ولم يرد شيئاً إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله تعالى». وقال: «أنا الحق وسبحاني».
انظر: أخبار الحلاج (ص ٧٣، ٩٣، ١٠٨)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٢٠١)، المعجم الفلسفي (ص ٥٧)، مقالات الإسلاميين (ص ٢٨٨)، الفرق بين الفرق (ص ٢٤٦-٢٤٨)، التبصير في الدين (ص ٨٧)، اعتقادات فرق المسلمين (ص ١١٦)، الفتاوى (٢/ ١٧١-١٧٢، ٢٩٦-٢٩٩، ٤٨٠-٤٨٨).

(٢) الاتحادية: هم الذين يقولون: اتحاد الخالق بالخلق، وأن عين وجود الخالق هو عين وجود المخلوق، والفرق بين الحلول والاتحاد: أن الحلول يقبل الانفصال، بخلاف الاتحاد فإنه لا يقبل الانفصال، والحلول إثبات موجودين، أما الاتحاد فهو إثبات موجود واحد، ومذهب الحلول والاتحاد من أفسد المذاهب التي حدثت في هذه الأمة.
انظر: الصفدية (٢/ ٣٣٢-٣٣٨)، الفتاوى (٥/ ٤٦٥)، الكليات للكفوي (ص ٣٨٩)، التعريفات للجرجاني (ص ٩٢).

(٣) الحلاج: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، ولد بفارس لرجل زرادشتي، من أشهر من قال بالحلول والاتحاد، كفره أهل العلم لشناعات نقلت عنه، قتل سنة ٣٠٩ هـ، قال عنه الذهبي: «تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه».انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣)، وفيات الأعيان (٢/ ١٤٠)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٤٨)، البداية والنهاية (١١/ ١٣٢)، لسان الميزان (٢/ ٣١٤)، الفهرست =

المقولة[1] .

ويقال: إن الاتحادية يدعون اتحاد من العبد بالمعبود عند نهاية عبادته.

وبالجملة فالتعبير عن مذهبهم مستحيل، فكيف بحقيقته.

فهذه الآراء المشهورة والمقالات المذكورة، والله هو الحق، وهو يهدي السبيل.

علقها أبو ذر غفر الله له ولوالديه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

=

(١/ ١٩٠)، شذرات الذهب(٢/ ٢٥٣)، الأعلام (٢/ ٢٦٠)، المختصر في أخبار البشر (١/ ١٩٦).

(١) فقد نقل عنه أنه قال:

أأنت أم أنا هذا في إلهين حاشاك حاشاك من إثبات اثنين

قال عبيد الله بن طاهر: «كان الحلاج مشعبذاً محتالاً، يدعي عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول، ويظهر التشيع للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة، يدعي أن الإلهية حلت فيه».

قال الفقيه أبو علي بن البناء: «كان الحلاج ادعى أنه إله، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت».

انظر: أخبار الحلاج (ص ٥٧)، السير (١٤/ ٣١٨).

فهرس المراجع والمصادر

١) **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية** لابن بطة، ت / رضا نعسان، ط الأولى ١٤٠٩ هـ، دار الراية للنشر والتوزيع.

٢) **إبطال التأويلات** للقاضي أبي يعلى، ت / محمد النجدي، ط الأولى ١٤١٠ هـ، مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع.

٣) **أحاديث يحتج بها الشيعة**، لعبد الرحمن دمشقية، ط الأولى.

٤) **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، ترتيب: علاء الدين الفارسي، تقديم: كمال الحوت، ط الأولى ١٤٠٧ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥) **أحكام أهل الذمة** لابن القيم، ت / صبحي الصالح، ط دار العلم للملايين.

٦) **الأحكام في أصول الأحكام** لابن حزم، ت / أحمد شاكر، ط مطبعة الإمام بمصر.

٧) **الإرشاد** للجويني، ت / محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم، ط ١٣٦٩ هـ، مطبعة السعادة.

٨) **أساس التقديس** للرازي – **مع كتاب الدرة الفاخرة**، ط ١٣٢٨ هـ، كردستان العلمية.

٩) **الاستقامة** لشيخ الإسلام، ت / محمد رشاد سالم، ط الأولى ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام.

١٠) **الأسماء والصفات** للبيهقي، ت / عماد الدين أحمد حيدر، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

١١) **أصول الدين** للبغدادي، ط الثالثة ١٤٠١ هـ، دار الكتب العلمية –

بيروت.

١٢) **الأصول والفروع** لابن حزم، صححه جماعة من العلماء، ط الأولى ١٤٠٤ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣) **أصول وتاريخ الفرق**، جمع وترتيب: مصطفى بن محمد بن مصطفى.

١٤) **الاعتصام** للشاطبي، ط ١٤٠٢ هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٥) **الاعتقاد** للبيهقي، تصحيح: أحمد محمد مرسي، ط المطبعة العربية - باكستان.

١٦) **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** للرازي، مراجعة: علي النشار، ط ١٤٠٢ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧) **الاعتقادات** لابن بابويه، مصورة عن الطبعة العراقية الثانية.

١٨) **الأعلام**، للزركلي، ط الخامسة ١٩٨٠ م، دار العلم للملايين.

١٩) **إغاثة اللهفان** لابن القيم، ت / محمد حامد الفقي، الناشر دار المعرفة - بيروت.

٢٠) **اقتضاء الصراط المستقيم**، لشيخ الإسلام، ت / ناصر العقل، ط الأولى - بيروت.

٢١) **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، للباقلاني، ت / حيدر، ط الأولى ١٤٠٧ هـ، عالم الكتب.

٢٢) **أوائل المقالات** للمفيد. ت/ إبراهيم الأنصاري ط الثانية دار المفيد، بيروت.

٢٣) **الأوسط في المقالات** للناشئ الأكبر.

٢٤) **الإيمان** لشيخ الإسلام، ط الثانية ١٣٩٢ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٥) **البداية والنهاية** لابن كثير، مصورة عن ط الأولى ١٩٦٦ م، الناشر مكتبة المعارف.

٢٦) **بدائع الفوائد** لابن القيم، تصحيح وتعليق: إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٧) **البدع والحوادث** للطرطوشي. ط الثالثة المكتب الإسلامي

٢٨) **البرهان في عقائد أهل الأديان** للسكسكي، ت / بسام سلامة، ط الأولى ١٤٠٨ هـ، مكتبة المنار – الأردن.

٢٩) **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد** لشيخ الإسلام، ت / موسى الدويش، ط الأولى ١٤٠٨ هـ، مكتبة العلوم والحكم.

٣٠) **تاج العروس** للزبيدي، ت / مصطفى حجازي، ط الثانية ١٤٠٧ هـ، مطبعة حكومة الكويت.

٣١) **تاج العروس** للزبيدي، ط دار مكتبة الحياة.

٣٢) **تاريخ الإسلام** للذهبي، ت / مجموعة من المحققين، ط الثانية ١٤٠٩ هـ، دار الكتاب العربي.

٣٣) **تاريخ الطبري**، ت / محمد أبو الفضل، دار سويدان – بيروت.

٣٤) **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٥) **تأويل مختلف الحديث** لابن قدامة، دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٦) **التبصير في الدين** للأسفراييني، ت / محمد زاهد الكوثري، ط الأولى ١٣٥٩ هـ، مطبعة الأنوار.

٣٧) **تخريج أحاديث الإحياء** للعراقي.استخراج محمود الحداد ط الأولى

دار العاصمة

٣٨) **التدمرية** لشيخ الإسلام، ت / السعوي، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، شركة العبيكان.

٣٩) **تذكرة الحفاظ** للذهبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠) **التسعينية** لشيخ الإسلام، ت / محمد العجلان، ط الأولى ١٤٢٠ هـ، دار المعارف - الرياض.

٤١) **التعريفات** للجرجاني، ط الثالثة ١٤٠٨ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢) **تعظيم قدر الصلاة** للمروزي، ت / عبد الرحمن الفريوائي، ط الأولى ١٤٠٦ هـ، دار الأرقم للطباعة والنشر - مكتبة الدار.

٤٣) **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير، ت / عبد العزيز غنيم، محمد عاشور، محمد البنا.

٤٤) **تفسير الماوردي - النكت والعيون** -، ت / خضر محمد، ط الأولى ١٤٠٢ هـ، مطابع مقهوي - الكويت.

٤٥) **تلبيس إبليس** لابن الجوزي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٦) **تلخيص البيان** للفخري. ت/ رشيد البندر ط الأولى دار الحكمة.

٤٧) **تمام المنة**، جمع: وليد بن راشد السعدان. ط المكتب الإسلامي.

٤٨) **تمهيد الأوائل** للباقلاني، ت / عماد الدين أحمد حيدر، ط الأولى ١٤٠٧ هـ، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت.

٤٩) **التنبيه والرد** للملطي، تقديم وتعليق / محمد الكوثري، ط ١٣٨٨ هـ، مكتبة المثنى - بغداد.

٥٠) **تهذيب التهذيب** لابن حجر، مصورة عن ط الأولى ١٩٦٨ م - بيروت.

٥١) **تهذيب الكمال** للمزي، ط الأولى ١٤٠٢ هـ، دار المؤمن للتراث – دمشق.

٥٢) **الجواب الصحيح** لشيخ الإسلام، ت / علي حسن، العسكر، الحمدان، ط الأولى ١٤١٤ هـ، دار العاصمة – بيروت.

٥٣) **جواب أهل العلم والإيمان** لشيخ الإسلام، تصحيح: محب الدين الخطيب، ط الثالثة ١٤٠٥ هـ، المطبعة السلفية.

٥٤) **الحجة في بيان المحجة** للأصبهاني، ت / محمد أبو رحيم، محمد المدخلي، ط الأولى ١٤١١ هـ، دار الراية للنشر والتوزيع.

٥٥) **حلية الأولياء** لأبي نعيم، ط الثالثة ١٤٠٠ هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

٥٦) **الحموية الكبرى** لشيخ الإسلام، ت / التويجري، ط الأولى، دار الصميعي.

٥٧) **الحور العين** لأبي سعيد نشوان الحميري الزيدي.

٥٨) **خبيئة الأكوان** لمحمد صديق حسن خان، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٩) **الخطط** للمقريزي – المواعظ والاعتبار، دار صادر – بيروت.

٦٠) **الخوارج** لغالب عواجي.

٦١) **درء تعارض العقل والنقل** لشيخ الإسلام، ت / محمد رشاد سالم، ط الأولى ١٣٩٩ هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦٢) **الدرر المنثور** للسيوطي، ط الأولى ١٤٠٣ هـ، دار الفكر – بيروت.

٦٣) **دلائل النبوة** للبيهقي، تعليق: عبد المعطي قلعجي، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٤) **ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين** لليافعي، ت / محموس الدويش، ط الأولى، دار البخاري للنشر والتوزيع.

٦٥) **رسالة في بيان الفرق الضالة** لابن كمال باشا.

٦٦) **روضة الناظر** لابن قدامة، ط الثانية ١٤٠٤ هـ، مكتبة المعارف – الرياض.

٦٧) **زاد المسير في علوم التفسير** لابن الجوزي، ط المكتب الإسلامي – بيروت.

٦٨) **سلسلة الأحاديث الصحيحة** للألباني، منشورات المكتب الإسلامي.

٦٩) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة** للألباني، ط الأولى ١٤٠٨ هـ، مكتبة المعارف.

٧٠) **السنة** لابن أبي عاصم، ط الأولى ١٤٠٠ هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

٧١) **السنة** لابن نصر، ت / سالم السلفي، ط: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

٧٢) **السنة** لعبد الله بن الإمام أحمد، ت / محمد القحطاني، ط الأولى ١٤٠٦ هـ، دار القيم.

٧٣) **السنة** للخلال، ت / عطية الزهراني، ط الأولى ١٤١٠ هـ، دار الراية للنشر والتوزيع.

٧٤) **السنة** للمروزي، تخريج وتعليق سالم السلفي، ط الأولى ١٤٠٨ هـ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

٧٥) **سنن ابن ماجة**، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٣٩٥ هـ، دار إحياء التراث العربي.

٧٦) **سنن أبي داود**، تعليق: الدعاس، ط الأولى ١٣٨٨ هـ، نشر وتوزيع: محمد علي السيد.

٧٧) **سنن الترمذي**، ت / أحمد شاكر، الناشر: المكتبة الإسلامية.

٧٨) **سنن الدارمي**، طبع بعناية: محمد أحمد دهمان، دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٩) **السنن الكبرى**، للبيهقي، دار الفكر.

٨٠) **سنن النسائي**، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨ هـ.

٨١) **سير أعلام النبلاء**، ت / جماعة من العلماء، ط الأولى ١٤٠١ هـ، مؤسسة الرسالة.

٨٢) **السيل الجرار** للشوكاني، ت / محمود زايد، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، بيروت.

٨٣) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، ط الثانية ١٣٩٩ هـ، دار المسيرة – بيروت.

٨٤) **شذرات الذهب** لابن العماد الحنبلي، ط الثانية ١٣٩٩ هـ، دار المسيرة – بيروت.

٨٥) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، اللالكائي، ت / أحمد سعد حمدان، ط الأولى ١٤٠٩ هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٨٦) **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبار، ت / عبد الكريم عثمان، ط الثانية ١٤٠٨ هـ، أم القرى للطباعة والنشر، مكتبة وهبة – مصر.

٨٧) **شرح الأصول الخمسة** للقاضي عبد الجبار، تعليق / الإمام أحمد بن الحسين، ت / عبد الكريم عثمان، ط الثانية ١٤٠٨ هـ، أم القرى – مكتبة وهبة.

٨٨) **شرح العقيدة الطحاوية** لابن أبي العز الحنفي، ت / عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، ط الأولى ١٤٠٨ هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٨٩) **شرح الفقه الأكبر** لملا علي القاري، ط الأولى ١٤٠٤ هـ، دار الكتاب

العلمية – بيروت.

٩٠) **شرح الواسطية** لهراس، ضبط وتخريج: علوي السقاف، ط الأولى ١٤١١ هـ، دار الهجرة.

٩١) **شرح جوهرة التوحيد** للبيجوري، ط الأولى ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٢) **شرح وبيان الثنتين والسبعين** لأبي الثناء شرف الدين البلخي.

٩٣) **الشريعة** للآجري، ت / محمد حامد الفقي، ط الأولى ١٤٠٣ هـ، مطابع الأشراف.

٩٤) **الشيعة والتشيع فرق وتاريخ**، لإحسان إلهي ظهير، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٩٥) **صحيح البخاري – مع فتح الباري**، ت / الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٩٦) **صحيح مسلم**، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، ط الثانية ١٣٩٨ هـ، دار الفكر – بيروت.

٩٧) **الصواعق المرسلة** لابن القيم، ت / علي الدخيل الله السويلم، ط الأولى ١٤٠٨ هـ، دار العاصمة – الرياض.

٩٨) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، للسخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٩٩) **طبقات الحنابلة** لأبي يعلى، الناشر دار المعرفة – بيروت.

١٠٠) **الطبقات الكبرى** لابن سعد، دار صادر – بيروت.

١٠١) **الطبقات الكبرى** للشعراني، ط ١٢٨٦ هـ – حجرية قديمة.

١٠٢) **طبقات المعتزلة** لأحمد بن يحيى المرتضى، ط دار الحياة – بيروت.

١٠٣) **طريق الهجرتين** لابن القيم، تصحيح: محب الدين الخطيب، ط الثالثة ١٤٠٠ هـ، المطبعة السلفية.

١٠٤) **عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث** الفتنة لسليمان العودة، ط دار طيبة.

١٠٥) **العبر في خبر من غبر**، للذهبي، ت / زغلول، ط الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٦) **العظمة** لأبي الشيخ الأصبهاني، ت / رضاء الله بن محمد إدريس، ط الأولى ١٤٠٨ هـ، دار العاصمة – الرياض.

١٠٧) **عقائد الثلاث والسبعين فرقة**.

١٠٨) **عقيدة السلف أصحاب الحديث** للصابوني، ت / بدر البدر، ط الأولى ١٤٠٤ هـ، الناشر الدار السلفية – الكويت.

١٠٩) **العلم الشامخ** للحقبلي، ط دار الحديث – بيروت.

١١٠) **العلو للعلي الغفار** للذهبي، تقديم وتصحيح / عبد الرحمن عثمان، ط الثانية ١٣٨٨ هـ، مطبعة العاصمة – القاهرة.

١١١) **العواصم من القواصم**، لابن العربي، ت / محب الدين الخطيب، ط المطبعة السلفية.

١١٢) **الغنية** للجيلاني، ط ١٣٢٢ هـ، المطبعة الإسلامية – لاهور.

١١٣) **الغنية** للجيلاني – مع كتاب فتوح الغيب، ط ١٣٢٢ هـ، المطبعة الإسلامية – لاهور.

١١٤) **الفرق الإسلامية** للكرماني – **ذيل كتاب شرح المواقف**.

١١٥) **فرق الشيعة** للنونجتي، ط ١٤٠٤ هـ، دار الأضواء – بيروت.

١١٦) **الفرق المفترقة** لأبي محمد عثمان بن عبد الله العراقي.

١١٧) **الفرق بين الفرق** للبغدادي، ط الثالثة ١٩٧٨ م، منشورات دار الأفاق - بيروت.

١١٨) **الفرق وأصناف الكفرة** للعراقي - رسالة ماجستير، ت / عبد الله العمر، جامعة الإمام ١٤٠٩ هـ.

١١٩) **الفصل** لابن حزم، ط الثانية ١٣٩٥ هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٢٠) **فضائح الباطنية** للغزالي، ط مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت.

١٢١) **فضل الاعتدال وطبقات المعتزلة** للبلخي، والقاضي عبد الجبار، والجشيمي، ت / فؤاد سيد، ط الدار التونسية.

١٢٢) **الفهرست** لابن النديم، ط دار المعرفة - بيروت.

١٢٣) **فوات الوفيان** للكتبي، ت / إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

١٢٤) **الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة**، لليازجي، تحقيق وتعليق أ.د يوسف السعيد، ط الأولى ١٤٢٤ هـ، دار أطلس.

١٢٥) **الفوائد** لابن القيم، ط الثانية ١٣٩٣ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٦) **فيض القدير** للمناوي، ط الثانية ١٣٩١ هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٢٧) **الكافي** لابن قدامة، ت / زهير الشاويش، ط الثانية ١٣٩٩ هـ، المكتب الإسلامي.

١٢٨) **الكامل في التاريخ** لابن الأثير، ط ١٣٨٦ هـ، دار صادر - بيروت.

١٢٩) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، ط ١٤٠٢ هـ، دار الفكر.

١٣٠) **الكشف والبيان** - قسم الفرق - لأبي سعيد الأزدي القلهاني الإباضي.

١٣١) **الكشف والبيان** للقلهاني.

١٣٢) **الكليات** للكفوي. ت|عدنان درويش، ط الثانية مؤسسة الرسالة.

١٣٣) **كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم - ومعه بيان الفرق الضالة** - لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي. ت/ الزهيري، ط الأولى مكتبة ابن تيمية.

١٣٤) **اللباب في تهذيب الأنساب** لابن الأثير الجزري، ط ١٤٠٠ هـ، دار صادر - بيروت.

١٣٥) **لسان العرب** لابن منظور، دار صادر - بيروت.

١٣٦) **لسان الميزان** للحافظ ابن حجر، ط الثانية ١٣٩٠ هـ، شركة علاء الدين للطباعة.

١٣٧) **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، جمع وترتيب / عبد الرحمن بن قاسم، ط الأولى ١٣٨١ هـ، مطابع الرياض.

١٣٨) **مجموعة الرسائل الكبرى** لشيخ الإسلام، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣٩) **المحصول في علم أصول الفقه** للرازي، ت / طه جابر العلواني، ط الأولى ١٣٩٩ هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٤٠) **المحكم والمحيط** لأبي الحسن الموسى، ت / عبد الحميد هنداوي، ط ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤١) **مختصر الصواعق المرسلة** للموصلي، الناشر مكتبة الرياض الحديثة.

١٤٢) **مختصر الفرق**.

١٤٣) **المختصر في أخبار البشر**، ط دار المعرفة - بيروت.

١٤٤) **مدارج السالكين لابن القيم**، ت / محمد حامد الفقي، ط ١٣٩٢ هـ، دار الكتاب العربي.

١٤٥) **المستدرك على الصحيحين** للحاكم، الناشر: مكتبة ومطابع النصر الحديثة – الرياض.

١٤٦) **المستصفى من علم الأصول** للغزالي، ط الأولى ١٣٥٦ هـ، مصطفى محمد بمصر.

١٤٧) **مسند الشاميين** للطبراني، ت / حمدي السلفي، ط الأولى، مؤسسة الرسالة.

١٤٨) **مصباح الظلام**، لعبد اللطيف آل الشيخ، ت / عبد العزيز آل حمد، ط الأولى ١٤٢٤ هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

١٤٩) **مصنف ابن أبي شيبة**، ت / الأعظمي، ط الثانية ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

١٥٠) **مصنف عبد الرزاق**، ت / الأعظمي، ط ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

١٥١) **المعتمد في أصول الدين**.

١٥٢) **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، ط الهيئة العامة ١٣٩٩ هـ.

١٥٣) **المعجم الكبير** للطبراني، ت / حمدي السلفي، ط الأولى ١٤٠٠ هـ، الدار العربية.

١٥٤) **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر – بيروت.

١٥٥) **المعرفة والتاريخ** للفسوي، ت / أكرم ضياء العمري، ط الثانية ١٤٠١ هـ، مؤسسة الرسالة.

١٥٦) **المقاصد الحسنة** للسخاوي، تصحيح وتعليق: عبد الله الصديق،

عبد الوهاب عبد اللطيف، ط الأولى ١٣٩٩ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٥٧) **مقالات الإسلاميين** لأبي الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه / هلحوت ريتر، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٥٨) **المقالات في بيان البدع**.

١٥٩) **المقالات في بيان البدع والضلالات** لابن كمال باشا، أحمد بن سليمان.

١٦٠) **المقالات والفرق** للقمي الرافضي.

١٦١) **الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب** لعبد الله بن صالح البراك.

١٦٢) **الملل والنحل** للبغدادي. ت/ ألبير نصر، ط دار الشرق

١٦٣) **الملل والنحل** للشهرستاني، ت / عبد الأمير مهنا، علي فاعور، ط الأولى ١٤١٠ هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٦٤) **المنتظم** لابن الجوزي، ت / محمد عطا، مصطفى عطا، ط الأولى ١٤١٢ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٦٥) **منهاج السنة** لشيخ الإسلام، ت / محمد رشاد سالم، ط الأولى ١٤٠٦ هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٦٦) **المواقف في علم الكلام** للإيجي، عالم الكتب - بيروت.

١٦٧) **ميزان الاعتدال** للذهبي، ت / علي البجاوي، مصورة عن ط الأولى ١٣٨٢ هـ، دار المعرفة - بيروت.

١٦٨) **نظم العقيان في أعيان الأعيان**.

١٦٩) **نظم المتناثر من الحديث المتواتر** للكتاني، ط ١٤٠٠ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧٠) **نقض التأسيس** لشيخ الإسلام، تصحيح وتعليق: محمد بن قاسم،

مؤسسة قرطبة.

١٧١) **نهاية الأرب** للنويري، ط الأولى ١٤٢٤ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧٢) **نهاية الإقدام في علم الكلام** للشهرستاني، تصحيح / الفرد جيوم، مكتبة المتنبي - القاهرة.

١٧٣) **النهاية** لابن كثير، تصحيح وتعليق / إسماعيل الأنصاري، ط الأولى ١٣٨٨ هـ.

١٧٤) **نهج البلاغة**، ينسب لعلي بن أبي طالب، ت / صبحي الصالح، ط ١٣٨٧ هـ، دار الكتاب اللبناني

١٧٥) **الوافي بالوفيات** للصفدي، اعتناء / إحسان عباس، ط ١٤٠٢ هـ، دار النشر فرانز شتايز.

١٧٦) **وفيات الأعيان** لابن خلكان، ت / إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع ..... رقم الصفحة
ملخص البحث ٥١٣
المقدمة ٥١٥
المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والرسالة المحققة ٥١٨
أولا: ترجمة المؤلف ٥١٨
ثانيا: النسخة الخطية: ٥٢٠
ثالثا: اسم الرسالة ونسبتها للمؤلف: ٥٢٠
المبحث الثاني: دراسة لبعض المسائل المهمة المتعلقة بحديث الافتراق ٥٢١
المطلب الأول: حديث الافتراق: ٥٢١
المطلب الثاني: منهج أهل العلم في تعيين الفرق المشار إليها في الحديث وتحديدها: ٥٢٥
المطلب الثالث: حكم هذه الفرق: ٥٢٨
المطلب الرابع: أسباب التفرق: ٥٣٢
أولاً: الجهل: ٥٣٢
ثانياً: اتباع الهوى: ٥٣٣
ثالثاً: البغي والحسد: ٥٣٥
رابعاً: التعصب والتقليد الأعمى: ٥٣٥
الكتاب محقَّقًا ٥٣٧
المعتزلة ٥٣٩
الواصلية ٥٤٠
الهذلية ٥٤١

النظامية..... ٥٤١
الخابطية..... ٥٤١
الحدثية..... ٥٤١
المعمرية..... ٥٤٢
الثمامية..... ٥٤٢
الهشامية..... ٥٤٢
الجاحظية..... ٥٤٣
الخياطية..... ٥٤٣
الجبائية..... ٥٤٣
الهاشمية ٥٤٣
الكعبية..... ٥٤٤
الجبرية..... ٥٤٥
القدرية ٥٤٦
الجهمية..... ٥٤٧
النجارية ٥٤٨
الحفصية ٥٤٩
الصفاتية..... ٥٥٠
الأشعرية..... ٥٥٣
المشبهة..... ٥٥٥
الكرامية..... ٥٥٦
العابدية..... ٥٥٧
الإسحاقية..... ٥٥٧

الواحدية..... ٥٥٧
الهيصمية..... ٥٥٧
المعلومية..... ٥٥٧
المجهولية..... ٥٥٨
الإباضية..... ٥٥٩
الشيعة..... ٥٦٠
الإمامية الاثناعشرية..... ٥٦١
الموسوية..... ٥٦٢
الإسماعيلية..... ٥٦٣
الزيدية..... ٥٦٤
المختارية..... ٥٦٥
البيانية..... ٥٦٥
الرزامية..... ٥٦٥
الجارودية..... ٥٦٦
الكيسانية..... ٥٦٧
الكثيرية..... ٥٦٧
السليمانية..... ٥٦٧
الغالية..... ٥٦٨
الباقرية..... ٥٦٩
الجعفرية..... ٥٦٩
الواقفية..... ٥٦٩
السبئية..... ٥٧٠

الناووسية..... ٥٧٠
الخوارج..... ٥٧٠
المحكمة..... ٥٧١
الأزارقة..... ٥٧١
الكاملية..... ٥٧٢
الغليانية..... ٥٧٢
المغيرية..... ٥٧٢
الخطابية..... ٥٧٣
الكيالية..... ٥٧٣
النصيرية..... ٥٧٣
الإسحاقية..... ٥٧٤
النجدات..... ٥٧٤
البيهسية..... ٥٧٥
العجاردة..... ٥٧٦
الصلتية..... ٥٧٦
الميمونية..... ٥٧٧
الحمزية..... ٥٧٧
الخلفية..... ٥٧٨
الأطرافية..... ٥٧٨
الشعبية..... ٥٧٨
الحازمية..... ٥٧٩
الثعالبية..... ٥٧٩

الأخنسية..... ٥٨٠
المعبدية..... ٥٨٠
الرشيدية..... ٥٨٠
المكرمية..... ٥٨١
الشيبانية..... ٥٨١
الحفصية..... ٥٨٢
اليزيدية..... ٥٨٣
الصفرية..... ٥٨٣
المرجئة..... ٥٨٤
النميرية..... ٥٨٥
العبيدية..... ٥٨٥
الغسانية..... ٥٨٦
التومنية..... ٥٨٦
الصالحية..... ٥٨٧
المنصورية..... ٥٨٧
الهشامية..... ٥٨٨
النعمانية..... ٥٨٩
الحلولية..... ٥٨٩
الاتحادية..... ٥٨٩
فهرس المراجع والمصادر..... ٥٩٢
فهرس الموضوعات..... ٦٠٦